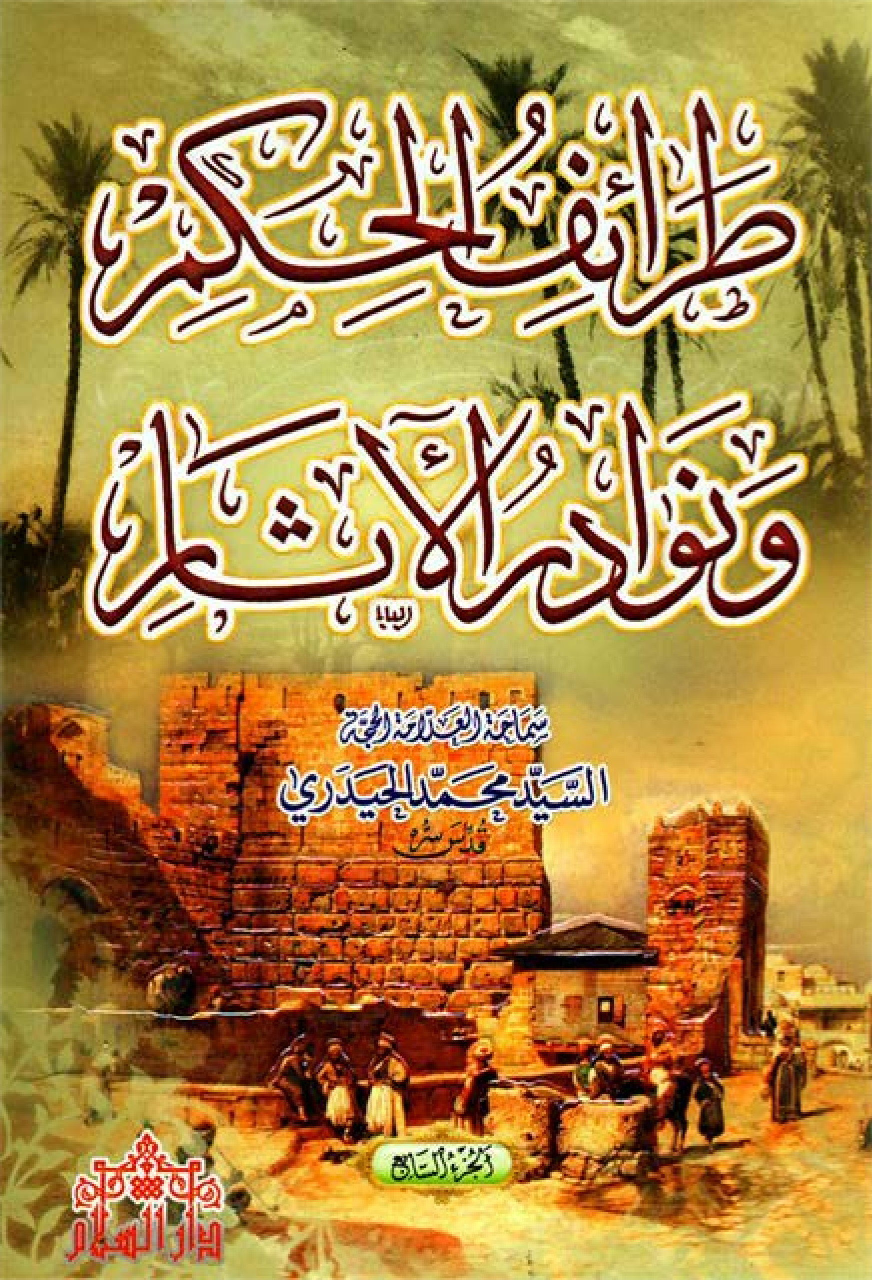

طرائف الحكم
ونوادر الآثار
سماحة العلامة الحجة
السيد محمد الحيدري
قدس سره
الجزء السابع
دار السلام



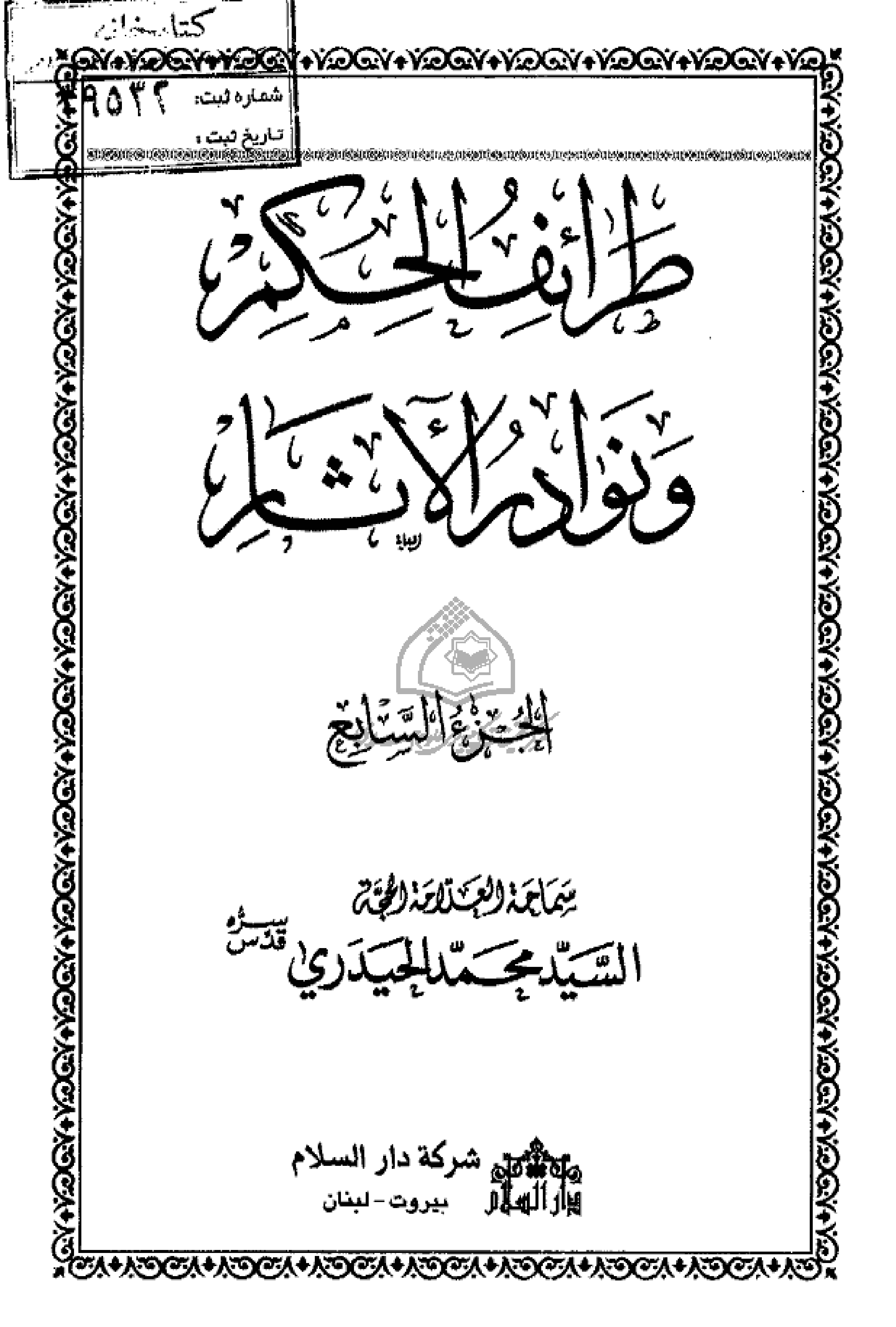
طرائف الحكم ونوادر الآثار

طرائف الحكم ونوادر الآثار

١-٨

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار السلام
شركة دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع
تلفون: ٠٠٩٦١٣٤٦١٥٩٥
بيروت - لبنان ٠٠٩٦١١٤٧٢١٩٢
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

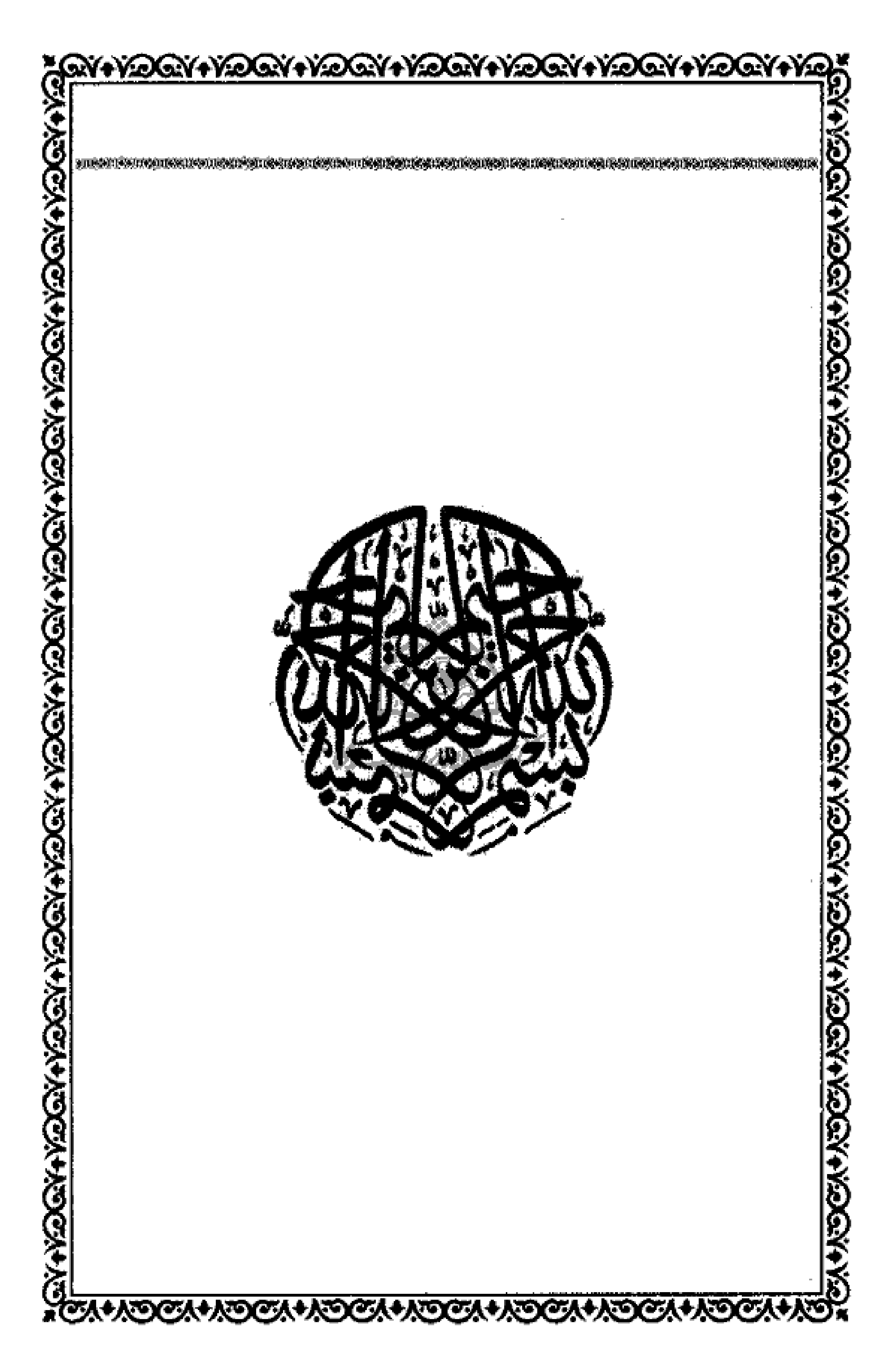


طرائف الحكم ونوادر الآثار

الجزء السابع

سماحة العلامة الحجة
السيد محمد الحيدري قدس سره

شركة دار السلام
بيروت - لبنان



٧٠٠٨ـ قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾. والملاحَظ في الآية الكريمة أنّ الله سبحانه أنّث العنكبوت فقال: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾، وقد أثبت العلم الحديث أنّ أنثى العنكبوت وحدها هي التي تَنسِجُ البيتَ ولا يشاركها الذكرُ في ذلك، وهذه حقيقةٌ لم تكن معلومةً عند نزول القرآن.

٧٠٠٩ـ قال تعالى في سورة الكهف، الآية (٢٥): ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)﴾ وفي هذا التعبير بالذات إشارةٌ إلى أنّ مكثَهم بالحساب الشمسي ثلاثمائة سنة وبالحساب القمري يكون ثلاثمائة وتسع سنين لأنّ الفرقَ بين الحساب الشمسي والحساب القمري ثلاث سنين في كل مائة سنة.

٧٠١٠ـ قال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)﴾ ومعنى دحا الشيءَ أي جعله كالدّحية وهي «البيضة». ومعناها أيضاً أنّه بسطه. وليس في اللغة العربية كلّها أنسبُ لصفة الأرض من هذه الكلمة فهي تدُلّ على شكل الأرض الحقيقي وهو «التكوير»، وعلى شكلها الظاهري وهو «البسط».

٧٠١١ـ قال تعالى في سورة الطارق: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ فالله سبحانه يصف السماء بأنها تُرجع إلينا ما يصعد إليها فتُرجع بخار الماء مطرا، وتُرجع الأمواجَ اللاسلكيّة والتلفزيونيّة بسبب انعكاسها على الطبقات العليا «الأيونيّة» بحيثُ تستطيع التقاطَ الإذاعاتِ والصورِ من جميع المحطّات العالميّة. ثم يصف سبحانه الأرض بأنها تنصدع بالنبات والغاز والبترول والبراكين والمياه المعدنيّة وغير المعدنيّة.

٧٠١٢ـ قال أبو العلاء المعريّ:

إنّ الأنامَ ليُخطِئونَ ... ويغفر الله الخطيئة

كم يُبْطِئون عن الجميلِ ... وما منايا هُمْ بطيئة

٧٠١٣ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «من أُعطيَ أربعَ خصال فقد أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرة وفازَ بحظّه منها: ورعٌ يعصِمه عن محارم الله، وحسنُ خُلُقٍ يعيش به في الناس، وحِلْمٌ يدفع به جهلَ الجاهل، وزوجةٌ صالحةٌ تُعينه على أمر الدنيا والآخرة».

٧٠١٤ـ قال الشيخ هادي كاشف الغطاء قُدّس سره:

مآتمٌ تُعقَدُ للعَزاءِ ... جديرةٌ بالفضلِ والثناءِ

وذنبُ من يبكي عليهم يُغفَرُ ... مصابُ أهلِ البيتِ فيها يُذكَرُ

إني أحبُّها فأحيُوا أمرَنا ... مجالسٌ قال الإمام معلِنا

يدعو إليها الحبُّ والولاءُ ... تقيمها الرجالُ والنساءُ

٧٠١٥ـ اشتهر بين المفسرين المحدِّثين والكتّاب الإسلاميّين أنّ قولَه تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

﴿ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يدلّ على أنّ الإنسانَ هو خليفة الله في الأرض. ولست أرى لهذا التفسير وجهاً واضحاً، ولا دَلالة عليه في هذه الآية الكريمة، وذلك لأنّ معنى الخليفة لغةً: هو الذي يخلُف غيرَه أي يحِلّ محلّه ويأتي من بعده.

وقولُه تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إن كان المقصودُ آدمَ ـ على وجه الخصوص ـ فمعناه: إني جاعل آدمَ حجّةً في الأرض يخلُف مَن كان قبله من الحجج الذين نصبهم الله على مخلوقاتِه السابقةِ عليه، وإن كان المقصودُ الإنسانَ ـ على وجه العموم ـ فمعناه: إني جاعلٌ جنسَ الإنسان يخلُف من كان قبله على الأرض من المخلوقات ويحِلُّ محلّها. ولعلّ في قوله تعالى، حاكياً عن الملائكة: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ما يؤيّد ويؤكّد هذا المعنى حيثُ يشير إلى أن الملائكة قاسوا حال هذا المخلوق الجديد على حال ذلك المخلوق القديم الذي أفسدَ في الأرض وسفكَ الدماء، كما أن بعضَ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تصرّح بوجود مخلوقات سبقت الإنسان إلى سكنى الأرض ثم انقرضت.

وجميعُ استعمالات القرآن لكلمة «الخليفة» ومشتقّاتِها إنما جاءت بهذا المعنى الذي ذكرناه، فقد تأتي بمعنى استخلاف شخص لآخر كما في قوله تعالى في سورة ص، الآية (٢٦)، مخاطباً نبيّه داودَ عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي إنّا جعلناك حجّةً على الناس تخلُف من كان قبلك من الحُجج، أو تأتي بمعنى استخلاف قوم لقومٍ آخرين كما في قوله تعالى في سورة الأعراف، الآية (٦٩): ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾، وقولِه في

نفس السورة، الآية (٧٤): ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وأمّا قوله تعالى في سورة الأنعام، الآية (١٦٥): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ وقوله في سورة النمل، الآية (٦٢): ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ وقوله في سورة فاطر، الآية (٣٩): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ فيمكن حملُها على أنّ الله جعل بني آدم خلفاء لمن كان قبلهم من المخلوقات، أو حملُها على أنّ الله جَعلهم يخلُف بعضُهم بعضاً، فكلُّ جيلٍ يخلُف الجيلَ الذي قبله، وكلُّ أُمّةٍ تخلُف الأُمّةَ التي سبقتها، كما يمكن حملُها على معنًى جامعٍ للوجهين. والله سبحانه هو العالم بحقائق كتابه ودقائق كلامه.

٧٠١٦ـ روي عن أبي الدرداء أنّه قال: شهدتُ عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام بشويحطات النجّار ـ وهي نوع من الشجر ـ، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل ـ النخل الوارف الظلال ـ فافتقدتُه فقلت: ألحقُ بمكانه فإذا أنا بصوتٍ حزين ونغمٍ شجيّ وهو يقول: «إلهي كم من موبقةٍ حلُمْتَ عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرةٍ تكرّمتَ عن كشفها بكرمك. إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظُم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمّلٌ غيرَ غفرانك، ولا أنا براجٍ غيرَ رضوانك». فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترتُ له وأخملتُ الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى فكان

مما قال: «إلهي أفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيمَ من أخْذِكَ فتعظم عليّ بليّتي... آه إن أنا قرأتُ في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت مُحصيها، فتقول: خذوه فيا له من مأخوذٍ لا تُنجيه عشيرتُه، ولا تَنفعه قبيلتُه، ولا يَرحمه الملأُ إذا أُذن فيه بالنّداء» ثم قال «آهِ من نارٍ تُنضج الأكبادَ والكُلى، آهِ من نارٍ نزّاعةٍ لِلشّوى، آهِ من لَهَباتِ لَظى». ثم أمعن في البكاء فلم أسمعْ له حِسّاً ولا حركة. فقلت: غلَب عليه النومُ لطول السهر. أوقِظُه لصلاة الفجر، فأتيتُهُ فإذا هو كالخشبَة الملقاة، فحركتُه فلم يتحرّكْ، فقلت: إنّا لله وإنا إليه راجعون مات والله عليُّ بنُ أبي طالب، فأتيتُ منزلَه مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: «يا أبا الدرداء ما كان من شأنه، وما قِصّتُه؟» فأخبرتُها الخبر فقالت: «هي والله الغَشْيةُ التي تأخذه من خَشْيةِ الله». ثم أتوه بماءٍ فنضحوه على وجهه حتى أفاق.

٧٠١٧ـ روى الشيخ المجلسي في بحاره عن القشيري في تفسيره: أنّ عليّاً عليه السلام كان إذا حضر وقتُ الصلاة تلوّن وتزلزل فقيل له: ما لك: فيقول: «جاء وقتُ أمانة عرَضَها الله تعالى على السموات والأرض والجبال فأبَيْنَ أن يحمِلْنَها وحمَلَها الإنسانُ على ضعفه، فلا أدري أُحْسِن إذا حمَلْتُ أم لا».

٧٠١٨ـ روى ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» عن الأحنف بن قيس أنّه قال: دخلتُ على معاوية فقدّم إليّ من الحلو والحامض ما كثُر تعجّبي منه، ثم قال: قدِّموا ذلك اللون فقدّموا لوناً ما أدري ما هو، فقلت: ما هذا؟ قال: مصارينُ البط محشوّةٌ بالمخ ودُهنِ الفُسْتُق، وقد ذُرّ عليه السكر؟!» قال الأحنف: فبكيت، قال معاوية: ما يبكيك؟

قلت: «لله درُّ ابنِ أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمغ به أنت ولا غيرُك» قال معاوية: وكيف؟ قلت: دخلت عليه ليلةً عند إفطاره فقال لي: قمْ فتعشَّ مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ دعا بجِراب مختومٍ بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدْك بخيلاً، فكيف ختمتَ على هذا الشعير؟ فقال: «لم أختِمْه بخلاً، ولكن خِفت أن يبسّه الحسنُ والحسين بسَمْنٍ أو أهالة» ـ أي خِفتُ أن يضع الحسنُ أو الحسين عليه الدُّهن أو الشحم ـ فقلت: أحرام هو؟ قال: «لا ولكن على أئمة الحق أن يتأسَّوْا بأضعف رعيتهم في الأكل واللِباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدِرون عليه ليراهم الفقيرُ فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغنيُّ فيزداد شكراً وتواضعاً».

٧٠١٩ـ جاء في «تذكرة الخواص» عن سويد بن غفلة أنّه قال: دخلتُ على عليٍّ عليه السلام في الكوفة وبين يديه رغيفٌ من شعير وقدَحٌ من لبن، والرغيفُ يابس، فشقّ عليّ ذلك فقلت لجاريةٍ له يُقال لها «فِضّة»: ألا ترحمين هذا الشيخ وتنخُلين له هذا الشعير؟ فقالت: إنه عهِد إلينا أن لا ننخُلَ له طعاماً قط. فالتفتَ الإمام إليّ وقال: «ما تقول لها يا ابن غفلة؟» فأخبرتُه وقلتُ: يا أمير المؤمنين ارفِقْ بنفسك، فقال لي: «ويحك يا سويد ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وأهلُه من خبزِ بُرٍّ ثلاثاً تِباعاً حتى لقي الله، ولا نُخِل له طعامٌ قط».

٧٠٢٠ـ روي: أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام رجع إلى منزله في وقت القيظ فإذا بامرأةٍ واقفةٍ في الطريق تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ، فقال لها عليه السلام: «يا أمةَ الله اصبري حتى يبرُدَ النهار ثم

أذهب معكِ إن شاء الله»، قالت يشتدّ غضبُه عليّ، فطأطأ الإمام عليه السلام برأسه ثم رفعه وقال: «لا والله أو يُؤخَذُ للمظلوم حقُّه غيرَ متعتِع، أين منزلكِ؟» فسارت معه إلى منزلها ووقف على الباب وقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» فخرج شاب فلمّا علِم الإمام عليه السلام أنّه زوجُها قال له: «يا عبد الله اتّقِ الله فإنّك قد أخفتَها وأخرجتَها»، فقال الشاب ـ وهو لا يعرفه ـ وما أنتَ وذاك فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر» وبينما هو يحادثه إذ أقبل عليه الناس وهم يقولون له: «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فخجِل الشاب وندِم على ما صدر منه وقال: «يا أميرَ المؤمنين أقلني عثرتي فوالله لأكوننَّ لها أرضاً تَطَؤُني» فالتفت الإمام عليه السلام إلى المرأة وقال لها: «يا أمةَ الله أُدخُلي منزلَكِ، ولا تُلجئي زوجَكِ إلى مثل هذا وشبهِه».

٧٠٢١ـ ذكر الزمخشري في «ربيع الأبرار»: أنّ بِلالَ بنَ رباح الحبشي خطب لأخيه خالد بنِ رباح امرأةً قرشيّة فقال لأهلها: «نحن من قد عرفتم كنّا عبديْنِ فأعتقنا الله، وكنّا ضالّينِ فهدانا الله، وكنّا فقيريْنِ فأغنانا الله، وأنا أخطُب لكم على أخي ابنتَكم «فلانة»، فإن تُنكحونا فالحمد لله، وإن تَرُدّونا فالله أكبر». فأقبل بعضهم على بضع وقالوا: بلال من قد عرَفتم سابقتَه ومشاهده ومكانتَه من رسول الله صلى الله عليه وآله فزوِّجوا أخاه. فلمّا انصرفا قال له أخوه: يغفرِ الله لك، أما كنتَ تذكر سوابقَنا ومشاهدَنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «يا أخي صدقتُ فأنكحك الصدق».

٧٠٢٢ـ روي: أنّ أبا بكر لما بُويع بالخِلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وامتنع جماعةٌ من الصحابة من مبايعته كان من بينهم بِلالُ

مؤذّنُ النبيّ ﷺ فإنّه أبى أن يبايعَه، فجاء إليه عمرُ بنُ الخطاب وأخذ بتلابيبه وقال له: يا بلال إنّ هذا جزاءُ أبي بكر منك حيثُ أعتقك من الرِقّ؟ فقال: «إنْ كان أبو بكر أعتقني لله فليدعني له، وإن كان أعتقني لغير ذلك فها أنا ذا، وأما بيعته فما كنت أبايعُ أحداً لم يستخلِفه رسولُ الله ﷺ وأنّ بيعةَ ابن عمه يومَ الغدير في أعناقنا إلى يوم القيامة» وفي رواية أخرى أنه قال: «إن كان أبو بكر أعتق رقبتي من الرّق فإن علياً أعتق رقبتي من النار». فقال عمر: لا أم لك، لا تقم معنا، فارتحل عندئذٍ إلى الشام. وبقيَ هناك إلى أن توفاه الله وعمرُه أربعٌ وستون سنة ولم يكن له عقِب.

٧٠٢٣ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «السُّنّةُ سُنّةُ رسول الله ﷺ وَالبِدعة مخالفتُها، والجماعةُ أهلُ الحق وإن قلّوا، والفُرقةُ أهل الباطل وإن كثروا».

٧٠٢٤ـ روي: أنّ الإمامَ الحسن عليه السلام مرّ على قومٍ يلعبون، والشهرُ شهرُ رمضان، فوقف عليهم وقال: «إنّ الله جعل شهرَ رمضان مِضماراً لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبَق قوم ففازوا، وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب من ضاحكٍ لاعبٍ في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون، ويخسَر فيه المبطِلون. وايُم الله لو كُشف الغِطاء لعلموا أن المحسنَ مشغولٌ بإحسانه، والمسيءَ مشغولٌ بإساءته» ثم انصرف عنهم.

٧٠٢٥ـ روي: أن الإمامَ موسى بنَ جعفر عليه السلام مرّ برجلٍ من أهل السواد دميمِ المنظر فسلّم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض عليه القيامَ بحاجته إن كانت له حاجة، فقيل له: يا ابن رسول

الله أتنزل إلى هذا وتسأله عن حاجته؟ فقال عليه السلام: «عبدٌ من عبيد الله، وأخٌ في كتاب الله، وجارٌ في بلاد الله، يجمعنا وإيّاه خيرُ الآباء آدم، وأفضلُ الأديان الإسلام، ولعلّ الدهرَ يردّ من حاجاتنا إليه فيرانا بعد الزّهو عليْه متواضعين بين يديْه».

٧٠٢٦ـ روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنّه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله لا يَدَع أحداً يمشي معه إذا كان راكباً حتى يحملَه معه، فإن أبى قال له: «تقدَّمْ وأدركني في المكان الذي تريد».

ودعاه صلى الله عليه وآله قومٌ من أهل المدينة إلى طعامٍ صنعوه له ولأصحابٍ له خمسة فأجاب دعوتَهم، فلما كان في بعض الطريق أدركهم سادس فماشاهم، فلمّا دنوا من القومِ أصحابِ الدعوة قال النبيّ صلى الله عليه وآله للرجل السادس: «إنّ القومَ لم يَدْعوك فاجلس حتى نذكرَ لهم مكانَك، ونستأذنَهم لك».

٧٠٢٧ـ العدلُ صفةٌ من صفات الله تعالى ولأهميَتها أفردت بالذكر وجُعلت أصلاً من أصول عقيدتنا، ـ ومعناها: أنّ الله منزّه عن الظلم، لأنّ الظلمَ قبيح وهو سبحانه منزّهٌ عن القبيح، ولأنّه نقصٌ وهو سبحانه متّصِف بالكمال المطلق، ولأنّ الذي يصدر عنه الظلم لا يخلو من حالاتٍ أربع:

الأُولى: أن يكونَ جاهلاً به. والجهلُ مُحالٌ على الله لأنّه بكلّ شيءٍ عليم.

الثانية: أن يكونَ عالماً به ولكنّه عاجزٌ عن تركه، والعجزُ مُحالٌ على الله لأنه على كلّ شيءٍ قدير.

الثالث: أن يكونَ عالماً به وغيرَ عاجز عنه ولكنه محتاجٌ إليه، والاحتياجُ مُحالٌ على الله لأنّه غنيٌّ عن العالمين.

الرابعة: أن يكونَ عالماً به وغيرَ عاجز عنه ولا محتاجٍ إليه ولكنّه يفعله عبثاً، والعبثُ مُحالٌ على الله لأنّه أحكمُ الحاكمين.

٧٠٢٨ـ روي: أنّ المنصورَ الدوانيقي دعا الإمامَ الصادقعليه السلام من المدينة إلى بغداد فلمّا حضر عنده بادره بقوله: يا جعفر ما هذه الأموال التي يَجبيها لك المعلى بن خنيْس؟ ـ وهو مولى للإمام قتله داود بن علي العباسي عندما كان والياً على المدينة ـ فقال الإمامعليه السلام: «معاذ الله، أنه ما كان من ذلك شيء»، قال المنصور: ألا تحلف على براءتك من ذلك بالطَلاق والعِتاق؟ فقال الإمامعليه السلام: «نعم، أحلف بالله أنّه ما كان شيء من ذلك»، قال المنصور: لا، بل تحلف بالطّلاق والعِتاق، فقال الإمامعليه السلام: «ألا ترضى بيميني بالله الذي لا إله إلا هو؟؟» قال المنصور: لا تتفقّه عليّ. فقال الإمام: «وأين يذهب الفقه مني؟»، قال المنصور: دعْ عنك هذا، فإني أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي وشى بك حتى يواجهَك، ثم أتوا بالرجل وسألوه بحضرته فقال: نعم هذا جعفر والذي قلتُ فيه صحيح، فقال الإمام: «تحلف أيها الرجل أن هذا الذي قلتَه صحيح؟» قال الرجل: نعم، ثم بادر إلى اليمين قائلاً: والله الذي لا إله إلا هو الغالبُ الحيُّ القيّوم، فقاطعه الإمام قائلاً: «لا تعجلْ فإنّي أستحلفك» قال المنصور: ما أنكرتَ من هذا اليمين؟ فقال الإمامعليه السلام: «إنّ الله تعالى حييٌ كريم إذا أثنى عليه عبدُه لا يعاجله بالعقوبة، ولكن قلْ أيها الرجل: «أبرأ إلى الله من حوله وقوّته وألجأ إلى حولي وقوّتي إنّي لصادق فيما أقول» فقال المنصور

للرجل: احلفْ بما استحلفك أبو عبد الله، فحلف الرجل بذلك، فما استتمَّ كلامَه حتىَ خرّ ميّتاً. فاضطرب المنصور وارتعدت فرائصه وقال لأبي عبد الله عليه السلام: يا أبا عبد الله سِرْ من عندي إلى حرَم جدّك إن اخترتَ ذلك، وان اخترَت المقام عندنا لم نألُ في إكرامك وبرّك، فوالله لا قبلتُ قولَ أحدٍ فيكَ أبداً.

٧٠٢٩ـ روي عن المفضّلِ بنِ عمر أنّه قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فسأله رجل: في كم تجب الزكاة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الزكاة الظاهرة أم الباطنة؟» قال الرجل: أريدها جميعاً، فقال الإمام عليه السلام: «أمّا الظاهرة: ففي كل ألف درهم خمسة وعشرون درهماً، وأمّا الباطنة: فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوجُ إليك منك».

٧٠٣٠ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: «ألا أخبركم بالفقيه حقاً؟» قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: «من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبةً عنه إلى غيره. ألا لا خيرَ في علمٍ ليس فيه تفهّم، ولا خيرَ في قِراءةٍ ليس فيها تدبّر، ولا خيرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقّه».

٧٠٣١ـ قال رجل للإمام الصادق عليه السلام: يا أبا عبد الله ادعُ الله لي أن لا يجعلَ رزقي على أيدي العباد. فقال عليه السلام: «أبى الله إلاّ أن يجعلَ أرزاقَ العباد بعضِهم من بعض، ولكنِ ادعُ الله أن يجعلَ رزقَك على أيدي الأخيار لا الأشرار» ومثل ذلك ما ورد في الأدعية المأثورة: «اللّهم إنّي أسألك الغنى عن شِرار الناس برحمتك يا أرحم الراحمين».

٧٠٣٢ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الزهدُ في الدنيا بإضاعة

المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهدُ أن لا تكونَ بما في يدك أوثقَ منك بما في يد الله عزّ وجل».

٧٠٣٣- قال الإمام الصادق عليه السلام إنّ أبي حدثني: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أعبدُ الناس من أقام الفرائض، وأسخى الناس من أدى زكاةَ ماله، وأزهدُ الناس من اجتنب الحرام، وأتقى الناس من قال الحقّ فيما له وفيما عليه، وأعدلُ الناس من رضيَ للناس ما يرضى لنفسه وكرِه لهم ما يكرهُ لنفسه».

٧٠٣٤- قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «يا سوأتاه لِمن غَلبتْ أحداثُه عشراتِه». يريد: من غلبت سيئاتُه حسناتِه، لأنّ السيئةَ بواحدة والحسنةَ بعشرة.

٧٠٣٥- روي عن خبّاب بن الأرت أنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متوسد بُردةً في ظلّ الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال صلى الله عليه وآله: «قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفيْن ما يصدّه ذلك عن دين. والله ليُتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرمَوْت فلا يخاف إلا الله، ولكنكم تستعجلون».

٧٠٣٦- نُسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

عوّدْ بنيك على الآداب في الصغرِ ... كيما تَقَرَّ بهم عيناكَ في الكِبَرِ
وإنما مثل الآداب تجمعها ... في عنفوان الصِبا كالنقش في الحجرِ

وفي هذا المعنى قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفِتيان منّا ... على ما كان عوّده أبوه

٧٠٣٧ـ روي: أنّ رسولَ الله ﷺ سُئل: أينام أهل الجنة؟ فقال ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون».

٧٠٣٨ـ قال عمر بن الفارض:

شرِبنا على ذكر الحبيب مُدامةً
سكرنا بها من قبلِ أن يُخلقَ الكَرْمُ

٧٠٣٩ـ قال أحمد الصافي النجفي:

قد درستُ الحياةَ ما اسطاع فكري فوجدت العلياءَ أفضلَ درسِ
قد دعاني إلى المخاطر عزمي وهداني إلى العواطفِ حِسّي

٧٠٤٠ـ قال الشاعر:

إذا رضِيتْ عنّي كِرامُ عشيرتي
فلا زال غَضباناً عليَّ لِئامُها

٧٠٤١ـ من الحكم الصينية البليغة: «قطرةٌ فوق قطرةٍ بحر، وحكمةٌ فوق حكمة علم»

«جمالُ الطير في ريشه، وجمالُ الرجلِ في علمه».

«أثمنُ الأشياء في الدنيا ثلاثة: العلمُ والغِذاءُ والصداقة».

«الكتاب نافذة نتطلّع من خلالها إلى العالم».

«زيّن عقلَك بالعلم خيرٌ من أن تزيّن جسدَك بالجواهر».

«كلما كبُرتِ السُّنبلةُ انحنتْ، وكلما تعمّق العالِمُ تواضع».

«من كان لي معلماً يوماً، كان لي صديقاً دوْماً».

٧٠٤٢ـ قال رسولُ الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلمَ فيأته من بابه». وقال: «عليٌّ باب علمي، ومبيّنٌ لأُمّتي ما أرسلتُ به»، وقال: «قُسّمت الحكمةُ عشَرَةَ أجزاء، فأُعطيَ عليّ تسعةَ أجزاء، والناسُ جزءاً واحداً، وهو أعلَمُ بالعُشْر الباقي»، وقال: «أقضاكم عليّ»، وقال عبد الله بنُ عباس: «أُعطيَ عليُّ بنُ أبي طالب تسعةُ أعشار العلم، وإنّه لأعلمهم بالعشرْ الباقي»، وقال: «ما علمي وعلمُ أصحاب محمد بالنسبة إلى علم عليٍّ إلاّ كنقطةٍ في البحر المحيط» وقال عمرُ بنُ الخطاب: «العلمُ ستّةُ أسداس لعلّي من ذلك خمسةُ أسداس وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منّا» وقالت عائشة: «عليٌّ أعلمُ الناس بالسُّنّة».

٧٠٤٣ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لمّا قُبض رسولُ الله ﷺ أقسمتُ، أن لا أضعَ ردائي على ظهري حتى أجمعَ ما بين اللوحيْن، فما وضعت ردائي حتى جمعتُ القرآن»، وقد جمعه عليه السلام كما أُنزل على رسول الله ﷺ، مبيّناً عامَّه وخاصَّه، ومطلقه ومقيّده ومحكمه ومتشابهَه وناسخَه ومنسوخَه، وعزائمَه ورُخصَه، وسُنَنه وآدابَه، وظاهره وباطنه، وذاكِراً أسبابَ النزول لآياته الكريمة حتى قال ابن سيرين: «لو أصبتُ ذلك الكتابَ لكان فيه العلم».

٧٠٤٤ـ يُعتبر أمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام أوّلَ من صنّف في الإسلام، ومن آثاره العلميّةِ والفكريّةِ في جميع مجالات المعرِفة:

أـ جمعُه للقرآن الكريم كما أُنزل مؤوّلاً مع بيان عامّه وخاصّهْ ومطلقه ومقيّده، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعزائمه

ورُخصه، وسُننه وآدابه، وظاهره وباطنه، ومع ذكر أسباب النزول، إضافة إلى ما ورد عنه عليه السلام من أحاديث كثيرة في تفسير القرآن مذكورة في كتب التفسير.

ب ـ مُصحفُ فاطمة الذي كتبه لها أمير المؤمنين عليه السلام ويتضمن الحكم والمواعظَ والأمثالَ والعبرَ والملاحم.

ج ـ الجامعةُ التي تضمّنت كلَّ ما يحتاج إليه الناس من الحلال والحرام حتى قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناسَ ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاباً أملاه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وخطّه عليّ عليه السلام، صحيفةٌ فيها كلُّ حلالٍ وحرام»، وقال عنها أيضاً: «فيها كلُّ ما يحتاج الناسُ إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش».

د ـ كتابُ الجفر ويتضمّن ذكرَ الملاحم وأخبار الأُمم، وقد أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله ودوّنه أمير المؤمنين عليه السلام على جلد.

هـ ـ صحيفةُ الفرائض والمواريث.

و ـ كتابٌ في الدّيات.

ز ـ كتابٌ في زكاة النَّعَم.

ح ـ كتابٌ في أبواب الفقه.

ط ـ كتابٌ في علوم القرآن.

ي ـ خطبه ورسائله وحكمه التي تضمّنتْها موسوعاتٌ ومؤلفاتٌ مهمة كنهج البلاغة للشريف الرضي، وغرر الحِكم ودرر الكِلم لعبد

الواحد الآمدي، وقلائد الحِكم وفرائد الكلم لأبي يوسف الأسفراييني، ونثر اللآليء للفضل بن الحسن الطبرسي، ومطلوب كل طالب لأبي إسحاق الوطواط، ومائة كلمة لأبي عثمان الجاحظ، وغيرِها.

ك ـ أحاديثه التي تضمنتها كتب الحديث الكثيرة ومنها: «مسند عليّ» الذي ألّفه أحمد بن شعيب النسائي.

ل ـ أدعيته ومناجاته التي تضمنتها كتب الأدعية، ومنها «الصحيفة العلويّة» التي ألّفها عبد الله بن صالح السماهيجي.

٧٠٤٥ـ روى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن ثابت الشمالي عن سويد بن غفلة أنّه قال: خطب عليٌّ عليه السلام ذاتَ يومٍ فقام رجل من تحت مِنبره فقال: يا أميرَ المؤمنين إنّي مررتُ بوادي القرى فوجدتُ خالدَ بنَ عرفطة قد مات فاستغفرْ له، فقال عليه السلام: «والله ما مات ولا يموت حتى يقودَ جيشَ ضلالة، صاحبُ لوائه حبيبُ بنُ حمار». فقام رجلٌ آخر من تحت المِنبر فقال: يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار، وإني لك شيعةٌ ومحب، فقال عليه السلام: «أنت حبيبُ بنُ حمار؟» قال: نعم، فقال له ثانية: «والله إنك لحبيب بن حمار؟» قال: أي والله، فقال عليه السلام: «أما والله إنّك لحاملُها، ولتحملنَّها ولتدخلَنّ بها من هذا الباب» ـ وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة ـ قال ثابت الشمالي راوي الحديث عن سويد بن غفلة: فوالله ما مِتُّ حتى رأيتُ ابنَ زياد وقد بعث عمرَ بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيبَ بنَ حمار صاحبَ رايته فدخل بها من باب الفيل.

٧٠٤٦ـ قال كشاجم:

ما لذّةٌ أكملُ في طيبها ... من قُبلةٍ في إثرها عضّهْ
خلستُها ـ بالكره ـ منْ شادنٍ ... يعشَق منه بعضُه بعضَهْ

٧٠٤٧ـ قال الرشيد يوماً للمفضل الضبي:

دُلّني على بيتٍ من الشعر أوّلُه أكثمُ بنُ صيفي في إصابة الرأي وجودةِ الموعظة، وآخِرهُ بقراط في معرفة الدواء؟ فقال المفضل: يا أمير المؤمنين لقد هوّلتَ علي، فقال الرشيد: هذا قول أبي نوّاس:

دعْ عنكَ لومي فإنّ اللومَ إغراءُ ... وداوني بالّتي كانت هي الداءُ

٧٠٤٨ـ أراد رجلٌ سفراً بعيداً فقال لزوجته:

عِدّي السنينَ لغيبتي وتَصبّري ... ودعي الشهور فإنهنّ قِصارُ

فأجابته تقول:

واذكر صبابتَنا[1] إليك وشوقَنا ... وارحمْ بناتك إنهنَّ صِغارُ

فلما سمع من زوجته هذه المشاعرَ الطيّبة عدل عن السفر.

٧٠٤٩ـ حدّثني من أثق به: أنّ أحد المؤمنين المعاصرين رأى في منامه ـ وهو في كربلاء زائراً ـ كأنّ القيامة قد قامت، ورأى الحسينَ عليه السلام يملي على أخيه العباس عليه السلام أسماءَ الذين تشرّفوا بزيارة قبره الشريف وعددَ زياراتهم وما قبُل منها وما لم يُقبل. ثم ذكر الحسين عليه السلام اسمَ أحد المؤمنين الأبرار ـ وهو صديقُ صاحب الرؤيا ـ وقال: إنّه زارني سبعمائة مرة وكلّها مقبولة. فلمّا انتبه من نومه ذهب

(١) صبابتنا: محبتنا.

إلى صديقه ـ وكان موجوداً في كربلاء للزيارة ـ وسأله عن عدد زياراته للحسين عليه السلام ولو تخميناً، فقال: إنني من عادتي أن أسجّلَ كلَّ زيارةٍ أتوفّق إليها، فقال له: أرجو أن تراجعَ دفترك لترى عدد زياراتك، قال: لأيِّ سببٍ تسأل عن ذلك؟ قال: اخبرني عن العدد لأذكرَ لك السبب. فأخرجَ دفتراً صغيراً من جيبه ونظر إليه فقال: إن العدد بلغ ستمائة وتسعاً وتسعين زيارة، فقال له: وهل سجلتَ زيارتك هذه الأخيرة؟ قال: لا، لأنَّ من عادتي أن لا أسجّلَ الزيارة في الدفتر إلا بعد رجوعي إلى بلدي، عندئذٍ أخبره بما رأى في منامه، وبشرّه بأن الحسين عليه السلام أملى على أخيه العباس عليه السلام أنك قد زرتَه سبعمائة زيارة وكلُّها مقبولة. فسُرَّ الرجل بهذه البشارة سروراً كبيراً، وحمِد الله على عظيم كرمه وجزيل نعمه حمداً كثيراً.

٧٠٥٠ـ قال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾. ويلاحظ في هذه الآيات الكريمة أنّ الله سبحانه قال في المقام الأوّل: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ مؤكِّداً الفعل «جعلناه» بلام التأكيد، بينما قال في المقام الثاني: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ مجرّداً عن هذه اللام، فما الحكمة في ذلك يا تُرى؟ الحكمة ـ على ما يظهر للمتأمّل ـ: أنّ الموضوعَ في المقام الأوّل يتعلّق بالزرع والشجر، وقد يتصوّر الإنسان أنه المؤثّر في ظهوره ونموّه لأنّه هو الذي يَحرُث ويزرع ويقوم بالسّقاية والرِعاية فاقتضى المقامُ التأكيدَ على أنّ الله ـ جلّت قدرته ـ هو الذي يُنبت الزرعَ ويُنشئ الشجر، ولولاه لم يكن في الأرض عينٌ ولا أثر.

أمّا الموضوع في المقام الثاني فإنه يتعلّق بالماء ونزوله من السماء، ولا يرتاب أحدٌ في أنّ الإنسانَ لا دَخْلَ له أبداً في ذلك، بل إنّ الله وحده هو الذي يُرسل الرياحَ برحمته، ويُنشئ السحابَ بقدرته، ويُنزل الماءَ بحكمته، فاقتضى المقامُ عدمَ التأكيد، والله سبحانه هو الأعلم.

٧٠٥١ـ من المؤسف حقاً هذا التسامح في تطبيق أحكام الإسلام بين المسلمين حتى صارت الموبقات تُرتكب علناً بغير رادع ولا مانع، وصارت تُحلل المحرمات وتُستباح الحرمات بمختلف الأساليب والمبررات، ومنها أنهم أحلّوا الخمر باسم «البيرة» حتى صدق فيهم قول النبيّ ﷺ: «لَيشربنّ ناسٌ من أمّتي الخمرَ يسمّونها بغير اسمها».

٧٠٥٢ـ قال محمد إقبال:

لـم ألـق فـي هـذا الـوجـود سعادةً كـمحبـة الإنسـانِ لـلإنسـانِ
لمّا سكرتُ بخمرها القدسيّ لم أحتجْ إلى تلك التي في الحانِ

٧٠٥٣ـ قال محمد إقبال:

كـلُّ شعبٍ قام يـبغي نـهضةً وارى بـنـيانكـمْ منـقسِـما
فـي قـديم الـدهـرِ كـنـتـم أُمّـةً لهف نفسي كيف صِرتم أمَما

٧٠٥٤ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «رأسُ الحكمة لزومُ الحق»، وقال: «أفضلُ الأعمال لزومُ الحق»، وقال: «عليكم بموجباتِ الحق فالزموها».

٧٠٥٥ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال» وفي رواية: «إلى ما قيل».

٧٠٥٦- قال الشاعر:

من عاش أخلقتِ الأيامُ جِدَّتَه   وخانه ثقتاه: السمعُ والبصرُ

٧٠٥٧- روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لولا ثلاثة في ابن آدم ما طأطأ رأسه شيء، المرضُ والموتُ والفقر، وكلُّهن فيه وإنّه معهنَ لوثّاب».

٧٠٥٨- قال الشاعر:

اذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبةٍ   فَافرِغْ لها صبراً وأوسِعْ لها صدرا
فإنّ تصاديفَ الزمان عجيبةٌ   فيوماً ترى عُسراً ويوماً ترى يُسرا

٧٠٥٩- لقد كاد اليهود للإسلام وغدروا بالمسلمين ونقضوا العهود والمواثيق التي عقدها معهم رسولُ الله ﷺ، ووقفوا معه مواقف الحقد والعِداء، وساندوا أعداءَه من المشركين، وصدق الله حيثُ يقول عنهم في سورة المائدة، الآية (٨٢): ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾. وكان منهم في المدينة ثلاث قبائل وهم: «بنو قينقاع»، و «بنو النضير»، و «بنو قريظة».

أمّا بنو قينقاع، فكانوا يسكنون في أطراف يثرب ويعملون في التجارة والصياغة، وكانوا حلفاءَ للخزرج، وبعد غزوة بدر وانتصار المسلمين على المشركين قصدهم رسولُ الله ﷺ بنفسه ودعاهم إلى الله ورسوله وقال لهم: «يا معشر اليهود احْذَروا من الله عزّ وجل مثلَ ما نزل بقريش من النّقمة، وأسلموا فإنكم قد عرَفتم أنيّ نبيٌّ مرسَل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم»، فما كان منهم أمامَ هذه الدعوى الكريمة إلا أن أجابوه بكل وقاحةٍ وصلَفٍ وحِقد: «يا محمد إنّك ترى

إنّا كقومك، لا يغرنّك أنّك لقيتَ قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة، أنّا والله لئن حاربتنا لتعلمَنَّ إنا نحن الناس» فنزل على النبيّ ﷺ جبرئيل يُبلغه حكمَ الله فيهم في سورة الأنفال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾، فخرج رسول الله ﷺ إليهم وحاصر حصنَهم خمسَ عشْرَةَ ليلة، فلمّا ضاق بهم الحصن اضطروا إلى الاستسلام، فأخذ النبيّ ﷺ رحابَهم وأراد أن ينتقمَ منهم لغدرهم وخيانتهم، فقام رأسُ المنافقين «عبدُ الله بنُ أُبَيّ» الخزرجي يشفع فيهم ويطالب النبيّ ﷺ بالعفو عنهم لأنهم حلفاؤه وحلفاءُ قومه، وصار يُلحّ عليه في ذلك حتى اضطرّ ﷺ إلى العفو عنهم قائِلاً له: «هم لك» مراعياً بذلك مصلحةَ الإسلام والمسلمين وهم يخوضون أوّلَ معركة مع المشركين، ثم خاطب ﷺ أصحابَه قائلاً لهم: «خَلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم». ولكن النبيّ ﷺ لم يتركْهم دون عقوبةٍ رادعة فأمر بإجلائهم عن المدينة إلى «خيبر»، أو «اذرعات» على اختلاف الروايات. وغنِم المسلمون أموالَهم وأسلحتَهم واختصّ ﷺ بالصفايا.

وأمّا بنو النضير، فكانوا يسكنون في ناحية «الغرس» من يثرب، ويزاولون الزراعة. وفي يومٍ من الأيام قتل عمرو بن أميّة الضمري رجلَيْنِ من بني عامر خطأً ـ وكان بينهم وبينَ النبيّ ﷺ عهدٌ وجوار، كما كان بينهم وبين بني النضير حلف ـ فأراد ﷺ أن يدفعَ دِيتهما فذهب مع جماعة من اصحابه إلى بني النضير يستعين بهم في هذه الدّية، فقالوا له: «نعم يا ابا القاسم نعينك على ما احببت بما استعنت بنا عليه»: ثم ذهبوا يتشاورون في الأمر، وكان رسولُ الله ﷺ جالساً مع اصحابه إلى جنب جدار من جدران بيوتهم فقال بعضُهم لبعض:

«إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه» وعزّموا على اغتيال النبيّ ﷺ والغدرِ به فقالوا: «من منكم يعلو هذا البيت فيُلقي عليه صخرة تقتله فيريحنا منه؟»، فقام عمرو بن جحاش فقال: أنا لذلك، وكاد أن يفعلَ ما يريد، ولكنّ الله يأبى إلا ان يُتمَّ نورَه ويحفظَ نبيّه ولو كره الكافرون، فأوحى الله إليه أنّ القومَ يأتمرون بك ليقتلوك، فترك منازلَهم في الحال. وعزمﷺ على الانتقام منهم جزاءَ غدرهم وخيانتهم، فأرسل إليهم محمد بنَ مسلمة الأنصاريِ ـ من الأوس ـ وقال له: «اذهبْ إليهم وقلْ لهم: اخرجوا من بلادي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به من الغدر». وهنا تدخّل رأسُ المنافقين «عبدُ الله بنُ أُبي» مرّةً أخرى لحماية هؤلاء اليهود وأرسل إليهم أن لا تخرجوا من دياركم فإنّ معي من العرب وممن انضوى إليّ من قومي ألفيْن، فأقيموا فهم يدخلون معكم وقريظة تدخل معكم. فأثّر كلامُه فيهم، وبعث حييُّ بنُ أخطب ـ رئيسُ اليهود ـ أخاه جُديّ بن أخطب إلى النبيّ ﷺ يقول له: «إنا لا ندع ديارَنا فاصنَع ما بدا لك» فكبّر رسولُ الله ﷺ وكبّر معه المسلمون، وعزم على قتالهم، فذهب جُدي إلى ابن أبيّ يطلب منه المساعدة كما وعدهم فلم يجد عنده شيئاً، فرجع إلى قومه خائباً. وأعلمهم بعزم النبيّ على حربهم، وخُذلانِ ابن أُبيّ لهم. فاستنجدوا ببني قريظة فقام أحدُ رؤسائهم فقال لهم: «لا ينقض العهدَ منكم رجلٌ وأنا حيّ» فلم يُنجدوهم، وزحف رسولُ الله ﷺ بأصحابه إليهم فحاصرهم خمسةَ عشَرَ يوماً حتى نزلوا على حكمه فصالحهم على الجلاء من المدينة إلى «اذرعات» في الشام وله بيوتُهم وأسلحتُهم، ولهم من أموالهم ما تقِلّ الإبل.

وأمّا بنو قُرَيْظة، فكانوا يسكنون إحدى ضواحي المدينة وقد

شادوا فيها حصونَهم المنيعة، وكان بينهم وبين رسول الله عهدٌ وميثاق حافظوا عليهما إلى يوم الأحزاب حيثُ تألّبت قريشٌ والعشائرُ العربية الأخرى ومعهم جماعةٌ من اليهود على حرب الإسلام والقضاءِ عليه، فخرجت قريش وبنو سليم وبنو أسد وبنو مرّة وفزارة واشجع بقيادة أبي سفيان، واليهود من ورائهم يشجّعونهم ويخططون لهم، حتى أنَّ حييَّ بنَ أخطب وسلامَ بنَ أبي الحقيق وكنانةَ بنَ الربيع ـ وهم زعماء بني النضير ـ كانوا من أشدّ الناس تحريضاً على قتال رسول الله ﷺ، واستنفاراً للقبائل، وهم الذين حملوا بني قريظة على نقض العهد والاشتراك في هذه الحرب الفاصلة حيثُ جاء إليهم حييُ بنُ أخطب وقصد رئيسَهم كعب بن أسد فأغلق دونه بابَ الحصن ولم يأذن لحييّ بالدخول عليه، فصار حييّ يناديه: يا كعب افتح الباب، فيجيبه كعب: ويحك يا حييّ إنك امرؤٌ مشؤوم، إني قد عاهدتُ محمداً فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقاً. فقال حييّ: ويحك افتحْ لي أكلّمْك، قال: ما أنا بفاعل، وألّح حييّ عليه ففتح له فقال: ويحك يا سعد جئتك بعزِّ الدهر وببحرٍ طامٍ، جئتك بقريش وقد عاهدني قادتُها وسادتُها ألاّ يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه. فقال كعب: جئتني والله بذُلّ الدهر... ويحك دعني ومحمداً وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً. فلم يزل به يحادثه ويخادعه حتى حمله على نقض العهد مع رسول الله ﷺ، وعاهد حييّاً على أن يكونَ مع الأحزاب على حرب المسلمين. ولمّا انتهت المعركة بنصر الإسلام على الكفر ـ وكانت ضربةُ عليٍّ عليه السلام لعمرو في ذلك اليوم هي الحاطمة وهي الحاسمة، حيثُ كفى الله المؤمنين القتال ببركة تلك الضربة التي تعدل عبادة الثقلين إلى يوم القيامة ـ نزل جبرئيل على النبيّ ﷺ يقول

له: «إنّ الله يأمرك أن تسيرَ إلى بني قريظة» فسار إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل، وحاضر حصونَهم خمسةً وعشرين ليلةً حتى ضاقوا ذرعاً، واضطروا إلى الاستسلام، فجاء رجالٌ من الأوس ليشفعوا لهم ـ لأنّهم حلفاؤهم في الجاهليّة ـ فقال لهمﷺ: «أترضون يا معشرَ الأوس أن يحكمَ فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى فقال: «فذاك إلى سعد بنُ معاذ»، فقال له قومُه الأوس: «يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإنّ رسولَ اللهﷺ إنما ولاك لتحسنَ فيهم» فقال سعد: «قد آن لسعد أن لا تأخذَه في الله لومةُ لائم»، ثم جلس مجلسَ الحكم، ومثُل بنو قريظة أمامه، فقال: «إني أحكم فيهم بأن تُقتلَ الرجال وتقسَّمَ الأموال وتُسبى الذراري والنساء» فقال رسولُ اللهﷺ: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق عرشه»، ثم أمر علياًعليه السلام والزبير بتنفيذ الحكم فنفّذاه فيهم وعددهم ستمائة أوسبعمائة أو ثمانمائة أو تسعمائة على اختلاف الروايات، وكان من بيهم رئيسُ بني النضير «حييُّ بنُ أخطب» الذي حملهم على خيانة العهد ونقضِ الميثاق. وهكذا لاقى هؤلاءِ اليهودُ جزاءَ غدرهم وخيانتهم لله ولرسوله، وما ظلمهم الله ـ ولا ظلمهم رسولُه ـ ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون.

وأمّا «خيبر»، فهو المكان الذي يسكنه يهود الجزيرة العربية وقد تجمعت فيه فلولُهم وبقاياهم الذين أجلاهم رسولُ اللهﷺ عن المدينة، وأقاموا فيه سبعةَ حصونٍ منيعةٍ يحسبون أنها تَمنعُهم من غضب الله ورسولِه، فصاروا يحوكون المؤامراتِ ويضعون العقباتِ أمام الدعوة الإسلاميّة الغرّاء، واتّصلوا بالقبائل العربيّة لتحريضها على الهجوم مرّةً اخرى على المدينة بعد فشلها يوم الأحزاب، فلمّا علِم رسول اللهﷺ بكيدهم ونشاطهم المعادي للإسلام عزم على غزو حصونهم وإنزال

العقوبة الرادعةِ بحقّهم ليحميَ دَعوتَه وأُمّتَه من مكرهم وشرّهم، وزحف بجيشه إليهم وعسكر في منطقة تقع بين خيبر وغطفان حتى لا يأتيَهم مدَدٌ من هذه القبيلة العربيّة التي وعدت اليهودَ بالمعاضدة والمساندة إذا وقعت الحربُ بينهم وبين رسول اللهﷺ. ولمّا علِم اليهود بقدوم المسلمين دخلوا حصونَهم واغلقوا عليهم ابوابَها، وقد اشتدّ القتال بين الطرفيْن، وفتح المسلمون الحصون حتى وصلوا إلى اشدّها وامنعها وهو حصن «القموص» وفيه «مرحب بن الحارث» قائدُ اليهود، فأرسل النبيُّﷺ إلى فتحه ابا بكر على رأس جيشٍ كبير فرجع يجبّن اصحابه ويجبّنونه، فأرسل في اليوم الثاني عمرَ بن الخطاب فرجع كصاحبه يجبّن اصحابه ويجبّنونه، فقالﷺ كلمتَه الشهيرة: «لأُعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ الله ورسولَه ويُحبّه الله ورسولُه كرّارٌ غيرُ فرّار لا يَرجع حتى يفتحَ الله على يديْه» فتطلّعت إلى ذلك الرجال، وتطاولت الأعناق فإذا برسول اللهﷺ يدعو علياًعليه السلام وكان أرمدَ العيْن، فلمّا حضر بين يديه مسح بريقه عينيْه فبرِئت من ساعتها ـ ثم أعطاه الرايةَ وأمره بفتح الحصن المنيع، فلمّا أقبل أميرُ المؤمنينعليه السلام برز إليه مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبرُ أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

فأجابهعليه السلام بقوله:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرَهْ أكيلكم بالسيف كيلَ السندرَهْ

ثم عاجله بضربة نجلاء فلقت رأسَه وهامَته وسقط إلى الأرض قتيلاً، فدبّ الفزع والرعب في قلوب اليهود وأغلقوا عليهم بابَ الحصن فاقتلعه أميرُ المؤمنينعليه السلام بيده وتترّس به ثم رماه بعيداً إلى

الأرض، ودخل الحصن فاتحاً ودخل معه المسلمون فقتلوا مَن قتلوا وأسَروا من أسَروا وغنِموا أموالَهم وأسلحتَهم، واصطفى رسولُ الله ﷺ لنفسه صفيّة بنت حيي بن اخطب ثم أعتقها وتزوّجها بعد أن شرح الله صدرها للإسلام. وبهذه الغزوة قضى النبيّ ﷺ على آخر وَكرٍ من أوكار الخِيانة والغدر، وتخلّص من هذه الفئة الباغية التي كادت ولا تزال تكيد للإسلام والمسلمين على مرّ الأعوام والسنين.

٧٠٦٠ـ أكبرُ شبهةٍ أثارها الكافرون حول عقيدة البعث والحساب في يوم القيامة هو أنّ الإنسانَ إذا صار جسمُه تراباً، وصارت عظامُه رميماً كيف يعود إلى الحياة مرّةً أخرى؟ كما تحدّث عنهم القرآن الكريم بقوله في سورة المؤمنون: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وبقوله في سورة الواقعة: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾﴾، فكان جواب القرآن على هذه الشبهة من عدة وجوه.

الأوّل: إنّ الذي يقدرُ على النشأة الأُولى يقدَرُ ـ بداهةً ـ على النشأة الأخرى، كما قال تعالى في سورة يس: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ وقال في سورة ق: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾، وقال في سورة الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ وقال في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾. ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا

﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقال في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

الثاني: إنّ الإنسانَ نفسه خُلق من التراب فأيُّ غرابةٍ في أن يعيدَ الله خلقَه مرّة أخرى بعد أن يكونَ ترباً كما قال سبحانه في سورة الحج، آية(٥): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

الثالث: إننا نشاهد عِياناً في كل وقت كيف تنبثق الحياة النباتية من هذا التراب، وقد نبّهنا القرآن إلى هذه الحقيقة المشاهدةِ بقوله في سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾، وقوله في سورة الروم: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾، وقوله في سورة فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

٧٠٦١ ـ يُلقّبُ ثلاثةٌ من مشاهير علماء النحو بالأخفش ـ ومعناه لغةً: الصغير العيْن ـ وهم: الأخفش الأكبر المتوفى سنة ٧٩٣هـ، والأخفش الأوسط المتوفى سنة ٨٣٠هـ، والأخفش الأصغر المتوفى سنة ٩٢٠هـ.

٧٠٦٢ـ أوّلُ مُعجَم لُغويّ ظهر عند العرب هو كتابُ «العيْن» الذي ألّفه الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة. وإنما

سماه «العين» لأنّه ابتدأ بحرف العين مرتّباً للحروف على حسب مخارجها وهي كما يلي: «ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ز س ص ت د ط ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ا و ي»، وهو أوّلُ من ابتكر هذا النسق في الحروف مبتدئاً بالأحرف الحلْقيّة ومنتهياً بالأحرف الشفهيّة. كما أنّه أوّلُ من ابتكر علمَ العَروض حيثُ استخرج خمسةَ عشر بحراً، ثم زاد عليه «الأخفش الأوسط» بحراً آخر سماه «الخَبَب». كما أنه يُعتبر أحدَ روّاد علم النحو، ويكفي أنَّ إمامَ النحويّين «سيبويه» أخذ عنه وتتلمذ عليه، كما اعترف هو في كتابه النحوي الشهير.

٧٠٦٣ـ قيل: إنّ الخليلَ بنَ أحمد كان يقضي الساعاتِ الطوال ذاهلاً عن نفسه يرفع أصابِعَه ويحرّكها لضبط أوزان الشعر وبحورِه، فرآه ولدٌ له فظنّه قد جُنّ، فاعترض عليه، فخاطبه أبوه بقوله:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني　　أو كنتَ تعلم ما تقول عذلتُكا[1]

لكنْ جهِلتَ مقالتي فعذَلْتَني　　وعلِمْتُ أنّكَ جاهلٌ فعذرتُكا

٧٠٦٤ـ قال تعالى في سورة النساء، الآية (١٥٧)، بالنسبة إلى السيد المسيح عليه السلام: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وقد اشكل بعضُ المغرضين بأنّ قولَه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ لم يحكم بعدم القتل، وإنما نفى اليقينَ به فيبقى الاحتمالُ موجوداً، وأجيب عن هذا الإشكال بأن ذلك بالنسبة لهم ـ حيث لم يكونوا على يقينٍ به ـ لا بالنسبة إلى الواقع. والظاهر أنه تعالى لم يرِدْ بقوله: ﴿وَمَا

(١) عذلتكا: لمتكا.

قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ نفيَ اليقين ـ كما قال المعترضون ـ وإنّما أراد تيقّنَ النفي، أي إنهم ما قتلوه قطعاً ودون ريب وإنْ شبّه لهم ذلك. وبهذا المعنى ينتفي الاعتراض والإشكال من أساسه، حيثُ تكون الآيةُ الكريمةُ قد حكمتْ وجزمتْ بعدم القتل.

٧٠٦٥ـ كان العربُ في الجاهليّة يحُجّون البيتَ الحرام ولكنّهم خلَطوا في أعمالهم بين مناسك الحج الأصلية وبين بعض مظاهر الشرك الدخيلة. ومن ذلك أنهم نصبوا على الصفا صنماً يُسمّى «أساف»، وعلى المروة صنماً آخرَ يُسمّى «نائلة»، وكانوا يَسْعَوْن بينهما ولهما. وعندما أمر الإسلام بالحج وكان من جملة مناسكه السعيُ بين الصفا والمروة تحرّج بعض المسلمين من قبول هذا الأمر توهّماً منهم أن ذلك إقراراً لشعيرةٍ جاهليّة، فأنزل الله سبحانه ـ دفعاً لهذا التوهّم والتحرّج ـ قولَه في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾. وبهذه الآية الكريمة علِم المسلمون أنّ السعيَ بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن مناسك الحج الواجب وكذلك هو جزءٌ من الحج المستحب والعُمرة المستحبّة ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٧٠٦٦ـ قال تعالى في سورة المزمّل: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ وقال في سورة الرحمن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾﴾. وقال في سورة المعارج: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فما معنى «المشرق والمغرب» و «المشرقيْن والمغربيْن» و «المشارق والمغارب»؟ أمّا «المشرق والمغرب» فهما مشرِقُ الشمس

ومغرِبُها، أو أنّها جنس المشرِقِ والمغرِب بغضّ النظر عن كونه مشرِقاً ومغرِباً للشمس أو غيرها. وأمّا «المشرِقيْن والمغرِبيْن» فهما مشرِقُ الشمس والقمر ومغرِبُهما، أو مشرقُ الصيف والشتاء ومغرِبُهما. وأمّا «المشارِقُ والمغارِب» فهي إشارةٌ دقيقةٌ إلى كرويّة الأرض، حيثُ إنّ الشمسَ ـ بحكم كرويّة الأرض ودورانها حول نفسِها ـ تُشرِق في كل آنٍ على بقعةٍ منها وتَغرُب عن أخرى، وتُشرِق على قومٍ وتَغرُب عن آخرين. فتبارك الله أحسن الخالقين».

٧٠٦٧ـ قال تعالى في سورة الأحقاف حكايةً عن الجن وهم يتحدّثون عن القرآن: ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، فلماذا قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا: من بعد عيسى؟ يمكن الجواب عن ذلك بأنّ التوراةَ كانت كتابَ تشريع وأحكام كما قال تعالى في سورة المائدة، الآية (٤٤): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾. أما الإنجيل فهو كتاب أخلاقٍ ومواعظ، وهو كالمتمِمّ للتوراة. فلمّا سمع الجنُّ القرآنَ ووَعَوْا ما فيه من تشريعٍ وأحكامٍ ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾، والله سبحانه هو العالم.

٧٠٦٨ـ في قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ نكتةٌ بلاغيّةٌ رائعة، فالآيةُ الأولى تشير إلى خلق الله للعوالم كلّها ورعايته وتربيته لها، فكأنّها تتحدّث عن الحياة الدنيا. والآيةُ الثالثة تتحدّث عن يوم القيامة. والآيةُ الوسطى تتحدّث عن صفتيْن كريمتيْن من صفات الله العُليا، أولاهما «الرحمن» التي هي صفةٌ خاصةٌ لمعنى عام،ـ حيثُ تدُلّ

على شمول رحمة الله في الدنيا لجميع مخلوقاته، من آمن منها ومن كفر، وهي من صفاته الخاصة التي لا تُطلق على سواه - فجاءت مباشرة بعد قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وثانيهما «الرحيم» التي هي صفةٌ عامةٌ لمعنى خاص - حيث تدُلّ على رحمته الخاصة بعباده المؤمنين يوم القيامة، وهي صفةٌ عامةٌ له ولعباده الرحماء - فجاءت مباشرةً قبل قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

٧٠٦٩- كلمة «الرب» لا تُستعمل عند الإطلاق إلا على الله ربِّ العالمين. أمّا مع القيد فيجوز استعمالُها في غيره كقولك: «ربّ البضاعة وربّ العائلة» وأمثالِ ذلك.

وكذلك كلمة «العظيم» فلا تستعمل عند الإطلاق إلا على الكبير المتعال العليّ العظيم الذي تواضع لعظمته العظماء. أمّا مع القيد فيجوز استعمالُها في غيره، وقد استعملها القرآنُ الكريم في أشياءَ كثيرة فقال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾، ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾، ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

وقد أطلقها النبيّ ﷺ على بعض زعماء الأمم الكافرة، فقال في رسالته إلى هرقل: «من محمدٌ رسولِ الله إلى هِرَقْل عظيمِ الروم». وقال في رسالته إلى كسرى: «من محمدٌ رسولِ الله إلى كسرى عظيمِ فارس»، وقال في رسالته إلى المقوقسَ: «من محمدٌ رسول الله إلى المُقَوْقَسِ عظيم القبط».

٧٠٧٠ـ كثيرٌ من الأمثال العربيّة السائرة تجد مضامينها ومعانيها في كتاب الله العزيز، فقولُهم: «خيرُ الأُمور أوْسطُها» موجودٌ في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾، وقولِه في سورة الإسراء، الآية (٢٩): ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، وقولِه في نفس السورة، الآية (١١٠): ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

وقولُهم: «مَنْ جهِل شيئاً عاداه» موجودٌ في قوله تعالى في سورة يونُس، الآية (٣٩): ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾.

وقولُهم: «ليس الخبَرُ كالعيان» موجودٌ في قوله تعالى في سورة البقرة، الآية (٢٦٠): ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

وقولُهم: «في الحركةِ بركة» موجودٌ في قوله تعالى في سورة النساء، الآية (١٠٠): ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾.

وقولُهم: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتيْن». موجودٌ في قوله تعالى في سورة يوسُف، الآية (٦٤): ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

وقولُهم: «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه، موجودٌ في قوله تعالى في سورة الحج: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

وقولُهم: «لا تلدُ الحيّةُ إلاّ حيّة» موجودٌ في قوله تعالى في سورة

نوح، الآية (٢٧): ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.

وقولُهم: «من حفَر بئراً لأخيه وقع فيها» موجودٌ في قوله تعالى في سورة فاطر، الآية (٤٣): ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

وقولُهم: «كلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلق له» موجودٌ في قوله تعالى في سورة الإسراء، الآية (٨٤): ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾.

٧٠٧١ـ خالدُ بنُ سعيد بنِ العاص رجلُ من بني أميّة سبق إلى الإسلام، وآمن بالنبيّ ﷺ إيماناً صادقاً لا يقف أمامه شيء. وتحمّل في سبيل ذلك من أبيه وقومه كثيراً من الأذى والتعذيب والاضطهاد. وكان سببُ إسلامه المبكّر أنّه رأى في المنام كأنّه واقفٌ على شفا حفرةٍ من النار، وأنّ أباه سعيد يريد أن يلقيَه فيها، فجاءه رسول الله ﷺ فأخذ بيده وجذبه إليه وقال له: «إليّ إليّ» وأنقذه من النار. فلمّا انتبه من نومه قال في نفسه: والله رؤياي هذه لحق. وذهب يطلُب رسولَ الله ﷺ، فلمّا مثُل بين يديه قال له: يا محمد إلى أيّ شيء تدعو؟ قال ﷺ: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبُده ورسولُه، وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادةِ حجرٍ لا يسمعُ ولا يبصر ولا يَضُرُّ ولا ينفع، ولا يَدري من عبدَه مِمَّنْ لم يعبُده». قال خالد: «إني اشهد أن لا إله إلاّ الله، واشهد أنّك رسولُ الله».

ولما هاجر المسلمون إلى الحبشة بقيادة جعفر بن ابي طالب كان خالد معه. وبقي هناك مدةً طويلة حتى عاد إلى المدينة مع جعفر بعد فتح خيبر. واستعمله رسولُ الله ﷺ على صَدقات اليمن، وبقيَ فيها إلى أن توفي النبيّ ﷺ فجاء إلى المدينة وقد بايع الناسُ ابا بكر خليفةً للمسلمين، فلم يبايعْ. وقد روى أبان بن تغلب عن الإمام الصادق عليه السلام

أنّه قال: «إنّ خالداً أوّلُ من تكلّم على ابي بكر وانكر عليه وقال له: اتّقِ الله يا ابا بكر، فقد علِمنا أنَّ رسولَ اللهﷺ قال ـ و نحن محتوشوه يومَ بني قُريظة حين فتح الله له وقد قَتَلَ عليٌ يومئذٍ عِدّةً من صناديد رجالهم وأولي البأس والنّجدة منهم ـ: «يا معشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصيّة فاحفظوها، ومودعكم امراً فاحفظوه، إن عليّاً أميرُكم وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيّتي وتؤازروه وتنصُروه اختلفتُمْ في أحكامكم، واضطرب عليكم امرُ دينكم، وَوَلِيَكُم أشرارُكم. ألا إنّ اهلَ بيتي هم الوارثونَ لأمري، والعاملون بامر أمتي من بعدي، اللّهم من أطاعني فيهم من أمتي، وحفِظ فيهم وصيّتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي يُدركون به نورَ الآخرة. ومن أساء خِلافتي في أهل بيتي فاحرِمْه الجنة التي عَرْضُها كعرْضِ السموات والأرض». فقال له عمر بن الخطاب: اسكتْ يا خالد فلستَ من اهلِ المشورة، ولا ممن يُقتدى برأيه. فقال خالد: بلِ اسْكُتْ انتَ يا ابن الخطّاب. وقال ابن سعد في طبقاته: فلمّا بعث ابو بكرٍ الجنودَ إلى الشام عقد لخالد بنِ سعيد اللواءَ فقال عمر لابي بكر: تُوَلّي خالداً وهو القائل ما قال، فلم يزل به حتى ارسل إليه من يأخذ منه اللواء، فقال خالد: والله ما سرّتْنا ولايتُكم، ولا ساءنا عزلُكم». وذهب خالد يقاتل مع المسلمين كواحدٍ منهم حتى استُشهِد رضوان الله عليه.

٧٠٧٢ـ بعد الحرب العالميّة الأولى، وبعد انهيار الدولة العثمانيّة ذهب «عصمت انينو» إلى بريطانيا للتفاوض مع الإنكليز، فقال له اللورد «كرزون» وزير الخارجيّة: «إننا لا نستطيعُ أن ندَعكم مستقلّين لأنكم تكونون حينئذٍ نَواةً يتجمّع حولها المسلمون مرّةً اخرى» ثم أملى عليه

شروطاً أربعة سُميت يومئذٍ «شروط كرزون» وهي:

الأوّل: أن تقطعَ تركيا صِلتَها بالإسلام.

الثاني: ان تُلغيَ الخِلافةَ الإسلاميّة.

الثالث: أن تتعهد بإخماد كلِّ حركةٍ يقوم بها أنصارُ الخِلافة.

الرابع: أن تختارَ لنفسها دستوراً عِلمانياً لا يستند إلى الشريعة الإسلامية.

وقد التزم الحُكّامُ الأتراكُ بهذه الشروط الاستعمارية الظالمة، ولا يزالون ملتزمين بها حتى اليوم.

٧٠٧٣ـ قال أبو حامد الغزالي في كتابه «إحياء العلوم» في معرض الكلام عن آداب السماع وتحليل الغناء: «من لم يحرّكه الربيعُ وأزهارُه والعودُ وأوتارُه فهو فاسد المزاج وليس له علاج»، ثم قال: «إنّ تأثيرَ السماع في القلب محسوس، ومن لم يحركْه السماعُ فهو ناقصٌ مائلٌ عن الاعتدال بعيدُ عن الروحانيّة، زائدٌ في غِلظة الطبع وكثافته عن الجمال والطيور بل عن جميع البهائم، فإنها جميعاً تتأثر بالنغمات الموزونة، ولذلك كانت الطيورُ تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته»!! أفبمثل هذا الأُسلوب من الكلام يُحلّلُ الحرام، وتُبدّلُ الأحكام؟.

٧٠٧٤ـ في إحدى دول المغرب العربي كانت اللغةُ العربيّةُ تُدرّس في كل مراحل التعليم مع اللغة الفرنسيّة طيلةَ أيام الاحتلال الفرنسي. وبعد الاستقلال أصبحت الدّراسةُ باللغة العربيّة حتى الصفِ الثالث الابتدائي فقط، بينما أصبحت جميعُ المناهج وفي جميع المراحل

الدراسيّة تُدرّس باللغة الفرنسيّة!!. أهذا هوالتحرر من الاستعمار والاحتلال؟.

وفي إحدى الدول العربية المسلمة حرّم القانون الزواجَ بأكثرَ من واحدة، وفرض عقوبةً على ذلك. وقد حدث أن مرِضت زوجةُ أحد المواطنين بمرضٍ مزمنٍ فطلبت الزوجةُ نفسُها من زوجها أن يتزوّجَ بأخرى فهو أفضلُ لها من الطلاق. فلمّا تمّ الزواج فعلاً من ابنةعم لها ومضى عليه سنتان أو أكثر وعلِمت الحكومةُ به ألقت القبضَ على الرجل وقُدّم إلى المحاكمة. وهنا فكّر محاميه بحيلة ينقذ بها موكّلَه من العقوبة، فقال للمحكمة: إنّ موكّلي بريءٌ من الجرم الذي نُسب إليه حيثُ إنّه لم يتزوجْ بهذه المرأة وإنما زنى بها، والزّنى لا يُعاقب عليه القانون. وبعد أن نظرت المحكمة في أدلّة الإثبات والدفاع قررّت بأنّه متزوجٌ وغيرُ زانٍ فهو إذاً مجرم، وحكمت عليه بالسجن لمدّة سنتين، وبالتفريق بين الزوج وزوجته الثاني!! أهؤلاء حقاً مسلمون، أم أنهم كما قال الله عنهم في سورة المائدة، الآية (٤٤): ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

٧٠٧٥ـ سُئل أميرُ المؤمنين عليه السلام عن العالم العُلويّ فقال: «صورٌ عاريةٌ عن المواد، خاليةٌ من القوّة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقتْ، وطالعها فتلألأتْ».

٧٠٧٦ـ ذكرت بعض الفلسفات القديمة: أنّ المادةَ أزليّة، وأنّ الله خلق منها جميع مخلوقاته عن طريق التركيب والتفريق بين أجزائها. وأوّل من ردّ هذه الشبهةَ الباطلةَ سيدُ الحكماء، أميرُ المؤمنين عليه السلام بقوله ـ وهو يتحدّث عن الخالق عزّ وجل ـ: «من لم

يخلقِ الاشياءَ من اصولٍ ازليّة، ولا من أوائلَ كانت قبلَه ابديّة، بل خلق ما خلق وأتقن خلْقَه، وصوّر ما صوّر فأحسنَ صورتَه، فسبحان من توحّد في علوّه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة أحدٍ من خلقه انتفاع».

٧٠٧٧ـ سأل عباية بن ربعي الأسدي أميرَ المؤمنين عليه السلام عن معنى «الاستطاعة» التي بها نقوم ونقعد ونفعل، فقال عليه السلام: «إنك سألتَ عن الإستطاعة فهل تملكها مع الله أو دون الله؟» فسكت عباية، فقال عليه السلام: «إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتُك، وإن قلتَ إنك تملكها دون الله قتلتُك» فقال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «تقول: إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّكك إيّاها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، فهو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدرك». وعلى ضوء هذه الكلمة العلَويّة الحكيمة يتجلى لنا معنى قولنا في الصلاة عند إرادة القيام «بحول الله وقوّته أقومُ وأقعُد». فنحن الذين نقوم ونقعد، ونحن الذين نركع ونسجد، ولكن لا يتمّ ذلك منّا إلا بقوّة الله ومشيئته كما قال تعالى في سورة الإنسان، الآية (٣٠): ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

٧٠٧٨ـ من الخطأ الشائع حتى بين الأدباء والمؤلّفين قولُهم: «تصويب الأخطاء» بمعنى تصحيحها حتى وقع في هذا الخطأ مؤلفو «المعجم الوسيط» فقالوا: «وصوّب الخطأ صحّحه». والاستعمال الصحيح الذي ورد على لسان العرب وفي المعاجم اللّغويّة المعتمدة هو أنّ قولَنا: صوّب زيد الشيء بمعنى اعتبره صواباً أو حكم بصوابه، ولم يرد بمعنى صحّحه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء في بعض خطب النهج: «ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم تجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوّب أراءَهم جميعاً، وإلههُم واحد ونبيُّهم واحد». ويقصد عليه السلام بقوله: فيصوّب اراءَهم انه يحكم بصواب آرائِهم، ولم يقصد أنه يصحّح آراءَهم. فعلى هذا وجب أن يكون بدل قولهم: «تصويب الأخطاء» «تصحيح الأخطاء أو إصلاحها» كما جاء في لسان العرب: «وصححت الكتاب والحساب تصحيحاً إذا كان سقيماً فأصلحت خطأه». وسمى ابن السكّيت كتاباً له: «إصلاح المنطق»، وسمى ابن قتيبة الدينوري كتاباً له: «إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث»، وسمى أحمد بن محمد الخطابي كتاباً له: «إصلاح الغلط».

٧٠٧٩ـ كان عنترة بن شدّاد من أشهر أبطال العرب قبل الإسلام، حتى صارت تُحاك حول بطولاته ومغامراته الأساطيرُ والخرافات. وهو ابنُ أمَةٍ حبشيةٍ سوداء سباها ابوه شدّاد في إحدى حروبه، وأنجبت له ولداً أسود سماه «عنترة» أي «الذبابة السوداء» بسبب لونه الأسود، فلم يعترف أبوه ببنوّته لأنه ابنُ أمَة، وبقي عبداً، ولكنه نشأ قويّاً مفتولَ العضلات يغامر ويخاطر. وقد أحبَ ابنةَ عمه «عبلة» ولكن كيف يمكن أن تبادله الحب وهو أسود وابن أمة سوداء؟ فأراد أن يعوّضَ عن هذا النقص بصفاتٍ جسميّة ونفسيّة تَلفِت إليه الأنظار، فاشترى سَيفاً ورُمحاً ودِرعاً وصار يتمرّس بها على القتال، ويتدرّب على منازلة الأبطال. وفي يوم من الأيّام فوجئت قبيلتُه «عبس» بغارةٍ معادية فانتدب شدّادٌ ابنه «عنترة» وقال له: «كُرّ عليهم»، فقال عنترة معرّضاً بموقف أبيه منه: «العبدُ لا يُحسن الكر، إنما يُحسن الحِلاب

والصَّر»، ـ والحِلاب: هو الحلب. والصَّر: هو ربط الضرع بعد الحلب ـ فقال أبوه وقد فهِم مرادَه: «كُرّ وأنت حُر» فامتطى جوادَه وشهَر حسامَه وخاض غمراتِ الحرب بكلِّ بطولةٍ ورجولةٍ حتى ألحقَ بالعدوّ الهزيمة، وحقّق لقبيلته النصر، وبرز اسمُه بين العرب، وصار مضرِبَ المثل في الشجَاعة والإقدام. وقد سئل يوماً: أأنت أشجعُ العرب وأشدُّها؟ فقال: لا، قالوا: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: «كنتُ أقدِم إذا رأيتُ الإقدامَ عزماً، وأحجِم إذا رأيتُ الإحجامَ حزماً، وكنت أعتمد الضعيفَ فأضربه الضربةَ الهائلة فيطير لها قلبُ الشجاع فأحمل عليه وأقتله».

وكانت أمّه تخاف عليه الموت، وتحذّره من ركوب الأخطار فأنشأ يقول:

بكَرَتْ[1] تهدّدني الحتوفَ كأنما
أصبحت عن غرضِ الحتوفِ بمعزِلِ
فأجبتُها أن المنيةَ منهَلٌ
لا بدّ أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاقني[2] حياءَكِ ـ لا أباً لكِ ـ واعلمي
أني امرؤٌ سأموتُ إن لم أقتلِ

وبهذه الصفات والملكات استطاع أن يستأثرَ بمحبّة قومه له وتقديرِهم إيّاه، حتى روي أنّ رسولَ الله ﷺ قال في حقّه: «ما وصِفَ لي أعرابيٌّ قط فأحببت أن أراه إلا عنترة».

---

(١) بكرت: تقدمت.

(٢) فاقني: فالزمي.

٧٠٨٠ـ كان «أوناسيس» المليونيرُ اليوناني واحداً من أغنى أغنياء العالم. كان في أول حياته فقيراً ولكنّه كان طموحَ النفس يتمنّى أن يُصبحَ في المستقبل مليونيراً، وكان يقول: إذا لم أجمع مليوناً من الدولارات على الأقل قبل أن أبلغَ الحادية والعشرين فلن أصبحَ مليونيراً». وهاجر إلى الأرجنتين وعمره لا يتجاوز السادسة عشرة، ولا يملك أكثر من ٢٥٠دولاراً، وصار يعمل بجدٍّ ومثابرة، وقد يكتفي باليوم بوجبةٍ واحدةٍ من الطعام، وتحققّتْ أمنيته وجمع الملايين وصار معدّلَ دخْله في الساعة الواحدة ٥٠٠٠دولار، ثم داهمه مرضٌ خطير أعيى الأطباء، فسألوه وهو على فراش المرض: «لقد كانت أمنيتك منذ أكثر من أربعين عاماً أن تُصبحَ مليونيراً فما هي أمنيتُك اليوم؟» فقال: «أمنيّتي اليومَ أن أتنازلَ عن كلِّ ثروتي للطبيب الذي يستطيع أن يعيدَ إليّ صِحّتي، لقد اكتشفتُ في مرضي أنّ الصحةَ أغلى من كلّ شيء، وهو الشيءُ الوحيدُ الذي لا يُشترى بالمال، ولا يُقدّر بثمن، فإذا افتقده الإنسان افتقد كلَّ شيء».

٧٠٨١ـ قال الإمام الجوادعليه السلام: «أهلُ المعروف إلى اصطناعه أحوجُ من أهلِ الحاجة إليه، لأنّ لهم أجرَه وفخرَه وذكرَه، فمهما اصطنع الرجلُ من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه فلا يطلبّن شكرَ ما صنع إلى نفسه من غيره».

٧٠٨٢ـ قال الإمام الهادي عليه السلام: «إذا كان زمانٌ، العدلُ فيه أغلبُ من الجور فحرامٌ أن تظنَّ بأحدٍ سوءاً حتى تعلَم ذلك منه، وإذا كان زمانٌ، الجورُ فيه أغلبُ من العدل فليس لأحدٍ أن يظنَّ بأحدٍ خيراً حتى يرى ذلك منه».

٧٠٨٣- صاحب الأخلاق السيئة يعيش في عذابٍ دائم وشقاءٍ لازم، لا يشعر بالراحة، ولا يحسّ بالطُمأنينة، ولا يجد لذّة العيش وطعَم الحياة، وصدق الإمام الصادق عليه السلام حيثُ يقول: «من أساء خُلقَه عذّب نفسَه».

٧٠٨٤- الخُلُق الفاضلُ في الإنسان يَنقسم إلى قسمين:

الأول: غريزيٌ ينبَعُ من طبيعة الشخص وسجيّته.

والثاني: اكتسابيٌ يحصُل عليه الشخص بإرادته واجتهاده في تهذيب نفسه، وإلى هذين القسمين أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إنّ الخُلقَ منحةٌ يمنحها الله خلقَه، فمنه سجيّة، ومنه نيّة.. وصاحب السجيّة مجبولٌ لا يستطيع غيرَه، وصاحب النيّة يصبر على الطاعة تصبُّراً فهو أفضلُهما».

٧٠٨٥- لا تتحقّق الراحةُ والطُمأنينةُ والسعادةُ إلا بالإيمان الراسخ واليقينِ الثابت والرضا بقضاء الله وقدَرِه والعلمِ بأوامره ونواهيه، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الله بعدله وقسطه جعل الرَوْحَ والراحةَ في اليقين والرضا، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشك والسخط»، وقال: «لا ينبغي لمن لم يكن عالماً أن يُعدَّ سعيداً».

٧٠٨٦- قيل: إن رجلاً اشترى حماراً مدلّلاً لا يأكل إلا النباتَ الأخضرَ الطريّ، فأعياه ذلك لأنّه لا يتيسّر له في كل وقت مثلُ هذا النبات، فاحتال على الحمار بحيلةٍ طريفةٍ حيث ألبسه منظاراً أخضر، ثم قدّم له التبن فحسِبه الحمار نباتاً أخضر وصار يأكل منه وصاحبُه يضحك عليه.

٧٠٨٧ـ سُئل الإمامُ الصادق عليه السلام عن المؤمن العادل فقال: «إذا غضّ طرْفَه عن المحارم، ولسانَه عن المآثم، وكفَّه عن المظالم».

٧٠٨٨ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة يَحْجِزْنَ المرءَ عن طلب المعالي: قِصَرُ الهِمّة، وَقِلّةُ الحيلة، وضَعفُ الرأي».

٧٠٨٩ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «قفْ عند كل أمر حتى تعرِفَ مدخلَه من مخرجه قبل أن تقعَ فيه فتندم» لأنّ من سار بغير تدبّر وتبصّر وأناة وقع في التيه وابتعد عن القصد كما قال عليه السلام: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق فلا تزيده سرعةُ السير إلا بعداً».

٧٠٩٠ـ قال الفلاسفة في معنى الحب: «الحبُّ ميْلٌ طبيعيٌ إلى المحبوب»، وقال الاجتماعيون: «الحبُّ صِلةٌ نفسانيةٌ بين إلفيْن، ورابطةٌ متبادَلةٌ بين قلبين»، وقال العارفون: «الحبُّ قوّةٌ خفيّةٌ تصيّر المحبوبَ جزءاً من المحب، وقد تُحيلهما شيئاً واحداً لا يقبل التجزئة»، وقال الأدباء: «الحبّ إشراقةُ الروح على الروح، ومصافحةُ القلب مع القلب»، وفوق ذلك كلّه قال الإمام الصادق عليه السلام: «وهل الإيمانُ إلا الحب».

٧٠٩١ـ قيل: مرّ حكيمٌ بسفيه فشتمه فأعرض عنه ولم يلتفتْ إليه، فقيل له: لِمَ أعرضتَ عنه ولم تلتفتْ إليه؟ قال: «لأني لا أتوقع أن أسمعَ من الغراب تغريدَ البلابل».

٧٠٩٢ـ جاء في كتاب «اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى»: أنّ أبا حنيفة قال: إذا وهبت المرأة زوجَها هبةً أو تركت له شيئاً من مهرها ثم قالت: أكرهني على ذلك، فعلى القاضي أن يردَّ دعواها ولا يستمع لبيّنتها!.

٧٠٩٣ـ جاء في كتاب «المنخول من تعليقات الأُصول» لأبي حامد الغزالي: أنّ القضاء بشهادة الزور ينفُذ عند أبي حنيفة ظاهراً وواقعاً، فإذا شهد الشهود كِذباً وزوراً على أنّ هذه المرأةَ المتزوّجة من «زيد» هي زوجةُ «بكر» وحكم القاضي بشهادتهم خطأً حلّت المرأة لبكر حتى مع علمه وعلمها بأنها زوجةُ زيد، وجاز لها أن تدعَ بكراً يجامعها وحرمت على زوجها الحقيقي زيد. وهذا القول يناقض ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر، وإنكم لتختصمون إليّ، وعسى أن يكونَ بعضُكم ألحنَ بحُجته من الآخر فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بشيءٍ من حقّ اخيه فإنما أقطعُ له قطعةً من نار فليأخذها أو يتركها».

٧٠٩٤ـ جاء في كتاب «المنخول من تعليقات الأُصول» للغزالي: أوجب أبو حنيفة الحدّ بالشبهة إذا صادف أجنبيّةً على فراشه وظنّها حليلتَه، وهذا يناقض الحديثَ النبويَّ المشهور: «تُدرأ الحدودُ بالشُبهات».

٧٠٩٥ـ جاء في كتاب «فتح القدير»: أنّ ابا حنيفة قال: تُقطع يمينُ السارق من الزند، وقال الأئمةُ من أهل البيت عليهم السلام: تُقطع الأصابعُ الأربع وتُترك الراحةُ والإبهام ليعتمدَ عليهما في الصلاة، ويغسلَ بهما وجهَه في الوضوء.

٧٠٩٦ـ جاء في كتاب «فتح القدير»: أنّ ابا حنيفة قال: لا يُشترى بأموال الزكاة رقبةٌ لعتقها، لأنّ الزكاةَ يملكها المحتاج والعبد لا يملك، وإنما يُعتق، والعتق إسقاط للملك وليس بملك، وهذا اجتهادٌ في مقابل النصّ الصريح لأنّ الله سبحانه يقول في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا

﴿ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ ولعلّ الحكمةَ في دخول «في» على الرقاب والغارمين دون «اللام» للدّلالة على أنّ الصدقاتِ لا تُعطى لهم كما هو الحال بالنسبة إلى الفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفةِ قلوبُهم، وإنما تُبذل في سبيل تحريرهم، وفي سبيل تسديد ديونهم.

٧٠٩٧ـ جاء في كتاب «المنخول من تعليقات الأصول» للغزالي: أنّ ابا حنيفة قال: لو مات من عليه الزكاة قبل ادائها تسقط بموته. مع أنّ الزكاة ديْنٌ في الّذِمّة، والديْن لا يسقط بالموت بإجماع المذاهب الإسلاميّة لقوله تعالى في سورة النساء، الآية (١٢): ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾.

٧٠٩٨ ـ جاء في كتاب «تأويل الآيات» لشرف الدين النجفي و «منتخب البصائر» للحسن بن سلمان و «مشارق الأنوار» للبرسي أنّ النبيّ ﷺ قال: «يا عليّ ما عَرفَ الله إلا أنا وانت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا».

٧٠٩٩ـ قصيدة علويّة رائعة للمرحوم العلامة السيد رضا الهندي وهي:

سَلِ المجدِبَ الظمآن أين مصيرُه؟ ... وها عندنا روضُ الهدى وغديرُه

وسَلْ خابطَ الظلماءِ كم هو تائِهٌ ... ألم يرَ بدرَ الرشدِ يسطعُ نورُه؟

ألا نظرةٌ نحو اليمين تدلُّهُ ... على قصدِه كي يستقيمَ مسيرُه؟

إذا ما اقتفى في الجورِ آثارَ جائرٍ ... فمِنْ عدلِ ديّانِ الورى مَن يجيرُه؟

أبا حسنٍ تاللهِ أنتَ لأحمدٍ أخوه وقاضي دِينهِ ووزيرُه

وأنك عونُ المصطفى ونصيرُه أو أنك عينُ المصطفى ونظيرُه

فلا مشكِلٌ إلا وأنت مَدارُه ولا فلَكٌ إلا وأنت مُديره

ولا أمّةٌ إلا وأنت أمينُها ولا مؤمنٌ إلا وأنتَ أميرُه

وأنت يدُ اللهِ القويّ وحبلُه المتينُ وحامي دينهِ وسفيرُه

وأنت الصراطُ المستقيمُ وعندك الجَوازُ فمن تمنحْه جاز عبورُه

وأنت قسيمُ النارِ قسمٌ تجيزه عليها وقسمٌ من لظاها تجيرُه

بك الشركُ أودى خيلُه ورجالُه وثقلُ قريشٍ عيرُه ونفيرُه

فما زلتَ للحق المبينِ تُبينُه وبالسيفِ من يبغيهِ سوءاً تُبيرُه[1]

فمن جاء مُغتالاً[2] فأنت تُمينُه ومن جاء مُمتاراً[3] فأنت تَميرُه[4]

إلى أن علا هامَ الجبال مَنارُه وأشرقَ في كل الجهاتِ مُنيرُه

ولم استتمّ الدينُ أو في نصابِه وشيدتْ مبانيه وأحكمَ سورُه

رقدتَ قريرَ العين لستَ بحافلٍ بحقد أخي حقدٍ عليك يُثيرُه

ومثلك مَن إنْ تَمّ للدين أمرُه فما ضرّة ألا تتِمّ أمورُه

ولو شئتَ أثكلت العدوَ بنفسه وأصبح يعلو ويلُه وثُبورُه

ببأسِ يدٍ لو صلتْ يوماً بها على ثبيرٍ إذن لاندكّ منها ثبيرُه

---

(١) تبيره: تهلكه.

(٢) المغتال: الذي يحاول الاغتيال وهو القتل غفلة.

(٣) ممتاراً: طالباً للطعام.

(٤) تَميره: تقدّم له من يحتاج إليه من الطعام.

ولكن رأيتَ الصبر أحجى ولم ينلْ ... ثـوابَ مـقـام الله إلا صَـبـورُه
فـديتُـك أدركْ بـالـشـفـاعـة مـذنـبـاً ... إذا أنـت لـم تـنـصـرْه عـزّ نـصـيـرُه
ولايـتُـه أيّـاك أقـوى وسـيـلـةٍ ... سـيُـحـمـى بـهـا تـقـصـيـرُه وقُـصـورُه

٧١٠٠ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «أحسنُ من الصدق قائلُه، وخيرٌ من الخير فاعلُه».

٧١٠١ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سئل عن مسلم فصدَقَ وأدخل عليه مضرة كُتب عند الله من الكاذبين، ومن سئل عن مسلم فكذَبَ وأدخل عليه منفعةً كُتب عند الله من الصادقين».

٧١٠٢ـ قال الدكتور «جودسن هويك»: «لو جمعنا كل أجهزة العالم من الرادار والتلغراف والتلفزيون والتلفون، ثم بدأنا بتصغير ما اجتمع لدينا حتى توصلنا بهذه الكَومة الهائلةِ من هذه الأشرطة والأجهزة المعقّدة إلى حجم الدماغ فإنها لا تبلغ في تعقيدها مثلَ الدماغ».

٧١٠٣ـ يَستخدم بعض الملحدين عقلَه في الردّ والاعتراض على آيات الله التكوينيّة أو التشريعية ناسياً أنّ العقلَ هو آيةٌ من آياته ومخلوقٌ من مخلوقاته، وصدق من قال:

يـعـتـرض الـعـقـلُ عـلـى خـالـقٍ ... مـن بـعـض مـخـلـوقـاتـه الـعـقـلُ

٧١٠٤ـ قال الشافعي:

شـكـوتُ إلـى حـكـيـم سـوءَ حـفـظـي ... فـأرشـدني إلى تـرك المعـاصـي
وأنـبـأنـي بـأنّ الـعـلـمَ نـورٌ ... مـن الـرحـمـن لا يُـؤتـاه عـاصـي

٧١٠٥- قال الشاعر:

أجد الملامةَ في هواك لذيذةً حبّاً لذكركَ فليلُمني اللُّوّمُ

٧١٠٦- قال مجنون ليلى في وصف النواعير:

باتت تحِنّ وما بها وجدي وأحِنّ من وجدٍ إلى نجدِ

فدموعُها تسقي الرياضَ بها ودموعُ عيني أقرحتْ خدّيَ

٧١٠٧ - جاء في كتاب «الطب محرابٌ للإيمان» للدكتور خالص كنجو: «كيف يتمّ التفكيرُ والإدراكُ والتخيّلُ وتركيبُ الكلمات والجمل والأفكار وربطُ كلّ هذا بعضِه إلى بعض بحيثُ يخرج الكلام منسجماً متوازناً يَهدفُ إلى معنى؟ إن هذا يقف الطب حتى الآن عن الإجابة عليه. ثم كيف يستخدم الإنسان الأسماء حتى يتفاهمَ مع غيره على الشيء الذي يُريده؟ أيضاً معجزة من المعجزات. ثم كيف ينتقل هذا الأمر من عالم الماديات المحسوسة الى عالم الروح والفكر حيثُ يتمّ التعبيرُ بالأشياء المجرّدة، الحق يقال أننا درسنا عمومات الطب من أولِه حتى آخرِه، ومع ذلك لم نستطع حتى الآن أن نفقهَ هذه الأسرار، كما أنّ الأطباء الذين يبحثون هذه القضايا يقفون مشدوهين أمام هذه الظواهر الفذّة العجيبة المحيّرة.... ثم لنتأمل على المستوى المادي أنّ الحبال الصوتيّة بفضل تقلّصِها وارتخائها بالإضافة إلى عضلات اللسان، وغضاريفِ الحنجرة، وعضلات الوجه، وإطباق الشفتين، ثم الأجوافِ المحفورة في الجُمجُمة هي التي تعطي الصوتَ رنينَه الخاص لكلّ إنسان بحيثُ يكون لكلّ إنسان صوتُه المميّز الخاص... وأمّا الأعصاب فهي تلعب الدورَ المهم في إعطاء الأوامر إلى العضلات المناسبة بحيثُ تتناسق هذه العضلات مع بعضها البعض فيرتخي قسمٌ حين ينقبض قسمٌ

آخر، فلا يطغى عملٌ على عمل ولا يُفسد عمل عضلاتٍ عملُ عضلاتٍ أخرى، فإذا انطلق الهواء من الرئتين فإنّ الحبالَ الصوتيّة هي التي تعترضه أولاً حتى يخرجَ الحرفُ الحلقيُّ المناسب وهي الهمزة الهاء والعين والحاء والخاء والغين، ثم ينطلق إلى الفم حتى يخرجَ من أحد زوايا اللسان أو من مقدِّمِه أو من إطباق الشفتين، هذا بالنسبة لمخرج الحرف الواحد، ولنتأملْ طويلاً كيف يجب أن ينطلقَ الهواءُ وبسرعةٍ هائلة حتى يُقذفَ من مكانه المناسب فيخرج الحرفُ المناسب، ثم يتبعه صوت آخر يتحوّل إلى مكانٍ آخر حتى يُعبِّرَ عن حرفٍ آخر وهكذا حتى تكتمِلَ كلمةٌ واحدةٌ تَعني شيئاً معيناً. وتتابع الحروف عجيب، لأنّ الحرفَ الأوّل من الكلمة قد يكون مخرجُه من الشفة بينما يكون الحرفُ الثاني الذي يليه مباشرةً من الحلق، والثالث من جانب اللسان، فاذا اكتملت الكلمةُ الواحدة تتابعت كلماتٌ أُخر وتتابعت الجمل.. ويجب ان نلاحظ انّ العضلاتِ والغضاريفَ والحبالَ الصوتيّةَ مزدوجةٌ وهناك تناسقٌ عجيبٌ ما بين الشطرين... ولنعلم أنّ هذه العملية المتكرّرة يُشرف عليها ثلاثةُ أعصاب رئيسيّة وألياف عصبيّة وفروعٌ عصبيّة صغيرة لا تحصى، بالإضافة إلى عضلات اللسان والوجه».

٧١٠٨ـ جاء في كتاب «الطب محرابٌ للإيمان»: «فأنت أيها القارئ لعلك جالسٌ على مقعدٍ مريح ولكن هل تعرِفُ كيف تتناسق عضلاتُ وجهك وجِذعِك في هذه اللحظة؟ إنّ أكثرَ من خمسينَ مِفصلاً ومائتي عظم، وما يزيد على مائتي عضَلَةٍ تتحكّم في اتّزانِ وضعك هذا. ولولا هذا الإتّزان لسقطتَ منبطِحاً على الأرض، فمن يوازنُ كلَّ هذه الأشياء؟ إنّ الحسَّ العميقَ هو الذي ينقل الأخبارَ إلى المراكز

العُليا، ثم يشترك المُخَيْخ مع الحسّ العميق مع دهليز الأُذن في تحقيق التوازن والقضاء على الفوضى وعدِم الاتّزان» وصدق الله العظيم حيثُ يقول في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾[1].

٧١٠٩ـ جاء في كتاب «الطب محرابٌ للإيمان»: «وأما الخَفّاش فهو أعجب الحيوانات في هذا المجال حيثُ يَسمع «١٢٠» ألف هزّة في الثانية الواحدة. ومن جملة أسرار الوجود العجيبة هذا الكائن الذي قلّده العلماء في اكتشاف جهاز الرادار، فهو حيوانٌ ليليّ يعيش في الكهوف، وينشَط في عمله أثناءَ الظلام فلا قيمة للرؤية في هذا الوسط، ولذا فهو يبعث صرخات ما فوق الصوت ثم تنعكسُ إليه ثانيةً فيسمعها بأذنيه الكبيرتيْن، وهكذا يقدِّر بدقّة بُعْدَ الأشياءِ والفرائسِ عنه مع تحديد اتجاهها بشكلٍ رائع، وكلُ هذا بفضل قدرته على سماع التواترات العالية. ومبدأُ الرادار في اكتشاف الطائرات من الناحية المبدئيّة يعتمد على نفس الفكرة».

٧١١٠ـ حقاً أنّ العلمَ يدعو للإيمان فكلّما يزداد علمُ الإنسان يجب أن يزدادَ إيمانُه، وقد اعترف بهذه الحقيقة عددٌ كبير من أقطاب العلم في هذا العصر، قال «باستور»: «الإيمانُ لا يمنع أيَّ ارتقاء كان... ولو كنتُ علِمت اكثرَ مما أعلم اليوم لكان إيماني بالله أشدَّ وأعمقَ مما هو عليه الآن». وقال الدكتور «وتز» عميد كلية الطب في باريس وعضو أكاديمة العلوم: «إذا أحسستُ في حينٍ من الأحيان أن عقيدتي بالله قد تزعزعت وجهتُ وجهيَ إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها». وقال «أينشتاين»: «إنّ الإيمانَ هو أقوى وأنبلُ نتائج البحوث العلميّة».

---

(١) سورة التين، الآية (٤).

وقال «ألبرت ماكوب ونشتر» عميد أكاديمية العلوم بفلوريدا سابقاً: «إنّ اشتغالي بالعلوم قد دعَم إيماني بالله حتى صار أشدَّ قوّةً وأمتنَ أساساً ممّا كان عليه من قبل.. وكلّما اكتشف الإنسانُ جديداً في دائرة بحثه ودِراسته ازداد إيماناً بالله».

وصدق الله حيثُ يقول في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾.

٧١١١ ـ لما سقطت «طليطلة» في الأندلس، وأحسّ أهل المدن الأُخرى بالخطر قال شاعرهم:

يا أهل أندلسٍ شدّوا رحالكم
فما المقام بها إلا من الغلطِ
السلك يُنثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منثوراً من الوسَطِ
من جاور الشرّ لم يأمن بوائقه[1]
كيف الحياةُ مع الحيّاتِ في سفطِ؟

٧١١٢ ـ أسماء النقود العربيّة المستعملة في البلاد العربيّة ترجع إلى أصولٍ أجنبيّة.

فالدينار: أصلُه من اللاتينيّة. وهو مستعملٌ في الدولة الإسلاميّة قديماً، وورد ذكرهُ في القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية(٧٥): ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾، ومستعملٌ في

---

(١) بوائقه: شروره ودواهيه.

أكثر الدول العربيّة حديثاً كالعراق والأردن والجزائر وتونس وليبيا واليمن الجنوبيّة والكويت والبحرين.

والدرهم: أصلُه من الفارسيّة، وقيل: من الكلمة اليونانيّة «درخَمَ» بمعنى: قبض وتناول. وهو مستعملٌ في الدولة الإسلامية قديماً، وورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة يوسف، الآية(٢٠): ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، ومستعملٌ في بعض الدول العربيّة كالعراق والمغرب وليبيا وموريتانيا ودول الخليج.

والجُنَيْه: أصلُه من الإنكليزيّة، وأول ما صُنع في القرن السابع عشر من ذهب غينيا، وهو مستعملٌ الآن في مصر والسودان.

والريال: أصله من الأسبانيّة وهو مستعمل الآن في المملكة العربيّة السعوديّة واليمن ودولة الإمارات العربيّة وقطر.

والليرة: أصلُها من الإيطالية، وهي مستعملةٌ الآن في سوريا ولُبنان.

والقِرْش: أصلُه من الألمانيّة أو من الإيطاليّة، وكان مستعملاً في الدولة العثمانيّة، وهو مستعملٌ الآن في مصر والسودان وسوريا ولبنان.

والمِلّيم: أصلُه من الفرنسيّة، وهو مستعملٌ الآن في بعض البلاد العربيّة كمصر والسودان وتونس.

والفُلس: أصله من اليونانيّة، وكان مستعملاً في الدولة الإسلاميّة قديماً، وهو أصغرُ وحدةٍ نقديّةٍ في بعض البلاد العربيّة الحديثة كالعراق والأردن والكويت والبحرين.

٧١١٣ ـ نشر الأستاذ علي أدهم في مجلة «العربي» الكويتيّة

مقالاً عن العالم السويدي المتصوّف «سويدنبرج» ذكر فيه الكثيرَ من الخوارق العجيبة، كقوله: «وكان يقول: إنّ السيّد المسيح قد زاره وتلقى من هذا المصدر العالي رسالةً لتفسير الكتب المقدّسة تفسيراً جديداً».

وقوله: «وصف في مؤلفاته العالمَ السماويَّ وسكّانَه، وكان يبلّغ بعض الأحياء رسائلَ من أقاربهم الموتى». وقوله: «إن العالم الديني البريطاني «جون وسلي» تلقّى رسالةً من «سويدنبرج» يذكر له فيها أنّ الأرواحَ أخبرته أن «وسلي» يريد لقاءه، فأجابه وسلي: إنّ هذا حقٌّ وحدّد له ميعاداً لهذا اللقاء، فردّ عليه سويدنبرج قائلاً: إنّ في هذا التاريخ يكون قد حانت منيّته التي ستحدث يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٧٢» وعلّق الأستاذ أدهم على ذلك بقوله: «وهذه الرواية تكشف ناحيتين من نواحي امتياز سويدنبرج، الناحية الأولى: قدرتهُ على استطلاع ما في نفوس غيره من الناس. والناحية الثانية: قدرتُه على استشفاف أحداث المستقبل».

وقوله: «ويُروى عنه أنّه كان يتناول طعامَ العشاء في «جونتبرج» مع جماعةٍ من أصدقائهِ وهو وادعُ النفس كثيرُ البشاشة ولكنّه لم يلبث أن علت وجهَه لمحاتٌ من الكدر والهمّ، فعجِب من ذلك أصحابُه، وسألوه عن سبب ما ألمَّ به من التغيير فقال لهم: إنّ النيران قد اشتعلت في منزل أحد أصدقائه في «استوكهولم»، وكان منزلُ هذا الصديق قريباً من منزله، وإنّ النيرانَ كانت قويّة الاشتعال سريعةَ الانتقال وإنّ منزلَه معرّضٌ لأخطارها. وقد ظلّ ساعتينِ في قلقٍ وحيْرةٍ وفجأةً أشرق وجهه وزال اضطرابُه وقلقُه، وقال لأصحابه: إنّ النيرانَ قد خَمِدَتْ وأطفئتْ

عند المنزل الثالث القريبِ من منزله».

وقوله: «وفي برلين أخبرت ملكةُ السويد أخاها الملك أن إحدى سيدات حاشيتها قد تعرّضت لأزمة نفسيّة شديدةٍ من جرّاء مطالبتها بمبلغٍ من المال كان زوجها المتوفّى قد استدانه، وكانت هذه السيدة واثقةً من أنَّ زوجَها قد قام بسِداد ما عليه من الديون قبل وفاته، ولكنّها لم تستطع الاهتداء إلى المكان الذي احتفظ به زوجُها بالمستندات والوثائق الخاصّة بما كان عليه من ديون.

فذهبت السيّدة إلى «سويدنبرج» وتوسلت إليه راجيةً أن يسأل زوجَها عن المكان الذي احتفظ فيه بالمستندات الخاصة بسِداد ما كان عليه من دين. وفي اليوم التالي أخبرها سويدنبرج عن المكان الذي به هذه المستندات في القصر الرحب، وأنّه قد طلبَ من زوجها أن يظهرَ لها. وفي الوقت المناسب رأت السيدة زوجها في رؤيةٍ حالمة وقد ارتدى الملابس التي كان يرتديها حينما أدركه الموت».

وقولِه: «وقد عرّف بدقّة يومَ وفاته والساعة التي سيدركه فيها الموت، ففي يوم الأحد ٢٩ مارس سنة ١٩٧٢ سأل أصحابَه عن الساعة فقيل له: إنّها الساعة الخامسة فأجاب: لقد قُضي الأمر بارك الله لكم جميعاً. وبعد عشر دقائق أسلم روحه». وقوله: «وقد روي أنَّ الأبوابَ في منزله كانت لا تُغلق، ولما اشتكى من ذلك أحدُ الخدم خشيةَ تعرّض المنزل للسرقة التي قد تدعو إلى الاشتباه في أمره قال سويدنبرج: إنّ له عذرَه في هذه الشكوى ولكن ليطمئنَّ بالُه فإنّه لا يرى الحارسَ غيرَ المنظور المشرفَ على حِراسة المنزل».

وقولِه: «وكان يقول: إنّه رُزق القدرةَ على الاتّصال بالموتى

ومحادثيهم والتنقّل في المدن السماويّة والعوالِم غيرِ المنظورة. وكان يقول عن نفسه: إنّه أولُ إنسانٍ سَنَحت له القدرة على التنقّل في العوالم الروحيّة والعيشِ في الأرض والسماء»!!! ولو نسبنا مثلَ هذه الخوارق أو أقلَّ منها إلى الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين لرمونا بالغلوّ والهَذَيان، ولاتهمونا بالكذب والبُهتان.

٧١١٤ ـ قال محمد العبدلي المَوصلي:

ما ودّني أحد إلا بذلتُ له صافي المودّةِ حتى آخرِ الأبدِ
ولا قلاني[1] ـ وإن كنتُ المحبَّ له ـ إلا دعوتُ له الرحمن بالرشدِ
ولا ائتُمِنتُ على سرٍّ فبُحت به ولا مددتُ إلى غير الجميل يدي
ولا أقول نعمْ يوماً فأتبعها منّاً ولو ذهبتْ بالمالِ والولَدِ

٧١١٥ ـ لا يستقيم بيت بغير رجل وامرأة فهما معاً مقوّماه ودعامتاه، ولكلٍّ منهما دورُه ورسالتُه، ولكلٍّ منهما مجالُه وعملُه. ولو خلا من أحدهما تعرّض للشقاء بل الفناء. ولقد أحسنت خولةُ بنتُ ثعلبة في التعبير عن هذا الدور المشترك في حياة الأسرة حين قالت ـ وهي تجادل النبيّ ﷺ في شأن زوجها أوس بن الصامت بعد أن ظاهرها ـ: «يا رسول الله إنّ لي صغاراً إن ضممتُهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إليّ جاعوا».

٧١١٦ ـ القرآن الكريم يصرّح أنّ قانون الزوجيّة يسري في الإنسان والحيوان والنبات وفي كلّ شيء. فقال تعالى في سورة يس: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا

---

(١) قلاني: أبغضني.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾، وقال في سورة الذاريات: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾. وأثبت العلماء هذه الحقيقة بكلّ تفصيلٍ ووضوحٍ، ولكنّ بعض المغرضين ادّعى أن مكروب «الفيروس» وحيدُ الخليّة ومع ذلك يتكاثر، وأراد بذلك أن يُثبت أنّ القرآنَ يتعارض مع العلم: «ولكنّ دراساتِ المتخصّصين في هذا المجال أثبتتْ خطأً هذه الدعوى ومنهم الدكتور الأمريكي «ستانير» فقد قال في كتابه «عالم الميكروبات»: «إنّ المركّباتِ الكيميائيّة التي يتكوّن منها «الفيروس» تمتلك شحناتٍ موجبة وشحناتٍ سالبة» وهذا هو قانون الزوجيّة.

٧١١٧ ـ في قوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾﴾ تقريرٌ لحقيقة كُبرى تتعلّق بشخصيّة الرسول ﷺ وشريعتِه. فاليسرُ سِمةٌ بارزةٌ من سمات شخصيّته، كما هي صِبغةٌ ظاهرةٌ من صفات شريعته.

أمّا هو ﷺ فحياته كلُّها قائمةٌ على السّماحة واليُسر، سواء كان مع نفسه أو مع أهله أو مع الناس حتى روي أنه ﷺ ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسَرهما. وكان ﷺ يتحرّى اليُسرَ في ملبسه فلا يتقيّد بلباسٍ خاص أو زيٍّ معيّن، كما كان يتحرّى اليُسرَ في مأكله فلا يردّ موجوداً ولا يتكلّف مفقوداً، وما عاب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه.

وكذلك حاله ﷺ في منامه فتارةً ينام على الفراشِ ومرّةً ينام على النِّطع وأخرى ينام على الأرض.

وكان يوصي أصحابه بالتزام اليُسر في كلّ أمورهم ومن أقواله ﷺ لهم: «يَسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا».

وأمّا شريعته فمن أعظم خصائصها اليُسر وقد نص القرآن الكريم

على ذلك بقوله تعالى في سورة البقرة، الآية(١٨٥): ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، وقوله في سورة الحج، الآية(٧٨): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقوله في سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

كما نصّ هو ﷺ على ذلك بقوله: «إن هذا الدين يُسْر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبَه».

وقوله: «جئتكم بالشريعة السهْلة السمحة».

وصدق الله العظيم حيثُ يقول في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

٧١١٨ ـ نشرت الصحفُ حادثةً طريفةً ملخّصُها: أنّ امرأةً إنكليزيةً تملك فندقاً صغيراً على ساحل البحر في إحدى القرى البريطانيّة. وفي يومٍ من الأيّام جاءها صيّادُ السمك الذي يتعامل معها، ويُزوّد فُندقَها بما يحتاجه من السمك وقال لها: إنّه قد اصطاد سمكةً نادرةً جِدّاً اسمها «السترجون» وهو من النوع الذي لا يوجد في بحار بريطانيا إلا نادراً، ولا يقع في شِباك الصيّادين إلا مرةً واحدة في عشرات السنين. فاشترت المرأةُ السمكة بقيمةٍ عالية وأعلنت عن وليمة عَشاء بهذه المناسبة لنُزلاء الفُندق وبعضِ وجوه القرية.

وقبل حلول موعد العشاء، اتصل بها شيخٌ كبيرٌ من المدعوّين وقال لها: إنّ هناك قانوناً موجوداً في بريطانيا منذ القرن السادس عشر ينص على أنّ أيّ سمكة من نوع «السترجون» يصطادها أحدٌ يجب تسليمُها إلى الملك فهو أحقّ بها من صاحبها.

فبُهتت المرأة واتصلتْ في الحال بأحد موظفي القصر الملكي وسألته عن وجود مثل هذا القانون فأكّد الموظّفُ وجودَه ولكنّه قال لها: إني لا أظنّ أنّ الملكة تطالب بهذه السمكة، ولا سيما وأن هذا القانونَ قديمٌ جدّاً ويكاد يغيب عن الأذهان. ولكنّ المرأة ـ بحكم طبيعتها الإنكليزية في احترام القوانين ـ ألغتْ دعوةَ العشاء وحمَلت السمكةَ بأحسن وِعاء، وركبتِ القطارَ إلى لندن، وذهبتْ إلى القصر الملكي، ودفعت السمكةَ هديّةً منها إلى الملكة!!.

٧١١٩ ـ الفرق بين اللغوي والنَّحوي: أنّ اللغويَّ ينقلُ النصَّ ويحرِص عليه، والنحويّ يأخذ ما ينقُله اللُّغويُّ ويقيس عليه. قال عبد اللطيف البغدادي: «اعلم أن اللُّغويَّ شأنه أن ينقُلَ ما نطقت به العرب ولا يتعدّاه، وأمّا النحويُّ فشأنه أن يتصرّفَ فيما ينقله اللُّغويُّ ويقيس عليه». وإذا عارض السَّماعُ القياسَ أخذوا بالسَّماع وآثروه لأنّ غايةَ النحوِ معرفةُ ما نطق به العرب، وقد عُرف ذلك بالسَّماع.

حتى قالوا: «إنّ مدارَ الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها».

وقال ابن الأنباري في كتابه «لُمع الأدلّة في أصول النحو» في الردّ على من أنكر القياس في النحو: «اعلم أنّ إنكارَ القياس في النحو لا يتحقّق، فإنّ النحوَ كلّه قياس. ولهذا قيل في حدّه: النحو علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب. فمن أنكر القياسَ فقد أنكر النحو». وحكي عن الكسائي قوله:

إنّـمـا الـنـحـوُ قـيـاسٌ يُـتَّـبَـعْ
وبـه فـي كُـلِّ أمـرٍ يُـنـتـفَـعْ

٧١٢٠ ـ كلمة «كم» تأتي على نوعين الأوّل: استفهامية، وهي على قسمين:

١ ـ مجردة من حرف الجر، ويكون التمييز بعدها مفرداً منصوباً نحو: «كم درهماً عندك؟».

٢ ـ مسبوقة بحرف الجر، ويكون التمييز بعدها مفرداً مجروراً بالإضافة نحو: «بكم درهمٍ اشتريت الكتاب؟».

الثاني: خبرية، وهي على قسمين أيضاً.

١ ـ يكون التمييز بعدها مفرداً أو جمعاً مجروراً بالإضافة نحو: «كم بطلٍ استُشهِد في المعركة» ونحو: «كم أبطالٍ استُشهِدوا في المعركة».

٢ ـ يكون التمييز بعدها مجروراً بحرف الجر نحو قوله تعالى في سورة البقرة، الآية(٢٤٩): ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

٧١٢١ ـ قال شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بالشهاب الخفاجي في كتابه «طراز المجالس»: «قرأت في ديوان الرئيس شرف الدين بن مستوفي إربل قال: قلت بديهةً في سنة أربع وستمائة:

رأت قمرَ السماء فذكّرتْني ليالِيَ ومثلِها بالرقمتيْنِ
كلانا ناظرٌ قمراً ولكنْ رأيتُ بعينها ورأتْ بعيني

ثم قال الخفاجي: اعتنى الناس بهذه القطعة حتى رأيتُ بعضَ الأدباء صنّف في شرحها تأليفاً لطيفاً أتى فيها بما لم يخطُرْ ببال قائلها فتدبّر».

ورأيي في معنى البيتين: أنّ محبوبتَه نظرت إلى قمر السماء ـ وهو القمر الحقيقي ـ، وهو نظر إليها ـ وهي القمر المجازي ـ. فأراد أن يصوّر بقوله: «رأيت بعينها ورأت بعيني» ـ على وجه المبالغة ـ أنّه هو الذي نظر إلى القمر الحقيقي، وهي التي نظرت إلى القمر المجازي.

٧١٢٢ ـ رأيتُ في عالم الرؤيا كأنّي في بيت أحد الأقرباء، وقد جلستُ مع ثُلّةٍ من ذوي القربى أتجاذب معهم أطرافَ الحديث. وكان من جملة الحاضرين صهري بل ولدي العزيز السيد علي الحيدري رحمه الله، فرأيتُه ـ على خلاف عادته ـ معرضاً وقد اعتزل جانباً من المجلس يتحدّث مع بعض الحاضرين، فوقع في نفسي شيء، فدعوتُه بعد انصراف الجماعة وصرت أخاطبه معاتباً بأبياتٍ من الشعر نظمتُها على البديهة وفي المنام وهي:

أبا المجتبى[1] ما لي أراكَ بمعْزِلِ
وما لكَ لم تُقبلْ عليّ وتُصْغِ لي

أغرّكَ أنّي فيك صَبٌّ مُتيَّمٌ[2]
«وأنكَ مهما تأمرِ القلبَ يفعَلِ»

إذا كنتَ تجفوني لأجلِ صَبابتي[3]
وتَيْمي فأكرِمْ بالجفاءِ وَأجمِلِ

---

(١) كان ابتداء البيت في الأصل: أبا حيدرٍ، وبعد وفاة ولده هذا جعلت ابتداءه: أبا المجتبى.

(٢) الصب والمتيّم: صاحب الحب الشديد.

(٣) الصبابة والتيم: الحب الشديد.

ولكنّ حبّي راسخٌ لا تُزيله
أقاويلُ قالٍ[1] أو أباطيلُ مُبطلِ
وحسبك قلبي ـ وهو أصدق شاهدٍ ـ
ينادي بإخلاصٍ ويهتف من علِ:
بأنّك منّي كالسوادِ لناظري
فأبشِرْ بهذا القرب يا ولدي علي

فهزّت الأبياتُ مشاعرَه، واعتذر بأنّ إعراضَه لم يكن عن قصد، وطلّب مني أن أعيدَ قِراءتها عليه ليكتبَها ففعلت، ثم انتبهتُ من النوم بعد ذلك مباشرةً وإذا بي أردّدها في اليقظة ولم يَفُتني منها إلا بعضُ الكلمات.

٧١٢٣ ـ قال الدكتور محمد مهدي البصير بعد ثورة العشرين التي كان البصير شاعرَها اللامع وخطيبَها البارع:

كافحتُ أعدائي ولستُ بواثقٍ ... أنَّ النجاحَ مقدَّرٌ لكفاحي
لكنّما وطني دعا فأجبتُه ... وأبيْتُ للباغينَ خفضَ جناحي
ونهضتُ بالخُطَبِ الفِصاحِ مدافعاً ... عن حقّ شعبٍ في الحياة مُراحِ
ولئن رجَعتُ بغير ما أمّلتُه ... ونزعتُ في يدِ قاهِريَّ سلاحي
فلقد أفدتُ من المصائبِ خِبرةً ... ستكونُ عند العوْدِ سِرَّ نجاحي

٧١٢٤ ـ قال الدكتور البصير:

إذا كنتَ تعلم أنّ الأمور ... مع الدهر لا بدّ أن تنقلِبْ
فما لك تيأس مستسلماً ... إذا ما رأيت ضعيفاً غُلِبْ؟

---

(١) قالٍ: مبغض.

٧١٢٥ ـ قال الدكتور البصير:

قــالــوا: تــنــوّعــت الأذواق وانــقــســمــتْ
في الـشـعـر واخـتـلـفـت فـي وصـفـه الـفِـكَـرُ
فــقــلــت: أبــلــغــهُ عــنــدي وأحــســنُــه
مــا كــان فــي الــنـفـس مــن إنــشــاده أثــرُ

٧١٢٦ ـ قال الدكتور البصير:

أغـار عـلـيـك يـا وطـنـي هـيـامـاً كـمـا غـار الـمـحـبّ عـلـى حـبـيـبِ
ولـم أنـظـر إلـى أعـداك إلا كـمـا نـظـر الـمـشـوق إلـى رقـيـبِ

٧١٢٧ ـ قال الدكتور البصير:

إنّ الـذيـن تـبـرّأوا مـن شـعـبـهـم عـلـنـاً فـكـان لـهـم بـذلـك شـأنُ
خيرٌ من الأحـرار طـال جـهـادُهـم حتى إذا صعَدوا المناصبَ خانوا

٧١٢٨ ـ قال الدكتور البصير:

ألا هـدمـت يـدُ الـحـدثـانِ عـزّاً تُـشـاد عـلـى رقـاب الأبـريـاءِ
ولا بـلـغـت مـآربـهـا نـفـوسٌ ظـوامـيء لـلـدمـوعِ ولـلـدمـاءِ

٧١٢٩ ـ قال الدكتور البصير:

يقولون لي: بادر إلى المجد والغنى وراءِ وخُنْ فيما بدا لك واكذِبِ
فـكـم كـان هـذا سُـلّـمـاً لـمـكـانـةٍ وبـابـاً إلـى مـالٍ كـثـيـرٍ ومـنـصِـبِ
فقلتُ: وهل في المال والجاه لذّةٌ إلى جنب تكبيت الضمير المعذّبِ

٧١٣٠ ـ روى الأستاذ عبد الحسين ـ شقيق الدكتور البصير ـ عن المرحوم عبد الرضا الصائغ أنّه قال: «ذهبتُ بصحبة الشيخ محمد

مهدي البصير لزيارة حبيب بك بن محمد باشا، وكان أديباً يحفظ الشعرَ الجيّد، ويُحب مجالسةَ الأدباء والشعراء، ووجدنا عنده أحدَ أفراد أسرة آل الشاوي. وقد قال الشاوي للبصير: يا شيخ وردتني قصيدة من خالي في الأستانة وأوَدُّ إن أقرأها. ولمّا كان الشاوي يُنشِد كان البصير يستعيد ويستحسن، وما أن فرغ الشاوي من قِراءة القصيدة حتى قال له البصير: أرجو أن لا تغضبَ مني فهذه القصيدة من نظمي وإن شئتَ قرأتُها لك، فقرأها ثم قال له: ولهذه القصيدة تتمة إن شئتَ أنشدتها لك، فأنشدها وكانت منسجمة معها في معناها وقافيتها ورويّها!! فعجب الشاوي لهذا الأمر وتحيّر، فقال له البصير: لا تعجب فإنّ القصيدةَ لخالك، وأنا حفِظتُها ونظمتُ تتمّتَها».

ثم قال الأستاذ عبد الحسين: «إنّ أحدَ الشعراء كان يُنشد قصيدةً عند السيد محمد القزويني ـ أحد أعلام الحلة وأستاذ الدكتور البصير ـ ولما أتمّها سأل القزويني البصير: هل حفِظتَ شيئاً من هذه القصيدة؟ فأجابه البصير: حفظتُها كلَّها! فقال: اقرأها، فقرأها له، ثم قال له: اقرأها من آخرها كما صنع عبد الله بن العباس ففعل، وقد كان لهذا الحادث دويٌّ في الأندية الأدبيّة في الفرات الأوسط». وقد ذُكر مثلُ هذا وأكثرُ منه عن شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي وقد مرّ شيءٌ من ذلك في غضون هذا الكتاب.

٧١٣١ ـ قال محمد علي الياس العدواني:

وأيـامٌ لـنـا ذهـبـت سِـراعـاً ... وفـي أعـطـافـهـا مـرَحُ الـشـبـابِ
ذكـرتُ عـهـودَها فظـللـت أشـدو: ... «ألا إنّ الـغـنـيـمـة فـي الإيـاب»

٧١٣٢ ـ قال الشاعر:

إذا كان حبُ الهائمين من الورى
بفاتنةٍ حسناء قد يسلُب العقلا
فماذا عسى أن يصنعَ الهائمُ الذي
سري قلبُه شوقاً إلى الملأ الأعلى

٧١٣٣ ـ قال أبو الفتح البستي:

إذا ما ذلّ إنسانٌ بدارِ فمُرْهُ بالرحيل على بدارِ

٧١٣٤ ـ قيل: إنّ مسؤولاً في بلدٍ عربي كانت تعيش معه في بيته أمُه العجوز فأصابها الجنون حتى صارت تصعد إلى السطح وتصرُخ بصوتٍ عالٍ، فضجِرت من تصرفاتها زوجتُه المدلَّلَة فقالت له ذاتَ يوم: إلى متى تُزعجنا أمُك بصُراخها وأعمالها الجنونيّة؟ فقال لها: فماذا أصنع وهي مجنونة؟ فقالت له: إذا صعدت إلى السطح فاصعد معها والقِ بها إلى الأرض حتى تتكسّر عظامُها وتموت ونتخلّصَ منها، فاستعظم ذلك في أوّل الأمر ولكنّها لم تزلْ تحرّضه على تنفيذ هذه الفكرة الخبيثة حتى أقنعته بذلك. فعزَم على الجريمة النكراء ونفّذها كما أرادت زوجتُه ـ بل شيطانُه ـ ورمىٰ بأمّه من أعلى السطح فتكسّرت عظامُها، وصعدت روحُها إلى بارئها العليّ القدير تشكو إليه عقوقَ ولدها الضّال وزوجتِه الحمقاء.

وما مضت الليالي والأيّام حتى أصيب هذا الرجلُ بالجنون، وصار يصعد إلى السطح ويصرُخ بصوتٍ عالٍ كما كانت تفعل أمُه من قبل، ثم ألقى بنفسه ـ من حيثُ لا يشعر ـ من أعلى السطح ومن نفس المكان الذي ارتكب فيه جريمتَه مع أمّه، فتكسّرت عظامُه، وذهبت

روحُه إلى النار وبئس القرار.

٧١٣٥ ـ قيل: إنّ رجلاً مرّ بأحد الصالحين فسأله مستهزئاً ومتحدّياً: أأنتَ أفضلُ أم الكلب؟ فقال الرجل الصالح بكلّ هدوء: «إنْ عبرتُ الصّراطَ كنتُ أفضلَ من الكلب، وإنْ لم أعبُرِ الصِراطَ كان الكلبُ أفضلَ مني». فقال: وكيف ذلك؟

قال الرجل الصالح: «إنْ عبرتُ الصراطَ دخلتُ الجنّة وصار الكلبَ تراباً والجنّةُ أفضلُ من التراب، وإن لم أعبرِ الصراطَ دخلتُ النار وصار الكلبُ تراباً والترابُ أفضلُ من النار».

٧١٣٦ ـ لحكمةٍ إلهيّةٍ بالغةٍ جعل الله الحياةَ صراعاً مستمراً بين الأفراد والجماعات يدفع بعضهم ببعض، ويصدّ بعضهُم طغيانَ بعض، ولولا ذلك لطغت فئةُ الأقوياء على فئة الضعفاء، ولما وَجد الضعيفُ مكاناً له على وجه الأرض، ولما استطاع أن يحصُلَ على ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس، أو يمارسَ حقّه في العبادة بحريّةٍ وأمان. والقرآنُ الكريم صرّح بهذه الحقيقة بقوله في سورة البقرة، الآية(٢٥١): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، وقوله في سورة الحج، الآية(٤٠): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾. والتاريخ القديم والحديث شاهدٌ على صدق وعمق هذه الحقيقة، هذان العملاقان الكبيران أمريكا وروسيا بكل قوّتهما وجبروتهما وطغيانهما وأساطيلهما وجيوشهما لو انفرد كلّ منهما دون منافسةٍ ومدافعةِ الآخر لأهلك الأرض ومن عليها، ولكن الله بقدرته وحكمته ورحمته بعباده جعلهما في صراعٍ ونزاعٍ دائمين بحيثُ يخشى كلُّ منهما الآخر، وبذلك

استطاعت شعوبُ الأرض أن تعيشَ بسلام. ولمّا ظهرت بوادرُ التقارُب والوِفاق بين العِملاقينِ الكبيرَينِ مما يهدّد العالَم كلَّه بالخطر الماحق قدّر الله سبحانه أن تظهرَ أمامهما الصينُ كقوّةٍ عِملاقةٍ كبرى تدفع خطرَهما عن الناس، وينشغِلانِ بها عن بقيّة الشعوب.

ويظهر أنّ هذه الحقيقة وُجدت منذ بدء الخليقة قال تعالى في سورة البقرة في معرض حديثه عن آدم أبي البشر: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾. ولم يسلم حتى الأنبياءِ من هذا القانون الإلهي العام كما قال تعالى في سورة الأنعام، الآية(١١٢): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾، وقال في سورة الفرقان، الآية(٣١): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

إن هذا الصراعَ موجودٌ في عالم الإنسان وفي عالم الحيوان وفي عالم النبات بل حتى في عالم المبادىء والأفكار لتمحيص الحقائق وكشفِ الأباطيلِ قال تعالى في سورة الرعد، الآية(١٧): ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقال في سورة الأنبياء، الآية(١٨): ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. وهذا الصراع بين الناس أنفسِهم وبين الإنسان والكائنات الأُخرى هو الذي يدفعُه إلى الإبداع والاختراع ويجعلُ حياتَه مليئةً بالعمل الجاد والكفاحِ المستمر، ويُبعدُه عن حياة الترفِ والدَّعةِ والترَهُّلِ والخمول، وهو من تدبير الله وتقديره كما قال سبحانه في سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾.

٧١٣٧ ـ اكتشف الأستاذ رشاد خليفة باستخدامه للعقل الالكتروني بعض الإحصائيات العجيبة والدقيقة حول بعض الحروف

والكلمات القرآنيّة مما أثارت اهتمامَ المعنيّين بالدّراسات الإسلاميّة.

فمن ذلك أنّ السورَ التي تبدأ ببعض الحروف المقطّعة تكون تلك الحروفُ أكثر تداولاً في تلك السورة من الحروف الأُخرى، فحرف «ق» في سورة «ق» تتكرّر بمعدّلٍ أعلى من بقيّة الحروف.

و«ا ل م» في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم تتكرّر بمعدّلٍ أعلى من بقيّة الحروف. والعجيب أنها تتفاوت عدداً بشكل تنازلي فالألف أكثر من اللام، واللام أكثر من الميم.

ففي سورة البقرة بلغ عدد الألف ٤٥٩٢ مرة، وبلغ عدد اللام ٣٢٠٤ مرات، وبلغ عدد الميم ٢١٩٥ مرة.

وفي سورة آل عمران بلغ عدد الألف ٢٥٧٨ مرّة، وبلغ عدد اللام ١٨٨٥ مرّة، وبلغ عدد الميم ١٢٥١ مرّة.

وفي سورة العنكبوت بلغ عدد الألف ٧٨٤ مرّة، وبلغ عدد اللام ٥٥٤ مرّة، وبلغ عدد الميم ٣٤٤ مرّة.

وفي سورة الروم بلغ عدد الألف ٥٤٧ مرّة، وبلغ عدد اللام ٣٩٦ مرّة، وبلغ عدد الميم ٣١٨مرّة.

و «ا ل م ر» في سورة الرعد تتكرّر بمعدلٍ أعلى من بقية الحروف وبشكلٍ تنازليٍّ أيضاً. فبلغ عدد الألف فيها ٦٢٥ مرّة، وبلغ عدد اللام ٤٧٩ مرة، وبلغ عدد الميم ٢٦٠ مرّة، وبلغ عدد الراء ١٣٧ مرّة.

كما أنّ جميعَ هذه الحروف المقطّعة يتكرّر ذكرُها في القرآن إلى مضاعفات العدد «١٩» وهو عدد حروف الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

واكتشف أيضاً أنّ الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ التي تتألف من ١٩ حرفاً تتكرّر كلُّ كلمةٍ من كلمات في القرآن - في غير البسملة - ١٩ مرّة أو مضاعفات هذا العدد.

فكلمة «اسم» تكرّر ذكرها في القرآن ١٩ مرّة.

وكلمة «الله» تكرّر ذكرها في القرآن ٢٦٩٨ مرّة وهي حاصل ضرب ١٩ × ١٤٢.

وكلمة «الرحمن» تكرّر ذكرها في القرآن ٥٧ مرّة وهي حاصل ضرب ١٩ × ٣.

وكلمة «الرحيم» تكرر ذكرها في القرآن ١١٤ مرّة وهي حاصل ضرب ١٩ × ٦.

وأن «البسملةَ» نفسَها تكرّرت في القرآن «١١٤» مرّة وهو عدد يقبل القسمة على «١٩».

واكتشف أيضاً بعض المقابلات العدديّة للألفاظ، فلفظ «الحياة» ومشتقّاته تكرّر ذكرها في القرآن ١٤٥ مرّة، وفي مقابلها لفظ «الموت» ومشتقّاته تكرّر ذكرها ١٤٥ مرّة أيضاً.

ولفظ «الدنيا» تكرّر ذكره في القرآن ١١٥ مرّة، وفي مقابله لفظ «الآخرة» تكرّر ذكره ١١٥ مرّة أيضاً.

ولفظ «الملائكة» تكرّر ذكره في القرآن ٨٨ مرّة، وفي مقابله لفظ «الشياطين» تكرّر ذكره ٨٨ مرّة أيضاً.

ولفظ «الحَر» تكرّر ذكره في القرآن ٤ مرّات، وفي مقابله لفظ «البرد» تكرّر ذكره ٤ مرّات أيضاً. إلى غير ذلك من الاكتشافات والإحصائيّات.

والقرآن الكريم كما وصفه أهلُه: «لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه» وهذه هي إحدى عجائبه وغرائبه.

٧١٣٨ ـ من أحدث ما توصّل إليه علمُ النفس: أنّ المرأة المتمرّدة أو «الناشز» ينقسم مسلكها المنحرف إلى نوعين:

الأوّل: هو حالةٌ مرضيّة تكون المرأةُ فيها تلتذّ بالتحكّم والتجبّر والسيطرة، وتسمى في الاصطلاح العلمي «المسلك التحكّمي» أو «سادزم»، وأحسن علاج لمثل هذه الحالة هو كسرُ شوكتها، والحطُّ من كبريائها بهجرها في المضاجع.

الثاني: هو حالة مرضيّة أيضاً تكون المرأةُ فيها غيرَ قابلةٍ للتقويم أو الخضوع إلا بالضرب حتى أنها تلتذّ به، وتسمى في الاصطلاح العلمي «المسلك الخضوعي» أو «ماسوشزم»، وأحسن علاج لمثل هذه الحالة هو الضرب. ولعلّ القرآن الكريم أشار إلى هذين النوعينِ من السلوك المنحرف عند المرأة «الناشز» بقوله تعالى في سورة النساء، الآية(٣٤): ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾.

٧١٣٩ ـ كلمة «اثّاقلتم» في قوله تعالى في سورة التوبة، الآية(٣٨): ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ تصوّر ببلاغةٍ نادرة حالةَ الجبناء، وتعبّرُ باندماج حروفها والتصاقِها عن اندماجهم والتصاقهم بالأرض من الخوف والذعر.

٧١٤٠ ـ الحكمة في تقديم السارق على السارقة في قوله تعالى في سورة المائدة، الآية(٣٨): ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ وتقديم الزانية على الزاني في قوله تعالى في سورة النور، الآية(٢): ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ هي أنّ دورَ الرجل في السرقة ـ بسبب رجولته وقوّته وصلابته ـ أكبرُ من دور المرأة، بينما يكون دورُ المرأة في الزنى ـ بسبب أنوثتها ومفاتنها ومحاسنها ـ أخطرَ من دور الرجل.

٧١٤١ ـ من لطائف التعبير القرآني: أنّ الأسئلة التي تُوجّه إلى رسول الله ﷺ يأمر الله رسولَه أن يجيبهم عنها، ويخاطبه بقوله «قُلْ» أو «فقُلْ» كقوله تعالى في سورة البقرة، الآية(٢١٩): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، وقوله في نفس السورة، الآية(١٨٩): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، وقوله في سورة الإسراء، الآية(٨٥): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وقوله في سورة الكهف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، وقوله في سورة طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾. ولكن لمّا يتوجه السؤال عن الله وعن قربه إلى عبده وإجابته لدعائه يتغيّر الأُسلوب ويتولّى الله الإجابةَ بنفسه عن السؤال ليؤكّدَ بذلك أنه أقربُ إلى عباده من كل أحدٍ سواه، فقال تعالى في سورة البقرة، الآية(١٨٦): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولم يقل كغيرها من الآيات: فقل إنه قريب.

٧١٤٢ ـ من لطائف التعبير القرآني: أنّ الصبر عندما يكون على اعتداء الناس وظلمهم يقول عنه أنه لَمِنْ عزم الأُمور مع التوكيد باللام،

وعندما يكون على المصائب التي تنزل بقضاء الله وقدره يقول عنه أنه من عزم الأمور بغير توكيد للإشارة إلى أن الصبرَ على الاعتداء الذي يحصل من الأعداء أشدُّ وأعظمُ من الصبر على البلاء الذي ينزل من السماء. فقال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ بينما قال في سورة لقمان، الآية(١٧): ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

وكذلك عند ذكر قدرته على إتلاف الزرع يؤكّد ذلك باللام، وعند ذكر قدرته على جعل الماء المنزّلِ من السماء أجاجاً يأتي الكلام من غير توكيد للإشارة إلى أنّ إتلافَ الزرع قد يتصوّر البعض أنه من صنع البشر فاحتاج الأمرُ إلى التوكيد، بينما لا يدّعي أحد أنّه هو أو غيرُه من البشر يجعل الماءَ أجاجاً فلا يحتاج الأمر إلى التوكيد. فقال تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾، بينما قال في نفس السورة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء عن لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ بغير توكيد لأنّ الموتَ والحياةُ من أمر الله لا ينازعه فيهما منازع، بينما يقول في نفس السورة: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ مؤكّداً الكلامَ هو لأنّ الطعامَ والسقيَ قد يتصور البعض أنه من صنع الإنسان ولا علاقة له بالله، فاحتاج الكلام إلى توكيد.

٧١٤٣ ـ من لطائف التعبير القرآني: قوله تعالى في سورة

النازعات: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَنهَا ﴿٣٠﴾﴾ ودحا في اللغة تأتي بمعنى بسط، وتأتي بمعنى كوّر، وليس في الكلام العربي كلّه أنسبُ من هذه الكلمة للأرض التي هي مبسوطةٌ في الظاهر ومكوّرةٌ في الواقع.

وكذلك قوله تعالى في سورة الحجر، الآية(٢٢): ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ فالرياح تنقل لَقاح الأزهار بعضها إلى بعض فتلقّحها، وهي أيضاً تجمع بين السُحب بعضها مع بعض فتتلاقح الشحنة الكهربائية الموجِبة مع الشحنة الكهربائية السالِبة ويحصل البرق والرعد والمطر، فليس في اللغة كلِّها كلمةٌ أنسبُ من هذه الكلمة في وصف الرياح.

٧١٤٤ ـ من لطائف التعبير القرآني: قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾، فالذي يلجأ إلى غير الله ويعبد سواه لا يجد عندهم أمناً، ولا يستطيعون له عوناً، ومَثلهُم ـ في الوهن وفقدان الأمن ـ كمثل العنكبوت اتّخذتْ بيتاً لا يحمي الذي يلجأ إليه، ولا الذي يسكن فيه، لأنه شَرَك يصطاد به العنكبوتُ فريستَه، والعنكبوت الأنثى تأكل فيه زوجَها الذكر بعد التلقيح، وتأكلُ أولادَها الصغار بعد الفقس، كما أنّ الأولادَ في بيتهم هذا يأكل بعضهُم بعضاً. ووصف الله البيتَ بالوهن ولم يصف الخيط لأنّ خيط العنكبوت قويٌ بالنسبة إلى غيره من الخيوط التي في مثل دِقّته.

وفي قوله تعالى: ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ إشارةٌ بليغةٌ إلى حقيقةٍ اكتشفها علماءُ الحيوان وهي أنّ الذي يصنع البيت هي الأنثى لا الذكر. وفي

قوله في آخر الآية: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ إشارةٌ رائعةٌ إلى أن هذه الحقائق التي اشتملت عليها الآيةُ الكريمة تحتاج إلى علم، وأن العلومَ الحديثةَ كشفت الكثيرَ من هذه الأسرار.

٧١٤٥ ـ أثبتت الدراساتُ العلميّةُ الحديثة حول «الرطب» أنّه أصلحُ طعامٍ تتناوله الحامل عند الولادة لأنّ فيه مادةً قابضةً للرحم تساعدُ على نزول الجنين، وتمنعُ من النزف الدمويّ بعد الولادة. كما أنّه مليّن، وقد ثبت طبيّاً، أن المليّنات النباتيّة تفيد في تسهيل وتأمين عمليّة الولادة بتنظيفها للقولون. وعلى ضوء هذه المعلومات الطبيّة ينكشف الإعجازُ العلميُّ في قوله تعالى في سورة مريم: ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾

٧١٤٦ ـ كلمة «الآية» تُطلق في القرآن الكريم على معانٍ كثيرة:

منها: الآية التي تتكوّن منها سورُ القرآن، قال تعالى في سورة القصص: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾.

ومنها: العلامة، قال تعالى في سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾.

ومنها: المعجزة، قال تعالى في سورة الإسراء، الآية(١٠١): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾.

ومنها: العِظة والعِبرة، قال تعالى في سورة طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾.

ومنها: الحكم الشرعي، قال تعالى في سورة البقرة، الآية(١٨٧): ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

ومنها: الدليل والبرهان، قال تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)﴾.

٧١٤٧ ـ أطولُ سورةٍ في القرآن الكريم هي «سورة البقرة» وعدد آياتها مع البسملة «٢٨٧» آية، وأقصر سورة فيه هي «سورة الكوثر» و«سورة العصر» و«سورة النصر» وعدد آيات هذه السور الثلاث مع البسملة «٤» آيات. وأطول آية فيه هي «آية الدَيْن» من سورة البقرة، وأقصر آية فيه هي «طه» و«حم» و«يس». وأطول كلمة فيه هي «فأسقيناكموه» من سورة الحجر.

وفي سورة المجادلة خاصّة جاء ذكر اسم الله تعالى في كل آيةٍ من آياتها.

٧١٤٨ ـ إنّ الذي يدّعي ما ليس فيه، ويصف نفسه بما لا تستحق، ويتعالى على غيره بصَلفٍ وكبرياء وغرور، ويتفاخر بما لا يقدِر عليه تكون عاقبةُ أمره الخُسرانَ والخِذلانَ في الدنيا والآخرة. وقد أعطانا القرآن الكريم نماذجَ واضحةً من أمثال هؤلاء الطغاة المغرورين ليكون مصيرُهم عِبرةً للمعتبرين..

فلمّا قال إبليس حين أمره الله بالسجود لآدم كما في سورة الأعراف، الآية(١٢): ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ كانت

عاقبته كما في سورة الحجر: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾.

ولمّا قال نمرود لإبراهيم عليه السلام كما في سورة البقرة: ﴿أَنَا أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ كانت عاقبتُه كما في نفس السورة: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولمّا قال فرعون لقومه كما في سورة النازعات: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ كانت عاقبتُه كما في سورة الذاريات: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

ولمّا قال قارون لقومه كما في سورة القصص، الآية(٧٨): ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ كانت عاقبتُه كما في نفس السورة: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ولمّا قال صاحب الجنّتيْنِ لصاحبه وهو يحاوره كما في سورة الكهف، الآية(٣٤): ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ كانت عاقبتُه كما في نفس السورة، الآية(٤٢): ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

٧١٤٩ ـ معنى صبر في الأصل: حبس، فتقول: صبر نفسَه أي حبسها. والصبر: هو حبس النفس عن الاندفاع في الجزع عند المصيبة، أو حبس النفس عن الاندفاع في معصية الله، أو حبس النفس على طاعة الله. قال تعالى في سورة الكهف، الآية(٢٨): ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ ومعنى الآية: احبس نفسك يا محمد وثبّتها مع المؤمنين الصادقين الذين

يذكرون الله في آناء الليل وأطراف النهار لا يريدون بذلك إلا وجهَه ولا يبتغون إلا رضاه. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة: أنّ جماعة من أكابر قريش ممن أظهروا الإسلام بألسنتهم ولم يدخل في قلوبهم جاؤوا إلى النبيّ ﷺ وقالوا: يا رسول الله إنك لو جلستَ في صدر المجلس، ونحّيتَ عنّا هؤلاء ـ يَعنون سلمان وأبا ذر وعمّار وبلال وأحزابَهم ـ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى فيهم وفي هؤلاء الصفوة من أصحابه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فقام النبيّ ﷺ يلتمسهم حتى وجدهم في ناحية من المسجد يذكرون الله تعالى فجلس عندهم وقال: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبرَ نفسي مع رجالِ أمتي، معكم المَحْيا ومعكم الممات».

٧١٥٠ ـ الوعد يُستعمل في الخير، والوعيد يُستعمل في الشر، فيقولون: وعدتُه خيراً وواعدتهُ شرّاً. أمّا إذا تجردت الكلمتانِ عن ذكر الخير والشر فيقولون في الخير: الوعد والعِدة والموعد والميعاد. وفي الشر: الإيعاد والوعيد.

وكان العرب تفتخر بإيفاء الوعد وخُلْفِ الوعيد قال شاعرهم:

وإنّي إذا أوعدتُهُ ووعدتُهُ
لَمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

وحتى بالنسبة إلى الله عز وجل فإنّه يفي بوعده فهو لا يُخلف الميعاد، ولكنّه قد لا يُنجز وعيدَه فهو أهل العفو والمغفرة قال بعض العارفين: «الوعدُ حقُّ الخلق على خالقهم فهو أحقُّ من وفى، والوعيدُ حقُّ الخالق على خلقه فهو أحقُّ من عفا».

٧١٥١ ـ كلمة «قط» تأتي في اللغة العربية على معنيين:

الأوّل: النفي للماضي كما قال الفرزدق:

ما قال «لا» قَطُّ إلا في تشهُّده لولا التشهّدُ كانت لاءه نَعَمُ

وتكون مضمومة مع تشديد الطاء في الأغلب.

الثاني: بمعنى «حَسْب» وتكون مبنيّةً على السكون. وقد تدخل عليها الفاء كما تدخل على حَسْب فتقول «فقط» كما تقول «فحسب».

٧١٥٢ ـ قال الفيومي في «المصباح المنير»: «فإن كان في النسبة لفظٌ عام وخاص فالوجه تقديمُ العام على الخاص» فيُقال عن النبيّ ﷺ: القرشيّ الهاشميّ، لأنّ النسبةَ إلى قريش أعمُّ من النسبة إلى بني هاشم. وكذلك لو كان في النسبة صفةٌ ذاتيّةٌ وصفةٌ عرضيّة فالأولى تقديمُ الذاتيّة على العرَضيّة فيقال عنه ﷺ مثلاً: الهاشميّ المكيّ، لأنّ النسبة إلى الجدّ صفةٌ ذاتيّة، والنسبةَ إلى البلد أو المهنة صفةٌ عرَضيّة.

٧١٥٣ ـ كلمة «أي» التي تُستعمل للاستفهام وللشرط قد تُذكّر مع المذكر وتؤنّث مع المؤنث كما في قول الشاعر:

بأيّ كتابٍ أم بأيّةِ سنةٍ

وقد تُذكّر مع المذكّر والمؤنّث معاً كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾.

٧١٥٤ ـ في اللغة الإنكليزية تُذكّر «الشمس» ويُؤنّث «القمر»، وهو عكس ما في اللغة العربية حيثُ تُؤنّث فيها الشمس ويُذكّر القمر.

٧١٥٥ ـ كلمة «العادي» لها معنيان:

الأوّل: الشيءُ القديمُ النادر نسبةً إلى عهد «عاد»، وهو

المنصوص عليه في معاجم اللغة.

الثاني: الشيءُ المألوفُ المتعارف نسبةً إلى «العادة»، وهو الاستعمال الشائع.

٧١٥٦ ـ كلمة «الضوضاء» تُذكّر في الغالب، وقد تُؤنّث كما قال الشاعر الجاهلي الحارث بن حلزة اليشكري:

أجمعوا أمرهم عِشاءً فلمّا

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

٧١٥٧ ـ كلمة «الآنية» جمع إناء، ومن الخطأ استعمالها في المفرد كما يقول العامة: «وضعتُ الطعامَ في آنيةٍ واحدة» والصحيح: «وضعتُ الطعام في إناءٍ واحد».

وكلمة «الآونة» جمع أوان، ومن الخطأ الشائع استعمالها في المفرد كقولهم: «جئتُ في هذه الآونة» والصحيح: «جئتُ في هذا الأوان».

٧١٥٨ ـ كلمة «البقّال» معناها: بائع «البَقْل» أي «الخُضَر»، وقد توسّعوا في معناها وأطلقوها على بائع الجُبن واللَبن والتمر وأمثالِ ذلك. وكلمة «باقة» معناها: الحُزمة من البَقْل أي الخُضَر، ومن الخطأ الشائع قولُهم: «باقةٌ من الورد» بل الصحيح: «طاقةٌ من الورد».

٧١٥٩ ـ كلمة «كل» تفيد الاستغراق كما تفيد التوكيد، ولفظها مفرد ومعناها جمع لذلك يجوز الإخبار عنها بالمفرد حملاً على اللفظ كقوله تعالى في سورة الإسراء، الآية(٨٤): ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾، كما يجوز الإخبار عنها بالجمع حملاً على المعنى كقوله

تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

أمّا كلمة «بعض» فتفيد الطائفة من الشيء قلّتْ أو كثُرَتْ.

وإنّ «كل وبعض» كما تستعملان مجرّدتين عن الإضافة كذلك تستعملان مضافتين إلى معرفة أو نكرة. فمثالُ إضافة «كل» إلى المعرفة قولُه تعالى في سورة مريم: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾، ومثالُ إضافتها إلى النكرة قوله تعالى في سورة القمر: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾.

ومثالُ إضافة «بعض» إلى المعرفة قولُه تعالى في سورة الروم، الآية(٤١): ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾، وقولهُ في سورة الأنفال، الآية(٧٥): ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، ومثالُ إضافتها إلى النكرة قولُه في سورة البقرة، الآية(٢٥٩): ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

وأمّا دخول الألف واللام على «كل وبعض» فقد منعه بعض أئمة النحو وحجّتهُم في ذلك أنّهما لم يردا كذلك في القرآن الكريم، وأجازه آخروه بحجّة أنّ عدمَ ورود ذلك في القرآن لم يكن دليلاً على عدم جوازه، ولعلّ هذا القول هو الأرجح.

والألف واللام قد تأتي للتعريف ـ كما هو الغالب ـ وقد تأتي عوضاً عن المضاف إليه المحذوف، ومثال ذلك في كتاب الله كثير كقوله تعالى في سورة النازعات: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي: مأواه، وقوله في سورة إبراهيم، الآية(٤٤): ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ أي: رسلك، وقوله في سورة ص: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ

﴿ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠﴾ أي: أبوابها، فالألف واللام في هذه الكلمات لم تدخل للتعريف بل للتعويض عن المضاف إليه كما ذكر ذلك المفسرون.

٧١٦٠ ـ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحبُّ الطعام إلى الله ما كثُرت عليه الأيدي».

٧١٦١ ـ وردت كلمة «السماء» في القرآن الكريم عشراتُ المرّات مؤنّثة، ووردت مذكّرة في قوله تعالى في سورة المزمّل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾، وللعلماء في تعليل هذا التذكير وجوه وآراء كقول بعضهم: إنّ التذكير محمولٌ على تأويل أنّ السماء بمعنى السقف، وقولِ آخرين: إنّ التأنيث في المؤنّثات المجازيّة لم يكن لازماً فالتذكير فيها جائز.

٧١٦٢ ـ المعروف أنّ المرأة التي تُرضِع توصَف بأنها «مرضِع» ولكن ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة الحج، الآية(٢): ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾.

فجاءت الكلمةُ هنا مقرونةً بتاء التأنيث. والسبب في ذلك أن الآية تشير إلى أن المرأة لو كانت تباشر فعلاً بإرضاع ولدها لذُهلت عنه في ذلك اليوم. فالمرأة التي لها قابلية الإرضاع وإن لم تُرضعْ فعلاً يقال لها «مرضِع»، أما المرأةُ التي تباشر عمليّة الإرضاع بالفعل فيقال لها «مرضِعة».

٧١٦٣ ـ قال عروة بن حزام:

يكلّفني عمّي ثمانينَ ناقةً　　وما ليَ والرحمنِ غيرُ ثمانِ

٧١٦٤ ـ ورد ذكرُ «المسجد الأقصى» في القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الإسراء، الآية(١): ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

﴿مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، وورد ذكره في الحديث الشريف بقوله ﷺ المنسوب إليه: «لا تُشَدُّ الرِحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجِد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجِدِ الأقصى» مع أنّ الثابتَ تاريخياً أنّ المسجدَ الأقصى بناه الخليفةُ الأمويّ عبدُ الملك بنُ مروان بعد ستين سنة تقريباً من وفاة النبيّ ﷺ، فكيف الجمع بين هذينِ النصّيْنِ الكريميْن والحقيقةِ التاريخيةِ الثابتة؟ الجواب على ذلك: أنّ المراد من المسجد الأقصى في الآية والرواية هو مكان سجود النبيّ ﷺ في بيت المقدس حينما أُسْرِيَ به إليه من مكة المكرمة، وصلّى فيه إماماً بجماعةٍ من الأنبياء. وإليه أمر الله المسلمين أولاً بالتوجّه في صلواتهم قبل أمره لهم بالتوجّه إلى بيته الحرام في مكّة. ومعنى «الأقصى» هو الأبعد بالنسبة إلى المسجد الحرام.

وفي عهد الدولة الأموية أمر الخليفةُ عبدُ الملك بنُ مروان ببناء مسجدٍ في هذه البقعة المباركة التي سماها الله «المسجد الأقصى» لسجود رسول الله ﷺ فيها ليلةَ الإسراء والمِعراج.

٧١٦٥ ـ قال الشيخ نجيب الحداد في ذم القمار:

لكلّ نقيصةٍ في المرءِ عارُ	وشرُّ نقائص المرء القمارُ
هو الداءُ الذي لا بُرءَ منه	وليس لذنب صاحبه اغتفارُ
موائدُ لا يَوَدُّ المرءُ فيها	أخاه ولا يراعي الجارَ جارُ

ومن شعره السائر قوله:

مع السلامةِ يا من سار مرتحلاً
عنا وأهلاً وسهلاً بالذي قدِما

٧١٦٦ ـ قيل: كان أبو حنيفة يبسُط رجلَه في حلقة الدرس لأنّه لم يستطع أن يُثنيهَا إلا بصعوبة، فبينما هو في الدرس إذْ أقبل رجلٌ وقور فجلس مع تلاميذه، فما كان من أبي حنيفة إلا أن يَثنيَ رجلَه بصعوبةٍ احتراماً له، ثم أخذ في الدرس ـ وكان الموضوع يتعلّق بوقت صلاة الصبح ـ فذكر أنّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإذا بالرجل الوقور يقول: ما العمل إذا طلعت الشمس قبل الفجر؟ فبسّط أبو حنيفةَ رجلَه وقال له: العملُ أن يبسُطَ أبو حنيفةَ رجلَه ويحمُدَ اللهَ على ذلك.

٧١٦٧ ـ قال الشاعر:

قالوا النابليون ذات عشيّةٍ ... إذ كان يرقُبُ في السماءِ الأنجما:
هل بعد فتح الأرض من أمنيّةٍ؟ ... فأجاب: انظر كيف أفتتح السما

٧١٦٨ ـ قال أحمد شوقي في «الحظ»:

خلق الحظ جُماناً وحصى ... خالقُ الإنسانِ من ماءٍ وطينْ
فلأمرٍ مّا وسرّ غامض ... تَسْعَدُ النطفة أو يَشقى الجنينْ
فوليدٌ تسجد الدنيا له ... ووليدٌ في زوايا المهمَلينْ

وما أجمل قولَ الآخر:

لا تحسبوا أن حسنَ الخطِّ ينفعُني
ولا سماحةَ كفّيْ حاتِم الطائي
لكنّما أنا محتاجٌ لواحدةٍ
لنقل نقطة خاء الخط للطاءِ

٧١٦٩ ـ لمّا أرادوا قتلَ «سقراط» الفيلسوفِ اليوناني بكت عليه زوجتُه فقال لها سقراط: ما هذا البكاء؟ قالت: أبكي عليك لأنك تقتل مظلوماً، فقال لها: «أكنتِ تريدين أن أقتلَ بحق؟».

٧١٧٠ ـ قال الشيخ صالح الكواز:

مـا ضـاق دهـرُك إلا صـدرُكَ اتّـسـعـا
فـهـل طـرِبْـتَ لـوقـع الخـطـبِ مـذ وقـعـا
تـزداد بِـشـراً إذا زادتْ نـوائـبُـه
كـالـبـدرِ إنْ غـشِـيَـتْـهُ ظـلـمـةٌ سـطَـعـا

٧١٧١ ـ النوم حالةٌ ضروريّة للإنسان، ونعمةٌ كبرى من خالقه المنّان، يخلُد فيها إلى الراحة والاطمئنان، غير أنّ رجلاً أمريكيّاً اسمه «هيرين» عاش ٩٤ عاماً دون أن ينام، بل لم يجعل لنفسه في بيته سريراً للنوم. وكان عندما يحتاج جسمُه إلى الراحة يجلس على مقعدٍ قارئاً أو مفكّراً، وقد عكف الأطباء على دِراسة هذه الظاهرة العجيبة فعَجزوا عن تفسيرها، وعرضوا على الرجل أن يعالجوه لكي ينام فرفض العرض وقال لهم: إني راضٍ بحالتي. ومات «هيرين» دون أن يعرِفَ أحدٌ سِرَّ هذه الظاهرة العجيبة.

٧١٧٢ ـ من مواقف الأطفال الجريئة التي تدُلّ على شَجاعتهم الأدبيّة ما روي: أنّ عمرَ بن عبد العزيز لمّا جلس للخِلافة يستقبل وفود المهنئين، كان من بينهم وفد الحجازيّين، وقد تقدّم للكلام عنهم غلامٌ لم يبلغِ الحلُم فقال له عمر: ارجعْ أنت وليتقدم من هو أكبرُ منك سِنّاً، فقال الغلام: «أيّد الله أميرَ المؤمنين المرءُ بأصغريه: قلبِه ولسانِه. فإذا منح الله العبدَ لساناً لافِظاً، وقلباً حافِظاً، فقد استحقّ الكلام. ولو كان

الأمرُ بالسن يا أميرَ المؤمنين لكان في الأمّة من هو أحقُّ منك بمجلسك هذا». فتعجّب الخليفةُ من حسن بيانه وفصاحة لسانه وأذِن له بالكلام.

ومنها: ما روي: أنّ القحطَ أصاب الناس ولا سيما الأعراب في البادية في زمن هشام بن عبد الملك، فقدِم عليه وفدٌ منهم وفيهم غلامٌ اسمه «ورداس بن حبيب»، فلمّا نظر إليه هشام قال لحاجبه مغضَباً: ما يشاء أحدٌ يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان. فوثب ورداس وقال مخاطباً له: «يا أمير المؤمنين إنا أصابتنا سنونٌ ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نَقَتِ العظم - أي أخرجت مُخّه -، وفي أيديكم فُضولُ أموال، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده، وإن كانت للناس فعلام تحبِسونها عنهم، وإن كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم فإن الله يَجزي المتصدِّقين، ولا يُضيع أجرَ المحسنين». فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً. وأمر لأهل البادية بمائة ألف وأمر للغلام بمثلِها فأبى أن يقبلَها وقال: «ما لي حاجة في خاصّة نفسي دون عامّة قومي»، فتعجّب هشام من عقله وكماله وإبائه وذكائه.

٧١٧٣ - جاء رجل إلى الحجّاج يطلُب منه حاجة - وكان موصوفاً بالجهل - فقال في نفسه: لأختبرنّه، ثم قال له: عِصامِيٌّ أنت أم عِظامِيٌّ؟ يريد بذلك: هل أنت شرُفت بنفسك كعِصام بن شهير، أم أنت تفتخر بآبائك الذين صاروا عِظاماً بالية؟

فقال الرجل: أنا عِصاميّ وعِظاميّ، فظن الحجّاج أنّه أراد أن يفتخرَ بنفسه وبآبائه فقال: هذا أفضل الناس، وقضى حاجتَه. ثم صار يحدّثه مدّةً فوجده جاهلاً كما وُصف. فقال له: تصدُقُني وإلا قتلتُك، قال: قلْ ما بدا لك وأصدُقْك. قال الحجّاج: كيف أجبتَني بما أجبت

لمّا سألتُك عما سألتُك؟ فقال الرجل: واللهِ لم أعلم من هو العِصامي ومن هو العِظامي فخشيت أن أقولَ أحدَهما فأخطِىء، فقلتُ: أقول كليهما فإن ضرّني أحدُهما نفعني الآخر. فقال الحجاج: «المقادير تصيّر العييّ خطيباً» فذهب قوله هذا مثلاً.

٧١٧٤ ـ قال أحد الشعراء يصف قوّة تأثير المال في جذب القلوب:

رأيت شاةً وذئباً وهي ماسكةٌ
بأذْنه وهو منقادٌ لها ساري
فقلتُ: أعجوبةٌ، ثم التفتُ أرى
ما بين نابيْهِ ملقًى نصفُ دينارِ
وقلتُ للشاة: ماذا الإلفُ بينكما
والذئبُ يسطو بأنيابٍ وأظفارِ
تبسمتْ ثم قالتْ وهْيَ ضاحكةٌ
بالمال يُكسَرُ ذاكَ الضيغمُ الضّارِي

٧١٧٥ ـ قال الشاعر:

وكنتَ إذا أرسلتَ طرفك رائداً لقلبكَ يوماً أتعبتْكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضِه أنتَ صابرُ

٧١٧٦ ـ قال ابن الرومي يذُمّ بغداد:

أطال الله في بغداد همّي
وقد يشقى المسافرُ أو يفوزُ
ظللْتُ بها على كرهٍ مقيماً
كعِنّينٍ تعانقه عجوزُ

٧١٧٧ ـ قيل: إن قَسّيساً أمريكياً اسمه «جون براون» مات. وفي نفس الوقت سافر رجل آخر من أهل بلدته اسمه «فلوريدا». وبعد وصوله إلى مقصده أبرق إلى زوجته مطمّناً لها عن سلامته، ولكن البرقيّة وصلت خطأً إلى زوجة القسيس المتوفى التي فتحتها فإذا هي تقرأ العبارة الآتية: «وصلتُ سالماً ولكنّ الحرّ لا يُطاق».

٧١٧٨ ـ قال ابن الرومي:

أعيى الهوى كلّ ذي عقلٍ فلستَ ترى
إلا صحيحاً له حالاتُ مجنونِ

٧١٧٩ ـ ذكر ابن بدرون الحضرمي في شرحه للقصيدة المعروفة بالبسامة لابن عبدون المصري: أنّ من جملة الأسباب التي حملت الرشيد على التنكيل بالبرامكة هو: أنّ الرشيدَ كان يحبّ جعفر بنَ يحيى البرمكي حبّاً عظيماً بحيثُ لا يستطيع مفارقتَه لذكائه وجماله. وكانت «العبّاسةُ» أختُ الرشيد تمتاز أيضاً بالذكاء والجمال، وكان لا يستطيع مفارقتَها، فطلَب يوماً من جعفر أن يزوّجه أخته العباسة حتى يمكن اجتماعهما معاً عنده ففعل ذلك ولكنه حذّر جعفراً من أن يفعل معها شيئاً مما يفعله الرجال بنسائهن. فكان جعفر لا ينظر إلى العباسة خوفاً من الرشيد، وكانت هي تنظر إليه سرّاً فشُغِفتْ به وعشِقتْه، فبعثت إليه تراوده عن نفسه فامتنع خوفاً من الرشيد.

وكانت أم جعفر تهيّئ لولدها جارية بِكراً في كل أسبوع، فأرسلت إليها العباسة وقالت لها: إن لم تدخليني على جعفر ـ بعنوان أني إحدى الجواري ـ لأخبرنّ أخي الرشيد بأن جعفراً راودني عن نفسي ويكون ذلك سببَ هلاككم، ففعلت أم جعفر وأدخلتها عليه وهو لا يعلم أنها «العبّاسة» بل حسِبها إحدى جواريه. فلمّا وطأها قالت له:

كيف ترى كيْدَ بنات الملوك فعلِم بها وقال لها: واللهِ هلكت. ثم إنها حملت منه ووضعتْ ولداً ذكراً فأخفتْه عن أخيها وأرسلتْ به مع حاضنةٍ له إلى مكّة. غير أنّ أحدَ الوشاة أخبر الرشيد بذلك فغضِب غضباً شديداً على جعفر ولكنّه كتم غضبهُ ليتأكّدَ بنفسه من الأمر، فسافر إلى مكّة للحج، فلمّا علِمت الحاضنة بوصوله ذهبت بالولد إلى اليمن، ولكنّ الرشيد تيقّن الخبر، فلما عاد إلى عاصمة ملكه بعث على أحد خواص خدمه وحجّابه وقال له: إني آمركَ بأمرٍ فهل أنت منفّذٌ أمري على أي جهة كان؟ قال: نعم ولو أمرتّني بقتل نفسي، قال: فامض الساعة فأتِني برأس جعفر ولا تأتِني به حيّاً.

فبُهت الخادم لعلمه بمكان جعفر عنده، فذهب يقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى حتى هجم على جعفر فأخبره بأمر الخليفة فتوسّل إليه أن يذهبَ به إليه حيّاً ففعل، فلمّا أحسّ الخليفة بوقع أقدامِ رجليْن صاح صيحة شديدة: لئن جئتّني به حيّاً لأقتلنّك فما كان من الخادم إلا أن يضربَ عنقَ جعفر ويأتي برأسه إليه، فلمّا نظر إليه أطرق برأسه ساعة ثم طلَب رجلين من رجاله وقال لهما: اضربا رأسَ هذا الخادم فإني لا أستطيع النظرَ إلى قاتل جعفر فضربا رأسَه.

ثم إنّ الرشيدَ قبض على أبيه يحيى وبقيّةِ البرامكة وصادر أموالَهم وخرّب دورَهم. وفي هذا عبرةٌ لمنِ اعتبر.

٧١٨٠ ـ مما قلتُه في ذمّ جماعةٍ من أهل هذا الزمان:

وزهّدني في القوم معرفتي بهم	وطولُ اختباري واحداً بعد واحِد
فلم أرَ إلا شامتاً وابنَ شامتٍ	ولم ألقَ إلا حاقداً وابنَ حاقدِ
أعوذ بربّ الناس من شرّ ظالمٍ	ومن شرّ شيطانٍ ومن شرّ حاسدِ

٧١٨١ ـ قيل: إنّ أطولَ رسالةٍ شخصيّةٍ هي التي كتبتها «جاكلين جونز» من ولاية «تكساس» الأمريكيّة سنة ١٩٨٦م وأرسلَتْها إلى شقيقتها في ولاية «مين» الأمريكيّة، وقد استغرقت كتابتُها ثمانية أشهر، واشتملت على ١,١١٣,٧٤٧ كلمة، وهي تعادل كتاباً كبيراً مؤلّفاً من ألفيْ صفحة.

٧١٨٢ ـ قال الشاعر:

إذا المرء أولاك الهوان فأولهِ هواناً وإن كانت قريباً أواصِرُهْ

٧١٨٣ ـ قيل: إنّ أولَ من كسا الكعبةَ المشرّفة بالقماش هو الملكُ اليمني «تُبّع»، وقد كانت تُكسى من قبله في كلّ عام بالحصير وخوص النخيل. ومن ذلك الوقت صار البيتُ الحرام يُكسى بستارٍ من القماش في احتفالٍ رسميّ في موسم الحجّ من كلّ عام.

٧١٨٤ ـ الرادار: جهازٌ يُطلِقُ موجاتٍ خاصّة إلى الفضاء، فإذا ما ارتطمت هذه الموجات بجسم معدني طائر فإنها ترتدّ إلى الجهاز بشكل بقعةٍ ضوئيّةٍ تظهر على شاشة الرادار. وكذلك يمكن معرفة مكانِ ذلك الجسم واتجاهه وبُعدِه عن الأرض. وقد أدّى هذا الجهازُ خدماتٍ كبيرةٍ لحركة النقل الجوّي. كما أنّ دورَه في المجالات العسكريّة أكبرُ وأخطر حيثُ يستطيع تنبيهَ القوّات العسكريّة إلى حدوثِ غاراتٍ جويّة، أو اختراقِ طائرةٍ للأجواء الوطنيّة. أمّا مخترع الرادار فهو العالم الإنكليزي «روبرت واطسن واط» وقد اهتدى إلى اختراعه بعد ملاحظة «الخفّاش» الذي لا يكاد يبصر ولكنّه يتفادى في طريقهِ الاصطدامَ بالأجسام التي تعترض طريقه، وبعد دراسةِ هذه الظاهرة تبيّن للعلماء أنّ الخفّاشَ يُصدر عند طيرانه موجاتٍ صوتيّة خاصة فإذا ارتطمت هذه

الموجات بجسمٍ من الأجسام فإنها ترتدّ إلى أذنه فيغيّر طريقَه. وعلى ضوء هذه الظاهرة اهتدى الإنسان إلى اختراع «الرادار».

٧١٨٥ ـ معنى قولهم في التهنئة بالزواج: «بالرفاه والبنين» هو: «الاتّفاقُ والتفاهمُ مع الأولاد الذكور». ومعنى «أم كلثوم» ـ وهو اسم إحدى بنات رسول الله ﷺ وإحدى بنات أمير المؤمنين عليه السلام ـ هو: «ذات الوجه الممتلئ».

٧١٨٦ ـ قال أبو تمام حول الاعتقاد بتأثير الكواكب على حياة الناس:

والعلم في شهُب الأرماح لامعةً
بين الخميسين لا في السبعة الشُهُبِ[1]
أين الرواية بل أين النجوم وما
صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذِبِ
وصيّروا الأبرجَ العليا مرتبةً
ما كان منقلباً أو غيرَ منقلبِ
يقضون بالأمر عنها وهي غافلةٌ
ما دار في فلَكٍ منها وفي قُطُبِ

٧١٨٧ ـ روي عن الصقر بن أبي دلف قال: قلت للإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام: سيدي حديثٌ يُروى عن النبيّ ﷺ لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ قلت: قوله: «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم» ما معناه؟ فقال عليه السلام: «نعم الأيّام نحن ما قامت السموات والأرض، فالسبتُ: رسولُ الله ﷺ، والأحدُ: أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين:

---

(١) بين الخميسين: بين الجيشين.

الحسنُ والحسينُ عليهما السلام، والثّلاثاءُ: عليُّ بنُ الحسين ومحمّد بنُ عليّ وجعفرُ بنُ محمّد عليهم السلام، والأربعاءُ: موسى بنُ جعفر وعليُّ بنُ موسى ومحمّدُ بنُ عليّ وأنا، والخميسُ: ابني الحسن عليه السلام، والجُمعةُ: ابن ابني وإليه تجتمع عُصابةُ الحقّ. فهذا معنى الأيّام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة».

٧١٨٨ ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من أكل من حلال القوت صفا قلبه ورقّ، ودمعت عيناه، ولم يكن لدعوته حِجاب».

٧١٨٩ ـ كان السيدُ ابنُ طاووس قدس سره إذا زار الحجّة المهدي عليه السلام قال بعدها مشيراً إليه صلوات الله عليه بهذا البيت:

نزيلُكَ حيثُ ما اتجهتْ رِكابي وضيفُكَ حيثُ كنتُ من البلادِ

٧١٩٠ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ، فلا طاعة في معصية، ولا طاعة لمن عصى الله، وإنّما الطاعةُ لله ولرسوله ولولاة أمره. وإنّما أمر الله عزّ وجل بطاعة الرسول لأنّه معصومٌ مطهّر لا يأمر بمعصية الله، وإنّما أمر بطاعة أولي الأمر لأنّهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية الله».

٧١٩١ ـ روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «ألا لا خيرَ في علمٍ ليس فيه تفهّم، ألا لا خيرَ في قِراءةٍ ليس فيها تدبّر، ألا لا خيرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقّه».

٧١٩٢ ـ روى الشيخ الطوسي في «التهذيب» بسنده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ من السبع؟ قال: «نعم هي أفضلُهنّ».

٧١٩٣ ـ جاء في «مجمع البيان» بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أعطي من الأجر كأنّما قرأ ثلثي القرآن ـ وفي رواية أخرى كأنّما قرأ القرآن ـ وأعطي من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمنٍ ومؤمنة».

٧١٩٤ ـ جاء في «مستدرك الوسائل»: أن رسول الله ﷺ سُئِل: القرآن أفضل أم التوراة؟ فقال: «إنّ في القرآن آية هي أفضلُ من جميع كتب الله، وهي آيةُ الكرسي». وجاء في «مجمع البيان» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: «أنّ لكل شيء ذروة وذِروةُ القرآن آيةُ الكرسي».

٧١٩٥ ـ جاء في «جامع الجوامع» للطبرسي بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «أُنزلت عليّ سورةُ الأنعام جملةً واحدة يشيّعها سبعون ألفَ ملك، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد، فمن قرأها صلّى عليه أولئك السبعون ألفَ ملَك بعددِ كلِّ آيةٍ من الأنعام يوماً وليلة». وجاء في «ثواب الأعمال» لابن بابويه القمي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نزلت سورةُ الأنعام جملةً واحدة شيّعها سبعون ألفَ ملَك حتى نزلت على محمّدٍ ﷺ فعظّموها وبجّلوها، فإنّ اسمَ الله فيها في سبعينَ موضعاً، ولو علِم الناسُ ما فيها ما تركوها».

٧١٩٦ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «النظرُ إلى عليّ بنِ أبي طالب عبادة، والنظرُ إلى الوالديْنِ برأفةٍ ورحمةٍ عبادة، والنظرُ إلى المُصحفِ عبادة، والنظرُ إلى الكعبةِ عبادة».

٧١٩٧ ـ جاء في «الكافي» بسنده عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك إني أحفظ القرآن على ظهر قلبي، فأقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المُصحف؟ فقال لي:

بل اقرأ وانظر في المِصحَف فهو أفضل، أما علِمت أنّ النظرَ في المِصحف عبادة؟». وجاء في «ثواب الأعمال» بسنده عنهعليه السلام أنه قال: «من قرأ في المصحف نظراً مُتّع ببصره، وخُفّف عن والديْه، وإنْ كانا كافريْن».

٧١٩٨ ـ جاء في «أمالي السيد المرتضى» بسنده عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظنّ أنّ أحداً أعطي أفضلَ مِمّا أعطِي، لأنّه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآنُ أفضلَ مِمّا ملك».

٧١٩٩ ـ روي عن الإمام الحسينعليه السلام أنه قال: «نزل كتابُ الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق. فالعبارةُ للعوام، والإشارةُ للخواص، واللطائفُ للأولياء، والحقائقُ للأنبياء».

وروي عنهعليه السلام أنه قال: «القرآنُ ظاهرهُ أنيق، وباطنُه عميق».

٧٢٠٠ ـ جاء في «مستدرك الوسائل» بسنده عن عبد الملك بنِ أبي ذر قال: لقيني أميرُ المؤمنينعليه السلام يوم مزّق عثمانُ المصاحفَ فقال: «ادعُ لي أباك» فجاء أبي إليه مسرعاً فقال لهعليه السلام: «يا أبا ذر أتى اليومَ في الإسلام أمرٌ عظيم، مُزّق كتابُ الله ووضع فيه الحديد، وحقٌّ على الله أن يسلّطَ الحديدَ على من مزّق كتابَ الله بالحديد».

٧٢٠١ ـ روي عن أمير المؤمنينعليه السلام أنه قال: «البيتُ الذي يُقرأ فيه القرآن ويُذكر اللهُ عزّ وجل فيه تكثرُ بركتُه، وتحضره الملائكة، وتهجُره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكبُ لأهل

الأرض. وإنّ البيتَ الذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله عزّ وجل فيه تقِلّ بركتُه، وتهجُره الملائكة، وتحضُره الشياطين».

٧٢٠٢ ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أوحى الله إلى نبيٍّ من الأنبياء: قلْ للمؤمنين لا تلبَسوا لباسَ أعدائي، ولا تَطعَموا مطاعمَ أعدائي، ولا تسلُكوا مسالكَ أعدائي فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي».

٧٢٠٣ ـ روي: أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان مطيعاً لله عزّ وجل ثم صار يعصيه، فقال يوماً في دعائه: «يا رب كم أعصيك ولم تعاقبني؟» فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزمان: «قل لعبدي فلان كم عاقبتُك ولا تدري ألم أسلُبك حلاوة مناجاتي؟».

٧٢٠٤ ـ قيل: إنّ أصعبَ الأشياء على الإنسان، والتي تحتاج إلى جهادٍ شاق وعملٍ دؤوب وصبرٍ عظيم هي ستّةُ أمور:

الأوّل: أن يعرِفَ نفسَه.

الثاني: أن يعرِفَ عيبَه.

الثالث: أن يكتُمَ سِرَّه.

الرابع: أن يهجُرَ هواه.

الخامس: أن يخالِفَ شهوتَه.

السادس: أن يمسِكَ عن القول فيما لا يَعنيه.

٧٢٠٥ ـ وقعت حادثة غريبة في «السيرك القومي في القاهرة» وقد رآها عددٌ كبيرٌ من المشاهدين وملخّصها: أنّ الأسدَ الموجود في

السيرك هجم على مدرّبه «محمد الحلو» من خلفه وأنشب مخالِبَه في كَتِفِه حتى قتله. ثم ندِم الأسدُ على ما فعل فأضرب عن الطعام، وحبس نفسَه في زِنزانته لا يبرحُها. ثم نقلوه إلى حديقة الحيوانات ووضعوه في عرينه، وجاؤوا له بأنثى لتسليته والترفيه عنه فضربها وطردها من العَرين، وبقي مضرِباً عن الطعام وملازماً للحزن، وفي لحظةٍ من لحظات غضبه ونقمته على نفسه انقضّ على يده التي اعتدى بها على مدرّبه وصار يمزّقها بأسنانه حتى نزِف دمُه ومات!!.

٧٢٠٦ ـ قد يُطلِق العربيُ قديماً وحديثاً على الشيء الجميل اسماً قبيحاً دفعاً للعيْن كما كانوا يقولون: «مُهْرة شوهاء» وهي جميلة، ويقولون: «غرابٌ أعور» وهو حادّ البصر. قال أبو حاتم السجستاني: «لا أظنهم قالوا للجميلة «شوهاء» إلا مخافة أن تصيبَها عيْن، كما قالوا للغراب «أعور» لحِدّة بصره». ومن ذلك أيضاً تسمية أم الخليفة المعتز «قبيحة» مع أنها كانت فائقةً في الجمال على ما يُقال.

٧٢٠٧ ـ وجّه عضدُ الدولة أحدَ العلماء المعاصرين له واسمه «أبو بكر الباقِلاّني» سفيراً إلى ملك الروم، وهناك التقى بكبير مطارنتهم فقال له محيّياً: كيف الأهل والأولاد يا أيّها المِطرَان؟ فقال المِطْران وقد بدا الغضب على وجهه: زعَم من أرسلك أنك عالمٌ ذكيّ، ألم تعلمْ أنّ المطارنةَ منزّهون عن الأهل والأولاد؟

فقال الباقِلاّني: ولكنّا رأيناكم لا تنزّهون الله سبحانه عن الأهل والأولاد، فهل المطارنةُ عندكم أقدسُ وأجلُّ من الله؟؟ فلم يستطع المطْران الجواب، ولكنّه انتقل إلى سؤال آخر فقال للباقِلاّني: أخبرني عن زوجة نبيّكم «عائشة» وما قيل فيها؟ فقال الباقلاني: هما اثنتان زوجة نبيّنا محمدﷺ وأم نبيّكم عيسىعليه السلام. فأمّا زوجةُ نبيّنا فلم تلدْ،

وأمّا أم نبيكم فأتت به قومَها تحمِلُه، وقد برّأهما الله مما قيل فيهما، فأفحم المطْران وباء بالفشل والخُسران.

٧٢٠٨ ـ قال ابن الأثير في تاريخه «الكامل» عن غزو «التتر» لبلاد المسلمين سنة ٦١٦هـ: «سمِعتُ أنّ رجلاً من التتر دخل درباً فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحداً واحداً حتى أفناهم ولم يمُدَّ أحدٌ يدَه إليه بسوء، ووُضعتِ الذِلّة على الناس فلا يدفعون عن أنفسهم قليلاً ولا كثيراً.. نعوذ بالله من الخذلان».

٧٢٠٩ ـ كان مقياسُ القوّة والفتوّة والشِدّة عند الناس ولا يزال هو: أنْ يتغلّبَ الرجلُ على غيره فيصرعَه، أو يتمكّنَ من حمل الأثقال، أو يسبِقَ غيره في بعض الأعمال، فجاء الإسلام فغيّر هذا المقياس كما غيّر سواه من المقاييس، فيقول الرسول الكريمﷺ: «ليس الشديدُ بالصُّرْعة» أي: ليس القويّ هو الذي يصرع غيرَه، فقالوا: وما الشديد يا رسول الله؟ قالﷺ: «الذي يملِكُ نفسَه عند الغضب».

ويمرّ بقومٍ يصطرعون فقال: ما هذا؟ فقالوا: يا رسول الله هذا الصِرّيع لا ينتدبُ إليه أحدٌ إلا صرعه، فقال: «ألا أدلّكم على من هو أشدُّ منه؟ رجلٌ ظلمه رجلٌ فكظَم غيظَه فغلَبه وغلَب شيطانَه، وغلَب شيطانَ صاحبه». ويمرّﷺ على قومٍ يرفعون حجراً ثقيلاً فيقول لهم: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله هذا حجر كنّا نسميه في الجاهلية حجرُ الأشدّاء، فقالﷺ: «ألا أدلّكم على أشدّكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «أملكُكُمْ لنفسه عند الغضب». وهكذا يقرّرﷺ بأقواله وأفعاله موازينَ الحق ومقاييسَ العدْل، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾[1].

---

(١) سورة الطارق، الآية(١٣ ـ ١٤).

٧٢١٠ ـ كان القدماء إذا أرادوا كتابة رسالة سِرّية استعملوا طرقاً مختلفة.

منها: أنّهم يكتبونها بالحليب فلا يظهر له أثر، فإذا ذرّ المرسَل إليه عليه رَماداً ساخناً من رَماد القرطاس المحروق ظهرتِ الكتابةُ في الحال.

ومنها: أنّهم يكتبونها بمرارة السلحفاة فلا تُقرأ الكتابةُ نهاراً، ولكنّها تُقرأ ليلاً بكلّ وضوح.

ومنها: ما روي عن بعض المغاربة أنّه كتب رسالةً إلى أحد الملوك في رقعةٍ بيضاء إن قُرئت في ضوء السراج كان لونُها فِضّياً، وإن قُرئت في ضوء الشمس كان لونُها ذهبياً، وإنْ قُرئت في الظل كان لونُها أسود.

٧٢١١ ـ قال نجم الدين التفليسي:

شرُّ مالٍ حزتَه ذاك الذي جُزتَ حدّ العلم في استحقاقهِ
اكتسبتَ الإثمَ في تحصيلهِ وحُرِمتَ الأجرَ في إنفاقهِ

٧٢١٢ ـ قال ابن الرومي:

شكوىً لَوَ أنّي أشكوها إلى جبلٍ
أصمّ ممتنِعِ الأركان لانفلقا

وقال المتنبي في هذا المعنى:

ولو حملتْ صُمُّ[1] الجبال الذي بنا
غداةَ افترقنا أوشكتْ تتصدّعُ

(١) صُم: جمع أصم وهو الصلب المتين.

وقال أبو تمام:

لــو حــاد مــرتــادُ الــمــنــيّــة لــم يــجــدِ

إلا الــفــراقَ عــلى الــنــفــوس دليلا

وقال المتنبي في هذا المعنى:

لــولا مــفــارقــةُ الأحــبــاب مــا وجــدتْ

لــهــا المنــايــا إلى أرواحــنــا سُــبُــلا

وقال دعبل الخزاعي:

لا تــأخــذوا بــظُــلامــتــي أحــداً

قــلــبــي وطــرفــي فــي دمــي اشــتــركــا

وقال المتنبي في هذا المعنى:

وأنــا الــذي اجــتــلــب الــمــنــيّــةَ طــرفُــه

فــمــن المطــالَــبُ والــقــتــيــلُ الــقــاتــلُ

وقال أرسطاطاليس: «إذا كانت الشهوةُ فوقَ القدرة كان هلاكُ الجسم دون بلوغها».

وقال المتنبي في هذا المعنى:

وإذا كــانــت الــنــفــوسُ كــبــاراً تــعِــبَــتْ فــي مــرادِهــا الأجــســامُ

٧٢١٣ ـ قال النابغة الجعدي:

الــمــرء يــأمُــلُ أن يــعــيــشَ وطــولُ عــيــشٍ قــد يــضُــرُّهْ

تــفــنــى بــشــاشــتُــه ويــبــقــى بــعــد حُــلــو الــعــيــشِ مــرُّهْ

وتــخــونــه الأيــام حــتــى لا يــرى شــيــئــاً يُــســرُّهْ

كــم شــامــتٍ بــيَ إن هــلــكــتُ، وقــائــلٍ لله دَرُّهْ

٧٢١٤ ـ قيل: إنّ الطاغيةَ المغولي «تيمورلنك» التقى يوماً بأحد العلماء الصالحين وقال له إني أحب أسماء الخلفاء السابقين التي تُختم باسم الله كالواثق بالله، والمتوكّل على الله، وأريد أن تختارَ لي اسماً شبيهاً بهذه الأسماء، فقال له الرجل الصالح: اختار لك اسماً يليق بك وهو «نعوذ بالله»، فضحك تيمور وانصرف عنه.

٧٢١٥ ـ أورد القاسم بن علي الحريري في المقامة السادسة والأربعين من مقاماته الحلبيّة بيتين من الشعر من «صناعة المعكوس» وقال عنهما: «إنهما أسكتا كلَّ نافث، وأمِنا أن يُعزّزا بثالث» وهما:

سِمْ سِمَةً تحسُنُ آثارُها واشكرْ لِمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمكرُ مهما اسطعتَ لا تأتِه لتقتني السُّؤددَ والمكرُمَهْ

فجاء من بعده الحسن بن محمد الصغاني فلم يكتف بأن يعزّزهما بثالث بل عزّزهما بثلاثين بيتاً، وشرحها شرحاً لُغويّاً موجزاً وسماها «تعزيز بيتي الحريري»، وهي أثر أدبيّ رائع دلّ على مقدرة الصغاني الفائقة في اللغة والشعر، ومطلع هذه الأبيات قوله:

والأمَهُ المُزري بأهل الحِجى تَعافُه حرّتُنا والأمَهْ

والمراد بالأمه في أول البيت: النسيان، ومنه قول الشاعر:

أمِهتُ وكنتُ لا أنسى حديثاً كذاك الدهر يودي بالعقولِ

٧٢١٦ ـ تُعتبر رائعةُ الشيخ الرئيس «ابن سينا» في النفس من غرر الشعر العربي في مثل هذه المواضيع العلميّة والفلسفيّة، والتي ابتدأها بقوله:

هبطتْ إليكَ من المحلّ الأرفعِ ورقاءُ ذاتُ تعَزّزٍ وتمنّعِ
محجوبةٌ عن كل مُقلة ناظرٍ وهي التي سفرتْ ولم تتبرقَعِ

وقد فُتن بجمالها العلماء والأدباء في كل عصر ومكان، وشرحها عددٌ من المحققين كالسيد نعمة الله الجزائري في كتابه «شرح عينيّة ابن سينا» طبع طهران سنة ١٩٥٤م، والدكتور فتح الله خلف في كتابه «ابن سينا ومذهبه في النفس» طبع بيروت سنة ١٩٧٤م وغيرهما من رجال العلم والفكر. ولمّا كان ابن سينا قِمّةً سامقةً في جميع العلوم والمعارف والآداب، وترك ثروةً علميّةً كان لها أثرٌ واضحٌ في تطوير الحضارة الإسلاميّة والإنسانيّة كان جديراً بأن يقولَ عن نفسه في أبياته الجميلة:

بـأيِّ مـأثـرةٍ يـنـقـاس بـي أحـدٌ
بـأيِّ مـكـرُمَـةٍ تحـكـيني الأُمـمُ
أمّـا الـبلاغـة فـاسألْ بِي الخـبـيرَ بـهـا
إن الـلـسـانَ قـويـمٌ والـزمـانَ فـمُ
كـانـت قـنـاةُ عـلـوم الـديـن عـاطـلـةً
حـتى جلاهـا بـشـرحي الـفـهـمُ والـقَـلـمُ

٧٢١٧ ـ قال الحارث بن ظالم في بني لؤي بن غالب:

إذا غـضِـبَـتْ عـلـيك بـنـو لـؤيٍّ حـسِـبْـتَ الـنـاسَ كـلَّـهـم غِـضـابـا

وقال جرير من بعده في بني تميم:

إذا غـضِـبَـتْ عـلـيك بـنـو تـمـيـمٍ حـسِـبْـتَ الـنـاسَ كـلَّـهـم غِـضـابـا

٧٢١٨ ـ قال أحمد شوقي:

خَـلِّ اهـتِـمـامـك نـاحـيـةً وخـذِ الـحـيـاةَ كـمـا هـيـهْ

٧٢١٩ ـ جاء في الأمثال العربية: «لا تَهرِف قبل أن تَعرِف» ومعناه: لا تبالغ في مدح أحدٍ قبل أن تعرفَه. والمهروف: هو المبالغ في مدحه.

٧٢٢٠ ـ روي: أنّ العاصَ بنَ منبّه بن الحجّاج السهمي خرج مع أبيه لقتال النبيّ ﷺ يوم بدر، وكان عنده سيفٌ مشهور يسمى «ذو الفِقار»، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ منه سيفَه ودفعه إلى رسول الله ﷺ، فدفعه رسولُ الله إليه. وهناك روايات أخرى حول مصدر هذا السيف ولعلّنا نتعرّض لها في غضون هذا الكتاب.

٧٢٢١ ـ دخل أبو طلق عدي بن حنظلة الشاعر على زوجته وهي تحُفُّ وجهَها بخيطِ كِتّان فقال لها:

استعيني بقطرةٍ من جمالٍ
هي خيرٌ من كل ما تصنعينا
هو أدنى للحسن من أن تَخُفّي
بخيوط الكِتّان منكِ الجبينا

٧٢٢٢ ـ بلاد «تُبّت» تقع بين الصين والهند، وهي على وزن «تُبّع وسُكّر» ـ بضم الأول وفتح الثاني مع تشديده ـ وما شاع من كسر الأول وكسر الثاني أو تسكينه فهو خطأ. وفي تُبّت تكثر الظِباء التي يستخرجون منها «المسك» قال ظهير الدين البارزي:

بالحيةَ الحِب التي زال بها تثبّتي
هل أنتِ فوق خدّه الوردي مسكُ تُبّتِ

وقال أبو نصر العتبي:

شكرتُكَ طول الدهر غيرُ مقابلٍ
نَدًى لك بل جرياً على طول مِنّتي
ومن لكَ بالظبي المراد لِمسكه
بلا سُنبُلٍ يرعاه في أرض تُبّتِ

وقال الجاحظ وغيره: إن من خصائص هذه البلاد أن المقيم بها يغلِبُه سرورٌ لا يُعلم سببهُ، ويعتريه ابتسامٌ لا يُدرك سرُّه. بل قال الجاحظ في كتابه «الحيوان»: «ألا ترى أنهم يزعُمون أن من دخل أرض تُبّت لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير عجب حتى يخرجَ منها».

وقد أشار إلى أهل تُبّت دعبل الخزاعي في قصيدته التي يفتخر بها بقحطان بقوله:

وهم كتبوا الكتاب بباب مروٍ ... وباب الصين كانوا الكاتبينا

وهم سمّوا سمرقنداً قديماً ... وهم غرسوا هناك التُّبّتِينا

ويقصد بالتُّبّتِين «التُّبّتيين» بحذف الياء كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ أي «الأعجميِّين».

وقد يُطلَقُ على أهل تُبّت اسم بلدهم «تُبّت» كما قد يُطلق على أهل كابُل اسم بلدهم «كابُل» كما قال الأعشى:

ولقد شربنا الخمر تركض حولنا تركٌ وكابل أي «كابليّون» أو «أهل كابُل».

وقد جاء ذكر هذه البلاد في كثيرٍ من كتب اللغة والتاريخ ومعاجم البلدانِ قال الحميري في «شمس العلوم»: «التُبّت اسم بلادٍ يُجلب منها المسك، وهي دون الصين، فيها قومٌ من قبائل اليمن زيُّهم زيُّ العرب، ولهم ملِك منهم قائم بنفسه». وقال الفيروزآبادي في «القاموس المحيط»: «تُبّت كسُكّر: بلاد بالمشرق، يُنسب إليها المسكُ الأذفر».

٧٢٢٣ ـ كان أبو الفتح البُستي آيةً في عصره في علم البديع، ولا سيما في باب «الجِناس» الذي نظم فيه الشعرَ الرائع. قال الثعالبي

في «يتيمة الدهر»: «سمعت أبا الفتح يقول: لمّا أنشدني شُعبة ـ وهو ابن عبد الملك البُستي ـ قوله:

فديتُ من زارني على حذَرٍ ... من الأعادي وقلبُه يجبُ[1]

فلو خلعتُ الدنيا عليه لمَا ... قضيتُ من حقه الذي يجبُ

استحسنتُه وأنا إذْ ذاك في زمان الصِبا، فأخذت نفسي بسلوك طريقته في المتشابه ـ وهو نوع من أنواع الجناس ـ حتى قلتُ ما قلت».

ولقد أشاد العلماء والأدباء بأدب الرجل وبلاغته وجمال شعره ونثره حتى قالوا فيه: «إنه يغرف في الأدب من البحر، وكأنّما يُوحى إليه في النظم والنثر». وقال فيه وفي مدينته «بُسْت» عمران بن موسى الطولقي:

إذا قيل: أيُّ الأرض في الناس زينةٌ

أجبْنا وقلْنا: أبهجُ الأرض بُسْتُها

فلَوْ أنّني أدركتُ يوماً عميدَها

لزِمتُ يدَ البُستيّ دهراً وبُسْتُها

ومن شعر أبي الفتح البُستي قولُه وهو يتحدث عن نفسه:

يقولون: كم تشقى بدرسٍ تُديمُه

وتُمْعِنُ فيه دائباً كلَّ إمعانِ

فقلتُ: ذَروني إنّما أنا كادحٌ

لأكمِلَ ذاتي أو لأجبُرَ نُقصاني

(١) قلبه يجب: يخفق.

إذا لم يكن نقصانُ عمري زيادةً
لعلمي فإني والبهيمةُ سِيّانِ

ومن شعره في الجناس المتشابه:

إذا مَلِكٌ لم يكنْ ذا هِبَهْ فدعْه فدولتُه ذاهِبَهْ

ومن شعره في الجناس المفروق:

كلُّكُمْ قد أخذ الجامَ ولا جامَ[1] لنا
ما الذي ضرَّ مديرَ الجامِ لو جاملنا

ومن شعره:

العمرُ ما عمَّرْتَ في ظل السرور مع الأحِبَّهْ
فمتى نأيتَ عن الأحبّة لم يساو العمرُ حَبَّهْ

ومن شعره:

يا مغرَماً بوِصال عيشٍ ناعمٍ
ستُصَدُّ عنهُ طائعاً أوكارها
إن الحوادث تُزعج الآسادَ عن
ساحاتها والطيرَ عن أوكارها

ومن شعره:

إذا تحدَّثتَ في قومٍ لِتُؤنسَهمْ
بما تحدّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعِدْ لحديثٍ إنّ طبعَهُمْ
موكَّلٌ بمعاداة المعاداتِ

---

(١) الجام: كأس الخمر.

ومن شعره:

يرومُ مُساماتي ومن دونها السَّما وكيف يباريني سُموّاً وبي سَما

٧٢٢٤ ـ يقال لملوك اليمن: «التبابعة»، ولملوك الترك: «الخاقانية»، ولملوك الديلم: «الكيسانية»، ولملوك الأنباط: «النماردة»، ولملوك الأقباط: «الفراعنة»، ولملوك الروم: «القياصرة»، ولملوك الفرس: «الأكاسرة».

٧٢٢٥ ـ قال أبو الطب «أبقراط» اليوناني: «يُداوى كلُّ مريض بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلّعُ لهوائها، وتنزِعُ[1] إلى غذائها».

٧٢٢٦ ـ قال ابن شرف القيرواني صاحب كتاب «رسائل الانتقاد» وهو غير معاصره ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب «العمدة»:

قل لمن لا يرى الأواخرَ شيئاً ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديمَ كان جديداً وسيغدو هذا الجديدُ قديما

٧٢٢٧ ـ قال أبو عبد الله المالقي القرطبي، ويعضهم ينسب الأبيات إلى زينب الكبرى عليها السلام:

سهرتْ أعينٌ ونامت عيونُ
لأمورٍ تكونُ أو لا تكونُ
فاصرفِ الهمَّ ما استطعت عن النفـ
ـسِ فحِملانُكَ الهمومَ جنونُ
إن ربّاً كفاك بالأمسِ ما كان
سيكفيك في غدٍ ما يكونُ

---

(١) تنزع: تحنّ وتشتاق.

٧٢٢٨ ـ روي: أنّ المقري صاحب كتاب «نفح الطيب» ضمّه مع صديقه الشيخ أحمد بن شاهين مجلسُ شراب، فلمّا حان وقتُ الصلاة قام الشيخ لأداء فريضته وبقي الآخرون يشربون فقال المقري مداعباً:

الشيخ قام يصلي ونحن نشرب عنه
تقبّل الله منّا ولا تقبّل منه

٧٢٢٩ ـ قال الأصمعي: قلت لغلام أعرابي: ما لي أراك ضعيفاً نحيفاً، وصغيرَ الحجم مهزولاً؟ فقال: «قرقمني العز» أي: جعلني العز ضئيلاً هزيلاً. ثم أنشد:

قرقمني العزُّ وأضواني الكرَمْ(١)

٧٢٣٠ ـ كان الحكمُ بنُ عبدل الأسدي كثيرَ الهجاء للولاة والوجوه في الكوفة، وكان أعرج لا تفارقه عصاه، فهابه أهلُ الكوفة حتى أنّه كان يكتب حاجته على عصاه ويبعث بها مع رسوله إلى الوالي، فكان الحُجّاب يُدخلون الرسولَ مع العصا قبل غيره وتُقضى حاجةُ الحكم قبل حوائج الناس، وفي ذلك يقول يحيى بن نوفل شاكياً:

عصا حَكَمٍ في الدار أوّلُ داخلٍ
ونحن عن الأبواب نُقصى ونُحجَبُ

٧٢٣١ ـ المشهور عند أهل اللغة أنّ كلمةَ «الآن» مبنيّةٌ على الفتح، وهكذا وردت مفتوحةً في القرآن الكريم.

وقال الجلال السيوطي: «إنّ هذه الكلمة لم تثبُتْ لبنائها عِلّة

(١) وأضواني: بمعنى أضعفني.

معتبرة، فهي منصوبةٌ على الظَرفية، وإن دخلَتْها «مِن» جُرّتْ. ففي قولنا: «واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين» تفتح كلمة «الآن» على القول الأول، وتجر على القول الثاني.

٧٢٣٢ ـ قيل: إنّ جُحا سلّم لابْنه إبريق فخار بحضور أمّه ثم ضربه وقال له: املأ الإبريق بالماء من البئر واحذرْ أن تكسِرَه. فقالت الأم مستنكرةً ضربَه قبل الجِناية: لِمَ ضربتَه قبل أن يكسِرَ الإبريق؟ فقال لها جُحا متعجّباً: قولي بربّك ما الفائدة من ضربه بعد أن يكسِرَ الإبريق؟!.

٧٢٣٣ ـ قال الشاعر:

ازرعْ جميلاً ولو في غير موضعه ... فلن يضيعَ جميلٌ أينما وُضعا
إنّ الجميلَ وإن طال الزمانُ به ... فليس يحصِدُهُ إلا الذي زَرَعا

٧٢٣٤ ـ قال أحمد شوقي في رثاء حافظ إبراهيم:

قد كنتُ أرجو أن تقولَ رِثائي
يا منصفَ الموتى من الأحياءِ
يا حافِظَ الفُصحى وحارسَ مجدِها
وإمامَ من نجلَتْ[١] من البلغاءِ
انظرْ فأنتَ كأمسِ شأنُكَ باذخٌ
في الشرق واسْمُكَ أرفعُ الأسماءِ

٧٢٣٥ ـ كلمة «الحذر» قد تأتي بمعنى الاحتراز والتيقّظ من الشيء كقوله تعالى في سورة المنافقون، الآية(٤): ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

---

(١) نجلت: انسلت وأنجبت.

عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ أي: فاحترز منهم. وكقول الشاعر:

احذرْ عدوَّكَ مرّةً واحذرْ صديقَكَ ألفَ مرّةْ
فلربّما انقلبَ الصديقُ فكانَ أعرفَ بالمضرّةْ

أي: احترز من عدوك مرّة، واحترز من صديقك ألف مرّة. وكقول الآخر:

لو كانَ ينجي من الردىٰ حذَرٌ أنجاكَ ممّا أصابكَ الحذَرُ

أي: لو كان ينجي من الموت الاحتراز لأنجاك منه احترازك.

وقد تأتي بمعنى الخوف والإشفاق من الشيء كقوله تعالى في سورة القصص، الآية(٦): ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ أي: ما كانوا يخافون من الهلاك وزوالِ الملك. وقوله تعالى في سورة الزمر، الآية(٩): ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: يخاف أهوال الآخرة وشدائدها، ولذلك كان الرجاء في الآية الكريمة مقابلَ الحذر الذي هو بمعنى الخوف. وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فاحذَرُوا عبادَ الله الموتَ وقربَه، وأعِدّوا له عُدَّتَه، فإنه يأتي بأمرٍ عظيم وخطبٍ جليل» أي: خافوا الموتَ وما بعده.

وقد تأتي بمعنى الاجتناب والامتناع عن الشيء كقوله تعالى في سورة المائدة، الآية(٩٢): ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ أي: واجتنبوا مخالفتَهما. وكقول أمير المؤمنين عليه السلام: «واحذرْ كلَّ عملٍ يُعمل به في السر ويُستحى منه في العلانية، واحذرْ كلَّ عمل إذا سُئِل عنه صاحبُه أنكره أو اعتذر منه» أي: اجتنبْ كلَّ عمل يُستحى أو يُعتذر منه.

٧٢٣٦ ـ قال نجم الدين التفليسي:

اغتنمْ يومَك هذا إنما يومُك ضيفُ
وانتهزْ فرصةَ عُمرٍ حاضرٍ فالوقتُ سيفُ
لا تضيّعْ هذه الأنفاسَ فالتضييعُ حيفُ

٧٢٣٧ ـ جاء في كتاب النبيّ ﷺ إلى هِرَقْل ملكِ الروم قولُه: «وإن تولّيتَ فإنّ عليك إثمُ الأريسيّين» فما معنى كلمة الأريسيّين؟ اختلف العلماء والمحدّثون في معناها على أقوال مختلفة.

منها: أنّ معناها «الأكارِيّون» وهم الفلاّحون.

ومنها: أنّهم أتباع «عبد الله بن أريس» الذي تُنسب إليه فرقة «الأروسيّة» من النصارى ويُقال لهم «الأروسيّون».

ومنها: أنّهم أتباع الأسقف «آريوس» الذي عاش في الإسكندريّة في أوائل القرن الرابع بعد الميلاد، وأنكر على النصارىٰ ألوهيّةَ السيد المسيح عليه السلام فتبِعه كثيرٌ منهم، وعُرفوا بالآرسيّين، وعُرفت عقيدتُهم بالآروسيّة. ويُقال: إنّه مات مسموماً سنة ٣٣٦م. والجدير بالذكر أنّ الشاعرَ القروي رشيد سليم الخوري المسيحي أعلن قبل عهدٍ قريب اعتناقه العقيدة الآروسيّة.

٧٢٣٨ ـ القاعدة التي أقرّها مجمع اللغة العربيّة في القاهرة حول رسم الألف في آخر الكلمة تتلخّص بما يأتي:

إذا كان الفعلُ الماضي الذي في آخره ألف ثلاثيّاً ومضارعُه بالواو فترسم الألف في آخره ألفاً نحو: دنا ودعا ونجا، لأنّ مضارعَه: يدنو ويدعو وينجو.

وإذا كان مضارعُه بالألف أو الياء ـ سواء كان ثلاثياً أو أكثر ـ فتُرسم الألفُ في آخره ياءً غيرَ منقوطة نحو: سعى ورمى واستلقى، لأنّ مضارعَه: يسعى ويرمي ويستلقي. إلا إذا كان الألف مسبوقاً بياء فتُرسم ألفاً نحو: أحيا واستحيا.

وإذا كان الاسم مختوماً بالألف المقصورة فإن كان رباعيّاً فصاعداً رُسمت ياءً نحو: بشرى ومنتدى ومصطفى إلا إذا كان الألفُ مسبوقاً بياء فترسم ألفاً نحو: دنيا وخطايا. وإن كان ثلاثياً جاز رسمُ آخره ألفاً نحو: عصا ودحا وشذا. وجاز رسمُه ياءً غيرَ منقوطة نحو: هدىٰ وندىٰ وضحىٰ.

٧٢٣٩ ـ قال الشاعر:

رأيتُ الدهرَ بالأشراف يكبو ويرفعُ رايةَ القوم اللئامِ
كأنّ الدهرَ موتورٌ حقودٌ ويطلُبُ وِتْرَهُ عند الكرامِ

٧٢٤٠ ـ روي عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنّه قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيتُه بوَضوئه[1] وحاجته، فقال لي يوماً: سَلْني، فقلت: أسألك مرافقتَك في الجنّة، قال ﷺ: أو غير ذلك؟ قلتُ: هو ذاك، فقال ﷺ: «أعنّي على نفسك بكثرة السجود».

٧٢٤١ ـ روي عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال: «إنّ صحابيّاً من أصحاب رسول الله ﷺ يُسمّى «أبا مغلق» خرج للتجارة، فأمسى عليه الليل عند عودته، فوضع أحمالَه عند شجرةٍ وأراد أن يستريحَ إلى

(١) الوَضوء ـ بفتح الواو ـ: ماء الوُضوء.

الصباح، فإذا بفارسٍ جاء إليه وقال له: إني قاتلُك، فقال له: إن كنتَ تريد مالي فهذا مالي ودعْني لأهلي. فقال: أمّا المال فهو لي ولا بدّ من قتلك، فأخذ يرجوه فلم يقبلِ الرجاء، فقال له: إن كان لا بدّ من قتلي فدعْني أتوضأ وأصلّي، فقال: لك هذا. فتوضّأ الرجل ودخل في الصلاة، وصدق مع مولاه، وأخذ يدعو ربه بالنجاة من هذا القاتل، فلمّا كان في سجود الركعة الثانية قال: يا ودود، يا ذا العرشِ المجيد، يا فعّالٌ لما تريد، أسألك بنورِ وجهك الذي ملأ الأركان، وبعزّك الذي لا يُرام، وبعرشك الذي لا يُضام، أن تُنقِذَني من شرّ هذا اللصّ، يا مغيثُ أغِثني، يا مغيثُ أغثني، يا مغيثُ أغثني»، فلمّا انتهى من صلاته وجد رأس الفارس أمامه، ووجد فارساً آخرَ بِجواره، فسأله: من أنت الذي أغاثني الله بك؟ قال: أنا مَلَك من السماء الرابعة، لمّا دعوتَ اهتزّت السماء وسمِع أهلُها قعقعة وقيل: مكروب فأغيثوه، فسألتُ ربّي أن يُرسلَني لإغاثتك، وما من مؤمن يكرُب كرْبَك ويدعو بدعوتك إلا استجاب الله له».

٧٢٤٢ ـ النحت في اللغة معناه: أن تعمِدَ إلى كلمتين أو أكثر وتأخذَ من كلٍّ منها حرفاً أو حرفيْن أو ثلاثة فتركّب منها كلمةً جديدةً تدُلّ على تلك الكلمات، وتسمى هذه الكلمة «منحوتة»، كقولهم «عبشمي» من «عبد شمس»، و«عبد دري» من «عبد الدار»، و«عبقسي» من «عبد القيس»، و«هلّلَ» من «لا إلهَ إلا الله»، و«حمدَلَ» من «الحمد لله»، و«حوقَلَ» من «لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله»، و«بسمَلَ» من «بسم الله الرحمن الرحيم»، و«حيعَلَ» من «حيّ على الصلاة ـ حيّ على الفلاح»، و«حسبَلَ» من «حسبيَ الله».

وأهمّ ما يُشترط في «النحت» أن تكونَ الكلمةُ المنحوتةُ جاريةً على سَنَن الكلام العربيّ، وموافقةً للذوق السليم، وإلا فاستعمالُ كلمتينِ أو أكثر خيرٌ من تكوين كلمةٍ ثقيلةٍ على اللسان والسمع، متنافرةِ الحروف.

٧٢٤٣ ـ روي عن الأصمعي أنه قال: لم يبتدىء أحدٌ من الشعراء مرثيّةً أحسنَ من ابتداء مرثية أوس بن حَجَر:

أيتها النفسُ أجملِي جَزَعا   إنّ الذي تحذَرين قد وقَعا
إنّ الذي جمّع السماحةَ   والنّجدةَ والحزمَ والقِوى جُمعا
الألمعيُّ الذي يظُنّ بك الظنّ   كأنْ قد رأىٰ وقد سمعا

٧٢٤٤ ـ يصِحّ أن تقول: «الرجل السوء» و«رجل السوء». وتقول: «الحقّ اليقين» و«حقّ اليقين». وتقول: «المسجد الجامع» و«مسجد الجامع». ونُقل قول الحطيئة عند وفاته على الوجهيْن: «ويل للشعر من الرواة السوء» و«ويل للشعر من رواة السوء».

٧٢٤٥ ـ ذكر الواقدي في «فتوح البلدان»: إنّ الإسلامَ حين ظهر في مكّة لم يكن في قريش من يعرِف الكتابةَ إلا سبعة عشرَ رجلاً.

٧٢٤٦ ـ من الاستعمالات الجديدة قولهُم: «عمِل زيدٌ عملاً لا أخلاقياً، أو تصرّف تصرّفاً لا شعورياً» وهو استعمالٌ صحيح، ويجوز في إعرابه أحدُ وجهيْن:

الأوّل: اعتبار «لا النافية» غيرَ عاملة ويُعرب بعدها بحسب موقعه من الجملة كما لو كانت «لا» غير موجودة.

الثاني: اعتبار «لا» مركّبةً مع ما بعدها ويُعرب هذا المركب

بحسب موقعه من الجملة.

ومن الاستعمالات الجديدة قولُهم: «لم ولن أفعلَ كذا» أو قولهم: «لا ولن أفعلَ كذا» وهو استعمالٌ صحيح، ويجب في إعرابه أن يكونَ العمل للعامل الثاني فيُنصَبُ الفعلُ بلن دون الالتفات إلى لم أو لا التي قبلها.

٧٢٤٧ ـ من الاستعمالات الشائعة في هذا العصر التي لم ترِدْ في معاجم اللغة قولهُم عن الكتاب الجامع الواسع: «موسوعة».

وقولُهم عن الشيء الذي توضع عليه الأدواتُ والكتبُ «منضدة». وقولُهم عن الفضائل والمثُل العُليا: «قِيَم» وعن الشيء الجيّد: «قَيِّم». وقولهُم عن منع التصرّف بالشيء أو توقيف حركته: «تجميدُ الأموال أو تجميدُ المفاوضات».

وقولُهم عن تتبّع الشيء واقتفاء أثره: «ترسّم خُطاه». وقولُهم عن استنكار الشيء ورفضِه: «نحن نشجُب العُدوان» وقولُهم في صفة الشهر الحاضر «الجاري» نحو: «يسافر فلان في العاشر من الشهر الجاري». وقولُهم في بيان الاهتمام بالشيء: «القضيّةُ الفلانيّة موضعُ اهتمام المسؤولين». وكلُّها استعمالاتٌ صحيحةٌ أقرّتها مجامعُ اللغة العربيّة في القاهرة ودمشق وبغداد بالإجماع أو بالأكثريّة.

٧٢٤٨ ـ إنّ قوله تعالى في سورة النحل، الآية(١٥): ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وقولَه في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ فيه محذوف تقديرهُ «لا» فيكون المعنى: أنّ الله ألقىٰ في الأرض رواسيَ لئلاّ تميدَ بكم أو بهم. أو فيه مضاف

محذوف تقديره: خشيةَ أن تميدَ بكم أو تميدَ بهم وما أشبه ذلك.

وكذلك قولُه تعالى في سورة النساء، الآية(١٧٦): ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ فيه محذوف تقديرُه: يبينُ الله لكم لئلاّ تضِلّوا، أو خشيةَ أن تضِلّوا. وقد جاء في الشعر العربي القديم مثلُ ذلك كقول الحارث بن حلّزة في معلقته:

نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منّا ... فعجّلْنا القِرىٰ[1] أن تشتِمُونا

والتقدير: لئلا تشتِمُونا أو خشيةَ أن تشتِمُونا.

٧٢٤٩ ـ قال ابن بشير الأزدي:

أأشهدُ بالجهلِ في مجلسٍ ... وعلميَ في الكتبِ مستودَعُ

إذا لم تكنْ عالماً واعياً ... فجمْعُكَ للكتبِ لا ينفعُ

وقال الأعمش:

تستودعِ العلمَ قرطاساً تضيّعه

وبئسَ مستودَعُ العلمِ القراطيسُ

٧٢٥٠ ـ اختلف أهل الأدب من العرب: هل أنّ اللفظَ هو الأصل في الكلامِ والمعنى تابع له، أم العكس هو الصحيح؟ فمن المتعصّبين للفظ جماعةٌ من الأدباء، وعلى رأسهم أبو عثمان الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»، وأبو هلال العسكري في كتابه «الصناعتيْن».

ومن المتعصّبين للمعنى جماعةٌ آخرون منهم، وعلى رأسهم ابنُ جِنّي في كتابه «الخصائص»، وعبدُ القاهر الجرجاني في كتابه «دلائل الإعجاز».

---

(١) القِرى: ما يقدّم للضيف من طعام وشراب.

٧٢٥١ ـ قال ابن الطثرية:

ولما قضينا من «مِنى» كلَّ حاجةٍ
ومسّح بالأركان من هو ماسحُ
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطِيّ الأباطِحُ

٧٢٥٢ ـ قال الشاعر:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا
ولا أراهم رضُوا في العيش بالدونِ
فاستغنِ بالله عن دين الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهُمْ عن الدينِ

وقد نَسب بعضُهم هذين البيتين إلى أبي العتاهية، في حين قال بعضهم: إنّ الشعبي كان يُنشدهما فكيف يستقيم ذلك والشعبي توفي سنة ١٠٣هـ وأبو العتاهية توفي سنة ٢١١هـ؟ فإذا صحّتِ الرواية بأنّ الشعبي كان ينشد هذين البيتين فلا يجوز نسبتُهما إلى أبي العتاهية، والله سبحانه هو الأعلم بحقيقة الحال.

٧٢٥٣ ـ الموادُ التي تستعمل للكتابة عليها أنواعٌ كثيرة على مدى التاريخ، فقد استعمل الإنسانُ الحجارةَ وهي أقوى نوع استُعمل لهذا الغرض وأبعدهُ عن التلف والفناء. كما استعمل الآجُرّ وألواحَ الطين، وقد كثُر استعمالُهما في العراق أيامَ البابليّين والآشوريّين، وفي الشام وآسيا الصغرىٰ، وآخِرُ ما وصل إلينا من هذه الألواح يرجع إلى القرن الأول الميلادي، واستُعمل أيضاً في صدر الإسلام. ومن المواد التي شاع استعمالُها في الكتابة الجلود منذ أقدم العصور وكانت هذه المادةُ

مستعمَلةً في صدر الإسلام، وأقدمُ جِلْدٍ مكتوبٍ اكتُشف حتى الآن يرجع إلى المائة الرابعة قبل الميلاد.

٧٢٥٤ ـ صدر كتابٌ جديد اسمُه «الزمنُ المقبِل» لرجلٍ إنكليزيٍّ اسمُه «فرنسيس كنسمان» كتب سنة ١٩٧٩م ونُشر سنة ١٩٨٠م.

وقد تنبّأ فيه بأمورٍ مهمّةٍ توقّع حدوثها في المستقبل مستنداً إلى بعض القرائن والأحداث التي تمهّد لتلك الأمور، وليس هو من العلم بالغيب وإنّما هو نوعٌ من التوقُّع والتطلُّع الذكيّ الذي يربُط النتائجَ بالمقدّمات والمسبّباتِ بالأسباب. لقد تحدّث المؤلِّفُ عن حدوث أشياءَ في مناطقَ معيّنةٍ من العالم، تحدّث عن عودة «أنديرا غاندي» للسلطة في الهند في وقتٍ كانت تَلقى من الجهات الحاكمة كثيراً من المضايقات والملاحقات فوقع ما تحدّث عنه. وتحدّث عن سقوط شخصيتين مهمتينْ في الشرق الأوسط وهما: محمد رضا بهلوي في إيران، وأنور السادات في مصر فوقع ما توقّع. وتنبّأ باندلاع حربٍ إسرائيليّةٍ أخرى مع العرب فكان الأمر كما تنبّأ به. ومما تحدّث عنه وتنبأ به هو تخلّي أمريكا عن إسرائيل في المستقبل، ولعلّ بوادرَ هذا التخلّي تلوح في الأفق، وليس ببعيدٍ عن الأذهان تصريحُ الجنرال «براون» القائدِ الأعلى للقوّات الأمريكيّة الذي يقول فيه: «إنّ أمريكا تسلّح إسرائيل لدرجةٍ تعرّضُ أمنَ أمريكا ذاتِها للخطر».

كما لا يغيب عن الأذهان أيضاً تصريحُ السناتور «ماكلوسكي» عضو البرلمان الأمريكي الذي يقول فيه: «إنّ اليهودَ الأمريكان لا يعملون لصالح أمريكا» وقد رشّح هذا الرجلُ نفسَه لانتخابات الرّئاسة في الولايات المتحدة وأيّده المسلمون الأمريكان والمنحدرون من أصلٍ

عربي فلم يفز بالانتخابات حيثُ تكتّل ضدّه اليهودُ والمتعصّبون لهم من الأمريكيّين، ولكنها على كلّ حال بدايةُ الطريق لتحوّلٍ جديدٍ في السياسة الأمريكيّة أو في المجتمع الأمريكي في المستقبل القريب أو البعيد، عندئذٍ تكون إسرائيلُ على حافة الخطر أو في مهبّ الريح، وما ذلك على الله بعزيز.

٧٢٥٥ ـ الفرق بين «الرواية» و«الوِجادة» هو: أنّ الروايةَ معناها «السّماع مباشرةً من الراوي والتلقّي عنه» أمّا الوِجادة فمعناها «الحكاية عن كتب الآثار والأخبار» بشرط صِحّة نسبة الكتاب إلى مؤلفه وصحّة النسخة، وهذا بالضبط ما يسمّى في قواعد التحقيق اليوم: «توثيق النص نسبةً ومادةً».

٧٢٥٦ ـ قال الشاعر:

سلّم الأمرَ إلى ربّ البشَرْ ... واتركِ الهم ودعْ عنك الفِكَرْ
لا تقلْ فيما جرى كيف جرىٰ ... كلّ شيءٍ بقضاءٍ وقدَرْ

٧٢٥٧ ـ سمّى اللهُ تعالى القرآنَ «فُرقاناً» لأنّه أعظمُ كتابٍ يُفرّق بين الحقِ والباطل. وسمّى رسولُ اللهﷺ عليّاً «الفاروقَ الأعظم» لأنّه أعظمُ إنسانٍ يُفرّق بين الحق والباطل.

٧٢٥٨ ـ قال سفيان بن مصعب العبدي الكوفي في مدح أهل البيت عليهم السلام:

آلُ النبيّ محمّدٍ ... أهلُ الفضائل والمناقِبْ
المرشِدون من العمىٰ ... والمنقذون من اللوازِبْ[1]

(١) اللوازب: الشدائد.

النـاطـقـون الصـادقـون السـابـقـون إلى الـرغـائِـبْ
فـولاؤهـمْ فـرضٌ مـن الـرحـمـن فـي الـقـرآن واجِـبْ

وسفيان هذا من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ورواةِ حديثه، وكان عليه السلام يقول: «يا معشرَ الشيعة علِّموا أولادكم شعرَ العبدي فإنه على دين الله».

٧٢٥٩ ـ روي عن الشافعي أنّه قال: «خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفِراسة حتى كتبتُها وجمعتُها. ثم لمّا كان انصرافي مررتُ في طريقي برجلٍ محتبٍ بفِناء داره أزرق العيْن ناتئ الجبهة سُناط ـ بضمّ السين أو كسرِها وهو الذي لا لحيةَ له أو له لحية خفيفة ـ، هذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة، فقلت له: هل من منزل؟ قال: نعم، فأنزلني فرأيتُه أكرمَ رجل، بعث إليّ بعَشاءٍ وطيبٍ وعَلَفٍ لِدابّتي وفِراشٍ ولِحاف. وجعلتُ أتقلّب الليل أجمع وأقول: ما أصنع بهذه الكتب؟ فلمّا أصبحتُ قلتُ لغلامي: أسرِجْ فأسرج، فركِبتُ ومررتُ على الرجلِ وقلتُ له: إذا قدِمتَ مكة ومررتَ بذي طُوى فسَلْ عن منزل محمّدِ بنِ إدريس الشافعي، فقال لي الرجل: أمَوْلىً لأبيك أنا؟ قلتُ: لا، قال: فهل كانت لك نعمةٌ عندي؟ قلتُ: لا، قال: فأين ما تكلفتُ لكَ البارحة؟ قلتُ: وما هو؟ قال: اشتريتُ لك طعاماً وعِطراً وعَلَفاً بكذا مقدار من الدراهم، وكريتُ لك فِراشاً ولِحافاً بكذا مقدار، فقلتُ لغلامي: أعطِهِ، ثم قلت للرجل: هل بقِي من شيء؟ قال: كِراءُ المنزل فإني وسّعتُ عليك وضيّقتُ على نفسي، فأعطيتُه ما أراد ثم قلتُ له: هل بقيَ من شيء؟ قال: امضِ أخزاك الله فما رأيتُ قط شرّاً منك. فغَبَطْتُ نفسي بتِلك الكتب».

٧٢٦٠ ـ كلمة «الفعال» ـ بفتح الفاء ـ تُستعمل في الخير خاصّة كالنَّجدة والكرم، فيقال: «فعال الخير» ولا يصح أن يُقال: «فَعال الشر».

أمّا كلمة «الفِعل» فتستعمل في الخير والشر معاً فيقال: «فعل الخير» كما يقال: «فعل الشر».

٧٢٦١ ـ قولُ الإنسان جزءٌ من عمله الذي يُسأل عنه ويُحاسب عليه، فلا ينبغي له أن يقولَ إلا ما فيه الخيرُ والنفعُ له أو لغيره، قال تعالىٰ في سورة ق: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

وورد في الحديث الشريف: «مَن علِم أنّ كلامَه من عمله قلّ كلامُه».

وكذلك كتابة الإنسان فإنها جزءٌ من عمله الذي يُسأل عنه ويُحاسب عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما قال الشاعر:

وما من كاتبٍ إلا ستبقى
كتابتُه وإن فنِيت يداهُ
فلا تكتُبْ بكفِّك غيرَ شيءٍ
يَسُرُّكَ في القيامة أن تراهُ

٧٢٦٢ ـ نعى القرآنُ الكريم على الناس جهلَهم بحقائق الأمور، واعتبره السببَ الأكبرَ لانحراف الناس عن الدين القويم والصراط المستقيم حتى جاء قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] في أحدَ عشرَ آية، وقولُه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] في تسعِ آيات،

---

(١) سورة الروم، الآية(٦). (٢)سورة الزمر، الآية(٤٩).

وقولُه: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] في ستّ آيات.

٧٢٦٣ ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال في خطبةٍ خطبها في آخر أيّامه: «معاشرَ الناس ليس بين الله وبين أحدٍ يُعطيه به خيراً، أو يَصرِفُ عنه به شراً إلا العملُ الصالح، أيّها الناس لا يَدّعي مُدّعٍ ولا يَتمنَّىٰ مُتمنٍّ. والذي بعثني بالحق نبيّاً لا يُنجي إلا العملُ مع رحمة، ولو عصَيْتُ لهوَيْت، اللّهم هل بلّغت.. اللّهم هل بلّغت.. اللّهم هل بلّغت»..

٧٢٦٤ ـ من السُّنن الإلهيّة والتاريخيّة الثابتة: أنّ كلَّ أمّةٍ آمنت بالله واتبعت هُداه وصدّقت برسله وكتبه فإنها تعيش بأمن وسعادة وهناء ورخاء، يحفّ بها الخيراتُ والبركات، وقد صرّح القرآن الكريم في كثير من آياته البيّنات بهذه السُّنّةِ الإلهيّةِ الحكيمة، قال تعالى في سورة المائدة، الآية(٦٦): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾، وقال في سورة الجن: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

ومن السُّنن الإلهيّة والتاريخيّة الثابتة أيضاً: أن الأُمّة إذا انحرفت عن سبيل الله واتبعت الهوى وانغمست في الشهوات وأضاعت الحقوقَ وتعدّت الحدودَ فإنّ الله سبحانه يُحِل عليها غضَبه وسخطَه، وتكون عاقبةُ أمرها إلى البوار والدماء والخُسران، قال تعالى في سورة الشورىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾، وقال في سورة الروم: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا

---

(١) سورة النحل الآية(٧٥).

كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾، وقال في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

وقد أشار الله سبحانه إلى هاتيْنِ السُّنتين بقوله في سورة الأعراف: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾، كما أشار رسول الله ﷺ إليهما بقوله: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعتْ منهم البركات، وسُلِّط بعضُهم على بعض، ولم يكن لهم ناصرٌ في الأرض ولا في السماء».

والله تعالى لا يغيّر حال قوم إلا إذا غيّروا ما فيهم من ظلم وفساد، وغيّروا ما في نفوسهم من ضغائنَ وأحقاد كما قال سبحانه في سورة الرعد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

٧٢٦٥ ـ تشير كثيرٌ من الآيات الكريمة والأحاديثِ الشريفة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد يمتحن عبادَه بالمِحن والمصائب كما يمتحنهم بالمِنح والرغائب ليعلمَ صبرَهم وشكرهم، وأنهم في جميع الأحوال لا بدّ أن يلجؤوا إلى ربهم ويتضرّعوا إليه ويتوكّلوا عليه ويعتصموا به، وإلا كان مصيرهم الخسران والخِذلان. قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ

شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

فإذا فتح الله على العُصاة والطُغاة والظالمين أبوابَ كلّ شيءٍ من نعم الدنيا ولذائذها فإنما هو زيادةٌ في الإثم والعذاب كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾. وهو أيضاً اختبارٌ وامتحانٌ واستدراجٌ لهم كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ وإنما سُمي عذابهُم كيداً لأنّه يأتيهم من حيثُ لا يشعرون.

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إذا رأيتَ الله يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبّ وهو مقيمٌ على معاصيه فإنّ ذلك منه استدراج» ثم تلا ﷺ قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا ابن آدم إذا رأيتَ ربّكَ يتابع عليك نِعَمَه وأنت تعصيه فاحْذَرْه».

٧٢٦٦ ـ روى شيخنا الطوسي في أماليه سنداً عن مسعدة بنِ زياد قال: سمِعتُ جعفرَ بنَ محمّد عليه السلام وقد سُئل عن قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١) فقال عليه السلام: «إنّ الله يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنتَ عالماً؟ فإن قال: نعم قال له: أفلا عمِلتَ بما علِمت؟ وإنْ قال: كنتُ جاهلاً قال له: أفلا تعلّمتَ حتى تعمل؟ فيخصِمه، فتلك الحجّةُ البالغة».

---

(١) سورة الأنعام، الآية(١٤٩).

٧٢٦٧ ـ روى شيخنا الصدوق في توحيده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أوحي الله إلى داود عليه السلام: يا داود تريدُ وأريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلّمتَ لما أريد أعطيتُك مِمّا تريد، وإن لم تسلّم لما أريد أتعبتُك فيما تريد، ثم لا يكونُ إلا ما أريد».

٧٢٦٨ ـ في قوله تعالى في سورة عبس: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ إشارةٌ إلى ظاهرة المطر المتكررة وكيف ينزلُ إلى الأرض فيشقُّها وينفُذُ خِلالَها. وكيف تنشقّ الأرض عن أنواع الزروع والنباتات وتمتدّ في الفضاء والهواء. كما يمكن أن تشيرَ الآيةُ الكريمة ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ إلى بعض الحقائق العلميّة التي صرّح بها بعضُ المتخصّصين من أنّ الأرضَ عندما انفصلت عن الشمس انصبّ عليها الماء المتكوّن في السماء بسبب اتحاد عنصري «الأوكسجين والهيدروجين» ومنه تكوّنت المحيطات على سطح الأرض. وتشير الآية: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ إلى ذلك التفتّت الذي حصل في صخور القِشرة الأرضيّة بسبب صبّ الماء عليها من السماء، وبسبب تلك الفيضانات الهائلة التي أشارت إليها النظريّاتُ العلميّة، والله سبحانه هو الأعلم بحقائق الأمور.

٧٢٦٩ ـ قيل: إنّ رجلَيْنِ من الفدائيّين الفلسطينيّين نفّذا عمليّةً جريئةً في داخل الأرض المحتلّة ثم اختفيا في مخبأٍ صغير قبل أن يصلا إلى قاعدتهما ـ وكان أحدُهما مؤمناً والآخرُ ملحداً ـ وطالت مدّةُ الاختفاء إلى ستّة أيّام، حتى بلغ منهما الجوعُ والعطشُ حدّاً لا يُطاق، ولم يستطيعا الخرُوج بسبب حملة التفتيش الواسعة النطاق. أمّا المؤمن فقد سلّم أمرَه لله وصار يدعوه ويرجوه ويطلُب منه الفرج، وأمّا الملحد فقد ضاق صدْرُه ونفِذ صبْرُه وأيقن بالموت إمّا في المخبأ فيما لو بقيا

فيه، وإمّا على أيدي اليهود فيما لو خرجا منه. ثم فكّر في نفسه وراجع معها الحساب وإذا به يقول فَجأةً لأخيه المؤمن يا أخي ادعُ الله لنا بالخلاص، فذُهل المؤمن من كلامه وقال له: ماذا؟؟ أعِدِ القول، قال: ادعُ الله لنا بالخلاص فلا ملجأ لنا إلا إليه، عندئذٍ صارا يدعوان معاً بإلحاحٍ وانقطاعٍ وإخلاص فوجدا طريقاً للخلاص. وعادا إلى قاعدتهما سالمين ولربّهما شاكرين.

وصدق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: «بالإخلاص يكون الخلاص».

٧٢٧٠ ـ اجتمع رجلٌ ملحدٌ مع جماعةٍ من المؤمنين، واحتدم الجدل بينه وبينهم حول وجود الله سبحانه وتعالى والملحد مصِرٌّ على كفره وجُحوده لا يقنع بدليل، ولا يهتدي إلى سواء السبيل. وفي آخر الأمر قال له أحد المؤمنين: «إنك مؤمنٌ بوجود الله شئتَ أم أبيت، إنك تُنكِر بلسانك وتُقِرّ بقلبك، لأنّ الإيمان بالله أمرٌ فطريٌّ في كلّ إنسان» فظهر الغضبُ على وجه الملحد وأنكر على المؤمن اتهامه إيّاه بأنّه يُظهر ما لا يبطن، ويقول ما لا يعتقد، ثم أكّد كلامَه بقوله: «اسمعْ ما أقول لك فواللهِ العظيم إني ملحد!!» فضحِك الحاضرون. فلما انتبه إلى نفسه وأحسّ أنّه يقسم بالله على أنّه جاحدٌ لله، وأنه ألزم نفسَه بنفسه تغيّر وجْهُه ولوْنُه، وظهر ضعْفُه ووهْنُه، ولاذ بالفِرار وهو يجُرّ أذيالَ الخيبة والعار.

٧٢٧١ ـ قال الشاعر:

إذا أعجبتك خِصالُ امرئٍ ... فكُنْهُ تكن مثلَ من يُعجِبُكْ

فليس على الجود والمكرُمات ... إذا جئتَها حاجبٌ يَحجُبُكْ

٧٢٧٢ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «خير الناس من طال عمرُه وحسُن عملُه، وشر الناس من طال عمرُه وساء عملُه».

٧٢٧٣ ـ روي عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «الله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ نزل بأرضٍ دويّةٍ ـ أي غير صالحة ـ مهلكة ومعه راحلتُه عليها طعامُه وشرابُه، فوضع رأسَه فنام نومةً فاستيقظ وقد ذهبت راحلتُه، فطلَبها فلم يجدها حتى إذا اشتدّ عليه الجوع والعطش قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه فنام نومةً فاستيقظ وقد ذهبت راحلتُه، فطلَبها فلم يجدْها حتى إذا اشتدّ عليه الجوع والعطش قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسَه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلتُه عنده عليها طعامُه وشرابُه. فالله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلتِه وزادِه».

٧٢٧٤ ـ من سِعَة رحمة الله تعالىٰ بعباده ومن عظيم كرمه ولطفه بهم إنّ توبتَه عليهم سبقتْ توبةَ التائبين فقال في سورة التوبة، الآية(١١٨): ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ وسبقَتْ محبّتُه لهم محبّتَهم له فقال في سورة المائدة، الآية(٥٤): ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وسبق رضاه عنهم رضاهم عنه فقال في سورة البيّنة، الآية(٨): ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾، وسبقت رحمتُه غضبَه فقال في سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾.

٧٢٧٥ ـ قال العالم النمساوي «كوزا دلورنس» المتخصّص بعلم الحيوان: «إنني أصبحتُ أتحدّث بلغة النمل وأفهمها في علاقاتي المختبريّة، إنني مستعدٌ الآن لتصديق ما روي عن قدرة سليمان بن داود

في هذا المجال» وصدق الله حيث يقول في سورة النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾.

٧٢٧٦ ـ قال الشاعر:

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ يدِقّ خفاه عن فهم الذكيّ
وكم يُسرٍ أتى من بعد عُسرٍ وفرّج كربةَ القلب الشجيّ
وكم أمرٍ تُساء به صباحاً وتأتيك المسرّة بالعشيّ
إذا ضاقتْ بك الأحوالُ يوماً فثِقْ بالواحدِ الصمدِ العليّ

٧٢٧٧ ـ كان النبيّ ﷺ في مكة قد ابتُلِيَ بجارَيْنِ كافرَيْنِ وعدوَّيْنِ لدودَيْنِ وهما عمّه «أبو لهب» و«عقبة بن أبي مُعَيط» حتى قال متذمّراً منهما: «كنت بين شرّ جارين أبي لهب وعقبةِ بنِ أبي مُعَيط، كانا ليأتيانِ بالفُرُوث ويطرحانِها على بابي».

٧٢٧٨ ـ روي: أنّه كان لا يولد في المدينة مولودٌ جديدٌ إلا وأتوا به إلى النبيّ ﷺ يباركه ويدعو له، فلمّا وُلد مروان بن الحكم جيء به إليه فقال: «هو الوزَغُ ابنُ الوزَغ، الملعونُ ابنُ الملعون».

٧٢٧٩ ـ دعا القرآن الكريم إلى التوحيد الخالص من كل ألوان الشرك، وكان النصارىٰ منقسمين إلى ثلاث طوائف:

طائفةٌ تقول بالاتّحاد، أي أنّ الله تجسّد في المسيح، وأنّ اللاهوت اتّحد بالناسوت فصارا شيئاً واحداً وهو المسيح، فردّ الله تعالى

عليها بقوله في سورة المائدة، الآية(١٧): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

وطائفةٌ ثانية تقول بالتثنية، أي أنّ الله هو الأب والمسيح هو الابن وكلاهما يُعبدان، فردّ الله تعالى عليها بقوله في سورة النحل، الآية(٥١): ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

وطائفةٌ ثالثة تقول بالتثليث، أي أنّ الذي يُعبد هو الأب والابن وروحُ القدس، فردّ الله تعالى عليها بقوله في سورة المائدة، الآية(٧٣): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، وقوله في سورة النساء، الآية(١٧١): ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

٧٢٨٠ ـ القرآن الكريم يقرّر في عددٍ كثيرٍ من آياته البيّنات أنّ كلّ إنسانٍ مسؤولٌ عن عمل نفسه إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، ولا يؤاخذ أحدٌ بذنب غيره قال تعالى في سورة الأنعام، الآية(١٦٤): ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقال في سورة الإسراء: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقال في سورة فاطر، الآية(١٨): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، وقال في سورة الزمر، الآية(٧): ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وقال في سورة النجم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾، وقال في سورة الطور، الآية(٢١): ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾، وقال في سورة المدثر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾.

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة. نعم هناك حالاتٌ خاصة يتحمّل فيها الإنسانُ مسؤوليةَ غيره ويشاركه بالثواب أو العقاب، فمن صار سبباً في هداية أحدٍ شاركه في ثوابه، ومن صار سبباً في ضلال أحدٍ شاركه في عقابه، وقد صرّح القرآنُ الكريم بهذا الأمر في بعض آياته، قال تعالى في سورة النحل، الآية(٢٥): ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

كما صرّح رسول الله ﷺ في عددٍ من أحاديثه الشريفة بهذا المعنى كقوله: «من سنّ سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمِل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سُنّةً سيئةً فعليه وِزرُها ووِزرُ من عمِل بها إلى يوم القيامة». وقد يحمل الإنسان يوم القيامة أوزارَ من ظلمه في الدنيا وغصَب حقَّه قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُؤتى بالرجل يومَ القيامة وهو كثيرُ الحسنات فلا يَزال يُقتَصُّ منه حتى تفنى حسناتُه، ثم يُطالَب فيقول الله عز وجل: اقتصّوا من عبدي فتقول الملائكة: ما بقيَتْ له حسنات، فيقول: خذوا من سيئات المظلوم فاجعَلُوها عليه» ثم تلا رسولُ الله ﷺ قولَه تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

وأمّا ما رَووا عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ الميّتَ يُعذَّب ببكاء أهله عليه» فهو إمّا أن يكونَ حديثاً مُفترى لأنه مخالفٌ لكتاب الله، وإمّا أن يكون محرَّفاً عن حديثٍ آخر روي عنه ﷺ وهو أنه مرّ على قبر يهوديّ فوجد أهلَه يبكون عليه فقال: «إنكم لتبكُون عليه وإنّه ليُعذّب في قبره»، وإمّا أن يُحمل - على فرض صحته - على أنّ الميّتَ تتألم روحه في قبره من بكاء أهله عليه لأنّه يسمَع ويُحسّ ويشعُر بذلك. ويؤيّد هذا ما روي أنّ النبيّ ﷺ خاطب قتلى المشركين في بدر - بعد أن وُضِعوا في القليب - بقوله: «يا أهلَ القليب هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقّاً؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقّاً» فقال المسلمون: يا رسول الله تنادي قوماً جُيِّفوا؟ فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

وخلاصةُ القول في هذا الموضوع أنّ كلّ إنسان مسؤولٌ عن عمل نفسه ومجزيّ عليه إلا في الحالات الخاصة التي ذكرناها وصدق الله العظيم حيثُ يقول في سورة البقرة، الآية(٢٨٦): ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾.

٧٢٨١ - قيل: مرّ رجلٌ من الصالحين برجلٍ مؤمن قد صلبه الحجّاج فقال وهو يخاطب ربَّه عزّ وجل: «يا رب إن حلمك عن الظالمين قد أضرّ بالمظلومين»، فرأى الرجلُ في منامه كأنّ القيامةَ قد قامت ودخل الجنة فرأى ذلك الرجل المصلوب قد رفعه الله إلى أعلى عِلّيين، ثم سمع منادياً يناديه: «إنّ حلمي عن الظالمين قد رفع المظلومين إلى أعلى عِليّين».

٧٢٨٢ - روي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ الله يُحِبُّ ذا البصرِ

النافذِ عند ورود الشُبهات، ويُحِبُّ ذا العقلِ الكاملِ عند حلول الشَهوات». فيا له من وصفٍ في غاية الروعة والقوّة والبلاغة للرجل الذي سما بعقله فوق الشبهات، وسما بقلبه فوق الشهوات، فكان مثلاً أعلى للمؤمنين، وقدوةً صالحةً للمتّقين.

٧٢٨٣ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجالَ شاركهم في عقولهم»، وقال: «من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل»، وقال الإمام الحسن عليه السلام: «من دلائل العالم انتقادُه لحديثه، وعلمُه بحقائق فنون النظر»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المستبدّ برأيه موقوفٌ على مداحض الزلل». وفي هذه الكلمات النيّرات يضع أئمةُ الهدى عليهم السلام الحدّ الفاصل بين العالم والجاهل. فالعالم يتّهم نفسه ويبحث عن الحقيقة أينما وُجدت، والجاهل يرى الصواب دائماً مع نفسه والخطأ مع غيره، فلا ينظر إلى الأمور إلاّ من زاوية تفكيره وفهمِه للأشياء.

٧٢٨٤ ـ قال عيسى بنُ جعفر ابنِ الإمام عليّ الهادي عليه السلام:

يا بني أحمدٍ أناديكم اليومَ
وأنتم غداً لردّ جوابي

ألفُ بابٍ أعطيتُم ثم أفضى
كلُّ بابٍ منها إلى ألفِ بابِ

لكمُ الأمرُ كلّهُ وإليكم
ولديكم يؤولُ فصلُ الخِطابِ

٧٢٨٥ ـ كان النبيُّ صلى الله عليه وآله يذكر لخديجةَ الكبرى مواقفَها الخالدةَ في خدمة الإسلام وترسيخ دعائمه، وبقي ـ بعد وفاتها ـ يلهج بذكرها

ويُشيد بفضلها حتى كانت عائشة تمتلىء غيظاً من ذلك فتقول له: «ما زِلْتَ تذكر بحسرةٍ وألم عجوزاً من عجائز قريش حمراءَ الشِّدقَيْن ـ أي زاويتي الفم ـ هلكت من عدّةِ سنين، وقد أبدلك الله خيراً منها» فيبدو الغضب على وجه رسول الله ﷺ ويقول: «والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنتْ بي حين كفر الناس، وصَدّقَتْني إذْ كذّبني الناس، وواسَتْني بمالها إذْ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء». ويستبدّ الحسدُ بعائشة حتى كانت تقول عن نفسها: «ما حَسَدْتُ أحداً كما حسدْتُ خديجة، وما تزوّجني رسول الله إلا بعد أن ماتت»، وتقول أيضاً: «ما غِرْتُ من امرأةٍ لرسول الله كما غِرْتُ من خديجة حينما كنت أسمع رسول الله ﷺ يذكرها، وما تزوَّجَني إلا بعد موتها بثلاث سنين».

٧٢٨٦ ـ شُرعت الجماعة في الإسلام منذ شُرعت الصلاة، وكان النبيّ ﷺ ـ في أوّل الدعوة ـ إذا حضر وقت الصلاة يخرج إلى شِعاب مكة ويخرج معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيصلّي هناك ويصلّي خلفه عليٌ ثم يرجعان.

ورأى أبو طالب «رض» النبيّ ﷺ يصلّي وعليٌّ عليه السلام يصلّي عن يمينه فقال لولده جعفر «رض» صل جناح ابن عمك، فصلّى عن يساره، وكان إسلامُ جعفر بعد إسلام أخيه عليّ بفترةٍ قصيرة، وفي ذلك يقول أبو طالب رضوان الله عليه:

إن عليـاً وجعفـراً ثقتـي عند ملمّ الزمان والنُّوبِ
لا تخذلا وانصرا ابنَ عمّكما أخي لأُمّي من دونهم وأبي

وكانت خديجةُ بنتُ خويلد «رض» ـ وهي أوّلُ امرأةٍ دخلت في

الإسلام - تصلّي خلفهم.

قال الحلبي في «السيرة الحلبيّة» عن عفيف الكِندي قال: «كنت امرءاً تاجراً قدِمت للحج وأتيت العباسَ بن عبد المطلب لأبتاعَ منه بعضَ التجارة - وكان العباسُ لي صديقاً - فبينما أنا عنده بمِنى إذا رجلٌ مجتمع «أي بلغ أشُدَّه» خرج من خِباءٍ قريب فنظر إلى الشمس فلمّا رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام يصلّي إلى الكعبة، ثم خرج غلامٌ مراهق فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلّي، ثم جاءت امرأةٌ من ذلك الخِباء فقامت خلفهما، ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة، ثم خرّ الرجل ساجداً وخرّ الغلام وخرّت المرأة. فقلت: ويحك يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا دينُ محمّد بن عبد الله أخي يزعُم أنّ الله بعثه رسولاً، وهذا ابنُ أخي عليُّ بنُ أبي طالب، وهذه امرأتُه خديجة. قال عفيف بعد أن أسلم: «ليتني كنتُ رابعَهم».

أمّا صلاة الجمعة فقد شُرعت بالمدينة بعد هجرة الرسول الكريم ﷺ إليها. وأول صلاة جمعة انعقدت فيها هي التي صلأها رسول الله ﷺ في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم فبنوا هناك مسجداً سُمي «مسجد بني سالم»، وعُرف بمسجد الجمعة.

٧٢٨٧ - قال الشاعر:

فسارتْ مسير الشمس في كل بلدةٍ ... وهبّتْ هبوب الريح في البرّ والبحر

٧٢٨٨ - قال صفي الدين الحلي مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام:

أمـيـر الـمـؤمـنـيـن أراك إمّـا ... ذكـرتُـك عند ذي حسبٍ صغى لي

وإن كـرّرتُ ذكـرَك عـنـد نـغـلٍ ... تـكـدّر صـفـوُه وبـغـى قِـتـالـي

فصرتُ إذا شككتُ بأصلِ قومٍ ذكرتُك بالجميلِ من الفِعالِ
فها أنا قد خَبَرْتُ بكَ البرايا فأنتَ محكُّ أولاد الحَلالِ

٧٢٨٩ ـ قال الشاعر هذه الأبيات الغزلية الرقيقة، وقد نسبها ابن خلّكان في وفياته إلى السيد أحمد الرفاعي أحد شيوخ الصوفيّة، وهي:

إذا جنّ ليلٌ هام قلبي بذكركم
أنوح كما ناح الحمامُ المطوَّقُ
وفوقي سحابٌ يُمطر الهمَّ والأسى
وتحتي بحارٌ بالأسى تتدفّقُ
سلوا «أمّ عمروٍ» كيف بات أسيرُها
تُفَكُّ الأُسارى دونه وهو موثَقُ
فلا هو مقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ
ولا هو ممنونٌ عليه فيُطلَقُ

٧٢٩٠ ـ نُسب إلى النبيِّ ﷺ أنّه كان قد يُخِلّ بوزن الشعر عند قِراءته، أو يتعمّد الإخلالَ بوزنه عند روايته تصديقاً لقوله تعالى في سورة يس: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ ورووا في ذلك عدّة روايات.

منها: ما روي أنّه ﷺ استشهد يوماً بقول الشاعر العربيّ سُحيم:

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فرواه ﷺ: «كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهياً» فقال له أبو بكر: أنما هو:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فأعاده النبي ﷺ كالأوّل: «كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهياً» فقال أبو بكر: «أشهد أنّك لرسولُ الله، وَما عَلَّمناهُ الشِّعْرَ وما يَنبَغِي لَه».

ومنها: ما روي أنّ النبيّ ﷺ استشهد ببيت طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

فرواه ﷺ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

ويأتيك من لم تزود بالأخبار

ومنها: ما روي أنّه ﷺ استشهد ببيت العباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهبَ العُبَيْد بين عُيَيْنة والأقرعِ

فرواه ﷺ:

أتجعل نهبي ونهبَ العُبَيْد بين عيينة والأقرع

ورغم أنّ هذه الروايات تأتي مصداقاً لقول الله تعالى عن نبيّه الكريم ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ ولكنّها قابلةٌ للمناقشة، وفي صِحّتها نظر، والله سبحانه هو الأعلم.

٧٢٩١ ـ لم يَسلمْ من اختلال الوزن كبارُ الشعراء من القُدامى والمُحْدَثين، بل حتى أنّ بعضَ الشعراء الجاهليّين لم تخلُ أشعارُهم من اختلال الوزن واضطرابه كالمرقش الأكبر وعُبَيْد بن الأبرص، وقد أشار المعري إلى هذه الظاهرة في شعر عُبيْد بقوله:

وقد يُخطىء الرأيَ امرؤٌ وهو حازمٌ

كما اختلّ في وزن القريض عُبَيْدُ

وذكر الآمدي في كتابه «الموازنة» بيتاً للبحتري وهو:

ولـمـاذا تـتـبـع الـنـفـسُ شـيـئـاً
جـعـل اللهُ الـفـردوس مـنـه بـواءَ

وقال معلِّقاً: «وكذلك وجدتُه في أكثر النسخ، وهذا خارج عن الوزن»، ثم روى الشطر الثاني بهذا الشكل:

جـعـل اللهُ الـخـلـد مـنـه بـواءَ

وقال: «فإن يكن هكذا قال فقد تخلّص من العيب».

ومما يُنسب إلى البحتري قولُه:

وأحق الأيام بالحسن أن يؤثر عنه يوم المهرجان الكبير وهو واضح الخلل والاضطراب.

وقد ذكر الآمدي لأبي تمام بعض الزِّحافات التي لا تغتفر من مثل هذا الشاعر الكبير.

يقول الأستاذ الشاعر المبدع محمد عبد الغني حسن في مقاله القيّم «قضايا حول الشعر العربي» المنشور في الجزء الأول من المجلد السادس والخمسين من مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق: «والحقيقة أنّ الشعرَ مركبٌ صعب لا يجوز أن يجترئَ عليه ضعيفُ الأداة أو ناقصُها، وكما اضطرب الشعر عند بعض الشعراء القُدامى على خطأٍ منهم أو على جهلٍ من الرواة أو النُسّاخ فإنّه قد اضطرب أحياناً عند بعض الأدباء القُدامى، فقد ذكروا أنّ «أبا عليّ القالي» صاحبَ «الأمالي» كان لا يقيم أوزانَ الشعر على كثرة روايته له واستشهادِه به، ومما يُروىٰ في ذلك أنّه حين وفد على الخليفة الأموي الأندلسي «الناصر» هيؤوا له

رَكباً إلى «قرطبة» حاضرةِ الخلافة في احتفالٍ عظيم احتشد فيه أدباءُ الأندلس وعلماؤها احتفاءً بهذا الأديبِ الوافدِ من الشرق.

وكان الناصرُ وابنُه الحَكمُ من بعده يكرمانِ الأُدباء أوفى تكريم. وأخذ ركبُ الأدباء أوفى تكريم. وأخذ ركبُ الأُدباء يتذاكرون الأدب والشعر مع القالي في خلال مسيرتهم إلى قرطبة، إلى أن تحاورا يوماً ـ وهم على المطايا ـ في أدب «عبد الملك بن مروان» ومساءلتِه جلساءه عن أفضل المناديل في بيت من الشعر الجاهلي:

فحين قمنا إلى جُرْدٍ مسوّمةٍ أعرافهُنّ لأيدينا مناديلُ

فروى «القالي» البيت هكذا:

أعرافها لأيدينا مناديل

بدلاً من «أعرافهن» مما انكسر معه وزنُ البيت، فأنكرها واحدٌ من أدباء الركب هو «ابن رفاعة الألبيري» وكان أديباً ولكن في خُلُقه زَعارة ـ أي شراسة ـ وفي صدره حرج.. واستعاد أبا عليٍّ القالي مرتين مستوثِقاً، فأعادها القالي «أعرافها» لا «أعرافهن»، فلوى ابن رفاعة عِنان مطيّته منصرفاً عن الركب قائلاً في حِدّةٍ وسخريةٍ وتعجّب أمع هذا يُوفَد على أمير المؤمنين وتُتجشم الرحلةُ لتعظيمهِ وهو لا يقيم وزنَ بيتٍ مشهورٍ بين الناس لا يغلَط فيه الصبيان؟! والله لا صحِبتُه خطوة، وانصرف عن الركب».

وقد أخذ بعض نُقّاد الأدب على شوقي قوله في روايته «عذراء الهند»:

هذي سماء الهند شاهدة وأرضها والجبال والسهلُ

فإن نقلنا لبقعةٍ قدماً فللهوى لا البقعةِ النقلُ

حيثُ إنّ بحر الشطر الثاني من البيت الثاني يختلف عن بحر الأشطر الأخرى.

٧٢٩٢ ـ قال الشاعر:

ربِّ إنّ الـــــهـــــدى هُـــــداك   وآياتُـك نـورٌ تَـهـدي بـهـا مـن تـشـاءُ

٧٢٩٣ ـ يتساءل الكثير من الناس عن أنّ المعصومين عليهم السلام هل كانوا على علم بساعة موتهم؟ وهل أنّهم عندما يتناولون السمّ الذي يقدّمه لهم طواغيتُ زمانهم كانوا يعلمون أنّه سُمٌّ قاتل؟ وإذا كانوا على علمٍ بذلك فكيف يُلقون بأنفسهم إلى التهلكة؟ هذه الأسئلة وأمثالُها تدور في أذهان عددٍ كبيرٍ من المحبّين والموالين ولا يجدون لها الجوابَ الكافي والشافي، فالأجوبة مختلفة ومضطربة فمنهم من يقول: إنهم لا يعلمون ذلك لعموم قوله تعالى في سورة لقمان، الآية(٣٤): ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. ومنهم من يقول: إن الله يُنسيهم العلمَ به عند تناوله، إلى غير ذلك من الأجوبة التي لا تستند إلى تحقيق دقيق. والحقيقة التي تظهر جليّةً من استقراء الحوادث والأحاديث التي تتعلّق بوفياتهم صلوات الله عليهم أنّهم كانوا على علمٍ تامٍ بما يقع عليهم، وأنّهم كانوا يخبرون خواصَ الأهل والأصحاب بتفصيل ذلك، بل إنّهم كانوا يُخبرون بعضَ أولئك الخواص بما سيجري عليهم من الطواغيت لاختبارهم وتمحيصهم وإظهار معدنِهم النفيس فضلاً عمّا سيجري على أنفسهم صلوات الله عليهم، غايةُ الأمر أنهم يعلمون أيضاً أنّ ذلك كائنٌ لا مَحالة وأنّه من الأجلُ المحتوم الذي لا يتقدّم ولا يتأخر ولا يتبدّل ولا يتغيّر. وخيرُ ما يُلقي الضوء على هذه الحقيقةِ ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

أنه لما قدّم له السنديُ الرطبَ المسموم الذي بعثه إليه الرشيد رفع يدَه إلى السماء وقال: «يا رب إنك تعلم أني لو أكلتُ قبلَ اليوم كنتُ قد أعنتُ على نفسي». وقد تكلمنا عن هذا الموضوع في فِقرةٍ سابقةٍ من هذا الكتاب.

٧٢٩٤ ـ روت فاطمة الزهراء عليها السلام عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه».

٧٢٩٥ ـ روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ أحسنَ الناس عند الله من أحسن صحبةَ أزواجه وبناته». ومثلُه قولُه صلى الله عليه وآله: «أحسنكُم أحسنُكُم لأهله».

٧٢٩٦ ـ روي: أنّ أبا سفيان بعد دخوله الظاهري في الإسلام نظر يوماً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقد أحاط به أصحابُه كأنّه البدر وقد أحاطت به النجوم، فهاج به الحقدُ الجاهليُ وقال في نفسه: ليت شعري بأيّ شيءٍ غلبني هذا الرجل؟ فعلِم رسولُ الله صلى الله عليه وآله بما في نفسه فأقبل عليه وضرب بين كتفيه وقال: «باللهِ غلبتُك يا أبا سفيان». ولما صارت الخِلافة إلى عثمان بن عفان الأموي ظهر الزهوُ والفرحُ على أبي سفيان حتى ذهب إلى قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب فركله برجله وقال: «انهض يا أبا عَمارة فقد صار إلينا المُلْكُ الذي حاربتَنا عليه»، وفي روايةٍ أخرى قال له: «يا أبا عَمارة إنّ الذي اجتلدْنا عليه بالسيف أمسىٰ بيد غِلماننا يتلعّبون به». ودخل في مجلس عثمان مزهواً بالنصر فقال: «هل في المجلس من يُحتشم؟» قالوا: لا، فقال: «تلقّفوها يا بني أمية تلقّفَ الكرة فوالذي يحلِف به أبو سفيان ما من جنّة ولا نار

ولا حسابٍ ولا عقاب، ولقد كنتُ أرجوها لكم ولتصيرنَّ إلى صِبيانكم وِراثة».

٧٢٩٧ ـ عبد الله بن سرح أخو عثمان من الرّضاعة، أسلم في مكة وهاجر إلى المدينة وصار من كتّاب الوحي، ولكنّه ارتدّ عن الإسلام وصار يحرّف كلام الله، وذهب إلى مكة يحدّث قريشاً بالباطل ويقول لهم: إني كنتُ أصرف محمداً حيثُ أريد، وكان يملي عليّ من قرآنه: عزيز حكيم فأكتبها: عليم حكيم. ويملي عليّ: لعنة الله على الكافرين فأكتبها: على الظالمين. فأنزل الله في ذمّه قوله في سورة الأنعام: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وفي فتح مكة أهدر رسول الله ﷺ دمَه مع من أهدر دماءَهم من المشركين ولكنّ عثمان تشفّع فيه عند رسول الله ﷺ وألحّ في ذلك، والنبيّ ساكتٌ لا يجيب، وأخيراً وبعد إلحاح عثمان لم يَزِدِ النبيّ ﷺ على قوله: نعم، فانصرف به عثمان، فالتفت رسولُ الله ﷺ إلى من حوله من المسلمين وقال لهم: «أما كان فيكم من يقوم إلى هذا الكلب ويقتلُه، وإني ما سكتُّ إلا ليقومَ أحدُكم إليه فيقتلَه قبل أن أؤمّنَه» فقال بعضهم: لو أومأتَ إلينا لقتلناه، فقال ﷺ: «إني لا أقتلُ بالإشارة».

وبقي ابنُ سرح يُضمر العداوةَ للنبيّ ﷺ والكيدَ للإسلام حتى جاءت خِلافة عثمان فكانت فرصةً له ولأمثاله من المنافقين والطامعين للنهب والسلْب، وقد ولاه عثمان على مصر يستأثر بخيراتها وثرواتها

مدّةً تزيد على ثمان سنين، وأعطاه جميعَ ما أفاء الله من فتح إفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشاركَه فيه أحدٌ من المسلمين، كما نصّ على ذلك ابن أبي الحديد وغيرُه من المؤرّخين.

٧٢٩٨ ـ روى المؤرخون عن عبد الله بنِ عمر أنّه قال: كنتُ عند أبي يوماً وعنده نفرٌ من الناس، فجرى ذكر الشعر فقال أبي: من أشعر العرب؟ فقال بعضهم: فلان، وقال آخرون: فلان. وفيما هم كذلك إذ طلعَ عليهم عبدُ الله بنُ عباس فقال أبي: لقد جاءكم الخبير، فسأله عن أشعر العرب فقال ابن عباس: أشعرهم زهير بن أبي سُلمىٰ وأنشد له أبياتاً من قصيدةٍ مدح بها بني سنان أحد فروع غطفان يقول فيها:

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبُهم
طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدوا

إنسٌ إذا أمِنوا جِنٌّ إذا فزِعوا
مُرَزَّؤونَ بهاليلٌ إذا جَهِدوا[1]

محسَّدُون على ما كان من نعمٍ
لا ينزعُ اللهُ منهم ما له حُسِدوا

فقال عمر: لقد أحسن والله، وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول اللهﷺ. فقال ابن عباس: وفّقك الله يا أمير المؤمنين ولم تزل موفّقاً. فقال عمر: يا ابن عباس أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا، فقال: ولكنّي أدري، لقد كرِهتْ

(١) مرزؤون: كرام أسخياء. بهاليل: سادة أنجباء.

قريش أن تجمعَ لكم النبوّة والخلافة فتجحَفوا الناس جَحْفاً - أي تسوقوا الناسَ سَوْقاً - فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووُفقت وأصابت. فقال ابن عباس: أيميط عني أميرُ المؤمنين غضبَه ويسمع؟ فقال له: قلْ ما تشاء، قال: أمّا قولُك: لقد كرهت قريش فإن كانت قريش كرهتْ فقد قال الله عن قوم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾[1].

وأمّا قولُك: إنّا كنا نجحَف، فلو جَحَفْنا بالخِلافة جَحَفْنا بالقرابة، ولكنّا قومٌ أخلاقُنا مشتقةٌ من أخلاق رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[2]، وقال له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾[3]. وأمّا قولُك: إنّ قريشاً اختارت، فإنّ الله يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[4] وقد علِمتُ يا أميرَ المؤمنين أنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرتْ قريشٌ حيثُ نظر لها الله لوُفّقت وأصابت.

فقال عمر: على رِسْلِك يا عبد الله، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غِشّاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول. فقال ابن عباس: لا تنسِبْ قلوبَ بني هاشم إلى الغِش فإنها من قلب رسول الله ﷺ الذي طهّره الله وزكّاه وأنزل فيه ولي آله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[5]. وأمّا وصفك لقلوبهم بالحقد على قريش فكيف لا يحقد من غُصب حقّه ويراه في يد غيره.

---

(١) سورة محمد، الآية(٩).

(٢) سورة القلم، الآية(٤).

(٣) سورة الشعراء، الآية(٢١٥).

(٤) سورة القصص، الآية(٦٨).

(٥) سورة الأحزاب، الآية(٣٣).

فغضِب عمر وقال: يا ابنَ عباسٍ بلغني عنك كلامٌ أكره إنْ أخبرتُك بهِ فتزول منزلتُك عندي. فقال ابن عباس: وما هو؟ أخبرني عنه، فإنْ يكنْ باطلاً فمثلي من يُحيط الباطلَ عن نفسه، وإنْ يكنْ حقاً فإنّ منزلتي لا تزول به. فقال عمر: بلغني عنك أنك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر حسداً وظلماً. فقال: نعم لقد أُخذ حسداً وظلماً، وقد حسد إبليس آدم فأخرجه الله من الجنة ونحن بنو آدم المحسودون، وأنت تعلم يا أميرَ المؤمنين من هو صاحبُ الحق. ثم قال: لقد احتجّتِ العربُ على العجم بحقّ رسول الله ﷺ، واحتجّت قريشٌ على العرب بحقّه، ونحن أحقّ برسول الله من قريش وغيرِها.

فقال عمر ـ وقد ضاق ذرعاً به ـ: قمْ واذهبْ إلى منزلك يا عبد الله.

فلمّا انصرف ابنُ عباس ناداه عمر: أيها المنصرف إني ـ على ما كان منك ـ لراعٍ حقّك. فالتفت إليه ابنُ عباس وقال: إنّ لي عليك وعلى كلّ مسلمٍ حقاً برسول الله ﷺ، فمن حفِظه فحقَّ نفسه حفِظ، ومن أضاعه فحقَّ نفسه أضاع. فلمّا غاب عنه شخصُه قال لمن حضر عنده: واهاً لابن عباس ما رأيتُه لاحىٰ أحداً قط إلا خصمه.

٧٢٩٩ ـ كانت تقع بعض المفارقات والتناقضات العجيبة في أفعالِ عمر وأقواله وتصرّفاته:

فبينما كان يقول يوم السقيفة: إنّ الخِلافةَ في قريش ولا تصلح لأحدٍ غيرهم، وقد أنكر على الأنصار مطالبتَهم بالخِلافة لأنهم ليسوا من قريش، إذْ نراه يقول بعد مصرعه: لو كان أبو عُبيدة حيّاً لاستخلفتُه، وقلتُ لربّي لو سألني: لقد سمعت نبيّك يقول: إنه أمينُ

هذه الأُمّة. ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفتُه وقلتُ لربّي لو سألني: لقد سمعت نبيّك يقول: إنّ سالماً شديدُ الحب لله. مع أنّ سالماً لم يكن من قريش.

وبينما كان يحاول أن يتخلّص من مسؤوليّة الخلافة وأعبائها وأثقالها حتى أنّ المغيرةَ بنَ شعبة لمّا قال له بعد أن ضُرب: اجعلها يا أميرَ المؤمنين لولدك عبد الله، صاح به مغضباً: قاتلك الله، والله ما أردت بهذا إلا الشر، أتشير علي أن أجعلَها لرجلٍ يعجَز عن طلاق زوجته.. لا يليها رجلانِ من ولد الخطّاب، حسْبُ عمرَ ما حملَ، والله لا أتحمّلها حيّاً وميتاً، إذ نراه يحصُرها في ستّةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ويرسُم خُطّةً محدّدةً للانتخاب تنتهي في النتيجة إلى استخلاف عثمان ويتحمّلُ ذلك حيّاً وميتاً.

وبينما كان يقول عن هؤلاء الستة إنّ رسول الله ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، إذْ نراه يقول لطلحة بعد أن رشّحه للشورى: لقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك للكلمة التي قلتُها يوم نزلتْ آيةُ الحجاب.

وبينما كان يقول يوم السقيفة وبعدها: «إنّ الخلافةَ والنبوّةَ لا يجتمعانِ في بيتٍ واحد» واتّخذ ذلك حُجّةً لإقصاء عليٍّ عليه السلام عن الخِلافة، إذْ نراه يقول له أكثر من مرّة: «أمَا واللهِ لقد أرادك الحقُّ ولكنّ قومَك أبوا ذلك»، ويقول له يومَ الشورى: «أمَا واللهِ لو ولّيتَهم لتحملنّهم على الحقّ الواضح والمحجّةِ البيضاء»، وقال مِن قبل ذلك لابن عباس: «أما إنّه ـ يعني عليّاً ـ لو وَليَ أمرَهم حملهم على المحجّةِ البيضاء والصراطِ المستقيم»، وقال له في موقفٍ آخر: «واللهِ إنّ صاحبَك لأوْلى الناسِ بالأمر بعد رسول الله».

٧٣٠٠ ـ روي عن سويد بن غفلة أنّه قال: كنتُ مع أبي موسى الأشعري على شاطئ الفرات في خِلافة عثمان فروى لي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الخلاف بينهم حتى بعثوا حَكَميْنِ ضالّيْن ضلا وأضلا من اتبعهما، ولا ينفكّ أمر هذه الأُمّة حتى يبعثوا حَكَميْنِ ضالّيْنِ ويُضِلانِ من اتبعهما» فقلت له: احذرْ يا أبا موسى أن تكون أحدَهما، فخلع قميصه وقال: ابرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قيمصي هذا. ثم قال سويد: ولقد صدقَتْ فيه نُبوءَةُ رسول الله ﷺ فلقد كان حَكَماً لأهل العراق ـ يوم صفّين ـ فضلّ وأضلّ من اتبعه.

٧٣٠١ ـ روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال بعد أن بويعَ بالخلافة: كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض أولاد عُتبة بن مسعود فمرّ بي يوماً وأنا ألعبُ مع الصِبيان ونحن نلعن علياً؟؟ فكرِه ذلك ودخل المسجد، فتركتُ الصبيان وجئتُ لأدرس عليه فلمّا رآني قام إلى الصلاة وأطال فيها وكأنّه معرِضٌ عني، فلمّا انفتل من صلاته كَلَحَ في وجهي، فقلت له: ما بالُ الشيخ معرضاً عنّي؟ فقال لي: أنت اللاعنُ عليّاً؟! قلت: نعم، قال: فمتى علِمتَ أن الله سخِط على أهل بدر بعد أن رضيَ عنهم؟ فقلت له: وهل كان عليٌّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك وهل كانت بدر كلُّها إلا له. فقلتُ له: لا أعود لمثلها.

ثم قال عمر بن عبد العزيز: وكنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطُب يومَ الجمعة وهو يومَ ذاك أميرُها، فكنت أسمع أبي يمُرّ في خطبته تهدِر شقاشِقُه حتى يأتيَ إلى لعن عليٍّ بن أبي طالب فيُجمجم ويعرِضُ له من الفهاهَةِ والحَصَرِ ما اللهُ عالمٌ به، فكنت أعجب

من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبتي أنت أفصحُ الناسِ بلعن هذا الرجل صرتَ أَلْكَنَ عَيِيّاً؟!

فقال: يا بُنيّ لو علم مَن تحت منبرنا من أهل الشام وغيرِهم من فضل هذا الرجل ما يعلمُه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوَقرتْ كلمتُه في صدري، مع ما قال معلمي أيامَ صغري، وأعطيتُ الله عهداً لئن كان لي في هذا الأمر شيء لأغيّرنّه. فلمّا منّ الله عليّ بالخِلافة أسقطتُ ذلك.

٧٣٠٢ ـ روى الإمام الرضاعليه السلام عن آبائه عن رسول اللهصلى الله عليه وآله أنّه قال: «قال الله جلّ جلالُه: «ما آمن بي من فسر كلامي برأيه وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس في ديني ومن ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم».

٧٣٠٣ ـ قيل: إنّ أعرابياً سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ فقال: سبحان الله، من الذي أغضب الجليلَ حتى حلف؟! ألم يصدّقوه في قوله حتى احتاج إلى اليمين؟ يا ويح الناس.

٧٣٠٤ ـ قال الشافعي:

أنا إن عشتُ لستُ أَعْدَمُ[1] قوتا
وإذا متُّ لستُ أعْدَمُ قَبْرا
هِمّتي هِمّةُ الملوك ونفسي
نفسُ حرٍّ ترى المذلّةَ كُفْرا

---

(١) أعدَم: أفقد.

وإذا ما قنعتُ بالقوت عُمري
فلماذا أخافُ زيداً وعَمْروا

٧٣٠٥ ـ روي عن ابن عباس أنّه قال: «من كان له مالٌ يُبلِغُه حجَّ بيت ربّه، أو تجبُ عليه فيه زكاةٌ فلم يفعلْ سأل الرجعةَ عند الموت» فقال له رجل: يا ابن عباسٍ اتّقِ الله فإنّما يسأل الرجعةَ الكفّار، فقال ابن عباس: سأتلو عليكم بذلك قرآناً قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

٧٣٠٦ ـ روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «اطلُبوا الحوائجَ بعِزّة النفس فإنّ الأمورَ تجري بالمقادير»، وقال: «من أعطى الذّلّةَ من نفسه طائعاً غير مُكرَه فليس مِنّا».

٧٣٠٧ ـ قال بعض العلماء في مقام الوعظ والتذكير: إنّ الشيطانَ أقسم لآدمَ وحوّاء أنّه ناصحٌ لهما كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾، ففعل بهما ما فعل. ثم أقسم على غوايتنا كما قال تعالى في سورة ص: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾، فما عسى أن يفعَل بنا.

٧٣٠٨ ـ هناك معنيان متغايران يردان في الشعر العربيّ قديمه وحديثِه.

المعنى الأوّل: أن يُحِبَّ الشاعرُ لغيره ما يُحِبُّ لنفسه، فإذا أراد الخير أراده للجميع، وفي هذا المعنى يقول المعرّي:

---

(١) سورة المنافقون، الآية(١٠).

فلا هطلتْ عليَّ ولا بأرضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

المعنى الثاني: أن يهتمَّ الشاعرُ بمصلحة نفسه دون الالتفات إلى مصالح الآخرين، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إنّما دنيايَ نفسي فإذا ذهبتْ نفسي فلا عاش أحَدْ

ليتَ أنّ الشمسَ بعدي غَرَبَتْ ثم لم تطلُعْ على أهل البلَدْ

ويقول الآخر في المعنى نفسه:

إذا مُتُّ ظمآناً فلا نزل القَطْرُ

٧٣٠٩ - من أعجب الأعاجيب أن تردَ في كتابٍ مهمٍّ كصحيح البخاري بعضُ الأساطير التي دسّها المنافقون في التاريخ الإسلامي كأسطورة الراقصات اللاتي كنّ يرقُصنَ بين يدي النبيّ ﷺ ويضرِبْنَ بالدّفوف، ويدخل أبو بكر فيطردُهُنّ النبيّ ﷺ وهو يقول: «جاء رجلٌ لا يُحِبُّ الباطل»، فكأنّ النبيّ «والعياذ بالله» كان يُحِبّ الباطل!! وأبو بكر لا يُحِبّه.

أو أسطورة المغنيّات اللاتي كنّ يغنّينَ بين يدي النبيّ ﷺ ويضرِبْنَ بالطبول، ويدخل عمر فلمّا رأيْنَه مقبِلاً هربْنَ فتضاحك النبيّ ﷺ وقال: «إنّ الشيطانَ يهرُبُ من عمر»، فكأنّ الشيطانَ كان لا يهرُب من النبيّ!! ويهرُب من عمر.

أو أسطورة أنّ النبيّ ﷺ أراد أن يأكلَ من الذبائح التي كانت تُذبح للأوثان فمنعه من ذلك زيدُ بن عمرو بنِ نفيل، إلى غير ذلك من الأباطيل والأضاليل التي لا تليق بمقام النبوّة، ولا يُقرّها عقلٌ ولا منطق، ولا تثبُتُ أمامَ المناقشة العلميّة.

٧٣١٠ ـ الكتابة سِرُّ الحياة وأساسُ الحَضارات، وهي النعمةُ الكبرى التي منَّ الله بها على عباده، وأشار إليها وأشاد بها في أوّل التنزيل حيثُ قال في سورة العَلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾. وقال رسول الله ﷺ: «قَيِّدوا العلمَ بالكتابة أو بالكتاب» والمعنى واحد. وفي رواية أخرى قال: «قيّدوا العلم» فقالوا: وما تقييدُه؟ قال: «كتابتُه»، وقال ﷺ: «لا تفارقِ المحبرةَ فإنّ الخيرَ فيها وفي أهلِها إلى يوم القيامة، ومن مات وميراثُه المحابر والأقلام دخل الجنّة».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اكتُبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتُبوا»، وقال: «القلبُ يتّكِل على الكتابة»، وقال: «إذا كان يومَ القيامة جمع الله الناسَ في صعيدٍ واحد، ووُضعتِ الموازين فيوزن دماءُ الشهداءِ مع مِداد العلماء فيرجّحُ مِدادُ العلماءِ على دماءِ الشهداء» وسببُ ذلك: أنّ الفوائدَ الكبرى التي تحصُل من مِداد العلماء في خدمة الدين والمجتمع ـ في حياتهم وبعد مماتهم ـ أعظمُ من الفوائد التي تحصُل من دماء الشهداء الذين يجودون بأنفسهم في سبيل الله ونصرةِ دينه.

٧٣١١ ـ قال الشاعر:

العلمُ أنفسُ شيءٍ أنتَ ذاخرُه
من يدرس العلمَ لم تُدرَسْ مفاخِرُه

أقبِلْ على العلمِ واستقبِلْ مقاصِدَه
فأوّلُ العلمِ إقبالٌ وآخِرُهُ

٧٣١٢ ـ قال الشاعر:

تَطرُقُ أهلَ الفضل دونَ الورى مصائبُ الدنيا وآفاتُها

كالطير لا يُسجن من بينها إلا التي تُطرِبُ أصواتُها

٧٣١٣ ـ قالوا: «العلم ما حفِظَتْهُ الصدور، لا ما جمَعتْهُ السطور» لأنّ الذي يعتمد على الكتابة دون الحفظ يكون قليلَ الوعي كما قال الشاعر:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعُك للكتبِ لا ينفعُ

وقال الآخر:

عليك بالحفظ دون الجمع في كتبٍ
فإنّ للكتب آفاتٍ تُفرّقُها

الماءُ يُغرِقُها والنارُ تُحرِقُها
والفأر يَخرُقُها واللّص يَسرِقُها

٧٣١٤ ـ قال الشاعر:

ألهتْ بني تغلبٍ عن كل مكرُمَةٍ
قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كلثومِ

٧٣١٥ ـ كانت العرب تسمي شهر «شعبان» «العاذل»، وتسمي شهر «رجب» «الأصم»، وقد تفنّن الشعراء في هذين الاسمينِ لهذينِ الشهرين فقال أحدهم:

وشادِنٌ مبتسمٌ عن حبَبٍ[1] مورّدُ الخدّ مليحُ الشّنَبْ

يلومُني العاذِلُ في حبّه وما درى شعبانُ أني رجبْ

---

(١) الحبَب: الأسنان المنضّدة. الشنَب: الأسنان البيضاء الناصعة.

٧٣١٦ ـ قال المرحوم السيد محسن الأمين:

إذا شهر الصيام إليك وافى فكلْ ما شئتَ ليلاً أو نهارا[1]
بهذا شِرعةُ الإسلام جاءتْ وفي تفسير هذا العقلُ حارا

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

إذا ما جاء شهرُ الصوم فافطرْ على مشويّه وَكُلِ النهارا

٧٣١٧ ـ قال المرحوم السيد محسن الأمين:

لقد كانت الرُّكبانُ تُخبِر أنّه وحيدُ صفاتٍ عنده الخير أجمَعُ
فلمّا شفىٰ أسقامَ قلبي لقاؤه رأيتُ لديه فوقَ ما كنتُ أسمَعُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

كانت مسامرةُ الرُّكبان تُخبرنا عن جعفر بن فلاحٍ أحسنُ الخبرِ
حتى التقينا فلا واللهِ ما سمِعتْ أذْني بأكثرَ مما قد رأى بصري

٧٣١٨ ـ من أروع ما قيل في العِفّة بين الأحبّاء قولُ الشريف الرضي رضي الله عنه:

بِتنا ضجيعينِ في ثوبي وهوًى وتقًى يضمُّنا الشوقُ من فَرْق[2] إلى قَدَم

٧٣١٩ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «من قصُر عمرُه كانت مصيبتُه في نفسه، ومن طال عمرُه تواترت مصائبُه، ورأى في نفسه وأحبائه ما يسوؤه». وقد أخذ هذا المعنى بعضُ الشعراء فقال محمد بنُ أبي وهيب الحميري:

من يعمّرْ يُفجعْ بفقد الأحبّا ومن مات فالمصيبةُ فيهِ

---

(١) نهار: اسم طائر، وليل: اسم أنثاه. (٢) الفَرْق: الخط الذي في الرأس.

وقال الآخر:

من يتمنّى العمرَ فليدّرعْ صبراً على فقد أحبائهِ
ومن يعمّرْ يلقَ في نفسهِ ما يتمنّاه لأعدائهِ

٧٣٢٠ ـ قال «جالينوس»: «أصلُ داء الرأس من إدخال الطعام على الطعام، وهو الذي أفنى البَرِيّة، وقتل السِّباع البَرّية». وصدق رسول الله ﷺ حيثُ يقول: «المَعِدَةُ بيتُ الداء، والحِمْيَةُ رأسُ الدواء».

٧٣٢١ ـ قيل لبعض الحكماء: أيُّهما أحبُّ إليك أخوك أم صديقك؟ فقال: «ما أحِبّ أخي إلا إذا كان لي صديقاً». وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حيثُ يقول: «القرابة تحتاج إلى المودّة، والمودّة لا تحتاج إلى القرابة».

٧٣٢٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «عجِبْتُ للمتكبر الذي كان بالأمسِ نُطفةً ويكونُ غداً جيفة، وعجِبْتُ لمن شك في الله وهو يرى خلقَ الله، وعجِبْتُ لمن نسيَ الموتَ وهو يرى من يموت، وعجِبْتُ لمن أنكر النشأةَ الأُخرى وهو يرى النشأةَ الأُولى، وعجِبْتُ لعامر دارِ الفناء وتاركِ دارِ البقاء».

٧٣٢٣ ـ قال البحتري:

كالبدرِ إلا أنها لا تُجتَلى[1] والشمس إلا أنها لا تغرُبُ

٧٣٢٤ ـ قالت رابعة العدوية:

لك ألفُ معبودٍ مطاعٍ أمرُه دون الإله وتدّعي التوحيدا؟

---

(١) لا تجتلى: لا ينظر إليها بسبب حجابها.

وصدقَتْ في ذلك، فكل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده، ومن أطاع الشيطانَ فقد عبده، ومن أطاع هواه فقد عبده، ومن أطاع الطاغوتَ فقد عبده. قال الله تعالى في سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾، وقال في سورة الفرقان، الآية(٤٣): ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾. وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبدَه، فإن كان الناطقُ يؤدّي عن الله فقد عبد الله، وإن كان يؤدّي عن الشيطان فقد عبد الشيطان». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من أطاع رجلاً في معصيةٍ فقد عبَدَه».

٧٣٢٥ ـ قيل: ليس في أسماء العرب شهل ـ بالشين ـ إلا شهل بن شيبان الشاعر، وما عداه فهو ـ بالسين ـ، وليس فيها شُمس ـ بضمّ الشين ـ إلا شُمس بن مالك، وما عداه فهو ـ بالفتح ـ. وليس فيها سُلمى ـ بضمّ السين ـ إلا مَن تكنّى بها جدُّ كعب بن زهير بن أبي سُلمى صاحبِ قصيدة «بانت سعاد» التي مدح بها رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وما عداها فهو ـ بالفتح ـ.

وليس فيها زَبَير ـ بفتح الزاي ـ إلا والد عبد الله بن الزَّبَير الأسدي الشاعر وهو غير عبد الله بن الزُّبير المعروف، وما عداه فهو ـ بالضمّ ـ.

وليس فيها عدُس ـ بضمّ الدال ـ إلاّ عدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم، وما عداه فهو ـ بالفتح ـ. وليس فيها حُضَيْن ـ بالضاد ـ إلا حُضَين بن المنذر الرقاشي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وأحد حملة أَلْوِيته يوم صفين، وقد قال له عليه السلام: «سِرْ بها يا حُضَيْن

واعلم أنّه لا تخفِق على رأسك رايةٌ مثلُها أبداً، هذه راية رسول الله ﷺ» فلمّا زحف بها أنشد أميرُ المؤمنين عليه السلام أبياتاً من الشعر مطلعها:

لمن رايةٌ حمراء يخفِق ظلُّها إذا قيل: قدّمْها حُضينٌ تقدّما

وما عداه فهو ـ بالصاد ـ. وليس فيها مَيثم ـ بفتح الميم ـ إلا الشيخ ميثم البحراني صاحب «شرح نهج البلاغة»، وما عداه فهو ـ بالكسر ـ.

٧٣٢٦ ـ قال الشاعر:

وإذا صاحبتَ فاصحبْ ماجداً ذا حياءٍ ووفاءٍ وكرَمْ

قائلاً للشيء: لا إن قلتَ لا وإذا قلتَ: نعمْ قال: نعمْ

٧٣٢٧ ـ قال الشريف الرضي رضي الله عنه يخاطب صديقاً له:

أنت الكرى مونسٌ طرفي وبعضهُمُ
مثلُ القَذى مانعٌ طرفي من الوسَنِ

لقد تمازج قلبانا كأنّهما
تراضعا بدم الأحشاءِ لا اللبَنِ

وقال الآخر في وصف صديقٍ له:

بنفسي أخٌ لي في الأمور مساعدُ
فلي وله جسمانِ والقلبُ واحدُ

إذا غابَ عني لم أذقْ طعمَ لذّةٍ
لأنّ فؤادي شطرَه متباعِدُ

٧٣٢٨ ـ قال الشاعر في ذم أحد النوّاب:

قلت للنائب الذي قد عرفنا معائِبَهْ:
لستَ عندي بنائبٍ إنما أنتَ نائِبَهْ

٧٣٢٩ ـ قال الشاعر في ذم معلم الصبيان:

كفى المرءُ نقصاً أن يقالَ بأنّه معلّمُ صِبيانٍ وإنْ كان فاضلا

٧٣٣٠ ـ قيل: حجّ أعرابيٌّ فدخل مكةَ قبل وصول الناس إليها، فطاف بالبيت وتعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: إلهي اغفرْ لي قبل أن يزدحمَ عليك الناس.

٧٣٣١ ـ قيل: جاء شابٌ من الريف إلى المدينة للدِراسة فكتب إلى أهله كتاباً جاء فيه: «نخبركم ـ لا أخبرتم بمكروه ـ أنني غسلت ثيابي ونشرتها على السطح فهبّتْ ريح شديدة فألقتْ ثيابي إلى صحن الدار، والحمد لله الذي لم أكنْ فيها وإلا لتكسّرت».

وقيل: سُرق لأعرابيّ حمار فقال له بعض الناس: أسُرِق حمارُك؟ قال: نعم والحمد لله رب العالمين. قالوا: على ماذا تحمَدُ الله؟ قال: أحمَدُه حيثُ لم أكنْ في ذلك الوقت راكباً عليه.

وقيل: إنّ أميراً نادى خادمَه ليلاً وكان نائماً، فاستيقظ مدهوشاً وقام مسرعاً فسقط، فلمّا جاء قال له الأمير: ما هذا الصوت الذي سمعتُه؟ قال: عباءتي سقطت على الأرض، فقال الأمير: لم يكن الصوتُ صوتَ عباءة، قال الخادم: نعم أنا كنتُ في جوفها.

٧٣٣٢ ـ من نوادر جُحا: أنّه جاءه يوماً ضيوف فقال لهم: قفوا ها هنا حتى أفسحَ لكم المجال في البيت، فدخل ولم يخرج، وقال

لزوجته: في الباب ضيوف فاصرفيهم بحكمتكِ، فجاءت إليهم وقالت لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: نريد الشيخ، قالت: غير موجود، قالوا: الآن دخل ليفسح لنا المجال، فقالت: أقول لكم غير موجود، فاشتدّ النزاع والجدال بينها وبينهم فتضايق جحا من ذلك فأطلّ عليهم من النافذة وقال لهم: إلى متى تجادلون هذه المسكينة لعلّ للدار بابيْن وقد خرج من الباب الأخرى.

ومنها: أنّه لما دخل شهر رمضان أحضر جُحا جرّةً وصار يُلقي فيها كلَّ يومٍ حصاةً ليضبُطَ حساب الشهر. فرأت ابنةٌ له صغيرةٌ ما يفعل في الجرّة فصارت تأتي وتلقي فيها الحصى دون علمه. وفي يوم من أيامِ الشهر سأله أحدُ أصحابه: كم مضى من الشهر؟ فقال: مهلاً لأضبِطَ الحساب وذهب إلى الجرّة وحسَب ما فيها من الحصى فإذا هي مائة وعشرون حصاة فاستكثر ذلك وقال: أسقِط نصفها، ثم جاء لصاحبه وقال: مضى من الشهر ستون يوماً، فقال: وهل يكون الشهر أكثر من ثلاثين يوماً؟ فقال جحا مغضَباً: إذاً ماذا كنتَ تقول لو أخبرتُك بكل ما في الجرّة، إنها مائة وعشرون.

ومنها: أنّه اشترى دقيقاً وأعطاه لحمّال ليحملَه إلى بيته فهرب به، وفي يومٍ من الأيّام رأى جُحا الحمّال فبدَلاً من أن يطالبَه بالدقيق استتر عنه فقيل له في ذلك فقال: أخاف أن يطالبَني بالأُجرة.

ومنها: أنّه دفن بعض نقوده في الصحراء، وبعد فترةٍ من الزمن جاء يبحث عنها فلم يجدْها، فقيل له: هَلا وضعتَ عليها علامة؟ فقال: قد فعلت، قيل: فما هي؟ قال: سحابة في السماء كانت فوقها.

٧٣٣٣ ـ روي عن أبي حنيفة أنه قال: كنت في البادية فاحتجت إلى ماء فجاء أعرابيٌ ومعه قِربةٌ من الماء فأبى أن يبيعَها إلا بخمسة دراهم فاشتريتُها منه مضطرّاً، ثم قلتُ له: ما تقول في السويق؟ قال: هاتِه، فأعطيتُه سويقاً فأكل منه وأكثر حتى عطِشَ عطشاً شديداً فقال: أعطني شربة ماء، فقلت: الشربة بخمسة دراهم، فقال مضطرّاً: هاتها فأعطيتُه شربةَ ماء، واستردت منه الدراهم الخمسة، وبقي الماء.

٧٣٣٤ ـ حُكي أنّ رجلاً أحب امرأةً جميلة ورغِب في خطبتها من أهلها ولكنّه منعه من ذلك أنّه فقير لا يملك شيئاً، ومتى علموا بحاله لم يزوّجوه. فشكا أمرَه إلى أبي حنيفة فقال له: هل تبيعني «العضو الفلاني» من أعضائك باثني عشر ألف درهم؟ قال: لا، قال: اذهب واخطبِ المرأة من أهلها وقل لهم: إنّ أبا حنيفة يعرفُني. ففعل الرجل فجاؤوا أبا حنيفة يسألونه عنه فقال: أعطِيَ في سلعةٍ اثني عشرَ ألف درهم فلم يَبِعْ، فرَضُوا به وزوّجوه. فلمّا علِمت المرأة بفقره وقصّ عليها قصّتَه مع أبي حنيفة أرادت أن تثأرَ منه لنفسها، فتزيّنَتْ ولبِسَتْ حُليَّها وذهبت إليه وقالت له: إني قد وقعتُ في وَرطةٍ شديدةٍ ولا يخلّصني منها إلا أنت. أنا بنت البقال الذي هو بقربكم، وإني كلمّا خطبني خاطبٌ من الرجال يردّه ويقول له: إنّ ابنتي عوراء وقرعاء وشلاء، وها أنا كما تراني ثم كشفتْ عن وجهها وشعرها ويديْها فإذا هي في غاية السلامة والجمال، فقال لها أبو حنيفة: أفترضين بي زوجاً؟ قالت: وأنّى لي بذلك، فقال لها: انصرفي فسأخطبكِ من أبيكِ البقّال. فبعث إليه وقال له: زوِّجْني ابنتَك، فقال: يا شيخَنا ليس لي إلا بنتٌ واحدة وهي عوراء وقرعاء وشلاء، فقال: قد رضيتُ بها على ما فيها من العيوب، فزوجه منها وأمره أن يحملَها إليه، فوضعها أبوها

في مِلحفةٍ وتعاون رجلان على حمْلِها ووضَعَها بين يديْه، فلمّا نظر إليها وجدها كما وصفها أبوها، فقال: ما هذا؟ قال البقّال: أمّها طالق إن كانت لي بنتٌ غيرها، فعلِم أن تلك المرأةَ قد خدعَتْه فطلّقها. ثم جاءت إليه تلك المرأة فلمّا عرَفها قال لها: ما حملكِ على ما فعلتِ؟ فقالت: وأنتَ ما حملكَ على ما فعلتَ، وقد غررتنا برجلٍ فقيرٍ لا يملك شيئاً؟.

٧٣٣٥ ـ أمر محمدُ بنُ يوسف ـ أحدُ ولاة بني أميّة ـ رجلاً اسمه حِجْر المدري أن يصعدَ المنبرَ في المسجد ويلعنَ عليّاً عليه السلام، فصعد الرجل المنبر وقال: إنّ الأمير محمد بنَ يوسف أمرني أن ألعن عليّاً فالعنوه لعنه الله. وقصد بلعنه الأميرَ نفسَه، فخفي كلامُه على الحاضرين، ولم يفطِن لقصده إلا رجلٌ واحدٌ منهم.

٧٣٣٦ ـ أدخل شيخ يتخنّث على أمير الكوفة عُرْيان بن الهيثم، فقال له: يا عدوّ الله تتخنّث وأنت شيخ؟ فقال: كُذب عليَّ كما كُذب على الأمير، قال: وماذا كُذب عليّ؟ قال: يسمونك عُرْيان ولك عشرون جبّة.

٧٣٣٧ ـ دفعت امرأةٌ رغيف خبزٍ لرجلٍ يقرأ القرآن على المقابر وقالت له: اقرأ على قبر أبي، فصار يقرأ قوله تعالى في سورة القمر: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ فقالت له: أهكذا يُقرأ على المقابر؟ قال: ماذا أقرأ برغيفٍ واحدٍ من الخبز، أتريدين أن أقرأ عليه قوله تعالى في سورة الرحمن، الآية(٥٤): ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ذلك بدينار.

٧٣٣٨ ـ كان في بغداد رجلٌ دميمٌ قبيحُ المنظر قد سافر إلى

اليمن فرأى أهلها أكثر قبحاً منه فقال:

لــم أرَ وجــهــاً حــســنــاً مــنــذ دخــلــتُ الــيــمــنــا

فــيــا شــقــاءَ بــلــدةٍ أحــســن مــن فــيــهــا أنــا

٧٣٣٩ ـ قيل: إنّ يونسَ النحوي كان يقول: ثلاثةٌ أشتهي أن أناظرهم يوم القيامة: «آدم» فأقول له: قد أمكنكَ الله من الجنّة، وحرّم عليك شجرةً واحدة من أشجارها فأكلتَ منها حتى أخرجك الله من الجنة، وصيّرتنا في هذا البلاء!!.

و«يوسُف» فأقول له: كنتَ بمصر وأبوك بكنعان، وبينك وبينه عشرُ مراحل، وهو يبكي عليك حتى ابيضّتْ عيناه من الحزن، ولم ترسلْ إليه مَن يخبرهُ أنك في سلامةٍ وعافية وتريحُه ممّا هو فيه من الهمّ والحزن!!. و«طلحة والزبير» فأقول لهما: إنكما بايعتما عليّ بنَ أبي طالب في المدينة وخلعتما بيعتَه في العراق فأيّ شيءٍ أحدث؟؟.

٧٣٤٠ ـ قيل: ذهب رجلٌ من جبل عامل اسمُه «الحاج موسى العاملي» إلى فلسطين ودخل قريةً من قُراها، ونزل ضيفاً عند شيخها، فاجتمع أهل القريةِ ليلاً وكان فيهم خطيبُ القرية فصار يخطُب في الحاضرين وتعرّض لذكر يزيد بن معاوية «لعنه الله» فقال: روي أنّه إذا كان يومَ القيامة يُؤمر به إلى النار، فيمرُّ النبيُّ ﷺ فيستشفع به فيُحيله إلى عليّ بنِ أبي طالب عليه السلام لأنّه أبو الحسين الذي أمر بقتله ظلماً، فيمرّ عليٌّ فيستشفع به فيُحيله إلى فاطمة الزهراء عليها السلام لأنّها أمّه، فتمرُّ فاطمة فيستشفع بها ويتذلّل لها حتى يرِقَّ قلبُها عليه فتصفح عنه فيُؤمر به إلى الجنّة. فلا يجوز لكم أن تلعنوه لأنّ مصيرَه أخيراً إلى الجنّة. فقام إليه الحاج موسى وقال: يا شيخ إنّ هذه الروايةَ التي ذكرتها لها

تتِمّةٌ لم تذكرها، قال: ما هي؟ قال الحاج موسى: بعد ما يُؤمرُ بيزيد إلى الجنّة ـ كما قلت ـ، يأتي به الملائكة فيرون أهلَ الجنة قد دخلوها وأغلق بابُها، فيدُقّون الباب فينادي رضوان: مَن؟ فتجيب الملائكة: هذا يزيدُ يريدُ الدخولَ إلى الجنة، فيقول رضوان: يزيد من أهل النار وليس هو من أهل الجنّة، فتقول الملائكة: لقد تشفّع بفاطمةَ الزهراء سيدةِ النساء فشفّعتْ له وأمر به إلى الجنّة، فيفتح رضوانُ الباب ويدخل، فلمّا نظر إليه أهلُ الجنّة غضِبوا وقالوا: إنا قضينا أعمارَنا في طاعة الله وعبادته ويكون مآلُنا مع يزيد الفاسق الفاجر الذي قضى حياتَه بالموبِقات والمحرمات!! لا والله لا نرضى بذلك ولا نريد الجنّةَ مع يزيد، وصار كلُّ واحدٍ منهم يحمل أمتعتَه ويهمّ بالخروج. فلمّا علِم الله بذلك قال: وعزّتي وجلالي لا أخرّبُ جنّتي، ولا أُغضِبُ أهلَ طاعتي من أجل يزيد، ثم أمر بإخراجِه من الجنة وإدخالِه إلى النار. فقال الخطيب: في أيِّ كتابٍ وجدتَ هذه التتِمّة يا رجل؟ قال: وأنتَ في أيّ كتابٍ وجدتَ هذه الرواية يا شيخ؟.

٧٣٤١ ـ روي: أنّ أحدَ الأئمة الأطهار عليهم السلام كان إذا استأذن للدخول عليه رجلٌ لا يرغب في لقائه يأمر جاريتَه أن تخِطّ دائرةً في الأرض وتضعَ يدَها فيها وتقول من خلف الباب: ليس هنا، وتقصد هي في هذه الدائرة في حين يفهم السامع أنّه ليس في الدار. وهي توريةٌ جميلة.

٧٣٤٢ ـ قال الشاعر:

دعوتُ أخي فولّى مشمئزاً ... ولبّى درهمي لما دعوتُ

٧٣٤٣ ـ قال الشاعر:

أنتَ للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقتَه فالمالُ لكْ

٧٣٤٤ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان إبليس لعنه الله يخترقُ السمواتِ كلَّها ويسترقُ السمع، فلمّا وُلد عيسى عليه السلام مُنع من ثلاث سموات وصار يسترق السمع من أربع، ولمّا وُلد النبيّ صلى الله عليه وآله مُنع من جميع السموات ورُميت الشياطين بالشُهُب».

٧٣٤٥ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «خُلقتُ أنا وعليّ من نورٍ واحد نسبّح اللَّهَ تعالىٰ يَمْنَةَ العرش قبل أن يُخلقَ آدم بأربعةٍ وعشرين ألفَ عام، فلمّا خلق اللَّهُ تعالىٰ آدمَ جعل ذلك النورَ في صُلبه، ولقد ركِبَ نوح السفينةَ ونحن في صُلبه، ولقد قُذف إبراهيم في النار ونحن في صُلبه فنجّاه الله تعالىٰ من النار. فلم يزل ينقُلنا من أصلابٍ طاهرة إلى أرحامٍ مطهّرة حتى انتهىٰ بنا إلى عبد المطلب فقَسَمنا نِصفين فجعلني في صُلب عبد الله، وجعل علياً في صُلب أبي طالب. وإنّ الله قد حكم إنّ محبّي ومحبَّ عليّ لا يدخل النار، وإنّ عدوّي وعدوَّ عليّ لا يدخل الجنّة، وإنّ الله تعالىٰ خلق ملائكةً بأيديهم أباريقُ من فِضة الجنّة، وتلك الأباريق مملوءةٌ من ماء الحياة وهي عينٌ في جنّة الفردوس، فإذا أراد أحدٌ من آباء شيعتنا أن يقاربَ زوجتَه في الوقت الذي يريد الله انعقادَ النطفة فيه جاء مَلَكٌ وألقىٰ قليلاً من ذلك الماء في الماء الذي يشرَبُه فيختلطُ ذلك الماءُ بنطفته فتنعقدُ في قلب المولود محبّتي ومحبةُ عليّ وفاطمةَ والحسنِ والحسينِ والتسعةِ من ذريّةِ الحسين عليهم السلام»، ثم قال صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي جعل محبّةَ عليّ والإيمانَ به سبباً لدخول الجنّة والنجاةِ من النار».

٧٣٤٦ـ روي: إنّ جبرئيلَ نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله مدة نبوّته ستين ألف مرة، وإنه كان يتشبّه أحياناً بصورة إنسان، وكثيراً ما كان

يأتيه في صورة «دِحية الكلبي». وفي مرتيْن تمثّل له بصورته الحقيقية،

المرّةُ الأُولىٰ: أشار اللّهُ إليها بقوله في سورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله في سورة النجم: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾.

والمرّةُ الثانية: أشار اللّهُ إليها بقوله في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

٧٣٤٧ـ قال الأُزري:

قلّب الخافقيْنِ ظهراً لبطنٍ فرأىٰ ذاتَ أحمدٍ فاجتباها

٧٣٤٨ـ الإسلامُ دينُ الرحمة، والرسولُ العظيمﷺ هو نبيُّ الرحمة، وقد خاطبه الله تعالىٰ بقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، وهو الرحمةُ المُهداة إلى العالم كلّه. وقد جسّد هذه الرحمةَ الشاملةَ بأفعاله وأقواله، وهو الذي كان يقول: «والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمةَ إلا على رحيم» فقال له بعضُ أصحابه: يا رسولَ الله كلُّنا رحماء، فقالﷺ: «ليس الذي يرحم نفسَه وأهلَه خاصّة، ولكنّ الذي يرحمُ المسلمين»، ويقول: «إنّما يرحم اللّهُ من عباده الرحماء»، ويقول: «ارحمْ مَن في الأرض يرحمْك من في السماء»، ويقول: «ارحموا تُرحموا، واغفِروا يُغفرْ لكم». وصدق الله حيثُ يقول في سورة آل عمران، الآية(١٥٩): ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾.

٧٣٤٩ـ قُصي ـ جدُّ النبيّ الأعلى ـ الذي جمع قومه في مكة من الشِعاب والجبال والأودية فسمي «مجمِّعاً»، وفيه قال الشاعر:

أبوكم قُصيّ كان يُدعىٰ مجمِّعاً به جمع اللّهُ القبائلَ من فِهْرِ

وأمّا عبدُ مناف بنُ قصيّ أبو هاشم جدُّ النبيّ ﷺ فاسمه «المغيرة» ويُدعىٰ «القمر» لجماله، وفيه قال الشاعر:

كانت قريش بيضةً فتفلّقتْ فالمُحُّ خالصُه لعبدِ منافِ[1]

وأمّا هاشمُ بنُ عبد مناف أبو عبد المطلب جدُّ النبيّ ﷺ فاسمه «عمرو» وسمي هاشماً لأنّه كان يهشِم الثريد لقومه، وفيه قال الشاعر:

عمرو العُلىٰ هشم الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكّةَ مسنتُون عِجافُ[2]

٧٣٥٠ـ روي: أنّ أهلَ المدينة أقحطوا وانقطع المطر عنهم زمناً طويلاً، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وشكوا ذلك إليه فصعد المِنبر واستسقىٰ، فما لبث أن جاء المطرُ غزيراً حتى خشيَ الناس الغرق، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل، فقال ﷺ: «لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسرّه» فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردتَ قولَه:

وأبيضُ يُستسقى الغَمام بوجهه ثِمالُ اليتامىٰ عِصمةٌ للأراملِ[3]

فقال ﷺ: «أجل».

٧٣٥١ـ كان النبيّ ﷺ يربّي الجيلَ الذي عاصره على نزاهة النفس وطهارة السلوك، فقد روي عن أم سلمة «رض» أنها قالت: كنتُ عند رسول الله ﷺ وعنده «ميمونة» فأقبل ابن أم مكتوم ـ وذلك بعد أن

---

(١) تفلقت: تفتحت. المح: صفرة البيض والخالص من كل شيء.

(٢) مسنتون عِجاف: فقراء ضِعاف.

(٣) ثِمال اليتامى: غياثهم.

أمرنا بالحجاب ـ فدخل علينا «وهو أعمىٰ» فقال ﷺ: احتجِب، فقلنا: يا رسولَ الله أليس هو أعمىٰ ولا يبصر؟ فقال ﷺ: «أفعمياوانِ أنتما، أو لستما تُبصرانِه؟!».

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنّه قال: إنّ النبيّ ﷺ أردف الفضلَ بنَ العباس خلفه، ومرّ بامرأة خثعميّة وضيئة فطفِق الفضل ينظر إليها فأخذ النبيّ ﷺ بذقن الفضل فحوّل وجهه عن النظر إليها».

وهكذا كان ﷺ يربّي الرجالَ والنساءَ على السواء على العِفّة والطهارة والحياء.

٧٣٥٢ـ روي: إنّ النبيّ ﷺ لمّا رجع مع أصحابه من غزوة ذات الرقاع أدركتهم الظهيرة في وادٍ يكثر فيه «العِضاً» ـ وهو شجر كبير له شوك ـ فناموا تحت ذلك الشجر، ونام رسول الله ﷺ تحت شجرةٍ منها وقد علّق عليها سيفَه، ثم استيقظ فرأى أعرابياً قد اخترط ذلك السيف وشهره في وجهه وهو يقول له: من يمنعك مني؟ فقال له ﷺ ثلاثَ مرّات: «الله»، فإذا بالسيف يسقُط من يد الرجل فيتناوله النبيّ ﷺ ويجلس الأعرابيّ بين يديْه خائفاً فلم ينتقمْ منه بل عفا عنه. ثم نادى ﷺ أصحابَه فاستيقظوا وحدّثهم بما صنع الأعرابيّ، وما صنع هو معه.

٧٣٥٣ـ كان العربُ قبل الإسلام يؤرّخون أيّامَهم بالأحداث الكبيرة التي مرّت عليهم كبناء الكعبة، أو انهيارِ سد مأرب، أو حادثةِ الفيل، أو موتِ كعب بن لؤي ـ الجدّ السابع لرسول الله ﷺ ـ. وبعد ذلك صار المسلمون يؤرّخون أيّامَهم بالهجرة النبويّة الشريفة. فكيف تمّ لهم ذلك ومتى؟ هنا يظهر للمتتبّع قولان نصّ عليهما بعضُ المؤرخينَ.

القول الأوّل: يُفيد أنّ ذلك تمّ في عهد النبيّ الكريم ﷺ وبأمره فقد روى الحاكم في «الإكليل» عن الزهري أنّه قال: «إنّ النبيّ ﷺ هو الذي أمر بالتاريخ الهجري بعد نزوله قُباء». وروي عن أبي طاهر الزيادي أنّه قال: «إنّ الرسولَ ﷺ أرّخ بالهجرة حين وجّه كتابَه لنصارىٰ نجران، وأمر عليّاًعليه السلام أن يكتبَ فيه أنّه كتب لخمسٍ من الهجرة».

القول الثاني: يُفيد أنّ ذلك تمّ في عهد عمر بنِ الخطاب فقد روي أنّ عمرَ أرسل كتاباً إلى أبي موسى الأشعري عامِله على البصرة وقد أرّخه بشعبان فكتب إليه أبو موسى يقول: ما ندري أيَّ شعبانٍ يريد أميرُ المؤمنين، أهو الذي نحن فيه أم الماضي؟. وقالوا: إنّ عمرَ جمع وجوهَ الصحابة وتذاكروا في هذا الأمر، فاقترح بعضُهم أن يؤرّخوا أيّامَهم بالبعثة النبويّة، واقترح آخرون أن يؤرّخوها بوفاة النبيّ ﷺ، ـ وكان عليّ عليه السلام حاضراً ـ فقال: بل نؤرّخ من يوم خروج النبيّ ﷺ من أرض الشرك ـ وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول المصادف لليوم العشرين من شهر أيلول سنة ٦٢٢م وقيل: هو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول المصادف لليوم الرابع والعشرين من أيلول ـ، فوافق عمرُ والصحابةُ على ذلك. ثم جُعل مبدأ السنة الهجرية هو محرّمُ الحرام ليتّفقَ مع أوّل السنة القمرية.

٧٣٥٤ـ كانت زينبُ أكبرَ بنات رسول الله ﷺ، تزوّجها قبل الإسلام أبو العاص بن الربيع، وهو ابن هالة أخت خديجة الكبرىٰ، وكان وفيّاً ومحبّاً لها حتى بعد إعلان الدعوة الإسلامية. ولمّا هاجر النبيّ ﷺ إلى المدينة بقيتْ زينبٌ مع زوجها أبي العاص في مكة ـ وهو بعدُ لم يُسلمْ ـ. وفي غزوة بدر اضطرته قريش إلى الخروج معها

فوقع أسيراً في أيدي المسلمين، ولكنّ النبيّ ﷺ أطلقه دون فِداء جزاءً للحبّ والوفاء، واشترط عليه أنْ يرسل ابنته زينب إلى المدينة، فوفىٰ له بذلك وأرسلها فورَ وصوله. وفي السنة السادسة للهجرة وقعت تجارة قريش التي كانت بإشراف أبي العاص غنيمةً بأيدي المسلمين بعد أن فرّ أبو العاص لينجوَ بنفسه من الموت أو الأسر. وفي جوف الليل دخل المدينة وذهب إلى زوجته زينب ـ التي فرّق الإسلام بينها وبينه ـ فاستجار بها فأجارته. ثم خرجت إلى المسجد في فجر تلك الليلة حيثُ يجتمع المسلمون فيه للصلاة خلف أبيها الرسول الأكرم ﷺ ونادت فيهم: «ألا وإني قد أجرت أبا العاص بن الربيع» وطلَبتْ أنْ يرِدّوا عليه ما غنِموه من أموال التجارة، فاستجابوا لها وردّوا عليه ما أخذوه. فذهب إلى مكة ودفع الأموالَ إلى أصحابها، وأعلن إسلامَه على ملأٍ من قريش، وكرّ راجعاً إلى المدينة. فرحّب به النبيّ ﷺ وأكرم مثواه، وأعاد إليه زوجتَه زينب بعقدٍ جديد، وبقي معها حتى ماتت رضوان الله عليها في السنة الثامنة من الهجرة.

٧٣٥٥ـ جاء في كتاب «ينابيع المودة» بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إنّ لك يا رسولَ الله مؤونةً في نفقتك، وفيمن يأتيك من الوفود، وهذه أموالُنا مع دمائنا فاحكمْ فيها بارّاً مأجوراً، أعطِ ما شئتَ وأمسكْ ما شئت من غير حرج. فأنزل اللّهُ عليه الروحَ الأمين فقال: يا محمد ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] فخرجوا، فقال المنافقون: ما حمَل رسولَ الله ﷺ على ترك ما عرضْنا عليه إلا

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية(٢٣).

ليُحثّنا على مودّة قرابته من بعده، إنْ هو إلا شيءٌ أفتراه في مجلسه! فأنزل الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١) فبعث النبيﷺ إليهم فقال: هل من حديث؟ قالوا: لقد قال بعضُنا كلاماً غليظاً كرِهناه، فتلا عليهم هذه الآية فبكَوْا واشتدّ بكاؤهم فأنزل اللَّهُ تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾(٢).

٧٣٥٦- روي: إنّ رسولَ اللهﷺ لمّا دنا منه أجلُه قال لأمير المؤمنينعليه السلام: «يا عليّ إني خُيّرتُ بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنّة، فاخترتُ لقاءَ الله والجنّة».

٧٣٥٧- روي: إنّ رسولَ اللهﷺ صعد المِنبرَ في آخر أيّامه وقال: معاشرَ الناس قد حان منّي خُفوقٌ بين أظهركم، فمن كان عندي له عِدَةٌ فليأتني أعطِهِ إيّاها، ومن كان له عليَّ دينٌ فليخبرْني به. معاشرَ الناس ليس بين الله وبين أحدٍ شيءٌ يُعطيه به خيراً أو يصرِفُ عنه شرّاً إلا العمل. أيّها الناس لا يدّعي مُدّعٍ، ولا يتمنّى متمنٍّ، والذي بعثني بالحق نبيّاً لا ينجي إلا عملٌ مع رحمة، ولو عصيتُ لهويت. ألا هل بلّغت؟».

٧٣٥٨- روي: أنّ رسولَ اللهﷺ لما اشتدّ به المرض جاءه بِلال عند صلاة الصبح ونادى: الصلاة يرحمكم الله، فقالﷺ: «ليصلِّ بالناس بعضُهم فإني مشغولٌ بنفسي» فقالت عائشة: مروا أبا

(١) سورة الشورىٰ، الآية(٢٤).

(٢) سورة الشورىٰ، الآية(٢٥).

بكر، وقالت حفصة: مروا عمر، فلمّا سمع رسولُ اللهﷺ ذلك قال: «اكفُفْنَ فإنكنّ صويحباتُ يوسُف»، ثم قام متوكّئاً على عليّ بن أبي طالبعليه السلام والفضلِ بنِ العباس ورجلاه يخطّانِ الأرضَ من الضعف، وذهب إلى المسجد فرأىٰ أبا بكر قد سبق إلى المحراب وابتدأ بالصلاة فأومئ بيدهِ أنْ تأخّره، فتأخر، وكبّر النبيُّﷺ للصلاة. وبعد الفراغ منها انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعةً من الصحابة، ثم قال لهم: «ألم أمر ان تنفّذوا جيشَ أسامة؟» فقالوا: بلى، قال: «فلِمَ تأخرتمْ عن أمري؟» قال أبو بكر: يا رسول الله اني خرجتُ ثم رجعت لأ جدّدَ بك عهداً. وقال عمر: يا رسولَ الله اني لم اخرجْ لأنّي لم أحِبَّ ان اسألَ عنك الركبان. فقالﷺ: «نفِّذوا جيشَ اسامة.. لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة» قال ذلك ثلاثاً، ثم أُغميَ عليه فبكا المسلمون، فلما افاق قال: «ائتوني بدواة وكتِف لأكتبَ لكم كتاباً لن تضِلّوا بعده ابدا» فقال عمر ـ وقد علم من اسلوب كلام النبيّﷺ أنه يريد النصّ على البيعة لعليّعليه السلام ـ: «انّ الرجلَ ليهجُر حسبنا كتابُ الله»، فأختلف الصحابةُ فيما بينهم، فمنهم من يقول: هاتوا الدواةَ والكتِفَ ليكتبَ لكم رسولُ اللهﷺ، ومنهم من يقول: القولُ ما قال عمر. فلما رأى النبيُّ منهم ذلك قال مغضَباً: «قوموا فلا ينبغي عند نبيٍّ نزاع». فكان ابنُ عباس يقول: «الرزيّةُ كلُّ الرزيّةِ ما حيل بين رسول اللهﷺ وبين ان يكتُبَ لهم ذلك الكتاب».

٧٣٥٩ ـ روي عن الإمام الصادقعليه السلام أنه قال: «انّ خديجةَ لمّا حملت بفاطمةعليها السلام كانت فاطمة تحدّثها من بطنها فدخل عليها رسولُ اللهﷺ يوماً فسمع خديجة تتحدّث فقال لها: يا خديجة من تحدّثين؟ قالت: أنّ الجنينَ الذي في بطني يحدثني ويؤنسني. قالﷺ: «يا

خديجة انّ جبرائيلَ يخبرني انّها انثى، وانها النسلةُ الطاهرة وإنّ اللّهَ سيجعلُ نسلي منها، وسيجعلُ من نسلها أئمّةً، ويجعلهم خلفاءَ في أرضه بعد انقضاء وحْيه».

٧٣٦٠- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يُكثر من تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عائشة إنّه لما أسريَ بي إلى السماء دخلتُ الجنّةَ فأدناني جبرئيل من شجرة طوبىٰ، وناولني من ثمارها فأكلت، فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري، فلمّا هبطتُ إلى الأرض واقعتُ خديجة فحملَتْ بفاطمة، فما قبّلتُها إلا وجدتُ رائحةَ شجرةِ طوبىٰ».

٧٣٦١- روي: إنّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام أصبح ذات يوم ساغباً فقال لفاطمة عليها السلام: «هل عندكِ شيءٌ من الطعام؟» فقالت: «لا والذي أكرم أبي بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما كان عندنا شيءٌ منذ يومَيْن»، فقال: «يا فاطمة ألا أخبرتِني فأبغي لكم شيئاً؟» قالت: «يا أبا الحسن إني لأستحي أن أكلّفَ نفسَك ما لا تقدر عليه». فخرج عليّ من عند فاطمة واثقاً بالله عزّ وجل فاستقرض ديناراً ليشتريَ به لعياله شيئاً. فبينما هو في الطريق - في يومٍ شديدِ الحر - إذْ عرض له المقدادُ بنُ الأسود«رض» فقال له عليه السلام: «يا مقداد ما أزعجك هذه الساعة عن رَحلك؟» قال: يا أبا الحسن خلِّ سبيلي ولا تسألني عن حالي» فقال عليه السلام: «يا أخي إنّه لا يسعكَ أن تكتُمَني حالَك»، فقال المقداد: يا أبا الحسن إن كان لا بدّ من ذلك فوالذي أكرم محمداً بالنبوّة وأكرمك بالوصيّة ما أزعجني عن رحلي إلا الجهد، وقد تركتُ عيالي يتضوّرون جوعاً، فلمّا سمِعتُ بكاءَهم لم تحمِلْني الأرض فخرجت مهموماً».

فانهملت عينا أمير المؤمنين عليه السلام بالدموع وقال: «أحلف بالذي حلفت ما أزعجني إلا الذي أزعجك، وقد استقرضتُ ديناراً وإني أؤثرك على نفسي» ثم دفع إليه الدينار وذهب إلى المسجد فصلّى فيه الظهرَ والعصر، ثم بقي إلى الغروب فصلّى فيه المغربَ والعِشاء فمرّ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله فأشار إليه فقام يمشي خلفه حتى وصلا بابَ المسجد فقال صلى الله عليه وآله: «يا أبا الحسن هل عندك شيءٌ نتعشّاه» فمكث «عليّ» مطرِقاً برأسه إلى الأرض لا يردّ جواباً حياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: «يا أبا الحسن ما لك لا تقول «لا» فأنصرف، أو تقول «نعم» فأمضي معك»، فقال: «حبّاً وكرامةً يا رسول الله فاذهبْ بنا» فأخذ النبيّ بيد عليّ وانطلقا حتى دخلا على فاطمة عليها السلام وهي جالسةٌ في مصلّاها تدعو الله بعد انقضاء صلاتها، وخلفها جَفنةٌ يتصاعد منها البخار ويفوح منها العِطر. فلمّا سمِعت صوتَ أبيها أقبلت إليه وسلّمت عليه فردّ عليها السلام ومسح بيده على رأسها وقال لها: «كيف أمسيتِ رحمكِ الله عشّينا غفر الله لكِ وقد فعل»، فأخذت الجَفنة فوضعتها بين يَديْ أبيها وزوجها «صلوات الله عليهما» وقد فاحت منها رائحةُ المسك والعنبر، فلمّا رأىٰ عليّ عليه السلام ذلك نظر إليها متعجّباً، فلمّا سألَته عن سبب تعجّبه قال لها: «ألَمْ تحلفي بالله أنّه لم يكن عندكم شيء منذ يومَيْن؟» فنظرت فاطمة عليها السلام إلى السماء وقالت: «إلّهي يعلم أني لم أقلْ إلا حقّاً» فقال لها: «أنّى لكِ هذا الطعام الذي لم أرَ مثلَه قط، ولم أشُمّ مثلَ رائحته» فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ هذا جزاءُ دينارك من عند الله، إنّ اللّهَ يرزق من يشاء بغير حساب» ثم استعبر صلى الله عليه وآله باكياً وقال: «الحمدُ لله الذي أبىٰ لكما أن تخرجا من الدنيا ولا يُجريكما مجرىٰ زكريّا ومريمَ بنتِ عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ

لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١].

٧٣٦٢ـ أجمع الشيعةُ وكثيرٌ من أهل السُّنّة على أنّ «آيةَ التطهير» وهي قوله تعالىٰ في سورة الأحزاب، الآية(٣٣): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ نزلت في النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم بعد أن جمعهم النبيّ ﷺ معه تحت الكِساء. وسياق الآيات قبلَها وبعدَها وإن جاء في نساء النبيّ ولكنّ تذكيرَ الضمير في هذه الآية يدُلّ على أنّ المرادَ منها غيرُ المراد مِمّا قبلها ومِمّا بعدها. ومن الغريب أن يذهبَ بعضُ أهل السُّنّة إلى اختصاصها بنساء النبيّ ﷺ تَبعاً لقولٍ قاله رجلان معروفان بالنُّصب والكذب وهما: «عِكرمة ومقاتِل»، ويكفي في هذيْن الرجلَيْن أن تعرفَ أنّ «عِكرمة» كان يكذب في أقواله وينسبها إلى مولاه عبدِ الله بن عبّاس حتى أن عليَّ بنَ عبد الله غضِب لأبيه فجلده وحبسه في الكنيف. وأنّ «مقاتِل» عدّه النسائي في الكذّابين المعروفين بوضع الأحاديث، وقال عنه الجوزجاني: إنه كذّاب جسور يقول للمنصور العباسي: انظر ما تحب أن أحدّثه فيك حتى أحدّثه. ويقول للمهديّ العباسي: إن شئتَ وضعتُ لك أحاديثَ في العباس، فقال له: لا حاجةَ لي فيها. وكيف يجرُؤ مسلمٌ على أن يقولَ: إنّ آيةَ التطهير تشمُل نساءَ النبي ﷺ فضلاً عن اختصاصها بهنّ مع أنه ﷺ لمّا وضع الكِساءَ الخيبريَّ على فاطمةَ وبعلِها وبنيها وقال: «اللّهم هؤلاء أهلُ بيتي وعترتي فأذهبْ عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً» جاءت زوجتُه الصالحة «أمّ سلمة» ـ وهي أفضلُ نسائه بعد خديجة ـ وقالت: يا رسولَ الله وأنا

---

(١) سورة آل عمران، الآية(٣٧).

معهم، وأرادت الدخولَ تحت الكِساء فمنعها النبيُّ ﷺ من ذلك وقال لها: «أنتِ إلى خير». ولأجل التأكيد على اختصاص الآية الكريمة بهم دون غيرهم كان رسولُ الله ﷺ ـ كما يحدّثنا ابنُ عباس ـ يأتي كلَّ يومٍ ـ ولمدة ستةِ أشهر ـ بابَ عليٍّ بنِ أبي طالب في أوقات الصلوات ويقول: «السلام عليكم أهلَ البيت ورحمة الله وبركاته. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

ولو نظرنا إلى الآيات الكريمة التي قبل آية التطهير وبعدها ـ وهي التي تتحدّث عن نساء النبيّ ﷺ ـ لرأينا الجوَّ الذي يظلّلها هو التأنيبُ والتقريع بينما نرى الجوَّ الذي يظلّل هذه الآيةَ المباركة هو التزكيةُ والتطهير ممّا يدُلّ على اختلاف المراد بينها وبين سابقاتها ولاحقاتها. وهذه الآيةُ صريحةٌ في عصمة أهلِ البيت النبويّ الطاهر من كل عيبٍ وذنبٍ يدخل تحت كلمة «الرجس»، إضافةً إلى النصوص النبويّة الصحيحة والصريحة بعصمتهم كقوله ﷺ: «أنا وعليٌّ والحسنُ والحسينُ وتسعةٌ من ولد الحسين مطهّرون معصومون». وكيف يمكن شمولُ آية التطهير لنساء النبيّ ﷺ أو اختصاصُها بهنّ مع أنهنّ لم يكنّ بهذا المستوى الرفيع من العِصمة والطهارة وفيهنّ من كنّ يُؤذين رسولَ الله ﷺ حتى نزل القرآن فيهنّ مهدِّداً ومتوعِّداً قال تعالىٰ في سورة التحريم: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾. ومنهنّ مَن وقف النبيُّ ﷺ قريباً من حُجرتها وقال مشيراً إليها: «مِن هاهُنا تخرج الفتنة»، وقال مرةً أخرىٰ: «مِن هاهُنا يطلُع قرنُ الشيطان» كما روىٰ ذلك البخاري في صحيحه وغيرُه.

٧٣٦٣ـ ألّف عددٌ من أعلام الأمة كتباً خاصة جمعوا فيها ما ورد من النصوص الصحيحة والصريحة الواردة عن الرسول الأعظمﷺ في إمامة الأئمة الاثني عشرعليهم السلام ككتاب «كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر» للشيخ علي بنِ محمّد الرازي، وكتاب «مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر» للشيخ أحمد بنِ محمّد بنِ عياش، وكتاب «الاستبصار في النصّ على الأئمة الأطهار» للشيخ محمّد بنِ عليّ الكراجكي وغيرِها.

٧٣٦٤ـ جاء في كتب الصحاح عن النبيّﷺ جملةٌ من الأحاديث الدالة على أنهﷺ صرّح بأنّ الخلفاء من بعده اثنا عشرَ كلُّهم من قريش أو من بني هاشم. ففي بعضها يقول: «بعدي اثنا عشرَ خليفة كلُّهم من بني هاشم»، وفي نصٍّ آخر: «لا يزال أمرُ الناس ماضياً ما وَلِيَهم اثنا عشرَ رجلاً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ ثالث: «لا يزال هذا الدينُ عزيزاً إلى اثني عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ رابع: «لا يزال أمرُ أمتي صالحاً حتى يمضي اثنا عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ خامس: «لا يزال هذا الأمرُ عزيزاً يُنصرون على من عاداهم، عليهم اثنا عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ سادس: «يكون بعدي اثنا عشرَ أميراً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ سابع: «ألا إنَّ الإسلامَ لا يزال عزيزاً إلى اثني عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ ثامن: «إنّ هذا الأمرَ لا ينقضي حتى يمضيَ فيهم اثنا عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ تاسع: «لا يزال الدينُ قائماً حتى تقومَ الساعةُ ويكونَ عليهم اثنا عشرَ خليفةً كلُّهم من قريش»، وفي نصٍّ عاشر: «يكون لهذه الأمّةِ اثنا عشر قيّماً لا يَضُرُّهم مَن خذلهم كلُّهم من قريش». وهذه الأحاديث لا تنطبق إلا على الأئمة الاثني عشر من أهل

بيت النبوّة «صلوات الله عليهم». وقد صرّح بهذه الحقيقة جماعةٌ من علماء أهل السُّنّة، قال الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة»: «قال بعض المحقّقين: إنّ الأحاديثَ الدالةَ على كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرقٍ كثيرة، فبشرحِ الزمان، وتعريفِ المكان، عُلم أنّ مرادَ رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمةُ الاثنا عشرَ من أهل بيته وعترته، إذْ لا يمكن أن يُحملَ هذا الحديثُ على الخلفاء بعدَه من أصحابِه لقِلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يُحملَ على الملوك الأمويّة لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلا عمرَ بنَ عبد العزيز، ولكونهم غيرَ بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاءُ صوته ﷺ في هذا القول يرجّح هذه الروايةَ لأنّهم لا يحبّون خِلافة بني هاشم. ولا يمكن أن يُحملَ على الملوك العباسيّة لزيادتهم على العدد المذكور ولقِلّة رعايتهم لآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] ولحديثِ الكِساء، فلا بدّ من أنْ يُحمَلَ هذا الحديثُ على الأئمة الاثني عشرَ من أهل بيته وعِترته ﷺ لأنهم كانوا أعلمَ أهلِ زمانهم وأجلَّهم وأورَعهم واتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلَهم حسباً وأكرمَهم عند الله. وكان علمُهم عن آبائهم متصلاً بجدّهم ﷺ وبالوِراثة واللدُنيّة. كذا عرَفهم أهلُ العلم والتحقيق، وأهلُ الكشف والتوفيق، ويؤيّد هذا المعنىٰ ـ أي أنّ مرادَ النبيّ ﷺ الأئمةُ الاثنا عشر من أهلِ بيته ـ ويُرجّحه حديثُ الثقلَيْن والأحاديثُ المتكرّرة المذكورةُ في هذا الكتاب وغيرُها».

٧٣٦٥ـ كان أميرُ المؤمنين عليه السلام من سموّ ذاته وعلوّ مقامه

(١) سورة الشورىٰ، الآية(٢٣).

وترفّعِه عن الدنايا وتمسّكِه بالمُثل العُليا لا يرضىٰ لنفسه وأصحابه أن يقابلوا أعداءه بمثل أساليبهم الدنيئة، حتى أنّه عليه السلام لمّا سمِع بعضَ أصحابه يسُبّون أهلَ الشام قال لهم: «إني أكره أن تكونوا سَبّابين، ولكنّكمْ لو وصفتم أعمالَهم وذكرتم حالَهم كان أصوبَ في القول، وأبلغَ في العذر».

وصدق الشاعر المسيحي بولس سلامة حيثُ يقول:

وإذا لم يكن عليٌّ نبيّاً فلقد كان خُلْقُه نبويّاً

٧٣٦٦ـ في الوقت الذي كان أميرُ المؤمنين عليه السلام يأكل الجشِبَ من الطعام كان يُطعم اليتامىٰ أطائبَ الطعامِ ويَسقيهم العسلَ المصفّى حتى قال له بعض أصحابه: «وددتُ أنّي كنتُ يتيماً يا أبا الحسن».

٧٣٦٧ـ روي عن عليّ بن يوسف المدائني أنه قال: إنّ طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مشَوْا إليه وقالوا له: يا أميرَ المؤمنين أعطِ هذه الأموال، وفضّلِ الأشرافَ من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستَمِلْ مَن تخافُ مِن خِلافه وفِرارِه إلى معاوية فقال لهم عليه السلام: «أتأمرونني أن أطلُبَ النصرَ بالجور، لا واللّهِ لا أفعل ذلك ما طلَعت الشمس وما لاح في السماء نجم، واللّهِ لو كان المالُ لي لواسيتُ بينهم فكيف وإنما هي أموالُهم».

٧٣٦٨ـ الغريب: أنّ الذين خرجوا يحاربون أميرَ المؤمنين عليه السلام بدعوى الطلب بدم عثمان كانوا جميعاً من أشدّ الناس تحريضاً ونقمةً عليه.

فأمّا طلحة، فقد كان يشارك الثائرين في مواقفهم العَدائيّة

ويقودُهم إلى تنفيذ ما أقدموا عليه، ولمّا تعسّر عليهم الدخولُ عليه من الباب أخذ بهم طلحة إلى دار بعض الأنصار ـ وكانت مجاورةً لدار عثمان ـ فأصعدهم إلى سطحها ومنها نزلوا إليه، وكان يرمي دارَه بالسهام، ومنع عنه وعن أصحابه الماء، حتى أنّ عثمانَ كان يقول: «ويلي على ابن الحضرميّة ـ يعني بذلك طلحة ـ لقد أعطيتُه كذا وكذا من الذهب وهو اليوم يروم دمي، اللّهم لا تمتّعه بذلك».

وأمّا الزبير، فكان يحُثّ الثّوّارَ على قتل عثمان ويقول لهم: اقتلوه فقد بدّل سنّتكم. فقيل له: إنّ ابنَك عبدَ الله يحامي عنه بالباب، فقال: «ما أكره أن يقتلَ عثمان ولو بُدئ بابْني، إنّ عثمانَ جيفةٌ على الصراط».

وأمّا عائشة، فقد كانت من أشدّ الناس تحريضاً عليه وبغضاً له، وكانت تقول: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»، وأخرجتْ يوماً شَعْرَةً من شَعْر رسول الله ﷺ وثوباً من ثيابه وقالت: «إنّ شَعْرَ رسول الله لم يَبْلَ، وإنّ ثيابَه لم تَبْلَ وقد أبلىٰ عثمانُ سنّتَه». ولمّا أيقنتْ بأنّ القومَ لا يَرجِعون إلا بقتله عزمتْ على الخروجِ من المدينة والتوجّهِ إلى مكّة، فبعث عثمان إليها مروانَ بنَ الحكم وعبدَ الرحمن بنَ عتاب وطلَب منها أن لا تخرجَ من المدينة، وأن تعملَ على إنقاذ حياته، فأبتْ ذلك وقالت لمروان: «يا مروان إني في شكٍّ من صاحبك، ووالله لوددتُ أنه في غِزارةٍ ـ أي خُرج ـ من غرائري هذه، وإنّي أطيق حمْلَه حتى ألقيَه في البحر». ولمّا بلغها خبرُ مقتله ـ وهي في مكّة ـ لم تملكْ نفسَها من إظهار الفرح والرضا بذلك، وصارت تخاطب طلحةَ ـ على البُعد ـ وهي تظنّ أنّه سيلي الخِلافةَ من بعده: «ايهً يا ابن العم، ايهً يا

أبا شبل». ولمّا سألتْ من كان حاضراً عندها: ما فعل الناسُ من بعده؟ قالوا لها: بايعوا عليَّ بنَ أبي طالب. فصاحت على الفور: «لقد قُتل عثمان مظلوماً لأنهم استتابوه ثم قتلوه.. ليت هذه ـ وأشارتْ إلى السماء ـ أطبقتْ على هذه ـ وأشارتْ إلى الأرض ـ». فقال لها عبيدة بن أبي سلمة:

فمنكِ البداءُ ومنكِ الغِيَرْ ... ومنكِ الرياحُ ومنكِ المطرْ

وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمام ... وقلتِ لنا إنه قد كفرْ

فهَبْنا أطعناكِ في قتله ... وقاتلُه عندنا من أمرْ

فلم يسقطِ السقفُ من فوقنا ... ولم تنكسف شمسُنا والقمرْ

وأمّا معاوية، فإنّ عثمان لمّا اشتدّ به الحال وضاق عليه الأمر بعث إليه يطلُب منه النَّجدةَ السريعة، ولكنّ معاويةَ تباطأ وتثاقل وكان يرجو أن يُقتَلَ حتى يطالبَ بدمه ويتّخذ ذلك ذريعةً للوصول إلى الخِلافة. وبعد إلحاح عثمان عليه بالإسراع خرج من الشام بجيشٍ مؤلّفٍ من اثني عشرَ ألفَ مقاتل حتى إذا وصل بهم إلى مكانٍ بعيدٍ عن المدينة تركهم هناك وسار إليها وحده، فلمّا دخل على عثمان سأله عن نَجدته فقال له: تركتُ الجيشَ بعيداً عن المدينة وجئتُ إليك لأعرِفَ رأيَك، فقال له عثمان: لا واللهِ ولكنّك أردتَ أن أقتلَ فتقول أنت: أنا وليُّ الثأر، ارجِعْ وجئني بالناس حالاً. فرجع ولم يعُدْ حتى قُتِلَ عثمان. كما نصّ على ذلك اليعقوبي وغيرُه من المؤرّخين.

هؤلاء الذين قادوا التمرّدَ على أمير المؤمنين عليه السلام وخرجوا يطالبونه بدم عثمان وهم الذين ألّبوا عليه وشاركوا في قتله.

٧٣٦٩ـ من المهازل التي يحدثنا التاريخ عنها: أنّ طلحةَ والزبير لمّا دخلا البصرةَ ومعهما عائشةُ وعددٌ كبيرٌ من أصحاب المطامع والمنافع، وغدروا بعاملِ أمير المؤمنين عليه السلام عليها وهو الصحابيُّ الجليل «عثمانُ بنُ حُنَيف» وأَسَرُوه ونتفوا شعرَ رأسه ولحيته وحاجبيْه وأشفارَ عينيْه، وحان وقتُ صلاة الفجر تنازع طلحةُ والزبير على الصلاة بالناس، وصار كلٌّ منهما يجذِب الآخر وبقيا على ذلك حتى كاد أن يفوتَ وقتُها، فصاح الناس: الصلاةَ الصلاةَ يا أصحابَ محمد، وكادت الفتنةُ أن تقعَ فتدخّلتْ عائشةُ لحسم الأمر واقترحتْ أن يصلّيَ بالناس محمدُ بن طلحةَ يوماً وعبدُ الله بن الزبير يوماً، فانتهت المهزلة بهذا الاقتراح. وهذه الحادثة تصوّر مدىً ما كان عليه أعداءُ أمير المؤمنين عليه السلام من حِرصٍ على الدنيا، وتكالبٍ على السلطان، على العكس تماماً مما كان عليه ابنُ أبي طالب من تفانٍ في الحق، وزهدٍ في الدنيا، والتزامٍ بالقِيم الرفيعة والمُثُل العُلْيا.

٧٣٧٠ـ جاء في شرح نهج البلاغة عن عبد الحميد بن يحيى الكاتب قولُه: «حفِظتُ سبعينَ خطبةً من خطب الأَصلع ـ يعني علياً ـ فغاضتْ ثم فاضتْ».

وعن معاوية بن أبي سفيان قولُه لمحفن بن أبي محفن لما قال له: جئتك من عند أعيى الناس: «ويحكَ كيف يكون أعيى الناس، فواللّهِ ما سنّ الفَصاحةَ لقريشٍ غيرُه». وحسبك دليلاً على أنه أمامُ الفصحاء والبلغاء هو «نهج البلاغة» الذي قيل فيه أنّه فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، والذي عكف على دراسته وشرحه العشرات من فحول العلماء والمحقّقين في مختلف العصور، حتى قيل

إنّ شروحَه تجاورت الثمانينَ شرحاً.

٧٣٧١- لقد كان عبدُ الله بنُ عباس كثيرَ الإشادة بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ومناقِبه حتى أنّه قال: «لو أن الشجرَ أقلام، والبحرَ مِداد، والإنسَ والجِنَّ كُتّاب وحُسّاب ما أحصوا فضائلَ أمير المؤمنين عليه السلام». وقال أيضاً: «لقد عاتب اللّهُ أصحابَ محمد صلى الله عليه وآله في آيٍ من القرآن، وما ذكر عليّاً إلا بخير». وقال أيضاً: «نزل في عليّ ثلاثمائة آية». وقال أيضاً: «ما نزلت يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إلا وعليٌّ أميرُها وشريفُها». وقال أيضاً: «أعطي عليٌّ تسعةَ أعشار العلم، ووالله لقد شاركهم في العُشْر الباقي». وقال أيضاً: «لعليّ أربعُ خِصال ليست لأحدٍ غيرِه: هو أوّلُ عربيّ وعَجميّ صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ غيرُه، وهو الذي غسّله وأدخله في قبره». ولمّا قيل له: أين علمك من علم ابن عمك عليّ؟ قال: «كنسبة قطرةٍ من المطر إلى البحر المحيط» وفي روايةٍ أخرى قال: «ما علمي وعلمُ جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى علم عليّ إلا كقطرةٍ في سبعةِ أبحر».

٧٣٧٢- جاء في «ينابيع المودة» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «نزل القرآن أرباعاً: فربعٌ فينا، وربعٌ في عدوّنا، وربعٌ سِيَرٌ وأمثال، وربعٌ فرائضُ وأحكام، ولنا كرائمُ القرآن».

٧٣٧٣- جاء في «الاستيعاب» بهامش «الإصابة»: «أنّ معاوية كان يكتب فيما يَنزل به ليُسألَ له عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه، فلمّا بلغه قتلُه قال: ذهب الفقهُ والعلمُ بموت ابن أبي طالب. فقال له أخوه عُتبة: لا يسمع منك أهلُ الشام، فقال: دعْني عنك».

٧٣٧٤ـ ذكر شيخُنا الأميني «قدس» في «الغدير» عن كتاب «زين الفتى في شرح سورة هل أتى»: أنّ عثمانَ قال: «لولا عليٌّ لهلك عثمان»، كما قال عمرُ من قبله: «لولا عليٌّ لهلك عمر».

٧٣٧٥ـ جاء في «تاريخ اليعقوبي»: أنّ القعقاعَ بنَ زرارة قام على قبر أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «رضوانُ اللّهِ عليك يا أميرَ المؤمنين فواللّهِ لقد كانت حياتُك مفتاحَ الخير، ولو أنّ الناسَ قبِلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلِهم، ولكنّهم غمَطوا النعمةَ وآثروا الدنيا».

٧٣٧٦ـ جاء في «مروج الذهب»: أنّ محمّد بنِ أبي بكر كتب إلى معاوية يقول في شأن أمير المؤمنين عليه السلام: «فكان أوّلَ من أجاب وأناب، وآمن وصدّق، وأسلم وسلّم، أخوه وابنُ عمّه عليُّ بنُ أبي طالب، صدّقه بالغيْبِ المكتوم، وآثره على كلِّ حميم، ووقاه بنفسه كلَّ هول، وحارب حَرْبَه وسالم سِلْمَه، فلم يبرحْ مبتذِلاً لنفسه في ساعات الليل والنهار والخوفِ والفزع حتى برزَ سابقاً لا نظيرَ له فيمن اتّبَعَه، ولا مقاربَ له في فعله. قد رأيتُكَ تُساميه وأنت أنت وهو هو، أصدقُ الناس نيّةً، وأفضلُ الناس ذرّيّةً، وخيرُ الناس زوجَةً، وأفضلُ الناس ابنَ عم. عمُّه سيدُ الشهداء يومَ أحد، وأبوه الذابُّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن حوزته. فكيف لك الويل تعدُّ نفسَك بعليّ وهو وارثُ رسول الله ووصيُّه، وأبو وُلْدِه، أوّلُ الناس له اتّباعاً، وأقربُهم به عَهْداً، يُخبِرُه بسِرّه، ويُطْلِعُه على أمْرِه».

٧٣٧٧ـ حياةُ أمير المؤمنين عليه السلام ـ من بدايتها إلى نهايتها، ومن ساعة الولادة إلى ساعة الوفاة ـ كلّها عجائب وغرائب. وفصولُ هذه الحياة الكبيرة تُعدُّ من المعجزات الباهرات. ولو نظرنا إلى جانبٍ واحدٍ

منها وهو قضاؤه بين الناس في الأمور المعضِلات، وسرعةُ إجابتِه لهم في المسائل المشكِلات، وإعراضُه عن زخارف الدنيا، وارتقاؤه إلى الآفاق العُليا لكان ذلك أعظمَ دليلٍ على صِحَة ما قلناه. وهذه صورٌ ونماذجُ من أقضيتِه وأجوبتِه وزهده «صلوات الله عليه» نضعها بين يدي القرّاء الكرام ليعرِفوا إلى أيّ أوجٍ من الكمال والإعجاز بلغه هذا الرجلُ العظيم.

فمن أقضيته العجيبة ما روي عن «شريح القاضي» أنّه قال: كنت أقضي لعمر بن الخطاب فأتاني يوماً رجلٌ فقال لي: «يا أبا أميّة إنّ رجلاً أودعني امرأتيْنِ إحداهما حرّة مُهيرة ـ غالية المهر ـ والأخرى سُرّية ـ أمَة ـ، فجعلتُهما في دار، وأصبحتُ اليومَ وقد ولدتا غلاماً وجاريةً وكلتاهما تدّعي الغلام وتنفي الجارية فاقضِ بينهما بقضائك» فلم يحضُرني شيءٌ فيهما. فأتيت عمر فقصصتُ عليه القِصّة فقال لي: فما قضيتَ بينهما؟ قلتُ: لو كان عندي قضاؤُهما ما أتيتك. فجمع عمر من حضر من أصحاب النبيّ ﷺ وأمرني فقصصْتُ عليهم خبرَ المرأتيْن فلم يكن عندهم شيء. فقال عمر: ولكنّي أعرف حيثُ مفزعُها وأين منتزَعُها، قالوا: كأنّك أردتَ ابنَ أبي طالب؟ قال: نعم وأين المذهبُ عنه؟ قالوا: فابعثْ إليه يأتك، قال: لا، له شَمْخَةٌ من هاشم وأثْرَةٌ من عِلْم، يؤتىٰ ولا يأتي، وفي بيته يُؤتىٰ الحَكَم، فقوموا بنا إليه. فأتَيْنا أميرَ المؤمنين عليه السلام فوجدناه في حائط له يرْكُل فيه على مِسْحاته ويقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[1] ويبكي، فأمْهَلوه حتى سَكَن، ثم استأذنوا عليه فخرج إليهم وعليه قميص قدْ نصف أردانَه، فتوجّه إلى

---

(١) سورة القيامة، الآية(٣٦).

عمر وقال له: ما الذي جاء بك؟ فأمرني فقصصتُ عليه القِصّة، فقال لي: بمَ حكمتَ فيهما؟ قلت: لم يحضُرْني حُكْمٌ فيهما، فأخذ بيده من الأرض شيئاً ثم قال: «الحكم في هذه القضيّة أهونُ عليّ من هذا»، ثم أحضر الامرأتيْن وأحضر قَدَحاً، ثم دفعه إلى إحداهما فقال: احلبي فيه، فحلبتْ فيه، ثم وزنَ القدح ودفعه إلى الأخرىٰ فقال: احلبي فيه، فحلبتْ فيه ثم وزنه، ـ فكان أحدُهما أثقلَ من الآخر ـ فقال لصاحبة اللبن الثقيل: خذي ابنَكِ، وقال لصاحبة اللبن الخفيف: خذي ابنتَكِ. ثم التفت إلى عمر وقال: «أما علمتَ أنّ اللّهَ تعالىٰ حطّ المرأةَ عنِ الرجلِ فجعل عقلَها دون عقله، وميراثَها دون ميراثه، وكذلك لبَنُها دون لبَنِه». فقال عمر: لقد أرادك الحق يا أبا الحسن ولكنّ قومَك أبَوْا. فقال له عليه السلام: «هوّن عليك يا أبا حفص ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧﴾[1]».

ومن ذلك ما روي: أنّ رجلاً ضُرب على هامته فادّعىٰ أنه أصبح لا يستطيع الإبصار، ولا يستطيع الشم، ولا يستطيع النُطق، فرفعوا أمرَه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إنْ كان صادقاً فيما ادّعاه فقد وجبت له ثلاثُ دِيات» فقيل له: كيف يمكن التوصّل إلى معرفة صدقه من كذبه؟ فقال عليه السلام: أمّا ادّعاؤه أنه لا يستطيع أن يُبصرَ شيئاً فيمكن معرفةُ ذلك بأن يُطلبَ منه أن يرفع عينيه إلى قرص الشمس فإنْ كان يبصر فلا يتمالك أن يُغمِضَ عينَيْه، وإنْ كان لا يستطيع الإبصارَ بقيتْ عيناه مفتوحتيْن. وأمّا ادّعاؤه أنه لا يستطيع أن يشُمّ رائحةً فيمكن معرفةُ ذلك بتقديم «الحِرِيف» ـ كالبصل والثوم ـ قريباً من أنفه فإنْ كان يشُمّ وصلت

---

(١) سورة النبأ، الآية(١٧).

رائحتُه إلى دِماغه ودمِعت عيناه ونحّى رأسَه، وإنْ كان لا يستطيع الشَمَّ لا يحُسُّ بشيء. وأمّا ادّعاؤه أنّه لا يستطيع النُطقَ فيمكن معرفةُ ذلك بإبرة تُغرَز في لسانه فإن كان ينطِقُ يخرج الدمُ أحمرَ اللّون، وإن كان لا ينطِق يخرج الدمُ أسودَ اللون».

ومن ذلك ما روي: أنّ رجليْنِ أقبلا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكلٌّ منهما يدّعي أنّه مولىً للآخر. يقول أحدُهما لصاحبه: أنا مولاك وأنتَ عبدي فيقول الآخر: بل أنا مولاك وأنتَ عبدي، وأخذ هذا يحلِف وهذا يحلِف. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انطلقا فتصافيا ليلَتكما هذه، ولا تجيئاني إلا بحق». فلمّا أصبح عليه السلام وصلّى وعقّبَ بعد الصلاة أمر قنبراً أن يثقُبَ في الحائط ثَقْبين، فلمّا حضرا قال لهما: ما تقولان؟ فحلَف هذا أنّ هذا عبدُه، وحلف الآخر أنّ هذا عبدُه. فقال عليه السلام لأحدهما: أدخِلْ رأسَك في هذا الثُقْب، وقال للآخر: أدخِلْ رأسَك في هذا الثُقْب. ثم نادى: يا قنبر عليّ بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا جاء به إليه قال: اضرِبْ به رقبةَ العبد منهما، فأخرج أحدُهما رأسَه مبادِراً ومكث الآخر في الثُقب. فقال للأوّل: ألستَ تزعَمُ أنك لستُ بعبد؟ فقال: بلىٰ يا أمير المؤمنين ولكن ما قلت ذلك إلا بعد أن ضربني وتعدّىٰ عليّ. فأمر أميرُ المؤمنين مولاه أن يرفَقَ به ودفَعه إليه.

ومن ذلك ما روي: أنّ امرأةً قد تعلّقتْ بشابٍ من الأنصار ـ وكانتْ تهواه ـ فاستعصم منها فاحتالت عليه بأن أخذت بيضة فكسرتها واستخرجت بياضَها وصبّتْه على ثوبها وبين فخذيْها، ثم جاءت إلى عمر بنِ الخطاب صارخةً فقالت: إنّ هذا الشاب غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثرُ فعله عليّ، فسأل عمرُ النساءَ فقُلْنَ له:

إنّ ببدنِها وثوبها أثرَ المني. فأمر عمرُ بضرب الشاب فجعل يستغيث ويقول له: تثبّتْ في أمري فواللهِ ما أتيتُ بفاحشةٍ وما هممْتُ بها، ولقد راودتني هي عن نفسي فاعتصمت. فعرض عمر القضيّةَ على علي عليه السلام فنظر إلى ما على الثوب ثم دعا بماءٍ حارٍّ شديدِ الغلَيان فصبّه على الثوب فجمَدَ ذلك البياض، ثم أخذه وشمّه فتبيّن له أنّه بياضُ البيض، فزجر المرأةَ على ما فعلتْ من المكْر والكيْد فاعترفتْ بذنبها، ونجا الشاب من العقاب.

ومن ذلك ما روي: أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام وجد في الطريق شاباً يبكي وحوله جماعة يسكّتونه، فسأل عنه فقيل له: إنّ أباه خرج مع قومٍ إلى سفر - ومعه مالٌ كثير - فعادوا وليس هو معهم، وادّعَوْا أنّه مات وأنكروا مالَه، وأنّه رفع أمرَه إلى شريح القاضي فحكم ببراءتهم. فاستدعى أميرُ المؤمنين عليه السلام أولئك القومَ الذين كانوا مع أبيه في السفر، ووكّل بكلِّ واحدٍ منهم اثنيْن من «شُرطة الخميس» وقال لهم: ماذا تقولون كأنّي لا أعلم بما صنعتم بوالد هذا الشاب؟ ثم أمر بهم ففرّق بينهم، ثم دعا كاتبَه عبدَ الله بنَ أبي رافع فقال له: اكتبْ، ثم قال للناس: إذا كبّرتُ فكبّروا، ثم دعا بأحدهم وسأله: في أي يومٍ خرَجتم من منازلكم؟ وفي أيّ شهر؟ وفي أيّ سنة؟ وفي أيّ منزلٍ مات والدُ هذا الشاب؟ وما كان مرضُه؟ وكم كانت مدةُ مرضه؟ ومن كان ممرّضُه؟ وفي أي يومٍ مات؟ ومن كفّنه؟ وفيم كفنتموه؟ ومن صلّى عليه؟ ومن أدخله القبر؟ والرجل يجيب وابن أبي رافع يكتب. ولمّا انتهى عليه السلام من استجوابه كبّر وكبّر الناس كلُّهم، فاضطرب الباقون ولم يشُكّوا في أنّ صاحبَهم قد أقرّ عليهم وعلى نفسه. ثم صرف الرجل إلى مكانه، ودعا بآخرَ فقال له: زعَمْتم أنّي لا أعلم ما صنعتم بصاحبكم؟

فقال الرجل: ما أنا إلا كواحدٍ منهم، وكنت كارهاً لقتله. فلمّا أقرّ الرجل كبّر أميرُ المؤمنين عليه السلام وكبّر الناس ثم دعا الباقين واحداً بعد واحد فأقرّوا بأجمعهم، ثم دعا الأوّلَ منهم فأقرّ كذلك وألزمهم المالَ والقِصاص.

ومن ذلك ما روي: أنّ رجليْنِ أتيا امرأةً من قريش فاستودعاها مائةَ دينار وقالا لها: لا تدفعيها إلى واحدٍ منّا دون صاحبه حتى نجتمعَ معاً. فلبثا حوْلاً كاملاً ثم جاء أحدهما إليها وقال لها: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ المال، فأبتْ أن تدفعَ إليه وحده، فلم يزل بها حتى دفعتْه إليه. وبعد حَوْلٍ آخر جاء الرجلُ الثاني فقال لها: ادفعي إليّ المال، فقالتْ: إنّ صاحبَك جاءني وزعمَ أنك قد مُتَّ فدفعتُه إليه، فاختصما إلى عمر بن الخطاب فقال لها: ما أراكِ إلا ضامنة. وأراد أن يقضيَ للرجل عليها فقالت: أنشدكَ الله فلا تقضِ بيننا، وارفعْ أمرَنا إلى عليّ بنِ أبي طالب فرفعهما إليه، فقال عليه السلام للرجل: أليس قلتما لها: لا تدفعي المال إلى واحدٍ منّا دون صاحبه حتى نجتمعَ معاً؟ قال: بلىٰ، قال: اذهبْ فجئنا بصاحبك حتى ندفعَه إليكما. فذهب الرجل خائباً. فلمّا بلغ ذلك عمر قال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.

ومن ذلك ما روي: أنّ امرأتيْنِ تنازعتا في طفل ادّعته كلُّ واحدةٍ منهما بغير بيّنة شرعيّة، ولم ينازعْهما فيه أحدٌ غيرُهما. فترافعا إلى عمر فالتبس عليه الأمر وطلَب من أمير المؤمنين عليه السلام أن يحكمَ بينهما. فصار عليه السلام يعظهما ويخوّفهما فلم ينفع بهما ذلك، فقال عليه السلام ائتوني بمنشار فقالت: ما تصنع به يا أبا الحسن؟ قال: أقُدُّه نصفيْن وأعطي كلَّ واحدةٍ منكما نصفاً، فسكتتْ إحداهما، وأما الأُخرىٰ فقالت: الله

الله يا أبا الحسن إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحتُ به لها، فقال عليه السلام: «الله أكبر.. هذا ابنُكِ دونها، لو كان ابنَها لرقّت عليه وأشفقتْ»، ثم اعترفتِ المرأةُ الأُخرىٰ بأن الحقَّ مع صاحبتها والولدَ لها دونها.

ومن ذلك ما روي: أنّ عبداً قتل مولاه فجيء به إلى عمر، فلمّا قامت البيّنة عنده على إدانته أمر بقتله ـ وكان عليٌّ عليه السلام حاضراً ـ فدعا العبدَ وقال له: أأنت قتلتَ مولاك؟ قال: نعم، قال: ولِمَ قتلتَه؟ قال: غلبني على نفسي وارتكب منّي ما لا يحِلّ له، فقال عليه السلام لأولياء المقتول: أدَفنتم صاحبَكم؟ قالوا: نعم، قال: متى دفنتموه؟ قالوا: الساعة، فقال عليه السلام لعمر: احبس هذا العبد ولا تُحدِثْ فيه حدَثاً حتى تمرَّ ثلاثةُ أيّام. ثم قال لأولياء المقتول: إذا مضت ثلاثةُ أيّام فاحضُروا، فلمّا مضت ثلاثةُ أيام حضروا. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد عمر وجاؤوا إلى موضع القبر فقال عليه السلام للقوم: احفُروا هاهنا فحفروا حتى انتهَوْا إلى اللَّحد، فقال لهم: أخرِجوا ميّتكم فنظروا إلى أكفانه في اللَّحد فلم يجدوه، فأخبروه بذلك فقال عليه السلام: «الله أكبر.. والله ما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن يعمل من أمتي عملَ قومِ لوط ثم يموت على ذلك فهو يُؤَجَّل إلى أن يوضعَ في لَحده فإذا وُضع فيه لم يمكُثْ أكثرَ من ثلاثة أيام حتى تقذِفَه الأرض إلى جملةِ قوم لوط المهلَكِين فيُحشر معهم».

ومن ذلك ما روي: أنّ غلاماً وامرأةً أتيا عمر، فقال الغلام: هذه واللهِ أمّي حملتني في بطنها تسعاً، وأرضعتني حولَيْنِ كاملَيْن، ثم انتفتْ مني وطردتْني، وزعَمتْ إنها لا تعرِفُني. وقالت المرأة: إنّه كاذبٌ في

دعواه وإني لا أعرِفُه، وشهِد إخوتُها الأربعة ومعهم أربعون قُسامة: أنَّ هذا الغلامَ مُدَّعٍ ظَلُوم يريد أن يفضحَها في عشيرتها، وأنها لم تتزوج بعد. فأمر عمر بمعاقبته، فنظر الغلام إلى من حضر فرأىٰ علياًعليه السلام فقال له: يا أبا الحسن احكمْ بيني وبين أمي. فجلسعليه السلام في مجلس رسول اللهصلى الله عليه وآله، وقال للمرأة: ألكِ وليّ؟ قالت: نعم هؤلاء الأربعة إخوتي فتوجّه إليها وإليهم وقال لهم: حكمي عليكم جائز؟ قالوا: نعم، فقالعليه السلام: أشهد الله وأشهد من حضر أنّي زوّجتُ هذه المرأةَ من هذا الغلام بأربعمائة درهم من مالي، يا قنبر عليّ بالدراهم فأتاه بها فقال للغلام: خذها وصبّها في حِجْر امرأتك وخذْ بيدها إلى المنزل. فصاحت المرأة: الأمان يا ابنَ عمّ رسول الله، هذا واللّهِ ولدي، زوّجني إخوتي هجينا ـ أي ابن أمَة ـ فولدتُ منه هذا الغلام فلمّا بلغ وترعرع أنِفوا منه وأمروني أن أنتفي منه وخِفتُ منهم. ثم أخذتْ بيد الغلام وانطلقتْ به. فنادىٰ عمر أمام من حضر: «لولا عليّ لهلك عمر».

ومن ذلك ما روي: أنّ ستةَ رجال جيء بهم إلى عمر، وقامت البيّنة الشرعيّة على اقترافهم الزنىٰ، فأمر بجلدهم ـ وكان عليٌّعليه السلام حاضراً ـ فقال: مهلاً يا عمر فإنّ لكل واحدٍ من هؤلاء حكماً يختلف عن الآخر، ثم أمر برَجْمِ الأول لأنه محصَن، وجَلْدِ الثاني مائةَ جَلْدةٍ لأنه غيرُ محصَن، وجَلْدِ الثالث خمسينَ جلدةً لأنه عبدٌ مملوك، وقَتْلِ الرابع لأنه ذميّ وقد زنىٰ بمسلمة، وتعزيرِ الخامس لأنّه وَطأ شُبهةً، وإطلاقِ السادس لأنّه مجنونٌ ومغلوبٌ على عقله.

ومن ذلك ما روي: أنّ امرأةً زانيةً جيء بها إلى عمر فأمر

برجمها - وهي حامل - فقال له أميرُ المؤمنين عليه السلام: «هَبْ إنّ لك سبيلاً عليها، فأيُّ سبيل لك على ما في بطنها، واللّهُ تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]. فقال عمر: «لا عِشتُ لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن». ثم قال له: فما أصنع بها؟ قال عليه السلام: «دَعْها حتى تلد، فإذا وَلدَت ووجدتْ لولدها مَن يكفُله فأقِمْ عليها الحد».

ومن ذلك ما روي: أن رجلَيْنِ اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في بقرة قتلتْ حماراً قال أحدُهما: يا رسولَ الله بقرةُ هذا قتلتْ حماري، فقال صلى الله عليه وآله: اذهبا إلى أبي بكر ليحكمَ بينكما، فذهبا إليه، فقال لهما: كيف تركتما رسولَ الله صلى الله عليه وآله وجئتما إليّ؟ قالا: هو أمرنا بذلك، فقال: بهيمةٌ قتلت بهيمة، لا شيء على صاحب البقرة. فعادا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبراه بما قاله أبو بكر، فقال: اذهبا إلى عمر بن الخطاب فذهبا إليه، فقال لهما: كيف تركتم رسولَ الله صلى الله عليه وآله وجئتما إليّ؟ قالا: هو أمرنا بذلك، وأخبراه بما قال أبو بكر، فقال عمر: ما أرىٰ إلا ما رأىٰ أبو بكر. فعادا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه بما قاله عمر، فقال: اذهبا إلى علي بن أبي طالب فذهبا إليه فقال عليه السلام: «إن كانت البقرةُ هي التي دخلت على الحمار فقتلته فعلىٰ صاحبها قيمةُ الحمار لصاحبه، وإن كان الحمارُ هو الذي دخل على البقرة فقتلته فلا غُرم على صاحبها». فعادا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبراه بما قاله عليّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «لقد قضىٰ عليّ بينكما بقضاء الله عزّ وجل».

ومن ذلك ما روي: أن امرأة - في عهد عثمان - قد ولدتْ لستة أشهر فأمر عثمان برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن خاصمتُك

---

(١) سورة الأنعام، الآية(١٦٤).

بكتاب الله خصمتُك، إنّ اللّه تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾(١) ويقول: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾(٢). فحولانِ مدّةُ الرّضاع وستّةُ أخر مدّةُ الحَمْل». فقال عثمان: ردّوها.

ومن أجوبته الغريبة ما روي: أنّ أعرابيّاً جاء إليه عليه السلام فقال له: إني رأيت كلباً وطأ شاةً فأولدها ولداً فما حكم ذلك الولد؟

قال عليه السلام: «اعتبِرْه في الأكل، فإن أكل لحماً فهو كلب، وإن أكل عَلَفاً فهو شاة».

فقال الأعرابي: وجدتُه تارةً يأكل هذا وتارةً يأكل هذا.

فقال عليه السلام: «اعتبِرْه في الشُّرب، فإن ولَغ فهو كلب، وإن كرَع فهو شاة».

فقال الأعرابي: وجدتُه يلِغ مرّةً ويكرَع أخرى.

فقال عليه السلام: «اعتبِرْه في المشي مع الماشية، فإن تأخّر عنها فهو كلب، وإن تقدّم أو توسّط فهو شاة».

فقال الأعرابي: وجدتُه مرّةً هكذا ومرّةً هكذا.

فقال عليه السلام: «اعتبِرْه في الجلوس، فإن أقعى فهو كلب، وإن برك فهو شاة».

فقال الأعرابي: إنّه يفعل هذا مرّةً وهذا مرّة.

فقال عليه السلام: «اذبحه، فإن وجدتَ له إمعاءً فهو كلب، وإن

---

(١) سورة الأحقاف، الآية(١٥). (٢) سورة البقرة، الآية(٢٣٣).

وجدتَ له كِرشاً فهو شاة».

فبُهت الأعرابي من علم الإمام عليه السلام وقال: «اللّٰهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه».

ومن ذلك ما روي عن كعب الأحبار أنّه سأل أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني يا أبا الحسن عمّن لا أبَ له، وعمّن لا عشيرةَ له، وعمّن لا قِبْلةَ له؟

فقال عليه السلام: «أمّا ما لا أبَ له فعيسىٰ، وأمّا ما لا عشيرةَ له فآدم، وأمّا ما لا قِبْلةَ له فهو البيتُ الحرام هو قبلةٌ ولا قبلةَ له. هاتِ يا كعب».

فقال: أخبرني عن ثلاثة أشياء لم تركُضْ في رحم، ولم تخرُجْ من بدن؟

فقال عليه السلام: «هي عصا موسىٰ، وناقةُ صالح، وكبشُ إبراهيم. هاتِ يا كعب».

فقال: يا أبا الحسن بقيتْ خِصلةٌ فإذا أنتَ أخبرتَني بها فأنت أنت.

قال عليه السلام: «هلمّها يا كعب».

قال: قبر سار بصاحبه؟

فقال عليه السلام: «ذلك يونسُ بنُ متّى إذْ سجنه اللّٰهُ في بطن الحوت».

ومن ذلك ما روي: أنّ رجلاً جاء إلى عمر فقال له: يا أميرَ

المؤمنين أنا رجل أحبّ الفتنة، وأُبغِض الحق، وأشهد بما لم أرَه. فهمّ عمر بعقابه فعلِم به أميرُ المؤمنين عليه السلام فقال: «أمّا قولُه: أحبّ الفتنة، فإنه يُحبّ المالَ والولد». والله يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(١). وأمّا قولُه: أبغض الحق، فإنّه يُبغض الموتَ الذي هو حق. وأمّا قولُه: وأشهد بما لم أرَه، فإنّه يشهد بأنّ اللّٰهَ واحدٌ لا شريكَ له ولم يره» فقال عمر: خلّوا سبيلَه.

ومن ذلك ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لمّا وليَ عمرُ بنُ الخطاب جاءه رجلٌ يهوديٌّ فدخل عليه المسجدَ وهو قاعد ومعه أبو أيّوب الأنصاري فقال له: أنت أميرُ المؤمنين؟ قال: نعم قال: أنت الذي يسألك الناس ولا تسأل وتحكم ولا يُحكَمُ عليك؟ قال: نعم، قال: «أخبرني عن واحدٍ ليس له ثانٍ، واثنينِ ليس لهما ثالث، وثلاثةٍ ليس لها رابع، وأربعةٍ ليس لها خامس، وخمسةٍ ليس لها سادس، وستةٍ ليس لها سابع، وسبعةٍ ليس لها ثامن، وثمانيةٍ ليس لها تاسع، وتسعةٍ ليس لها عاشر، وعشرةٍ ليس لها حادي عشر» فلم يجبْه عمر وأطرق برأسه، فقال أبو أيوب: أميرُ المؤمنين عنك مشغول ولكن ائتِ ذلك القاعد ـ وأشار إلى عليّ عليه السلام ـ فجاءه اليهوديّ فسأله فقال عليه السلام: «أمّا الواحدُ الذي لا ثانيَ له فالله تبارك وتعالى، وأمّا الاثنان اللذان ليس لهما ثالث فالشمس والقمر، وأمّا الثلاثةُ التي ليس لها رابع فالطلاق، وأمّا الأربعةُ التي ليس لها خامس فالنساء، وأمّا الخمسة التي ليس لها سادس فالصلاة، وأمّا الستةُ التي ليس لها سابع فالستةُ أيام التي خلق الله فيها السمواتِ والأرض، وأمّا السبعةُ التي ليس

---

(١) سورة التغابن، الآية(١٥).

لها ثامن فالسمواتُ السبع، وأمّا الثمانيةُ التي ليس لها تاسع فحمَلَةُ العرش، وأمّا التسعةُ التي ليس لها عاشر فحَمْلُ المرأة، وأمّا العشرَةُ التي ليس لها حادي عشر فالعشرةُ أيام التي تمّم اللّهُ بها ميقاتَ موسىٰ». فأسلم اليهودي على يديه.

ومن ذلك ما روي: أنّ يهوديّاً دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن عددٍ يكون له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتسع وعشر ولم يكن فيه كسر، فقال له عليه السلام: «إن أخبرتك تُسلم؟» قال: نعم، فقال عليه السلام: «أضرِب أيّامَ أسبوعك بأيّام سنتك». فلمّا تحقّق اليهوديّ من صِحّة ذلك أسلم على يد الإمام عليه السلام.
على ٢ إلى ١٠ من غير كسر.

ومن ذلك ما روي: أنّ يهوديّاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: ما مات نبيّكم حتى اختلفتم فيه، فقال عليه السلام: «إنّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنّكم ما جفّتْ أقدامُكم من البحر حتى قلتم لنبيّكم: ﴿اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ومن ذلك ما روي: إنّه قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ فقال عليه السلام: «دعوةٌ مستجابة».

ومن ذلك ما روي: إنّه قيل له عليه السلام: كم بين المشرق والمغرب؟ فقال عليه السلام: «مسيرةُ يومٍ للشمس».

ومن ذلك ما روي: إنّه قيل له عليه السلام: ما طعمُ الماء؟ فقال عليه السلام: «طعمُ الحياة».

ولو أردنا استقصاءَ ما ورد من أقضيته العجيبة وأجوبته الغريبة

لاحتجنا إلى مجلّدات، وصدق رسولُ اللهﷺ حيثُ قال: «أقضى أمتي عليُّ بنُ أبي طالب»، وقال: «أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها».

ولو نظرنا إلى جانبٍ آخرَ من حياته الشريفة «صلوات الله عليه» وهو زهدُه البالغُ في الدنيا، وإعراضُه الكاملُ عن زخارفها وملاذِّها، وعدمُ مُبالاته بمأكله وملبسه ومسكنه ـ ولا سيما في أيام خِلافته ـ لرأينا شيئاً عجباً.

فمن ذلك ما جاء في كتاب «تذكرة الخواص» لابن الجوزي عن سويد بنِ غفلة قال: دخلتُ على عليٍّعليه السلام يوماً وليس في داره سوىٰ حصيرٍ رثٌ وهو جالسٌ عليه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين أنت ملكُ المسلمين والحاكمُ عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود، وليس في بيتك سوى هذا الحصير قال: «يا سويد إنّ البيتَ لا يتأثثُ في دار النُّقلة، وأمامَنا دارُ المُقامة وقد نقلْنا إليها متاعَنا، ونحن منقلِبون إليها عن قريب» قال سويد: فأبكاني واللّهِ كلامُه.

ومن ذلك ما جاء في كتاب «كشف الغُمّة» عن سويد أيضاً قال: دخلتُ على عليّ بنِ أبي طالبعليه السلام بيتَه فوجدتُه جالساً وبين يديه صفيحةٌ فيها لبنٌ خاثر أجد ريحَه من شِدّة حموضته، وفي يده رغيفٌ أرى قُشارةَ الشعير في وجهه، وهو يكسِره بيده أو بركبتِه ويطرَحُه فيه، فقالعليه السلام : «اذنُ وأصِبْ من طعامنا هذا»، فقلتُ: إني صائم، فقال: «سمعتُ رسولَ اللهﷺ» يقول: «من منعه الصومُ من طعامٍ يشتهيه كان حقّاً على الله أن يُطعِمَه من طعام الجنّة، ويَسقيه من شرابها». قال: فقلتُ لجاريته فِضّة وهي قائمةٌ بقُربٍ منه: ويحكِ يا فِضّة ألا تتّقِينَ اللّهَ في هذا الشيخ ألا تنخُلون له طعامَه، مِمّا أرى فيه من النُّخالة؟ فقالت:

لقد تقدّمَ إلينا أن لا ننخُلَ له طعاماً.

ومن ذلك ما جاء في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي عن عبد الله بنِ أبي رافع قال: دخلتُ على عليٍّ عليه السلام يومَ عيد فقدّم جُراباً مختوماً فوجدنا فيه خبزَ شعيرٍ يابساً مرضوضاً، فصار يأكلُ منه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين كيف تختِمُه؟ قال: «خِفت هذيْنِ الولديْن - وأشار إلى الحسن والحسيْن - أن يَلِتّاه بسَمْن أو زيْت» أي يبلّلاه ويرطّباه بهما.

ومن ذلك ما جاء في «تذكرة الخواص» عن الأحنف بنِ قيسٍ قال لمعاوية: «دخلتُ على عليٍّ عليه السلام ليلةَ إفطاره فقال لي: قمْ فتعشّ مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ دعا بجُرابٍ مختومٍ بخاتمه فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه. فقلتُ: يا أمير المؤمنين لم أعهدْكَ بخيلاً فكيف ختمتَ على هذا الشعير؟ فقال: «لم أختِمْه بخلاً ولكن خِفت أن يبُسَّه - أي يخلِطَه - الحسنُ والحسينُ بسَمْنٍ أو أهالة» فقلت: أحرامٌ ذلك؟ قال: «لا ولكن على أئمة الحق أن يتأسّوا بأضعف رعيّتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميّزون عليهم بشيءٍ لا يقدِرون عليه ليراهم الفقيرُ فيرضىٰ عن الله تعالىٰ بما هو فيه، ويراهم الغنيُّ فيزدادُ شكراً للّهِ وتواضُعاً».

ومن ذلك ما جاء في «أُسُد الغابة» عن أبي النوار - بائع الكرابيس - قال: أتاني عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام ومعه غلام، فاشترىٰ مني قميصيْ كرابيس فقال لغلامه اخترْ أيّهما شئت، فأخذ أحدَهما، وأخذ عليّ عليه السلام الآخر فلبِسه، ثم مدّ يدَه فقال: اقطعِ الذي يفضُل من قَدْرِ يدي، فقطعتُه، فلبِسه وذهب.

وصدق أمير المؤمنين عليه السلام حيث وصف نفسَه الشريفه بقوله في كتابه الذي أرسله إلى عثمانَ بنِ حُنيْف الأنصاري: «ألا وإنّ إمامَكم قد اكتفىٰ من دُنياهُ بطِمْرَيه، ومن طُعْمه بقُرصيه... ولو شِئتُ لاهتديتُ الطريقَ إلى مصفّىٰ هذا العسل ولُبابِ هذا القمحِ ونسائجِ هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلِبَني هواي، ويقودَني جَشَعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليَمامةِ مَن لا طمَعَ له في القُرص، ولا عَهْد له بالشِّبع... أو أبيتُ مِبطاناً وحولي بطونٌ غَرثىٰ وأكبادٌ حرّىٰ، أوَ أكونُ كما قال القائل:

وحسبُك داءً أن تَبيتَ ببِطْنةٍ وحولَكَ أكبادٌ تحِنّ إلى القِدِّ[1]

أأقنع من نفسي أن يُقالَ: أميرُ المؤمنين ولا أشاركُهمْ في مكاره الدهر، أو أكونُ أسوةً لهم في جُشوبة العيش».

وصدق الخليفة الأُموي المنصف عمرُ بنُ عبد العزيز حين قال عنه صلوات الله عليه: «ما علِمنا أنَّ أحداً من هذه الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أزهدُ من عليّ بن أبي طالب، ما وضع لبِنَةً على لبِنة، ولا قصَبةً على قصَبة».

٧٣٧٨- أخلاق الإمام الحسن عليه السلام هي صورة صادقةٌ من أخلاق جدّه رسولِ الله صلى الله عليه وآله وأبيه أميرِ المؤمنين عليه السلام، وسيرتُه امتدادٌ لسيرتهما، وما ذكره التاريخ عن مزاياه العظيمة وسجاياه الكريمة أكثرُ من أن يُحصىٰ.

من ذلك ما روي: أنّ شامياً رأى الإمامَ الحسن عليه السلام راكباً فجعل

---

(١) القد: اللّحم المقطّع اليابس.

يلعَنُه والإمام لا يرد، فلمّا فرغ أقبل عليه ضاحكاً وقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبهت، فلو استعتبتَنا أعتبناك، ولو سألتَنا أعطيناك، ولو استرشدتَنا أرشدناك، ولو استحملتَنا حمَلناك، وإن كنتَ محتاجاً أغنَاك، وإن كنتَ طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجةٌ قضيناها لك. فلو حرّكتَ رحلَك إلينا وكنتَ ضيفاً إلى وقت ارتحالك كان أعودَ عليك، لأنّ لنا موضعاً رحْباً، وجاهاً عريضاً، ومالاً كثيراً».

فلمّا سمِع الرجلُ كلامَه بكىٰ ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه.. الله أعلم حيث يجعل رسالتَه.. كنتَ أنت وأبوك أبغضَ خلق الله إليّ، والآن أنت وأبوك أحبُّ خلق الله إليّ. وحوّل رحله إليه، وكان ضيفَه إلى أن ارتحل. وصار معتقداً بإمامتهم، ومتمسكاً بولايتهم صلوات الله عليهم.

٧٣٧٩ـ قيل للإمام الحسن عليه السلام: لأيّ شيءٍ نراك لا تردّ سائلاً وإن كنتَ على فاقة؟ فقال عليه السلام: «إني للّهِ سائل وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكونَ سائلاً وأردّ سائلاً، وإنّ اللّهَ تعالىٰ عوّدني عادةً أن يفيضَ نعمَه عليّ، وعودتُه أن أفيضَ نعمَه على الناس، فأخشى إن قطعتُ العادة أن يمنعني العادة».

٧٣٨٠ـ روي: أنّ جماعةً من الأنصار كانوا يملكون بُستاناً فاحتاجوا إلى بيعه، فاشتراه منهم الإمامُ الحسن عليه السلام بأربعمائة ألف. ثم أصابتهم ضائقة بعد ذلك اضطرتهم إلى سؤال الناس، فردّ عليهم الإمامُ البُستانَ ليصونَهم عن السؤال.

٧٣٨١ـ قال الإمام الحسن عليه السلام: «هلاكُ الناس في ثلاث: الكِبر والحرص والحسد، ففي الكبر هلاكُ الدين، وبه لُعن إبليس.

والحِرص عدوُ النفس، وبه أُخرج آدمُ من الجنّة. والحسد رائدُ السوء، وبه قتل قابيلُ هابيل».

٧٣٨٢- قال الإمام الحسن عليه السلام: «علِّم الناس، وتعلَّمْ علمَ غيرك فتكونَ قد أتقنتَ علمك، وعلِمتَ ما لم تعلم. والسؤالَ نصفُ العلم».

٧٣٨٣- قال الإمام الحسن عليه السلام: «القريب من قرَّبَتْهُ المودّةُ وإن بعُد نسبُه، والبعيد من بعَّدَتْهُ المودّةُ وإن قرُب نسبُه».

٧٣٨٤- قال الإمام الحسن عليه السلام: «ما تشاور قومٌ إلا هُدوا إلى رشدهم».

٧٣٨٥- قال الإمام الحسن عليه السلام: «ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحاسد».

٧٣٨٦- قال الإمام الحسن عليه السلام: «حسنُ السؤال نصفُ العلم».

٧٣٨٧- قال الإمام الحسن عليه السلام: «المصائبُ مفاتيحُ الأجر».

٧٣٨٨- قال الإمام الحسن عليه السلام: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه».

٧٣٨٩- قال الإمام الحسن عليه السلام: «يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطتَ من بطن أمك، فخذْ مِمّا في يديْك لِما بين يديْك فإنّ المؤمنَ يتزوّد، والكافرَ يتمتّع».

٧٣٩٠- قال الإمام الحسن عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعملْ لآخرتك كأنّك تموت غداً».

٧٣٩١ـ قال الإمام الحسن عليه السلام: «إذا أردتَ عزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سلطان، فاخرجْ من ذُلّ معصية الله إلى عزّ طاعة اللّهِ عزّ وجلّ».

٧٣٩٢ـ من الشعر المنسوب للإمام الحسن عليه السلام قولُه:

قلْ للمقيم بغير دار إقامةٍ حان الرحيلُ فودِّعِ الأحبابا
إنّ الذين لقيتَهم وصحِبْتَهم صاروا جميعاً في القبور ترابا

وقولُه عليه السلام:

لَكِسْرةٌ من خسيس الخبزِ تُشبِعُني وشَربةٌ من قَراح الماءِ تَكْفيني
وطِمْرةٌ من رقيق الثوب تَستُرني حيّاً وإنْ مِتُّ تكفيني لتكفيني

وقولُه عليه السلام:

نحن أناسٌ نوالُنا خضِلُ يرتعُ فيه الرجاءُ والأملُ
تجودُ قبل السؤالِ أنفسُنا خوفاً على ماءِ وجهِ من يسلُ
لو علم البحرُ فضلَ نائِلنا لفاض من بعد فيضه خجِلُ

وقولُه عليه السلام:

إنّ السخاءَ على العبادِ فريضةٌ للّهِ تُقرأ في الكتاب المحكَمِ
وعد العبادَ الأسخياءَ جِنانَه وأعدّ للبخلاءِ نارَ جهنّمِ
من كان لا تندىٰ يداه بنائلٍ للراغبين فليس ذاك بمسلمِ

وقولُه:

يا أهلَ لذّاتِ دنياً لا بقاءَ لها
إنّ المُقامَ بظِلٍّ زائلٍ حُمُقُ

٧٣٩٣ـ من الأحاديث الشائعة عن رسول الله ﷺ أنّه قال في سبطه الحسنِ بنِ علي عليه السلام: «إنّ ابني هذا سيّد، وسيُصلِح اللّهُ به بين فئتيْنِ عظيمتيْنِ من المسلمين».

وفي نصّ آخر «من المؤمنين» ولكنّ القرائنَ كلَّها تشير إلى كذب هذا الحديث، وأنّه من تلفيقات معاوية، وفئتِه الباغية ليُثبتَ بذلك أنّه وجماعتُه البغاةُ إحدى الفئتيْن المسلمتيْن أو المؤمنتين. ومما يؤيّد ويؤكّد وضعَ هذا الحديث أنّ سندَه ـ على اختلاف صوره ـ ينتهي إلى أبي بكرة شقيق زياد ابن أبيه لأمّه سُميّة. وهو معروف ببغض أمير المؤمنين عليه السلام وأهلِ بيته الأطهار، ولم يشترِكْ معه في جميع حروبه بل كان يُخذِّل الناسَ عنه. ولو كان الحديثُ صحيحاً عن رسول الله ﷺ لسمِعه جمعٌ كبيرٌ من الصحابة لأنّ الروايةَ تزعَمُ أنّ النبيّ ﷺ قاله مرّةً على المِنبر والحسنُ إلى جنبه والنبيّ يُقبِلُ على الناس تارةً وعلى الحسن تارةً أخرىٰ. وأنّه قاله مرّةً أخرىٰ عندما كان يصلّي بالناس والحسنُ يثب على ظهره إذا سجد، فقال الناس: يا رسولَ الله إنّك تفعل بابنك هذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد؟ فقال لهم: «إنّ ابني هذا. .» إلى آخر الحديث. فكيف يمكن ـ والحالةُ هذه ـ أن يختصّ أبو بكرة بروايته دون غيره من المسلمين؟ مع أن النبيّ ﷺ قال ذلك ـ كما تدّعي الرواية ـ أمام الملأ منهم. هذا بالإضافة إلى أنّ الذين رووا الحديث عن أبي بكرة يزعَمُون أنّ الحسنَ يوم ذاك كان عمرُه يناهز الثلاث سنوات ـ أي في السنة السادسة من الهجرة لأنّ ولادةَ الإمام كانت في السنة الثالثة منها ـ وأبو بكرة في هذا الوقت كان لا يزال مشركاً في الطائف. وقد نصّ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» أنّه إنّما دخل إلى الإسلام في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة.

ومما يؤكّد كذبَ هذا الحديث ما روي أنّ معاويةَ بعد أن تمّ الصلح بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام كان يردّد هذا الحديثَ مستبشراً فقد روى المسعودي في «مروج الذهب» أنّه لما تمّ الصلحُ بين الطرفيْن كبّر معاوية بالخضراء وكبّر أهلُ المسجد، فخرجتْ فاختة بنت قرضة من خوخةٍ لها وقالت: سرّكَ الله يا أميرَ المؤمنين ما هذا الذي بلغك؟ قال: أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ ابني هذا سيّد وسيُصلِح اللّهُ به بين فئتيْنِ عظيمتيْنِ من المؤمنين» فحمَدتُ اللّهَ الذي جعل فئتي إحدى الفئتيْن المؤمنتيْن. فالهدف من وضع هذا الحديث إذاً هو ردّ الاعتبار لمعاوية وفئتِه التي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سمّاها «الفئة الباغية» بقوله لعمّار بن ياسر رضي الله عنه: «يا عمّار تقتلك الفئة الباغية».

٧٣٩٤ـ هناك ثلاثُ رواياتٍ تتّهم الإمامَ الحسن عليه السلام بكثرة الزواج.

إحداها: عن المدائني المعاصر للعباسيّين، والذي كان يضع الأحاديثَ لمصلحة أسياده. وهذه الرواية تقول إنّه تزوّج بتسعين امرأة. وكان العباسيون يُشيعون بين الناس هذه التهمةَ حتى يجرّدوا الحسن عليه السلام من أهليّته للخِلافة انتقاماً من أولاده الذين ثاروا عليهم وأنكروا ظلمَهم وطغيانَهم. ولمّا قبض المنصور العباسي على عبد الله بنِ الحسن المثنّى خطب في الناس وكان من جملة ما قال عن الإمام عليه السلام إنّه أقبل على النساء يتزوّج اليومَ واحدةً ويطلّق غداً أخرىٰ، فلم يزلْ كذلك حتى مات على فراشه.

وثانيها: عن الشبلنجي في «نور الأبصار» وقد أرسلها ولم ينسبها

إلى أحد. وهذه الرواية تقول أيضاً إنّه تزوّج بتسعين امرأة. والمرسَل إذا لم يكن ما يؤيِّدُه ويدعَمُه لا حجّةَ فيه، فكيف إذا كانت الدلائلُ كلُّها تشير إلى كذبه ووضعه.

وثالثها: عن أبي طالب المكيّ في «قوت القلوب»، والتي أفرط فيها في المبالغة والتهويل حتى نسب إلى الحسن عليه السلام أنّه تزوّج مائتين وخمسين أو ثلاثمائة امرأة، وأنّ أباه علياً عليه السلام كان يصعد المِنبر ويقول للناس: «إنّ حسناً مطلاقٌ فلا تزوّجوه». وأبو طالب هذا كان مصاباً بالهستريا كما نصّ على ذلك معاصروه، وكان كثيرَ الهذَيان حتى أنه كان يقول: «ليس على المخلوق أضرُّ من الخالق!!»، وكان يبيح استماعَ الغناء فلمّا عاتبه عبد الصمد بن عليّ على ذلك أنشد يقول:

فيا ليلُ كم فيك من متعةٍ ويا صبحُ ليتَك لم تقرُبِ

ومن شذوذه وهذيانه ما روي عنه أنّه قال لأحد أصحابه عند مرضه الذي توفي فيه: أنْ غفر الله لي فانثرْ على جنازتي لوزاً وسكّراً، فقال له صاحبه: وما العلامة على أنّ اللّهَ قد غفر لك؟ قال: إذا أمسكتُ يدَك عند الإحتضار فتلك علامةُ الغُفران. فلمّا دنتْ ساعةُ الاحتضار أمسك المكيّ يدَ صاحبه ثم مات، فنفّذ الرجل وصيّته ونثر على جنازته لوزاً وسكّراً.

٧٣٩٥ـ روى المجلسي في «البحار»: أنّ الحسينَ بنَ علي عليه السلام مات له ابن فلم تُر عليه كآبة، فقيل له في ذلك. فقال: «إنّا أهلُ بيتٍ نسأل اللّهَ فيعطينا، فإذا أراد الله ما نكره فيما نحب رضينا».

٧٣٩٦ـ روى ابنُ الصباغ المالكي في «الفصول المهمّة» عن أنس بنِ مالك قال: كنتُ عند الحسين عليه السلام فدخلتْ عليه جاريةٌ له

وبيدها باقةُ ريحان فحيّته بها فقال لها: أنتِ حرّةٌ لوجه الله تعالىٰ.
فقلتُ له: جاريةٌ تجيئك بباقة ريحان وتحيّيك بها فتُعتِقها؟ فقال عليه السلام:
«هكذا أدّبنا اللّهُ حيثُ قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾(١) وأحسنُ منها عِتقُها».

٧٣٩٧ـ روي: أنّ رجلاً قال للحسين عليه السلام: إني أعصي اللّهَ ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة أنتفع بها يا ابن رسول الله، فقال له عليه السلام: «افعل خمسةَ أشياء واذْنِبْ ما شئت»، فقال الرجل: هاتِها يا أبا عبد الله فقال عليه السلام: «لا تأكلْ من رزق الله واذْنِبْ ما شئت، واخرُجْ من أرض الله واذْنِبْ ما شئت، واطْلُبْ موضعاً لا يراك اللّهُ فيه واذْنِبْ ما شئت، وإذا جاءك ملكُ الموت ليقبضَ روحَك فادْفعه عن نفسك واذْنِبْ ما شئت، وإذا أراد مالكٌ أن يدخلَكَ النارَ فلا تدخُلْها واذْنِبْ ما شئت»، فقال الرجل: حسبي يا ابن رسول الله، لن يراني الله بعد اليوم حيثُ يكره.

٧٣٩٨ـ روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «أتيت عمرَ بنَ الخطاب وهو يخطُب على المِنبر والمسلمون حوله، فتخطّيتُ الناسَ وصعَدتُ إليه وقلتُ له: انزلْ عن مِنبر أبي واذهبْ إلىٰ مِنبر أبيك، فابتسم لي وقال: ليس لأبي مِنبر، وإنه لمِنبر أبيك أي والله، ثم أخذني بيده وأجلسني إلى جانبه. فلمّا نزل عن المِنبر انطلق بي إلى منزله وقال لي: من علّمك ذلك؟ فقلتُ: والله ما علّمني أحد. فقال: بأبي أنت وأمي لو جعلتَ تغشانا. فأتيتُه يوماً وهو مجتمعٌ مع معاوية في خَلْوةٍ وولدُه عبدُ الله واقفٌ على الباب، فرجع ورجعتُ معه، فلقيني بعد

---

(١) سورة النساء، الآية(٨٦).

ذلك وقال لي: لم أرك منذ فارقتني؟ فقلتُ له: إني جئتك وأنت في خَلوة مع معاوية، ووجدتُ ولدَك عبدَ الله على الباب فرجع ورجعتُ معه. فقال: «أنتَ أحقُّ من وَلَدي، فإنما أنبتَ ما ترىٰ في رؤوسِنا اللّهُ ثم أنتم».

٧٣٩٩ـ **روي**: إن أعرابياً أتىٰ بابَ الحسين عليه السلام فقرعه وقال:

لم يخبِ الآنَ مَن رجاك ومَن حرّك من خلف بابك الحَلقةْ

وكان الحسين عليه السلام يصلّي فخفّف صلاته وخرج إليه فلمّا رأى عليه أثرَ الفاقة نادىٰ غلامَه وقال له: ما بقي معك من المال؟ قال: أربعة آلاف دينار أمرتني بصرفها على أهل بيتك، فقال عليه السلام: هاتها فقد أتىٰ من هو أحقُّ بها منهم، ودفعها إليه وهو يقول:

خُذها فإني إليك معتذرٌ واعلَمْ بأني عليك ذو شفقةْ

فأخذها الأعرابي وهو يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ وبكىٰ، فقال له الحسين عليه السلام: لعلّك استقللت، ما أعطيناك؟ قال: لا ولكن كيف يأكل الترابُ جودك يا ابن رسول الله؟

٧٤٠٠ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسينٌ مني وأنا من حسين أحبَّ اللّهُ من أحبَّ حسيناً».

٧٤٠١ـ من كلمات الإمام الحسين عليه السلام الخالدة قولُه: «لا تقولَنّ في أخيك المؤمن إذا توارىٰ عنك إلا بمثل ما تُحبّ أن يقولَ فيك إذا تواريتَ عنه».

وقولُه: «إيّاك وظلمَ مَن لا يجد عليك ناصراً إلا اللّهَ عزّ وجل».

وقولُه: «من قبِل عطاءَك فقد أعانك على الكرم».

وقولُه: «موتٌ في عِزٍ خيرٌ من حياةٍ في ذُلّ».

وقولُه: «من دلائل العالم انتقادُه لحديثه، وعلمُه بحقائق فنون النظر».

وقولُه: «واللّهِ لا أعطيكم بيدي إعطاءَ الذليل، ولا أقِرُّ لكم إقرارَ العبيد».

وقولُه: «الناسُ عبيدُ الدنيا والدينُ لَعْقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّتْ معائشُهم، فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قلَّ الديّانون».

وقولُه: «لا يكمُل العقلُ إلا باتّباع الحق».

وقولُه: «لا أرى الموتَ إلا سعادة، والحياةَ مع الظالمين إلا بَرَما».

وقولُه: «اعلموا أنّ حوائجَ الناس إليكم من نِعم الله عليكم فلا تَملّوا النِّعمَ فتتحوّلَ نِقَما».

وقولُه: «رضا الله رضانا أهلَ البيت نصبِر على بلائِه فيوَفِّينا أجورَ الصّابرين».

وقولُه: «القرآنُ ظاهرُه أنيق، وباطنُه عميق».

٧٤٠٢ـ من الشعر المنسوب للإمام الحسينعليه‌السلام قولُه:

إذا ما عضّك الدهر فلا تجنحْ إلى الخلقِ

ولا تسألْ سوى الله تعالى قاسِم الرزقِ

فلو عِشتَ وطوّفتَ من الغربِ إلى الشرقِ

لما صادفتَ من يقدِرُ أن يُسعِدَ أو يُشقي

وقولُه عليه السلام:

ذهب الذين أحبّهُمْ وبقيتُ فيمن لا أُحِبُّهْ
فيمنْ أراه يَسُبّني ظهر المغيب ولا أسُبُّهْ
حسبي بربي كافياً مما اجتنى والبغيُ حسبُهْ

٧٤٠٣ـ لقد اختلف المؤرّخون والباحثون حول موضع دفن رأس الحسين عليه السلام على أقوالٍ كثيرة ربما بلغت العشرة. أشهرها عند الشيعة أنّه دُفن مع الجسد الطاهر في كربلاء، وأنّ الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام قد استوهبه من يزيد فوهبه إيّاه، وفي رجوعه إلى المدينة مرّ على كربلاء ودفنه مع الجسد الشريف.

والمشهور عند أهل السنّة أنّ الرأسَ دُفن بعسقلان ولمّا غلب عليها الإفرنج في زمن الدولة الفاطميّة بمصر افتداه وزيرهم الصالح «طلائع» بمالٍ جزيل ونقله في موكبٍ مهيب إلى القاهرة ودُفن فيها حيثُ المشهدُ الحسينيُّ المعروفُ حتى اليوم. وسواء كان رأسُ الحسين عليه السلام في كربلاء أو في الشام أو في المدينة أو في النجف أو في القاهرة أو في غيرِها من البلدان ـ على اختلاف الأقوال ـ فهو موجودٌ في قلبِ كلِّ مؤمنٍ تقيّ، وفي قلبِ كلِّ حرٍّ أبيّ، وفي قلبِ كلِّ ثائرٍ على الظلم والطغيان في كلِّ زمانٍ ومكان. ولله دَرّ القائل:

لا تطلُبُوا رأسَ الحسين بشرق أرضٍ أو بغربِ
ودعوا الجميعَ وعرّجوا نحوي فمشهدُه بقلبي

٧٤٠٤ـ ذكر الرواة: إن الحسن والحسين عليهما السلام حجّا خمساً وعشرين حجة ماشيَيْنِ على أقدامهما والرواحل تُقادُ بين أيديهما، وكلّما

مرّا براكبٍ نزل عن راحلته ومشىٰ معهما، فاشتدّ ذلك على الناس، فجاء وفدٌ من الحُجّاج إلى سعدِ بنِ أبي وقّاص وقالوا له: إنّ المشيَ قد اشتدّ علينا ولا يسَعُنا أن نركبَ وابنا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشيان. فجاء سعدٌ إليهما وقال لهما: إنّ المشيَ قد اشتدّ على الناس ولا يسعُ أحداً أن يركبَ وأنتما تمشِيان، فلو ركِبْتُما رحمةً بالناس. فقالا: قد جعلنا على أنفسنا أن نمشيَ في طريقنا هذا، ولكن نتنكّبُ الطريق. فسلكا طريقاً آخر غيرَ الجادّة حتى لا يراهما أحدٌ من الناس.

٧٤٠٥ـ روى المؤرخون كابن خلدون في تاريخه، وابن خالد السلاوي في كتابه «الاستقصاء»: أنّ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام قد اشتركا مع الجيش الإسلامي الذي غزا إفريقية وفتح الكثيرَ من أقطارها. كما اشتركا في حرب المسلمين مع الفرس في طبرستان وجرجان ونهاوند وغيرِها.

٧٤٠٦ـ كان أمير المؤمنين عليه السلام يحرِصُ على ولديْه الحسنِ والحسين عليهما السلام أن لا يشتركا في قتال القاسطين والمارقين والناكثين، بينما كان يحُثّ ولَده محمدَ بنَ الحنفية «رض» على المنازلة والمقاتلة. وقد سُئل عليه السلام عن سبب ذلك فقال: «لأنّهما عيناي، ومحمّدٌ يداي، وأنا أدفع عن عينيّ بيديّ». وقيل مرّةً لمحمد بنِ الحنفية: لِمَ يُغَرِّرُ بك أبوك ـ أي يرضك للهلاك ـ ولا يُغرّرُ بالحسن والحسين؟ فقال: «إنّهما عيناه، وأنا يمينُه، فهو يدفع عن عينيْه بيمينه». ومرّةً أخرىٰ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ هذيْنِ ـ وأشار إلى الحسن والحسين ـ إن هلكا نَقطع نسلُ رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة».

٧٤٠٧ـ روي: إنّ الحسنَ والحسينَ وعبدَ الله بن جعفر كانوا

في طريقهم من المدينة إلى مكة لأداء الحج، وكانوا يمشون على أقدامهم فترجّل الناس هيبةً واحتراماً لهم، فعدّلوا عن الجادة حتى لا يضيّقوا على الناس، فجاعوا في أثناء الطريق فقصدوا خِباءً هناك فوجدوا فيه عجوزاً فطلَبوا منها الطعامَ فقالت لهم: ليس عندي إلا هذه الشاة فاذبحوها، فذبحها أحدهما وشوتْ لهم من لحمها. ولمّا أرادوا الانصراف قالوا لها: «يا أمةَ الله نحن نفرٌ من قريش نريد مكة فإذا رجعنا إلى المدينة فألُمّي بنا فإنّا صانعون بكِ خيراً إن شاء الله» ومضوا. فلمّا جاء زوجُها أخبرَتْه بما جرىٰ لها معهم فقال لها: ويحكِ تذبحين الشاةَ لقومٍ لا تعرفينهم. ومضت الأيّام فأصابهم جدْبٌ أضرَ بهم فقصدتِ العجوزُ المدينةَ مع زوجها فرآها الإمام الحسن عليه السلام فقال لها: أنا ضيفُكِ يومَ كذا وأعطاها ألفَ شاة وألفَ دينار، ثم أرسلها إلى أخيه الحسين عليه السلام فأعطاها كذلك، ثم أرسلها إلى عبدالله بن جعفر فأعطاها كذلك. فرجعت مع زوجها إلى خيّها وهما من أغنى الناس.

٧٤٠٨ـ روي: إنّ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام اصطرعا يوماً أمام جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيهما عليّ عليه السلام وأمهما فاطمة عليها السلام. فسمِعت أباها يقول: «إيهِ يا حسن شُدَّ على الحسين فاصْرعْه» فقالت: «يا أبه وأعجباه أتشجّع هذا على هذا؟ أتشجّع الكبيرَ على الصغير؟» فقال لها: «يا بُنيّة أمَا ترضيْن أن أقولَ أنا: إيهِ يا حسن شُدَّ على الحسين فاصْرعْه، وهذا حبيبي جبرئيل يقول: إيهِ يا حسين شُدَّ على الحسن فاصْرعْه».

٧٤٠٩ـ روي: إنّ الحسنَ والحسينَ عليهما السلام لما قرُب العيد ـ وهما صبيّان ـ قالا لأمّهما الزهراء عليها السلام: لقد تزيّن صِبيان المدينة إلا نحن، فقالت: إنّ ثيابكما عند الخيّاط فإذا أتىٰ بها زيّنتُكما. فلمّا كانت ليلة

العيد أعادا القولَ على أمّهما فبكتْ رحمةً بهما وشفقةً عليهما. فلمّا ناما طرق البابَ طارق فقالت فاطمةعليها السلام: من الطارق؟ قال: أنا الخيّاط جئتُ بالثياب، ففتحت الباب فإذا برجلٍ مَهيبٍ وسيم بيده مجموعةٌ من الثياب مشدودةٌ بمنديل فقال: يا بنتَ رسول الله هذه ثيابُ الحسن والحسين فتناولَتْها منه وانصرف. فدخلتْ فاطمة وفتحت المِنديل فإذا فيه قَميصانِ ودُرّاعَتانِ وسِروالانِ ورِداءانِ وعِمامتانِ وخُفّان. فأيقظت فاطمة ولديْها وألبستهما الثيابَ الجديدة فدخل رسولُ اللهصلى الله عليه وآله وهما مزيّنان ففرِح بهما وحمَلَهما وقبّلهما وقال لابْنته فاطمةعليها السلام: هل رأيتِ الخيّاط؟ قالت: نعم يا رسولَ الله، وهذه هي الثياب التي أنفذتَها معه، ـ قالت ذلك وهي تحسب أن أباها هو الذي أرسل الثيابَ بيده لولديها ـ فقال: يا بُنيّة ما هو بخيّاط وإنما هو رضوان خازنُ الجنان، قالت: فمن أخبرك به يا رسولَ الله؟ قالصلى الله عليه وآله: ما عرج حتى جاءني وأخبرني بذلك.

٧٤١٠ـ روي عن ابن عباسرضي الله عنه أنّه قال: بينما نحن عند رسول اللهصلى الله عليه وآله إذْ أقبلتْ فاطمةعليها السلام تبكي فقال لها النبيّصلى الله عليه وآله: ما يبكيكِ؟ قالت: يا رسولَ الله إنّ الحسنَ والحسينَ خرجا فواللّهِ ما أدري أين سلكا، فقالصلى الله عليه وآله: لا تبكي فداكِ أبوكِ فإن اللّهَ عزّ وجل أرحمُ بهما. ثم رفع رأسَه إلى السماء ودعا لهما، فهبط جبرئيل فقال: «لا تغتمّ ولا تحزنْ، هما فاضلان في الدنيا وفاضلان في الآخرة، وأبوهما خيرٌ منهما، وهما في حظيرة بني النجّار نائمَين، وقد وكّل اللّهُ بهما ملَكاً يحفظهما». فقام رسولُ اللهصلى الله عليه وآله وقام معه أصحابُه حتى أتى الحظيرةَ فإذا الحسنُ معانقٌ الحسين، وإذا الملَك قد غطّاهما بأحد جناحيْه. فحمَل النبيّصلى الله عليه وآله الحسنَ، وحمل الملَكُ الحسين، والناس

يرون أنّه حاملُهما، فقالوا له: يا رسولَ الله ألا نخفف عنك بأحد الصبيّين؟ فقال: «دعوهما فإنّهما فاضلانِ في الدنيا وفاضلانِ في الآخرة، وأبوهما خير منهما». ثم التفت إليهما وقال: «لأشرّفكما اليومَ بما شرّفكما اللّهُ به». فلمّا وصل المسجدَ صعد المِنبر وقال: «أيّها الناس ألاْ أخبركم بخير الناس جَدّاً وجَدّة؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الحسنُ والحسين، جدُّهما رسولُ الله، وجدّتُهما خديجةُ بنتُ خويلد. ألاْ أخبركم بخير الناس أباً وأمّاً؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الحسنُ والحسين، أبوهما عليُّ بنُ أبي طالب، وأمّهما فاطمةُ بنتُ محمّد. ألاْ أخبركم بخير الناس عمّاً وعمّة؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الحسنُ والحسين، عمُّهما جعفرُ بنُ أبي طالب، وعمتهما أمُ هاني بنتُ أبي طالب. ألاْ أخبركم بخير الناس خالاً وخالة؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «الحسنُ والحسين، خالُهما القاسمُ بنُ رسول الله، وخالتهما زينبُ بنتُ رسول الله. ألا إن جدّهما في الجنّة، وجدّتَهما في الجنّة، وأباهما في الجنّة، وأمّهما في الجنّة، وعمّهما في الجنّة، وعمّتهما في الجنّة، وخالَهما في الجنّة، وخالتَهما في الجنّة، ومن أحبّهما في الجنّة، ومن أحبَّ من يحبُّهما في الجنّة».

٧٤١١ـ روي: إنّ أمَّ الإمام زين العابدين عليه السلام بنتَ يزدجر ملكِ الفرس لمّا جيء بها في السبايا أراد عمر بيعَها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز بيعُ بنات الملوك وإن كنّ كافرات، ولكن أعرِضْ عليها أن تختارَ رجلاً من المسلمين فزوجْها منه، فيُحسبُ صداقُها عليه من عطائه من بيت المال يقومُ مقامَ الثمن. فعرض عليها أن تختارَ فوضعت يدَها على رأس الحسين عليه السلام فأخذها. فقال له أبوه: «يا بني احتفظ بها وأحسِنْ إليها فستلدُ لك خيرَ أهل الأرض في زمانه

بعدك، وهي أمُّ الأوصياء والذريّةِ الطيبة». فولدت عليَّ بنَ الحسين عليه السلام، وماتت في نفاسها به. وإنما اختارت الحسينَ عليه السلام لأنّها - على ما رُويَ - رأتْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله في المنام قد دخل عليها ومعه الحسين وخطبها له وزوّجها منه. وفي الليلة الثانية رأت فاطمةَ بنتَ رسول الله قد أتت إليها وعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم قالت لها: «إن الغَلَبة ستكون للمسلمين، وإنّكِ ستصلين قريباً إلى ابني الحسين سالمةً لا يصيبكِ أحدٌ بسوء». فكان الأمر كما قالت لها صلوات الله عليها.

٧٤١٢- روي: إن رجلاً جاء إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فقال له: إنّ فلاناً وقع فيك، فقال له: انطلقْ بنا إليه. فانطلق معه، وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلمّا أتاه قال له: «يا هذا إن كان ما قلتَه فيّ حقّاً فالله تعالى يغفر لي، وإن كان ما قلتَه فيّ باطلاً فالله تعالى يغفر لك»، فاستحى الرجل من فعله واعتذر إليه.

٧٤١٣- روي: إنّ رجلاً لَقِيَ الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام في الطريق فسبّه فثارت العبيد والموالي فقال لهم عليه السلام: مهلاً ثم أقبل على الرجل وقال: «ما سُتِر عليك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نُعِينُك عليها؟» فاستحى الرجل فألقى إليه عليه السلام خميصةً - وهي كِساءٌ أسودٌ معلَّم - كانت عليه وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول: «أشهد أنّكَ من أولاد الرسول».

٧٤١٤- روي: إنّ رجلاً استطال على زين العابدين عليه السلام فتغافل عنه، فقال الرجل: إيّاكَ أعني، فقال له عليه السلام: «وعنكَ أُغضِي».

٧٤١٥- روي: إن مولى لزين العابدين عليه السلام كان يعمل في

ضيعةٍ له فأفسد فيها فضربه الإمام بسوطٍ كان بيده. فلمّا رجع إلى منزله أرسل في طلب المولىٰ فجاءه خائفاً ـ وهو يظنّ أنّه سيعاقبُه ـ فوجده قائماً والسوطُ بين يديْه، فقال له عليه السلام: «قد كان مني إليك ما لم يتقدّمْ مني مثلُه، فدونك السوط فاقتصّ لنفسك مني» فقال: يا مولاي واللّٰهِ لقد ظننتُ أنك تريد أن تعاقبَني وأنا مستحقٌّ لذلك، فكيف أقتصُّ منك؟. قال: «ويحك اقتص» فقال: معاذَ الله، أنت في حِلٍّ وسِعَة. فلمّا امتنع المولىٰ من ذلك قال له الإمام عليه السلام: «أمّا إذا أبيتَ فالضيْعَةُ صدقةٌ عليك».

٧٤١٦ـ روي: أنّ هشامَ بنَ إسماعيل المخزومي كان والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان، وكان يؤذي الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام بكل ما يستطيع، فلمّا ولّيَ الخلافةَ الوليدُ بنُ عبد الملك غضِب على هشام وعزَله من منصِبه وأوقفه للناس ليقتصّوا منه، فقال: واللّٰهِ إني لا أخاف إلا من عليِّ بنِ الحسين لكثرة إيذائي له. فلمّا مرّ به الإمام أوصىٰ أهلَه وأصحابَه أن لا يتعرّضوا له بسوء، وأقبل عليه مسلّماً وقال له: «إن كان أعجزك مالٌ فعندنا ما يسَعُك ويسُدُّ حاجتَك، فطِبْ نفساً مِنّا ومن كلِّ من يطيعُنا». فقال هشام: «واللّٰهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه».

ومن قبل ذلك صنع بمروان بن الحكم ـ وهو أشدُّ الناس عِداءً له ولأهل بيته ـ لمّا ثار أهلُ المدينة على حكم يزيد وضيّقوا الخِناقَ على الأمويين فيها فلجأ مروان بعائلته ونسائه وأطفاله إلى زين العابدين عليه السلام فآواهم وحماهم وأكرمهم وأحسن إليهم حتى قالت إحداهنّ: «واللّٰهِ ما رأينا في دار أبينا وأمّنا من الراحة والعيشِ الهنيء

مثلَ ما رأينا في دار عليٍ بن الحسين». وصدق الشاعر حيث يقول:

وحسبكُمُ هذا التفاوتُ بيننا وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضحُ

٧٤١٧- روي: إنّ مسلمَ بنَ عقبة - وهو في الحقيقة مجرم وليس بمسلم - لما أرسله يزيدُ بنُ معاوية إلى المدينة على رأس جيشٍ كبير للفتك بأهلها صار زينُ العابدين عليه السلام يدعو ربَّه ويقول: «ربِّ كم من نعمةٍ أنعمتَ بها عليّ قلَّ لك عندها شكري، وكم من بليّةٍ ابتليتَني بها قلّ لك عندها صبري. فيا من قلّ عند نعمته شكري فلم يحرِمْني، ويا من قلّ عند بلائه صبري فلم يخذُلْني، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ويا ذا النعماء التي لا تُحصىٰ عدَداً، صلِّ على محمد وآلِ محمد وادفعْ عنّي شرَّه، فإنّي أدرأ بك في نحرِه، وأستعيذ بك من شرِّه». فلمّا قدِم مسلمُ بنُ عقبة وجندُه المدينةَ كان الناس يظنّون أنه لا يريد غيرَ عليِّ بنِ الحسين عليه السلام، ولكنّ اللّهَ سبحانه سلّمه من كيدِه، وأنجاه من شرِّه وشرِّ جُندِه.

٧٤١٨- من أروع وأجمع ما قيل عن العصبيّةِ المذمومة ما روي عن زين العابدين عليه السلام وقد سئل عنها فقال: «العصبيّة التي يأثم عليها صاحبُها أن يرى الرجلُ شِرارَ قومه خيراً من خيار قومٍ آخرين، وليس من العصبيّة أن يُحِبَّ الرجلُ قومَه، ولكن من العصبيّة أن يعينَ قومَه على الظلم».

٧٤١٩- قيل لزين العابدين عليه السلام: ما أشدَّ بغضَ قريش لأبيك؟ فقال عليه السلام: «لأنّه أورد أولَهم النار، وألزم آخرَهم العار».

٧٤٢٠- جاء في كتاب «تذكرة الخواص»: إنّ الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام كان إذا أتاه سائل قال له: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة».

٧٤٢١ـ قيل لزين العابدين عليه السلام: كيف أصبحتَ يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام: «أصبحتُ مطلوباً بثمان: اللّهُ تعالىٰ يطلُبني بالفرائض، والنبيُّ صلى الله عليه وآله بالسُّنّة، والعِيالُ بالقوت، والنفسُ بالشهوة، والشيطانُ باتِّباعه، والحافظانِ بصدق العمل، وملكُ الموت بالروح، والقبرُ بالجسد، فأنا بين هذه الخِصال مطلوب».

٧٤٢٢ـ روي: إنّ زينَ العابدين عليه السلام كان يدعو كلَّ يوم أن يُريَه اللّهُ قاتلَ أبيه مقتولاً، فلمّا قَتل المختارُ قتلةَ الحسين عليه السلام بعث برأسيَ عبيدِ الله بنِ زياد وعمرِ بنِ سعد مع رسولٍ من قِبَله إليه وقال لرسوله: إنّ زينَ العابدين يصلّي من الليل فإذا أصبح وصلّى الغَداة هجع، ثم يقوم فيستاك ويُؤتىٰ بطعامه، فإذا أتيتَ بابَه فاسألْ عنه فإذا قيل لك: إنّ المائدةَ بين يديْه فاستأذِنْ عليْه وضعِ الرأسيْنِ على مائدته وقُلْ له: المختار يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا ابنَ رسول الله قد بلّغك اللّهُ ثأرَك، ففعل الرسول ذلك. فلمّا رأى زينُ العابدين الرأسيْنِ على مائدتِه خرّ ساجداً وقال: «الحمدُ لله الذي أجاب دعوتي، وبلّغني ثأري من قتَلَة أبي» ودعا للمختار وجزاه خيراً.

٧٤٢٣ـ جمع الشيخ محمّد بنُ الحسن بنِ الحر العاملي ما لم يُذكر في «الصحيفة السجّاديّة الأُولىٰ» من أدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام فكانت «الصحيفة السجّاديّة الثانية». ثم استدرك عليه الميرزا عبد الله الأصفهاني فكانت «الصحيفة السجّاديّة الثالثة». ثم استدرك عليه الشيخ النوري فكانت «الصحيفة السجّاديّة الرابعة». ثم استدرك عليه السيد محسن الأمين فكانت «الصحيفة السجّاديّة الخامسة». ثم استدرك عليه الشيخ محمد باقر البيرجندي فكانت

«الصحيفة السجّاديّة السادسة». ثم استدرك عليه الشيخ هادي كاشف الغطاء فكانت «الصحيفة السجّاديّة السابعة». ثم استدرك عليه الميرزا علي المرعشي فكانت «الصحيفة السجّاديّة الثامنة».

٧٤٢٤ـ قال ابن عطاء المكّي: «ما رأيتُ العلماء عند أحدٍ قط أصغرَ منهم عند أبي جعفر محمّدِ بنِ عليِّ بنِ الحسين، ولقد رأيتُ الحكمَ بنَ عُتَيْبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديْه كأنّه صبيٌّ بين يديْ معلّمه».

٧٤٢٥ـ سُئل الإمامُ الباقر عليه السلام عن الحديث يُرسلُه ولا يُسندُه فقال عليه السلام: «إذا حدّثتُ بالحديث فلم أسنِدْه فسَندي فيه أبي زينُ العابدين، عن أبيه الحسينِ الشهيد، عن أبيه عليِّ بنِ أبي طالب، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن الله عزّ وجل» وصدق الشاعرُ حيثُ يقول:

فـوالِ أنـاسـاً قـولُـهُـمْ وحـديـثُـهُـمْ   روىٰ جدُّنا عن جبرئيلَ عن الباري

٧٤٢٦ـ روي عن محمد بن المنكدر قال: خرجتُ إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيتُ محمّدَ بنَ عليّ وكان رجلاً بديناً وهو متّكيءٌ على غلامينِ له، فقلتُ: شيخٌ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا والله لأعِظَنّه، فدنوتُ منه وسلّمتُ عليه فسلّم عليّ، وقد تصبّب عرَقاً فقلتُ: أصلحك الله، شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحال في طلب الدنيا، لو جاءك ملَكُ الموت وأنتَ على هذه الحال؟ فخلّى عن الغلامين يديْه ثم تساند وقال: «لو جاءني ـ واللّهِ ـ الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعات الله أكفُّ بها نفسي عنك وعن الناس،

وإنما كنتُ أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصيةٍ من معاصي الله»، فقلت: يرحمك الله أردتُ أن أعظَكَ فوعظتَني.

٧٤٢٧ـ روي: إنّ طاووس اليماني سأل الإمامَ الباقرعليه السلام عن طائرٍ طار مرّة ولم يطِرْ قبلَها ولا بعدَها ذكره الله عزّ وجل في القرآن ما هو؟ فقالعليه السلام: «طور سَيْناء أطاره الله عزّ وجل على بني إسرائيل حتى أظلّهم بجناحٍ منه فيه ألوان العذاب حتى قبلوا التوراة، وذلك قولُه عزّ وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾[1][2].

قال: فأخبرني عن رسولٍ بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله عز وجل في كتابه؟ قالعليه السلام: «الغراب حين بعثه الله عزّ وجل ليُري قابيلَ كيف يواري سوأةَ أخيه هابيل حين قتله، قال الله عزّ وجل: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[3].

قال: فأخبرني عمّن أنذر قومَه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله تعالىٰ في كتابه؟ فقالعليه السلام: «النملة حين قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[4].

قال: فأخبرني عمّن كُذِب عليه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ذكره الله عزّ وجل في كتابه؟ فقالعليه السلام: «الذئب الذي كَذِب عليه أخوةُ يوسف».

---

(١) سورة الأعراف، الآية(١٧١).
(٢) نتقنا: رفعنا.
(٣) سورة المائدة، الآية(٣١).
(٤) سورة النمل، الآية(١٨).

قال: فأخبرني عن شيءٍ قليلُه حلال وكثيره حرام ذكره الله عزّ وجل في كتابه؟ قال عليه السلام: «نهر طالوت قال الله عزّ وجل: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[1]».

٧٤٢٨ـ سأل أحدُ علماء النصارى الإمام الباقرَ عليه السلام عن مولودَيْنِ وُلِدا في يوم واحد، وماتا في يومٍ واحد، عمرُ أحدهما خمسون سنة، وعمرُ الآخر مائةٌ وخمسون سنة؟ فقال عليه السلام: «هما عُزَيْر وعُزَيْرة وُلِدا في يومٍ واحد، فلمّا بلغا خمساً وعشرين سنة مرّ عُزَيْر على حماره بقرية أنطاكيَة وهي خاوية على عروشها فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[2] ثم بعثه فمشى إلى دار عُزَيْرة أخيه وهو ـ أي عزيرة ـ لا يعرفه، فاستضافه فأضافه، وأولاد أولاد عزيرة قد شاخوا، وعزير شاب في سن خمسٍ وعشرين سنة. فلم يزل يذكر أخاه وهم يذكرون ما يذكره ويقولون: ما أعلمك بأمرٍ قد مضت عليه السنون والشهور. ويقول عزيرة ـ وهو ابن مائة وخمسٍ وعشرين سنة ـ: ما رأيت شاباً في سن خمسٍ وعشرين سنة أعلمَ بما كان بيني وبين أخي عزير أيامَ شبابي منك، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟ فقال له: «أنا عزير سخِط اللّهُ عليّ بقولٍ قلتُه بعد أنِ اصطفاني وهداني فأماتني مائةَ سنة ثم بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً ولتعلموا أنّ اللّهَ على كلِّ شيءٍ قدير، وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجتُ به من عندكم أعاده الله لي كما كان»، فعندها أيقنوا. فأعاشه الله بينهم خمساً وعشرين سنة ثم قبضه إليه وأخاه في يومٍ واحد. فكان عمرُه خمسين سنة، وعمرُ أخيه مائةً وخمسين سنة».

---

(١) سورة البقرة، الآية(٢٤٩).

(٢) سورة البقرة، الآية(٢٥٩).

٧٤٢٩ـ روي: إنّ طاووس اليماني سألَ إمامَنا الباقرَعليه السلام فقال له: متىٰ هلك ثلثُ الناس؟ فقال عليه السلام: «يا أبا عبد الرحمن لم يهلك ثلثُ الناس قط، أردتَ أن تقول: متى هلك ربعُ الناس؟ وذلك يوم قَتَلَ قابيلُ هابيل، كانوا أربعة: آدم وحواء وهابيل وقابيل فهلك ربعُهم» فقال طاووس: فأيّهما كان أبا الناس القاتلُ أو المقتول؟ قال: «لا هذا ولا ذاك بل أبوهم شيث بن آدم».

٧٤٣٠ـ روي: إنّ أعرابياً أتى الإمامَ الباقرعليه السلام فقال له: هل رأيتَ اللّهَ حين عبدتَه؟ فقال عليه السلام: «ما كنتُ لأعبدَ شيئاً لم أرَه»، فقال الأعرابي: فكيف رأيتَه؟ قال عليه السلام: «لم تره الأبصارُ بمشاهدة العِيان، ولكن رأته القلوبُ بحقائق الإيمان، لا يُدرَك بالحواس، ولا يُقاس بالناس، معروفٌ بالآيات، منعوتٌ بالعلامات، لا يجور في قضيّته، هو اللّهُ الذي لا إلٰه إلاّ هو» فقال الأعرابي: «اللّهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه».

٧٤٣١ـ روي: إنّ محمّدَ بنَ مسلم سأل الإمامَ الباقرَعليه السلام عن قول الله تعالىٰ في سورة ص، الآية(٧٥): ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ما تلك اليد؟ فقال عليه السلام: «اليد في كلام العرب القوّة والنعمة، قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾[1] أي بقوّة، ويقال: لفلان عندي أيادٍ كثيرة أي: فواضل وإحسان، وله عندي يدٌ بيضاء أي: نعمة».

٧٤٣٢ـ روي: أن عمروَ بنَ عُبَيْد سأل الإمامَ الباقرَعليه السلام عن

---

(١) سورة الذاريات، الآية(٤٧).

قول الله تعالىٰ في سورة طه، الآية(٨١): ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما ذلك الغضب؟ فقال عليه السلام: «الغضبُ هو العقاب، يا عمرو إنّه من زعَم أنّ اللَّهَ عزّ وجل زال من شيء إلى شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، إنّ اللَّهَ لا يستفِزّه شيء ولا يُغيّره شيء».

٧٤٣٣ـ روي عن عبد الغفار بنِ القسم أنه قال: دخلت على مولاي الباقر عليه السلام وعنده أناس من أصحابه فجرىٰ ذكرُ الإسلام فقلتُ: سيدي فأيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «من سلِم المؤمنون من لسانه ويده» قلتُ: فأيُّ الأخلاق أفضلِ؟ قال: «الصبر والسَّماحة» قلتُ: فأيّ المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «أحسنُهم خُلُقاً» قلتُ: فأيّ الجهاد أفضل؟ قال: «مَن عُقر جوادُه وأهريق دمُه» قلتُ: فأيُّ الصلاة أفضل؟ قال: «طولُ القنوت» قلتُ: فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «أن تهجُرَ ما حرّم الله عزّ وجل عليك» قلتُ: يا سيدي فما تقول في الدخول على السلطان؟ قال: «لا أرىٰ ذلك» قلتُ: إني ربّما سافرتُ إلى الشام فأدخل على إبراهيمَ بنِ الوليد قال: «يا عبدَ الغفّار إنّ دخولَك على السلطان يدعو إلى ثلاثة أشياء: محبّةِ الدنيا، ونسيانِ الموت، وقلّةِ الرضا بما قسم اللَّهُ لك» قلت: يا ابن رسول الله فإني ذو عيْلة واتّجر إلى ذلك المكانِ لجرّ المنفعة فما ترىٰ في ذلك؟ قال: «إنّي لستُ آمرُك بترك الدنيا بل آمرُك بترك الذنوب، فتركُ الدنيا فضيلة، وتركُ الذنوب فريضة، وأنت إلى إقامة الفريضة أحوجُ منك إلى اكتساب الفضيلة» فقمتُ إليه وقبّلتُ يدَه ورجلَه وقلتُ: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله فما نجد العلمَ الصحيحَ إلا عندكم، وإني قد كبِرَتْ سِنّي، ودقّ عظمي، ولا أرىٰ فيكم ما أسَرُّ به، أراكم مُقتَّلِين مشرّدين خائفين، وإني أقمتُ على قائمكم منذ حين أقول: يخرج اليوم أو غداً. قال عليه السلام: «يا عبد الغفار

إنّ قائمَنا هو السابعُ من ولدي وليس هذا أوانَ ظهوره، ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الأئمةَ بعدي اثنا عشر عددَ نُقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين، والتاسع قائمهم، يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً» قلتُ: فإن كان كونٌ يا ابن رسول الله فإلى مَن بعدك؟ قال: «إلى جعفر وهو سيّدُ أولادي وأبو الأئمة، صادقٌ في قوله وفعله، ولقد سألتَ عظيماً يا عبدَ الغفّار وإنّك لأهلُ الإجابة، ثم قال عليه السلام: «ألا إنّ مفتاحَ العلم السؤال» ثم أنشأ يقول:

شفاءُ العمى طولُ السؤالِ وإنّما
تمامُ العمى طولُ السكوت على الجهلِ

٧٤٣٤ـ روي: إنّ عبدَ الملك بنَ مروان كتب إلى عامله على المدينة: ابعثْ إليّ محمّدَ بنَ عليٍّ مقيَّداً. فكتب إليه العامل: «ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيتُ أن أراجعك في الكتاب نصيحةً لك وشفقةً عليك، إنّ الرجلَ الذي أردتَه ليس اليوم على وجه الأرض أعفُّ منه ولا أزهدَ ولا أورعَ منه، وإنّه أعلمُ الناس وأرقُّ الناس وأشدُّهم اجتهاداً وعبادة، وكرِهتُ لأمير المؤمنين التعرّضَ له فإنّ الله لا يغيّرُ ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم». فسُرَّ عبدُ الملك بما أنهى إليه عاملُه، وعلِم أنّه قد نصحه.

٧٤٣٥ـ قال المنصور الدوانيقي للإمام جعفر بنِ محمّدٍ الصادق عليه السلام: «لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تُبصِّرُ من العمى، وتجلو بنورك الطخياء، فنحن نعوم في سحاب قدسك وطامي بحرك». وصدق من قال: «والفضلُ ما شهِدت به الأعداءُ».

٧٤٣٦ـ سأل رجلٌ أبا حنيفة: ما تقول في رجلٍ وقف مالَه لإمام الحق فمن يكون المستحق؟ قال: «المستحقُّ جعفرُ الصادق عليه السلام لأنه إمام الحق».

وجاء في كتاب «مختصر التحفة الاثني عشريّة» للآلوسي: أنّ أبا حنيفة كان يقول بأفصح لسان: «لولا السنتان لهلك النُّعمان» يشير إلى السنتينِ اللّتيْنِ صحِب فيهما لأخذ العلم جعفرَ بنَ محمّد عليه السلام.

٧٤٣٧ـ جاء في كتاب «جامع مسانيد أبي حنيفة» لقاضي القضاة محمّد بنِ محمود الخوارزمي الحنفي عن أبي حنيفة أنّه قال: «بعث إليّ أبو جعفر المنصور: إنّ الناسَ قد فُتنوا بجعفر بنِ محمّد فهيّئ له مسائلَ شِداد، فلخَصْتُ أربعين مسألة فبعثتُ بها إلى المنصور بالحيرة، ثم أبردَ إليّ فوافيتُه على سريره وجعفرُ بنُ محمّدٍ عن يمينه، فتداخلني من جعفر هيبةٌ لم أجدْها من المنصور، فأجلسني ثم التفت إلى جعفر قائلاً: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، فقال: نعم أعرِفه، ثم قال المنصور: سَلْه ما بدا لك يا أبا حنيفة، فجعلتُ أسألُه ويجيب الإجابةَ الحقّةَ ويُفحم، حتى أجاب عن أربعين مسألة. فرأيتُه أعلمَ الناس باختلاف الفقهاء فلذلك أحكُمُ أنّه أفقهُ من رأيت».

٧٤٣٨ـ روي: إنّ أبا جعفر المنصور دعا وزيرَه ليلةً وقال له: أئتني بجعفر الصادق حتى أقتلَه، فقال الوزير: هو رجلٌ أعرضَ عن الدنيا وتوجّهَ لعبادة المولىٰ فلا يضرُّك، قال المنصور: «إنك تقول بإمامته؟ واللّهِ إنّه إمامُكَ وإمامي وإمامُ الخلائق أجمعين والملكُ عقيم فائتني به».

ومن بعده قال الرشيد لولده المأمون عن الإمام موسى بن

جعفر عليه السلام : «هذا إمامُ الناس، وحجّةُ الله على خلقه، وخليفتُه على عباده، أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبةِ والقهر، وإنّه واللّهِ لأحقُّ بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعاً، وواللّهِ لو نازعني في هذا الأمر لأخذتُ بالذي فيه عيناه فإنّ الملكَ عقيم». وقال له أيضاً: «يا بنيّ هذا وارثُ علم النبيّين هذا موسى بنُ جعفر، إن أردتَ العلمَ الصحيح تجدْ عند هذا».

٧٤٣٩ـ سئل الإمام الصادق عليه السلام : أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائر».

٧٤٤٠ـ قال رجلٌ للإمام الصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله على ماذا بنيتَ أمرك؟ فقال عليه السلام : «على أربعة، الأولى: علِمتُ أنّ عملي لا يعمله غيري فاجتهدت. والثانية: علمتُ أنّ اللّهَ مطّلِعٌ عليّ فاستحييت. والثالثة: علِمتُ أنّ رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت. والرابعة: علِمتُ أنّ آخرَ أمري الموت فاستعددت».

٧٤٤١ـ روي: إنّ أبا حنيفة سأل الإمامَ الصادقَ عليه السلام عن قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فقال عليه السلام : «ما تقول فيها يا أبا حنيفة؟ فقال: أقول: إنهم لم يكونوا مشركين، فقال عليه السلام : قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فقال أبو حنيفة: ما تقول فيها يا ابن رسول الله؟ قال عليه السلام : «هؤلاء قومٌ من أهل القبلة أشركوا من حيثُ لا يعلمون».

٧٤٤٢ـ قال عبدُ الله بنُ المقفّع لأصحابه: أترون هذا الخلق ـ وأومأ إلى موضع الطواف ـ ما منهم أحد أوجب له اسمَ الإنسانيّةِ إلا

ذلك الشيخ الجالس ـ وأشار إلى الإمام الصادق عليه السلام ـ.

٧٤٤٣ـ روي عن حفص بنِ غياث أنّه قال: شهدت المسجدَ الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ما ذنب الغير؟ فقال عليه السلام: «ويحك هي هي وهي غيرها»، قال: فمثِّلْ لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا، فقال عليه السلام: «نعم أرأيت لو أنّ رجلاً أخذ لَبِنَةً فكسرها، ثم ردّها في طينها فهي هي، وهي غيرها».

وكان ابن أبي العوجاء إذا جلس بين يدي الإمام عليه السلام لا يكاد يتكلّم بشيء هيبةً له فيقول له عليه السلام: «ما يمنعك من الكلام؟» فيقول له: «إجلالاً لك ومهابةً منك، ولا ينطق لساني بين يديك، وإني شاهدتُ العلماء وناظرتُ المتكلّمين فما تداخلني من هيبة أحدٍ منهم مثلما تداخلني من هيبتك يا ابن رسول الله».

٧٤٤٤ـ روي: إنّ أحدَ الزنادقة سأل الإمامَ الصادق عليه السلام عن قوله تعالىٰ في سورة النساء، الآية(٣): ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وقوله في نفس السورة، الآية(١٢٩): ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾؟ فقال عليه السلام: «أمّا قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فإنما عنىٰ به النفقة، وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ فإنّما عنىٰ به المودّة، فإنّه لا يقدِرُ أحدٌ أن يعدِلَ بين امرأتينِ في المودّة».

٧٤٤٥ـ سأل هشامُ بنُ الحكم الإمامَ الصادقَ عليه السلام عن الدليل على وحدانيّة الله فقال عليه السلام: «اتّصالُ التدبير وتمامُ الصنع».

٧٤٤٦ـ سأل سليمانُ بنُ مهران الإمامَ الصادقَ عليه السلام عن قوله تعالىٰ في سورة الزمر، الآية(٦٧): ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فقال عليه السلام: «اليمين هي اليد، واليد هي القدرةُ والقوّة، أي مطويّات بقدرته وقوّته».

٧٤٤٧ـ أوصى الإمامُ جعفرُ الصادق عليه السلام ولدَه الإمامَ موسى الكاظم عليه السلام فقال: «يا بُنيّ: اقبل وصيّتي، واحفَظْ قولتي، فإنّك إن حفِظْتَها تعِشْ سعيداً، وتمُتْ حميداً. يا بُنيّ: إنّه من رضيَ بما قُسِم له استغنىٰ، ومَن مدّ عينَه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومَن لم يرضَ بما قسم اللَّهُ عزّ وجل اتّهمَ اللَّهَ في قضائه، ومَن استصغرَ زلّةَ نفسه استعظمَ زلّةَ غيره، ومَن استصغرَ زلّةَ غيره استعظمَ زلّةَ نفسِه. يا بُنيّ: مَن كشف حجابَ غيره انكشفَتْ عوراتُ بيته، ومَن سلّ سيفَ البغي قُتل به، ومَن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومَن داخلَ السفهاءَ حُقِّر، ومَن خالط العلماءَ وُقِّر، ومَن دخل مداخلَ السوء اتهِم. يا بُنيّ: إياك أن تُزري بالرجال فيُزرىٰ بك، وإياك والدخولَ فيما لا يَعنيك فتَذلَّ لذلك. يا بُنيّ: قُلِ الحقَّ لك أو عليك تُستشانُ[1] من بين أقرانك. يا بُنيّ: كنْ لكتاب الله تالياً، وللسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، ولِمَن قطعك واصلاً، ولِمَن سكت عنكَ مبتدئاً، ولِمَن سألك معطياً. وإيّاك والنميمةَ فإنّها تزرع الشحناءَ في قلوب الرجال، وإيّاك والتعرّضَ لعيوب الناس فمنزلة المتعرّض لعيوب الناس بمنزلة الهدف. يا بُنيّ: إذا طلَبتَ الجودَ فعليك بمعادنه، فإن للجود معادنَ، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمراً، ولا يطيب ثمرٌ إلا

---

(١) تستشان: يكون لك شأن.

بفرعٍ، ولا فرعَ إلا بأصل، ولا أصلٌ ثابتٌ إلا بمعدِنٍ طيّب. يا بُنيّ: إذا زُرتَ فزرِ الأخيارَ ولا تزُرِ الفُجّارَ فإنّهم صخرةٌ لا ينفجرُ ماؤُها، وشجرةٌ لا يخضَرُّ ورقُها، وأرضٌ لا يظهرُ عُشبُها». قال عليّ بن موسى عليه السلام: «فما ترك أبي هذه الوصيّةَ إلى أن مات».

٧٤٤٨ـ قال سفيان الثوري: لقيتُ الصادقَ بنَ الصادق جعفرَ بنَ محمّد عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله أوصني فقال: «يا سفيان لا مروءةَ ولا أخَ لملول، ولا راحةَ لحسود، ولا سؤددَ لسيّئِ الخُلُق» فقلت: يا ابن رسول الله زِدْني فقال لي: «يا سفيان ثِقْ باللّهِ تكنْ مؤمناً، وارضَ بما قسم اللّهُ لك تكنْ غنيّاً، وأحسِنْ مجاورةَ مَن جاورك تكنْ مسلماً، ولا تصحبِ الفاجرَ معك فيعلّمَكَ من فُجوره، وشاوِرْ في أمرك الذين يخشَوْنَ اللّهَ عزّ وجل» فقلت: يا ابن رسول الله زِدْني فقال لي: «يا سفيان مَن أراد عِزّاً بلا عشيرة، وغنًى بلا مال، وهيبةً بلا سلطان، فلْينتقِلْ من ذُلّ معصيةِ اللّهِ إلى عِزّ طاعته» فقلت: يا ابن رسول الله زِدني فقال: «يا سفيان أدّبني أبي بثلاث ونهاني عن ثلاث، فأما اللاّتي أدّبني بهنّ فإنّه قال لي: «يا بُنيّ من يصحبْ صاحبَ السوء لا يسلم، ومن لا يملك لسانَه يندم، ومن يدخل مداخلَ السوء يُتّهم» قلت: يا بن رسول الله فما الثلاث اللواتي نهاك عنهنّ؟ قال: «نهاني أن أصاحبَ حاسدَ نعمة، أو شامتاً بمصيبة، أو حاملَ نميمة». ثم أنشدني:

عوّدْ لسانَك قولَ الخير تحظَ بهِ ... إنّ اللسانَ لِمَا عوّدْتَ معتادُ

موكّلٌ بتقاضي ما سننتَ لهُ ... في الخير والشرّ فانظُرْ كيف تعتادُ

٧٤٤٩ـ قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: «أوصيك بستّ خِصال تبلّغهُنّ شيعتي: أداءِ الأمانة إلى من ائتمنك، وأن ترضى

لأخيك ما ترضىٰ لنفسك، واعلم أنّ للأمور أواخرَ فاحْذرِ العواقب، وأنّ للأُمور بغتاتٍ فكنْ على حذر، وإيّاك ومرتقىٰ جبلٍ إذا كان المنحدَرُ وَعْراً، ولا تعِدَنَّ أخاك ما ليس في يدك وفاؤه».

٧٤٥٠ـ قال رجلٌ للإمام الصادق عليه السلام: إني أحبّ الدنيا وأحب أن أؤتاها، فقال له عليه السلام: «تصنع بها ماذا؟» قال: أتزوّجُ منها، وأحُجُّ، وأنفِقُ على عيالي، وأصِل إخواني، فقال عليه السلام: «ليس هذا من الدنيا بل هو من الآخرة».

٧٤٥١ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا يستغني أهلُ كلِّ بلدٍ عن ثلاثة: فقيهٍ عالمٍ ورع، وأميرٍ خيّرٍ مُطاع، وطبيبٍ بصيرٍ ثقة، فإن عُدِموا ذلك كانوا همجاً رَعاعاً»[1].

٧٤٥٢ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يا ابن آدم لو أكل قلبَك طائرٌ لم يُشبِعه، وبصرُك لو وُضع عليه خَرْتُ إبْرَةٍ[2] لغطّاه، تريد أن تعرِفَ ملكوتَ السموات والأرض».

٧٤٥٣ـ روي: إنّ امرأةً جاءت إلى الإمام الصادق عليه السلام فقالت له: جُعلت فِداك، أبي وأمي وأهل بيتي نتولاّكم، فقال عليه السلام: صدقتِ فما الذي تريدين؟ قالت: جُعلت فِداك أصابني وَضَحٌ[3] في عضدي فادعُ اللّه أن يُذهبَه عنّي، فقال عليه السلام: «اللّهمّ إنك تُبرىء الأكمه[4]

---

(١) الرعاع: سفلة الناس.

(٢) خَرت الإبرة: ثقبها.

(٣) الوَضح: البرص.

(٤) الأكمه: الأعمى أو خصوص المولود أعمىٰ.

والأبرصَ وتُحيي العِظامَ وهي رميم ألْبِسْها عفوكَ وعافيتك» قالت المرأة: والله لقد قمتُ وما بي من الوَضَحِ قليلٌ ولا كثير.

٧٤٥٤ـ قال عبد الله بن المبارك يمدح الإمامَ الصادقعليه السلام:

أنت يا جعفرُ فوق المدحِ والمدحُ عناءُ

إنّما الأشرافُ أرضٌ ولهم أنتَ سماءُ

جاز حدَّ المدحِ مَن قد ولدتْهُ الأنبياءُ

٧٤٥٥ـ قال عبدُ الله بنُ أبي ليلىٰ: كنتُ بالربذة مع المنصور وكان قد وجّه إلى أبي عبد اللهعليه السلام فأُتيَ به، فصاح المنصور: عجّلوا به قتلني اللّهُ إن لم أقتلْه، فأدخل عليه مع عددٍ من جلاوزته فلمّا انتهىٰ إلى الباب رأيتُه يحرّكُ شفتيه ودخل، فلمّا نظر المنصور إليه قال: مرحباً يا ابن رسول الله، فما زال يرفعه حتى أجلسه على وِسادته ثم خرج، فسألتُه عمّا قاله عند دخوله عليه فقال: إني قلتُ: «ما شاء الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلا الله، ما شاء الله، ما شاء الله، كلُّ نعمةٍ فمن الله، ما شاء الله، ما شاء الله، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله».

٧٤٥٦ـ لما قَتَل داودُ بنُ عليّ ـ والي المدينة ـ المعلّىٰ بن خُنَيس ـ أحدَ أصحاب الإمام الصادقعليه السلام ومَواليه ـ دخل عليه الإمامُعليه السلام مغضَباً وقال له: «قتلتَ مولاي، وأخذتَ مالَه، أمَا علِمتَ أنّ الرجلَ ينام على الثُكل[1] ولا ينام على الحَرْب[2]، أمَا واللّهِ لأدعُوَنَّ عليك»، فقال داود مستهزئاً به: تهدّدنا بدعائك؟ فخرج أبو عبد اللهعليه السلام إلى داره ولم يزل ليلَه كلَّه قائماً وقاعداً حتى إذا كان

(١) الثكل: فقد الولد.

(٢) الحرب: سلب المال.

السحر سُمع وهو يقول: «ياذا القوّة القوية، ياذا المِحال[١] الشديد، ياذا العزّة التي كلُّ خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطاغية وانْتقِمْ لي منه» فما كانت إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل: مات داودُ بنَ عليّ.

٧٤٥٧ـ روى الصدوق في أماليه عن ابن أبي عمير أنّه روىٰ عمّن سمِع أبا عبد الله عليه السلام يقول:

لكلّ أناسٍ دولةٌ يرقُبونها ودولتُنا في آخر الدهر تظهرُ

٧٤٥٨ـ مِمّا يُنسب إلى الإمام الصادق عليه السلام قولُه في الصبر:

فإذا بُليتَ بعُسرةٍ فاصبِرْ لها صبرَ الكرام فإن ذلك أحزمُ
لا تشكوَنَّ إلى العباد فإنما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ

ومِمّا يُنسب إليه عليه السلام قولُه في الوفاء:

رأيتُ الوفاء يَزينُ الرجال كما زيّن العِذقَ شِمراخُه
وفينا يقيناً يُعَدُّ الوفاء وفينا تفرّخ أفراخُه

٧٤٥٩ـ روي: إنّ سفيانَ الثوريّ قال للإمام الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله اعتزلتَ الناس؟ فقال عليه السلام: «يا سفيان فسَد الزمان، وتغيّر الإخوان، فرأيتُ الإنفراد أسكنَ للفؤاد، ثم قال:

ذهب الوفاءُ ذَهابَ أمسِ الذاهبِ والناسُ بين مُخاتلٍ ومُواربِ[٢]
يُفشون بينهمُ المودّةَ والصَّفا وقلوبُهم محشُوّةٌ بعقاربِ

ومرةً ثانيةً قال له الزهري: يا ابن رسول الله أتعتزل الناسَ وهم

---

(١) المِحال: العذاب والهلاك.

(٢) المخاتل والموارب: المخادع.

بحاجةٍ إليك؟ فقال عليه السلام:

لا تحزَنَنَّ لوَحدةٍ وتفرّدِ ... ومن التفرّد في زمانك فازْدَدِ

فسَدَ الزمانُ فليس ثمّ أخوّةٌ ... إلا التملُّق باللسانِ وباليدِ

ومرّةً ثالثةً يدخل عليه الكميْت فيراه يذهب ويجيء في بيته وهو يقول:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهِمْ ... لم يبقَ إلا شامتٌ أو حاسدُ

فقال الكميْت: أتأذن لي يا ابن رسول الله أن أضيفَ إلى هذا البيت بيتاً آخر؟ فقال عليه السلام: «نعمْ قُلْ» فقال:

لكنّما بقي الذي هو واحدٌ ... في العالَمين وأنتَ ذاك الواحدُ

٧٤٦٠ـ تخرّج من مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وتتلمذ على يده آلافٌ من العلماء والمتخصّصين في مختلف مجالات العلم والمعرفة، منهم جابرُ بنُ حيّان الذي يُعدّ من أعظم عمالقة الفكر على مدى العصور، ولقد بلغت مؤلفاته ـ كما جاء في فهرست ابن النديم وأعيان الشيعة ـ ٣٩٠٠ رسالة، وقد طُبع منها خمسمائة رسالة وهي موجودة في «مكتبة برلين» وفي «مكتبة باريس» وغيرِهما من المكتبات الكبيرة في الدول المتقدمة. قال السيد محسن الأمين «قدس سره» في كتابه «أعيان الشيعة» عند ترجمته لجابر: «من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وأحدِ أبوابه، ومن كبّار الشيعة. وما يأتي عند تَعداد مؤلّفاته يَدُلّ على أنه من عجائب الدنيا ونوادر الدهر، وأنّ عالماً يؤلّف ما يزيد على ٣٩٠٠ كتاب في علوم جلُّها عقليّةٌ وفلسفيّةٌ لهو حقّاً من عجائب الكون». ثم قال: «ويكفي في تفرّد الرجل أنّ كتبَه بقي كثيرٌ منها محفوظاً في

مكاتب الغرب والشرق، وطُبع جملةٌ منها وتُرجم جملةٌ منها».

وقال «هولميارد» الإنكليزي: «إنّ جابراً هو تلميذُ الإمام جعفرٍ الصادق وصديقُه، وقد وَجد في إمامه الفذ سنداً وحِصناً ومرشداً أميناً وموجِّهاً لا يُستغنى عنه، وقد سعى جابر أن يحرّرَ الكيمياءَ ـ بإرشاد أستاذه ـ من أساطير الأوّلين التي علِقت بها من الإسكندرية فنجح في هذا السبيل إلى حدٍّ بعيد. من أجل ذلك يجب أن يُقرنَ اسمُ جابر مع أساطين هذا الفن في العالم».

وقال إسماعيل مظهر في كتابه «تاريخ الفكر العربي»: «لعلّ جابرَ بنَ حيّان أشهرُ مَن يذكره التاريخ في العصر العربي من العلماء، فإنّ اسمَه يَقترِنُ من حيثُ الشهرةُ ومن حيثُ الأثرُ النافعُ بأسماء العظماء من رُوّاد الحضارة والعُمران، ولقد قال فيه الأستاذ «برتيلو» المؤلّف الفرنسي وصاحب كتاب «تاريخ الكيمياء في القرون الوُسطى»: إنّ اسمَه ينزل في تاريخ الكيمياء منزلةَ اسم «أرسطو طاليس» في تاريخ المنطق. فكان جابرٌ عند «برتيلو» أوّلَ من وضع لعلم الكيمياء قواعدَ علميّةً تَقترِن باسمه في تاريخ الدنيا. وقد عُرف جابرُ بنُ حيّان في العالم اللاتيني باسم «چبير».

٧٤٦١ـ روي: إنّ الإمامَ موسى بنَ جعفر دخل على أبيه ـ وهو طفل وبيده لوح ـ فقال له أبوه: يا بنيّ اكتب:

تنحَّ عن القبيح ولا تُرِدْهُ ثم قال له: أجز.

فقال موسى عليه السلام: ومن أوليتَه حسناً فزِدْهُ.

فقال أبوه عليه السلام: «ستلقى من عدوّكَ كلَّ كيد.

فقال موسى عليه السلام: إذا كاد العدوُّ فلا تكِدْهُ.

فقال أبوه عليه السلام: «ذريّةً بعضُها من بعض».

٧٤٦٢- روي: إنّ أبا حنيفة دخل على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له: رأيتُ ابنك موسىٰ يصلّي والناس يمرّون بين يديه؟ فقال عليه السلام: ادعُ إليّ موسىٰ فدعاه، فقال له في ذلك فقال: «نعم يا أبه، إنّ الذي كنت أصلّي إليه كان أقربَ إليّ منهم يقول الله تعالىٰ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1]، فضمّه أبوه إلى نفسه وقال: «بأبي أنتَ وأمّي يا مودَعَ الأسرار».

٧٤٦٣- روي: إنّ رجلاً افتضّ جارية لم تَطْمُثْ فسال الدمُ نحواً من عشرة أيّام، فاختلفت القوابِل أنّه دم الحيض أم دم العُذْرَة[2] وسألوا أبا حنيفة عن ذلك فقال: هذا الشيء أشكل فلْتتوضأ وتصلي، ولْيُمْسِكْ عنها زوجُها حتى ترى البياض. فسأل خلف بن حماد الإمامَ موسى بنَ جعفر عليه السلام فقال: «تستدخل القُطنةَ ثم تدَعها مليّاً، ثم تُخرجها إخراجاً رفيقاً، فإن كان الدمُ مطوّقاً في القطنة فهو من العُذْرَة، وإن كان مستنقعاً في القطنة فهو من الحيض» فبكىٰ خلف وقال: جُعلت فداك من يُحسن هذا غيرُك، فرفع الإمام عليه السلام يدَه إلى السماء وقال: «إني واللّهِ ما أخبرك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالىٰ».

٧٤٦٤- روي: إنّ محمّدَ بنَ الحسن - صاحبَ أبي حنيفة - سأل الإمامَ موسى بنَ جعفر عليه السلام بمحضرٍ من الرشيد وهم في مكّة قائلاً: أيجوز للمُحرِم أن يظلّلَ عليه محمَلُه؟ فقال له عليه السلام: «لا يجوز

---

(١) سورة ق، الآية(١٦).

(٢) دم العُذْرة: دم البكارة.

له ذلك مع الاختيار» فقال محمد: أفيجوز أن يمشيَ تحت الظّلال مختاراً؟ فقال له عليه السلام: «نعم». فتضاحك محمّدُ بنُ الحسن من ذلك مستهزئاً، فقال له الإمام عليه السلام: «أفتعجب من سُنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وتستهزىء بها؟! إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كشف ظِلال محمَلِه في إحرامه ومشىٰ تحت الظّلال وهو مُحرِم، وإنّ أحكامَ الدين لا تُقاس، فمن قاس بعضَها على بعضٍ فقد ضلَّ سواءَ السبيل». فسكت محمّد ولم يُرجِعْ جواباً.

٧٤٦٥ـ روي: أنّ رجلاً أنصارياً يُقال له «نفيع» قدِم يوماً على الرشيد ومعه عبد العزيز بنُ عمر بنِ عبد العزيز، فبينما هما يريدانِ الدخولَ عليه إذْ أقبل الإمامُ موسى بنُ جعفر عليه السلام على حمارٍ له فتلقّاه الحاجب بالتكريم والتعظيم وعجّل له بالإذْن، فقال نفيع لعبد العزيز: مَن هذا الشيخ؟ قال: أوَلاَ تعرفه؟ هذا شيخُ آل أبي طالب، هذا موسىٰ بنُ جعفر، فقال نفيع: ما رأيتُ أعجبَ مِن هؤلاء ـ يعني العباسيين ـ يفعلون هذا برجلٍ لو يقدِر على زوالهم عن السرير لفعل، أما إنْ خرج لأسوأنّه، فقال له عبد العزيز: لا تفعلْ، فإنّ هؤلاءِ أهلُ بيتٍ قلّما يتعرّض لهم أحدٌ بخطابٍ إلا وسموه في الجواب وسِمَة يبقىٰ عارُها أبدَ الدهر. فلمّا خرج الإمام عليه السلام قام إليه نفيعُ الأنصاري فأخذ بلِجام الحمار وقال له: من أنت؟ قال عليه السلام: «يا هذا إنْ كنتَ تريد النسب فأنا ابنُ محمدٍ حبيبِ الله، ابنُ إسماعيلَ ذبيحِ الله، ابنُ إبراهيمَ خليلِ الله. وإنْ كنتَ تريد البلد فهو الذي فرض اللّهُ جلّ وعزّ عليك وعلى المسلمين ـ إن كنتَ منهم ـ الحجَّ إليه. وإن كنتَ تريد المفاخرة فواللّهِ ما رضيَ مشركو قومي مسلمي قومك أكفاءً لهم حتى قالوا: يا محمد أخرِجْ لنا أكفاءنا من قريش، خلِّ عن الحمار»، فخلّى عنه ويدُه ترتعد، وانصرف بخزي. فقال له عبد العزيز: ألم أقلْ لك؟.

٧٤٦٦ـ روي: إنّ هارونَ الرشيد قال يوماً للإمام موسى بنِ جعفرعليه السلام: لِمَ فُضِّلْتُم علينا، ونحن وأنتم من شجرةٍ واحدة بنو عبد المطلب، إنّا بنو العباس وأنتم بنو أبي طالب وهما عمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وقرابتُهما منه سواء؟ فقال عليه السلام: «نحن أقرب» قال: كيف ذلك؟ فقال عليه السلام: «لأنّ عبدَ الله وأبا طالب لأبٍ وأم، وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله وأبي طالب». قال: فلِمَ ادّعيتم أنكم ورِثتم النبيَّ صلى الله عليه وآله والعم يحجُب ابنَ العم. وقُبض رسولُ الله صلى الله عليه وآله وقد توفي أبو طالب قبلَه، والعباسُ عمُّه حيّ؟ فقال عليه السلام: «إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يُعفيَني عن هذه المسألة، ويسألني عن كلّ بابٍ سواها يريد. قال: لا أو تجيب. فقال عليه السلام: «إنّ في قول علي بنِ أبي طالب عليه السلام إنّه ليس مع وَلَد الصُلْب ـ ذكراً كان أو أنثىٰ ـ لأحدٍ سهم إلا الأبوين والزوجَ والزوجة، ولم يثبُتْ للعم مع وَلَد الصُلْب ميراث، ولم ينطِقْ به الكتابُ العزيز والسُنّة. إلا أن تَيماً وعَدِيّاً وبني أميّة قالوا: العمُّ والد، رأياً منهم بلا حقيقةٍ ولا أثرٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قال بقول عليٍّ من العلماء قضاياهم خلافُ قضايا هؤلاء، هذا نوح بنُ درّاج يقول في هذه المسألة بقول عليّ وقد حكم به، وقد ولاه أميرُ المؤمنين المصريْنِ: الكوفة والبصرة وقضى به. فأمر الرشيد بإحضار من يقول بخلاف قوله كسفيان الثوري وإبراهيم المازني والفضيل بن عياض وشهِدوا أمامه أنّ هذا القولَ قولُ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام. فقال لهم: لِمَ لا تفتون بقوله وهذا نوحُ بنُ درّاج قد أفتىٰ به؟ فقالوا: جَسَرَ وجَبُنّا، وقد أمضىٰ أميرُ المؤمنين قضيّتَه بما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «أقضاكم عليّ»، وبما روي عن عمر بنِ الخطاب أنه قال: «عليٌّ أقضانا». قال الرشيد: زدني يا موسى، فقال عليه السلام: «المجالسُ

بالأمانات وخاصة مجلسك» قال: لا بأس به، فقال عليه السلام: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يورث مَن لم يهاجرْ ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر»، قال: ما حجّتك فيه؟ قال: «قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾[1] وإن عمي العباس لم يهاجر». قال: إني أسألك يا موسى هل أفتيتَ بذلك أحداً من أعدائنا، أو أخبرتَ أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟ فقال عليه السلام: «اللهم لا، وما سألني عنها إلا أنت».

٧٤٦٧ـ روي: إنّ هارونَ الرشيد سأل الإمامَ موسى بنَ جعفر عليه السلام مرّةً فقال: لِمَ جوّزتم للعامّة والخاصّة أن يَنسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولوا لكم: يا بني رسول الله وأنتم بنو عليّ، وإنّما يُنسب المرء إلى أبيه، وفاطمةُ إنما هي وِعاء والنبيُّ صلى الله عليه وآله جدُّكم من قِبَل أمّكم؟ فقال عليه السلام: «لو أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله نُشر فخطب إليك كريمتَك، هل كنت تجيبه؟». قال الرشيد: سبحان الله ولِمَ لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم بذلك. فقال عليه السلام: «لكنّه لا يخطب إليّ ولا أزوّجه» قال: لِمَ؟ فقال عليه السلام: «لأنّه وَلَدني ولم يَلِدْك». قال الرشيد: أحسنتَ يا موسى.

وسأله مرّةً ثانيةً فقال: كيف قلتم إنّا ذريّة النبيّ صلى الله عليه وآله والنبيّ لم يُعقِبْ ذكراً وإنّما العقِبُ للذكر لا للأنثى، وأنتم ذريّة ابنته؟ فقال عليه السلام: «أسألك بحقّ القرابة إلا ما أعفيتَني عن هذه المسألة» قال الرشيد: لا أو تخبرني بحجّتكم يا بني عليّ، وأنت يا موسى يعسوبُهم وإمامُ زمانِهم، ولستُ أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتى تأتيني بحُجّةٍ من كتاب الله،

---

(١) سورة الأنفال، الآية(٧٢).

فقال عليه السلام: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[1] مَنْ أبو عيسى يا أميرَ المؤمنين؟»، قال الرشيد: ليس لعيسى أب، قال عليه السلام: «إنّما ألحِقَ بذراري إبراهيم عليه السلام من طريق أمّه مريم، وكذلك ألحِقنا بذراري النبيّ صلى الله عليه وآله من قِبَل أمّنا فاطمة». ثم قال عليه السلام: «هل أزيدك؟» قال: هات، فقال عليه السلام: «قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[2] ولم يدعُ أحداً إلا عليَّ بنَ أبي طالب وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ عليهم السلام، فكان تأويل قوله عزّ وجلّ: «أبناءَنا» الحسنَ والحسين، و«نِساءَنا» فاطمة، و«أنفُسَنا» عليَّ بنَ أبي طالب».

فأفحِم الرشيد ولم يُحر جواباً.

٧٤٦٨- روي عن أبي حنيفة أنّه قال: حججتُ في أيام أبي عبد الله الصادق فلمّا أتيتُ المدينةَ دخلتُ دارَه فجلستُ في الدهليز أنتظر إذْنَه، إذْ خرج صبيّ فقلت له: يا غلام أين يضع الغريبُ الغائطَ في بلدكم؟ قال: «على رِسْلِك»[3] ثم جلس مستنداً إلى الحائط ثم قال: «توَقَّ شطوطَ الأنهار، ومساقِطَ الثمار، وأفنيةَ المساجد، وقارعةَ الطريق، وتوارَ خلفَ جِدار، وشِلْ ثوبَك، ولا تستقبلِ القبلة ولا تستدبرْها وضعْ حيثُ شِئت»، فأعجبني ما سمعتُ من الصبيّ فقلت له: ما اسمك؟ قال: «أنا موسى بنُ جعفر بنِ محمد بنِ علي بنِ

---

(١) سورة الأنعام، الآية(٨٤-٨٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية(٦١).

(٣) على رِسلك: على مَهلك.

الحسين بنِ عليّ بنِ أبي طالب»، فقلت له: يا غلام ممن المعصية؟ فقال: «إنّ السيّئاتِ لا تخلو من إحدىٰ ثلاث: إمّا أن تكونَ من الله ـ وليست منه ـ فلا ينبغي للربّ أن يعذّبَ العبدَ على ما لا يرتكب. وإمّا أن تكونَ منه ومن العبد ـ وليست كذلك ـ فلا ينبغي للشريك القويّ أن يظلِمَ الشريكَ الضعيف. وإمّا أن تكونَ من العبد ـ وهي منه ـ فإنْ عفا فبكرمه وجوده، وإنْ عاقب فبذنب العبد وجريرته».

قال أبو حنيفة: فانصرفتُ ولم ألقَ أبا عبد الله، واستغنيتُ بما سمعت.

٧٤٦٩ـ أخلاقُ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وسيرتُه هي صورةٌ مطابِقةٌ لأخلاق جدّه رسولِ الله صلى الله عليه وآله وآبائِه الطاهرين عليهم السلام وسيرتِهم، لأنّ حياتَه امتدادٌ لحياتهم، ووجودَه استمرارٌ لوجودهم صلوات الله عليه وعليهم.

فمن ذلك ما روي عن إبراهيم بن العباس الصولي أنه قال: «إني ما رأيتُ ولا سمِعت بأحدٍ أفضلَ من أبي الحسن الرضا عليه السلام، وشهِدتُ منه ما لم أشهدْ من أحد، ما رأيتُه جفا أحداً بكلامٍ قط، ولا رأيتُه قطع على أحدٍ كلامَه حتى يفرغَ منه، وما ردّ أحداً عن حاجةٍ قدِر عليها، وما مدّ رجليْهِ بين يديْ جليسٍ له قط، ولا رأيتُه يشتُمُ أحداً من مَواليه ومماليكه، ولا رأيتُه تفل قط، ولا رأيتُه يقهقه في ضحكه بل كان ضحكُه التبسُّم. وكان إذا خلا ونُصبتِ الموائد أجلس على مائدته مماليكَه ومَواليه حتى البوّاب والسائس، ومن زعَم أنه رأىٰ مثلَه في فضله فلا تصدِّقوه».

ومن ذلك ما روي عن خادمه «ياسر» أنه قال: «كان سيدي أبو

الحسن الرضا عليه السلام في آخر يومه الذي قُبض فيه ضعيفاً، فقال لي بعد ما صلّى الظهر: «يا ياسر أكل الناس شيئاً؟» قلت: يا سيدي من يأكل هاهنا مع ما أنت فيه، فانتصب عليه السلام وقال: «هاتوا المائدة» ولم يَدَعْ من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقدهم واحداً واحداً فلمّا أكلوا قال: «ابعثوا إلى النساء بالطعام» فحُمل الطعام إلى النساء فلمّا فرغْنَ من الأكل أغمي عليه وضعُف، فوقعت الصيحة».

ومن ذلك ما روي: إنّ سفيانَ الثوري لقي الإمامَ عليه السلام وهو لابسٌ ثوبَ خَزٍّ فقال له: يا ابن رسول الله لو لبِستَ ثوباً أدنىٰ من هذا فقال عليه السلام: «هاتِ يدَك» فأخذ بيده وأدخلها كُمّه، فإذا تحت ذلك الخز مِسْح - وهو ثوبٌ من الشَّعْرِ الغليظ - فقال عليه السلام: «يا سفيان الخَزُّ للخلق والمِسْحُ للحق».

ومن ذلك ما روي: عن رجلٍ بلخيٍّ أنّه قال: «كنت مع الإمام الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدةٍ له فجمع عليها مَواليه من السودان وغيرهم، فقال له بعضُ أصحابه: جُعلت فِداك لو عزلتَ لهؤلاء مائدة؟ فقال عليه السلام: «إن الربَّ تبارك وتعالىٰ واحد، والأَبَ واحد، والأُمّ واحدة، والجزاءُ بالأعمال».

٧٤٧٠- روي عن أبي الصلت الهروي أنه قال: «ما رأيتُ أعلمَ من عليّ بنِ موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالمٌ إلا وشهِد له بمثل شهادتي. ولقد جمع المأمون في مجالسَ له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فكلّمهم عن آخرهم حتى ما بقي أحدٌ منهم إلا أقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقُصور».

٧٤٧١- روي عن أبي الصلت الهروي أنه قال للإمام

الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما شيءٌ يَحكيه الناس عنكم؟ قال: «وما هو؟» قال: يقولون إنكم تدّعون أنّ الناسَ لكم عبيد، فقال عليه السلام: «اللّهم فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة أنتَ تشهد بأنّي لم أقلْ ذلك قطُ، ولا سمعتُ أحداً من آبائي قاله، وأنتَ العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمّة وإنّ هذه منها» ثم أقبل على أبي الصلت وقال: «يا عبد السلام إنْ كان الناسُ كلُّهم عبيدَنا ـ على ما يقولون ـ فعلىٰ مَن نبيعُهم؟» ثم قال عليه السلام: «يا عبد السلام أمنكرٌ أنت لِما أوجبَ الله عزّ وجلّ لنا من الولاية كما يُنكره غيرُكَ؟» قال: معاذ الله بل أنا مُقرٌّ بولايتكم.

٧٤٧٢ـ روي: إنّ الفضلَ بنَ سهل سأل الإمامَ الرضا عليه السلام فقال: يا أبا الحسن الخلق مجبورون؟ قال عليه السلام: «إنّ اللّهَ أعدلُ من أن يُجبِرَ ثم يعذّب»، فقال الفضل: فمطلَقون؟ قال عليه السلام: «إنّ اللّهَ أحكمُ من أن يُهمِلَ عبدَه ويكِلَه إلى نفسه» وهذا هو معنى «الأمر بين الأمرين».

٧٤٧٣ـ ذكر شيخنا الصدوق أعلى الله مقامه في كتابه «عيون أخبار الرضا عليه السلام»: إنّ أبا نوّاس نظر يوماً إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد خرج من عند المأمون فدنا منه وسلّم عليه وقال: يا ابن رسول الله قد قلتُ فيك أبياتاً فأحِبّ أن تسمعَها مني، فقال عليه السلام: هات، فأنشأ يقول:

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهُمُ ... تجري الصلاةُ عليهم أينما ذُكروا

من لم يكنْ علويّاً حين تَنسِبُه ... فما له من قديم الدهرِ مفتخَرُ

فاللّهُ لمّا برا خلقاً وأتقنه ... صفّاكمُ واصطفاكم أيّها البشرُ

فأنتم الملأُ الأعلىٰ وعندكُمُ علمُ الكتاب وما جاءت به السُّورُ

فقال الإمامعليه السلام: «قد جئتنا بأبياتٍ ما سبقك إليها أحد» ثم قال: «يا غلام هل معك من نفقتنا شيء؟» فقال: ثلاثمائة دينار فقال: «أعطِهِ إيّاها» ثم قال: «لعلّه استقلّها يا غلام سُقْ له البغلة».

وذكر أيضاً في الكتاب نفسه: أنّ أبا نؤاس خرج ذاتَ يومٍ من داره فبصُرِ براكبٍ قد حاذاه فسأل عنه فقيل له: إنّه عليُّ بنُ موسى الرضاعليه السلام فأنشأ يقول:

إذا أبصرتك العينَ من بُعد غايةٍ وعارض فيك الشكُّ أثبته القلبُ
ولو أن قوماً يمّموك لقادهُم نسيمُك حتى يستدِلَّ به الركْبُ

٧٤٧٤- ذكر الشيخ الصدوق في كتابه «عيون أخبار الرضاعليه السلام»: أنّ عبدَ الله بنَ مطرق بنِ ماهان دخل على المأمون وعنده الإمامَ الرضاعليه السلام فقال له المأمون: ما تقول في أهل هذا البيت - وأشار إلى الرضا عليه السلام- فقال عبد الله: «ما أقول في طينةٍ عُجنت بماء الرسالة، وغُرست بماء الوحي هل ينفَحُ منها إلا مسكُ الهدىٰ وعنبرُ التقىٰ» فاستحسن المأمون كلامَه وحشا فاه لؤلؤاً.

٧٤٧٥- قال محمد بن طلحة في كتابه «مطالب السؤول»: «لمّا جعل المأمون الرضاعليه السلام وليَّ عهده كان في حاشيته أناس كرِهوا ذلك، وكان الرضاعليه السلام إذا جاء إلى دار المأمون يبادر من بالدهليز من الحاشية إلى السلام عليه ورفع السِتر بين يديه ليدخل، فتواصَوْا بينهم أن يُعرضوا عنه إذا جاء ولا يرفعوا له السِتر، فلمّا جاءعليه السلام على عادته لم يملكوا أنفسَهم من هيبته أنْ سلّموا عليه ورفعوا السِّتر بين يديْه، فلمّا دخل تلاوموا بينهم وتعاقدوا على عدم رفعه، فلمّا جاء في اليوم الآخر

قاموا وسلّموا عليه ولكنّهم لم يرفعوا السّترَ بين يديه، فهبّت ريحٌ شديدةٌ فرفعت السّتر أكثرَ مِمّا كانوا يرفعونه، فلمّا دخل سكنت فلمّا خرج هبّت ورفعت الستر فلمّا خرج سكنت، فقالوا ـ بعد أن رأوا هذه الكرامة الباهرة ـ: هذا رجلٌ له عند الله منزلة، ولله به عناية، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه.

٧٤٧٦ـ روي عن الحسين بن خالد أنّه قال: قلتُ للإمام الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ قوماً يقولون: إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ اللّهَ خلق آدمَ على صورته»، فقال عليه السلام: «قاتلهم الله لقد حذفوا أوّلَ الحديث، إنّ رسولَ الله مرّ برجلَيْنِ يتسابّان فسمع أحدَهما يقول لصاحبه: قبّحَ اللّهُ وجهَك ووجهَ مَن يُشبهك، فقال له صلى الله عليه وآله: «لا تقل هذا لصاحبك فإنّ اللّهَ خلق آدمَ على صورته» أي على صورة صاحبك.

٧٤٧٧ـ روي: إنّ الحسينَ بنَ فضال سأل الإمامَ الرضا عليه السلام فقال: لِمَ خلق اللّهُ عز وجل الخلقَ على أنواعٍ شتى، ولم يخلقه نوعاً واحداً؟ فقال عليه السلام: «لئلاّ يقعَ في الأوهام أنّه عاجز، فلا تقع صورةٌ في وهم ملحدٍ إلا وقد خلق اللّهُ عزّ وجلّ عليها خلقاً، ولا يقول قائل: هل يقدِرَ الله عزّ وجلّ أن يخلقَ على صورة كذا وكذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك وتعالى، فيُعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنّه على كل شيءٍ قدير».

٧٤٧٨ـ روي: إنّ المأمونَ قال للإمام الرضا عليه السلام: يا أبا الحسن أخبرني عن جدّك عليّ بنِ أبي طالب بأيّ وجهٍ هو قسيمُ الجنّة والنار؟ فقال عليه السلام: «ألَمْ تروِ عن أبيك عن آبائه عن عبد الله بنِ عباس

أنّه قال: سمِعتُ رسولَ الله يقول: «حبُّ عليٍّ إيمان وبغضُه كفر»؟ قال: بلىٰ، فقال الإمام عليه السلام: «فهو قسيم الجنّة والنار». فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن أشهد أنّك وارثُ علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو الصلت الهروي: فلمّا رجع الإمام الرضا عليه السلام إلى منزله أتيتُه فقلت له: يا ابن رسول الله ما أحسنَ ما أجبتَ به المأمون، فقال عليه السلام: «يا أبا الصلت أنا كلّمتُه من حيثُ هو، ولقد سمِعتُ أبي يحدّث عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنار يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي، وهذا لكِ».

٧٤٧٩ـ روي: أنّ المأمونَ قال للإمام الرضا عليه السلام: إني فكّرتُ في شيءٍ فنتج لي الفكرُ الصوابَ فيه، فكّرت في أمرنا وأمرِكم ونسبِنا ونسبِكم فوجدتُ الفضيلةَ فيه واحدة، ورأيتُ اختلافَ شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوىٰ والعصبيّة، فقال له الإمام عليه السلام: «إنّ لهذا الكلام جواباً إن شئتَ ذكرتُه لك، وإن شئتَ أمسكت؟» فقال المأمون: إني لم أقلْه إلا لِأعلمَ ما عندك فيه فقال عليه السلام: «أنشدك الله لو أنّ الله تعالىٰ بعث محمداً صلى الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أكَمَةٍ من هذه الآكام يخطب إليك ابنتَك أكنتَ مزوّجَه إيّاها؟» فقال المأمون: سبحان الله وهل أحدٌ يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟؟ فقال عليه السلام: «أفتراه يحِلّ له أن يخطبَ إليّ ابنتي؟» فسكت المأمون هنيئة ثم قال: أنتم واللّهِ أمسّ برسول الله رَحِماً.

٧٤٨٠ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «المؤمن إذا أحسن استبشر، وإذا أساء استغفر. والمسلم الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده. وليس منّا مَن لم يأمنْ جارُه بوائقَه»[1].

---

(١) بوائقه: أضراره وشروره.

٧٤٨١ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ اللّهَ أمر بثلاثة مقرونةٍ بها ثلاثة: أمر بالصلاة والزكاة، فمن صلّى ولم يزكِّ لم تُقبلْ صلاتُه. وأمر بالشكر له وللوالدين، فمن لم يشكرْ والديْه لم يشكرِ الله. وأمر باتقاء الله وصلة الرحم، فمن لم يصلْ رحِمَه لم يتّقِ اللّهَ عزّ وجل».

٧٤٨٢ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «مِن علامات الفقيه الحلمُ والعلمُ والصمت، إنّ الصمتَ بابٌ من أبواب الحكمة، إنّ الصمتَ يَكسب المحبّة، إنّه دليلٌ على كلّ خير». وقال عليه السلام: «يأتي على الناس زمان تكون العافيةُ فيه عشرةُ أجزاء، تسعةٌ منها في اعتزال الناس، وواحدةٌ في الصمت».

٧٤٨٣ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً، فإذا أقبلتْ بصُرتْ وفهِمتْ، وإذا أدبرتْ كلّتْ وملّتْ. فخذوها عند إقبالها ونشاطِها، واتركوها عند إدبارها وفتورها».

٧٤٨٤ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «أفضلُ المال ما وُقي به العِرض، وأفضلُ العقل معرفةُ الإنسانِ نفسَه، والمؤمن إذا غضِب لم يُخرِجْه غضبُه عن حق، وإذا رضِيَ لم يُدخِلْه رضاه في باطل، وإذا قدَرَ لم يأخذْ أكثرَ من حقّه».

٧٤٨٥ـ روي: إنّ محمدَ بنَ عرفة قال للإمام الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما حملك على الدخول في ولاية العهد؟ فقال عليه السلام: «ما حمل جدّي أميرَ المؤمنين عليه السلام على الدخول في الشورىٰ».

ورُوي عن محمد بن زيد الرازي أنه قال: رأيتُ مُدْيةٍ مسمومةً عند بعض الخوارج وسمِعتُه يقول: إني داخلٌ على هذا الذي يزعَمُ أنه

ابنُ رسول الله ﷺ- يعني الإمامَ الرضا عليه السلام- وأسأله عن موافقته لهذا الطاغية في ولاية العهد، فإن كان له حجّةٌ وإلا أرحتُ الناسَ منه. فلمّا دخل على الإمام ابتدأه عليه السلام بقوله: «أجيبُك عن مسألتك بشرط» فقال الخارجي: وما هو؟ قال الإمام: «تكسر الذي معك إذا اقتنعتَ بالجواب» فتحيّر الخارجيّ وبُهت، وأخرج المُدية وكسرها ثم قال: «أخبرني عن موافقتك لهذا الطاغي وأنت ابنُ رسول الله وهم عندك كُفّار؟ فقال عليه السلام: «أرأيتَ هؤلاءِ أكفر أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ إنّ هؤلاءِ يزعَمُون أنّهم موحّدون، وأولئك لم يوحّدوا اللّهَ ولم يعرفوه. ويوسُفُ بنُ يعقوب نبيٌّ وابنُ نبيٍّ وقد قال للعزيز: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1]. وكان يجالس الفراعِنة، وأنا أجبرتُ على هذا الأمر وكرِهتُ الدخولَ فيه، فما الذي نقِمتَ منه؟» فقال الخارجيّ: لا عيبَ عليك فإنّك صادقٌ وإنّك ابنُ نبيّ الله.

٧٤٨٦- كانت توليةُ المأمون للإمام الرضا عليه السلام ولايةَ العهد من بعده مناورةً سياسيّة، الغرضُ منها إخمادُ ثوراتِ العلويّين التي قامت في مناطقَ عديدةٍ من العالم الإسلاميّ والتي كانت تهدّد عرشَه المهزوز كثورة محمد بنِ إبراهيم المعروف بابن طباطبا في الحجاز والكوفة، وثورةِ زيدِ بنِ موسى الكاظِم في البصرة، وثورةِ أخيه إبراهيم بنِ موسى في اليمن، وثورةِ الحسن بنِ الحسين الأفطس في مكّة والمدينة، وثورةِ الحسين بنِ هرش في خراسان. وقد كانت قوّةُ الدولة العباسيّة عاجزةً عن تصفية هذه الثورات، فكان لا بدّ من عملٍ سياسِيٍّ آخر فجاءت ولايةُ العهد لسيّد العلويّين الإمامِ الرضا عليه السلام كمناورةٍ سياسيّةٍ لإخماد

---

(١) سورة يوسف، الآية(٥٥).

هذه التحرّكات العلويّة، ولم يكن ذلك منه اعترافاً بحقّ الإمام في الحكم ولا إذعاناً لفضله. وأسلوبُه في استدعائه إليه وعرضِ الولاية عليه يدُلّ على سوء نِيّته وخُبثِ طَويّته. فقد أمر رجالَه الذين أوكل إليهم مرافقةَ الإمام من المدينة إلى خراسان أن يسلكو به طريقَ البصرة فالأهواز، وأن يتجنّبوا طريقَ الجبل وقم، وأن لا يسمحوا له بدخول الكوفة لوجود الشيعة والموالين له في هذه الأماكن. ثم إنّه أمر الفضل والحسن ابني سهل أن يجتمعا بهعليه السلام ويعرِضا عليه رغبتَه في ذلك فأبىٰ فصارا يُلحّانِ عليه ويقولانِ له: إنّه أمرنا بضرب عنقك إن خالفتَ ما يريد. وأخيراً اجتمع المأمون بالإمام وعرض عليه الخِلافة مكانه فامتنع الإمام أشدَّ الامتناع لعلمه بسوء نواياه، فقال له المأمون: إني موَلّيك العهدَ من بعدي فأبىٰ ذلك أيضاً وقال له: «لقد أخبرني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول اللهصلى الله عليه وآله إني أخرج من الدنيا قبلك» فما قبِل منه المأمون ذلك وألحّ عليه حتى صار يهدّده بالقتل مصرّحاً تارة وملوِّحاً أخرىٰ، وبلغ به طغيانُه أن يقولَ له: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، قد أمِنتَ سطوتي، فباللّهِ أقسم لئن قبِلتَ وِلاية العهد وإلا أجبرتُك على ذلك فإن فعلتَ وإلا ضربتُ عنقك. فقالعليه السلام: «لقد نهاني الله عزّ وجلَ أن ألقيَ بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمرُ على هذا فافعلْ ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك علىٰ أن لا أوَلّي أحداً، ولا أنقُضَ رسماً ولا سُنّة، وأكون في الأمر بعيداً مشيراً»، فرضي المأمون منه بذلك. وقد صرّحعليه السلام لأحد أصحابه وهو «الريّان بن الصلت» بهذه الحقيقة فقال: «قد علِم الله كراهتي لذلك، فلمّا خُيّرتُ بين القبول وبين القتل اخترتُ القبولَ على القتل». وحتى بعد أنْ عقد الوِلايةَ وأجرى المراسيمَ العامّةَ والخاصّةَ في ذلك مِمّا كان له أكبرُ الأثر في تهدئة

خواطر العلويّين صار يضيّق على الإمام عليه السلام ويرصُد عليه جميعَ حركاته وسكناته، ويمنع اتّصالَ شيعته به، وجعل له حاجباً فظّاً غليظاً وهو «هشام بن إبراهيم» وأمره بمراقبة الإمام والتجسُّسِ عليه، حتى قال عليه السلام في رسالته إلى أحمد بن محمد البزنطي: «أمّا ما طلَبتَ من الإذن عليّ فإنّ الدخولَ إليّ صعب، وهؤلاءِ قد ضيّقوا عليّ في ذلك فلستَ تقدِرَ عليه الآن». ويظهر أنّ المأمونَ أراد أن يحقّقَ من توليته للإمام غرضاً سياسيّاً آخرَ وهو أن يُظهِرَه أمام الناس راغباً في الدنيا وطالباً لها ومقبِلاً عليها. كما أنّه كان يأمر بإحضار العلماء والفلاسفة والمتكلّمين وأحبارِ اليهود والنصارىٰ لمناظرته لا ليُظهرَ فضلَه وعلمَه وإنّما كان يطمع أن يغلِبَه أحدٌ منهم فيصغُرَ شأنُه بين الناس. وقد كشف هذه الحقيقةَ أحدُ أصحاب الإمام عليه السلام وهو «أبو الصلت الهرويّ» حين سأله أحمدُ بنُ عليّ الأنصاري ـ بعد مقتل الإمام ـ: كيف طابت نفسُ المأمون بقتل الرضا عليه السلام مع إكرامه ومحبته له، وما جعل له من وِلاية العهد بعده؟ فقال أبو الصلت: «إنّ المأمونَ إنّما كان يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله، وجعل له وِلايةُ العهد من بعده ليُري الناسَ أنّه راغبٌ في الدنيا فيسقط محلُّه من نفوسهم، فلمّا لم يظهرْ منه في ذلك للناس إلا ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلّمين من البلدان طمعاً في أن يقطعَه واحدٌ منهم فيسقط محلُّه عند العلماء، ويشتهر نقصُه عند العامة...». ولم يستطِع المأمون أن يُخفيَ غرضَه الحقيقيَّ من ذلك، بل ربما ظهر على فلتات لسانه ما يكشف عن خُبث سريرته، فقد قال لسليمان المروزي حينما طلَب منه مناظرةَ الإمام: «إنما وجّهتُ إليك لمعرفتي بقوّتك، وليس مرادي إلا أن تقطعَه عن حُجّةٍ واحدةٍ فقط». وكان الإمام عليه السلام يعلم غرضَ المأمون الحقيقيَّ من هذه الاجتماعات

التي كان يعقِدها بينه وبين علماء الأديان والمذاهب، وقد صرّح بذلك لأحد خواص أصحابه وهو: «الحسن بن محمد النوفلي» حين قال له ـ بعد أن طلَب منه المأمونُ مناظرةَ علماء اليهود والنصارىٰ وغيرِهم ـ: «أتُحبّ أن تعلمَ متى يندم المأمون؟» قال الحسن: نعم، فقال عليه السلام: «إذا سمِع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيّتهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيّتهم، وعلى أهل الروم بروميّتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم، فإذا قطعتُ كلَّ صنفٍ ودحضتُ حُجّتَه، وترك مقالتَه، ورجع إلى قولي علِم المأمون أنّ الموضعَ الذي هو بسبيله ليس بمستحقٍّ له، فعند ذلك تكون الندامةُ منه».

وقد وقع ـ بالفعل ـ ما توقّعه الإمام عليه السلام، فكان كلّما ظهر علمُ الإمام على كلِّ علم، وظهرتْ حُجّتُه على كل حُجّة، وانقطع أمامَه العلماءُ والحكماءُ والفلاسفةُ والمتكلّمون كان يزداد غيظُ المأمون وحسَدُه وحِقدُه عليه حتى دسّ إليه السُّمّ بيده الأثيمة، ومات صلوات الله عليه مظلوماً مسموماً، وذهبتْ روحُه الطاهرةُ إلى ربّه راضيةً مرضيّة، ودُفن في «طوس» حيثُ مرقدُه الشريف شامخاً حتى اليوم يناطح السماءَ علوّاً وسموّاً. وفي ذلك يقول دعبلُ بنُ عليّ الخزاعي:

قبرانِ في طوس خيرِ الناسِ كلِّهُمُ ... وقبرُ شرِّهُمُ هذا من العِبَرِ
ما ينفع الرجسَ من قرب الزكيِّ وما ... على الزكيِّ بقرب الرجسِ من ضررِ
هيهاتَ كلُّ امرئٍ رهنٌ بما كسبتْ ... له يداه فخُذْ ما شئتَ أو فذَرِ

ويقول علي بن أبي عبد الله الخوافي:

يا أرض طوسٍ سقاكِ اللّهُ رحمتَه ... ماذا حويْتِ من الخيرات يا طوسُ

طابتْ بِقاعُكِ في الدنيا وطاب بها شخصٌ ثوىٰ بسنا آباد مرموسُ
شخصٌ عزيزٌ على الإسلام مَصرعُه في رحمة الله مغمورٌ ومغموسُ
يا قبرَه أنتَ قبرٌ قد تضمَّنَهُ حلمٌ وعلمٌ وتطهيرٌ وتقديسُ
فخراً فإنّك مغبوطٌ بجُثّتهِ وبالملائكة الأطهارِ محروسُ

٧٤٨٧ـ قام الإمام محمد الجوادعليه السلام بأعباء الإمامة وعمرُه الشريف ثمانُ سنين فوقع الشكُّ والريْبُ عند الناس بسبب صغر سنّه، فاجتمع عنده العلماءُ والفقهاء وسألوه في مجلسٍ واحدٍ عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عنها. وهنا قد يرد في الذهن سؤالٌ وإشكال عن إمكان مثل هذا العدد من الأسئلة والأجوبة في مجلسٍ واحد، ويمكن تعليل ذلك بأحد وجوه:

الأوّل: أن تكونَ أجوبتُهعليه السلام مشتملةً على قواعدَ عامةٍ تُستنبط منها مسائلُ أحكامٌ كثيرة.

الثاني: أن تكونَ الأسئلةُ والأجوبةُ مبتنيةً على الإيجاز والتركيز، كأن يكونَ السؤال بكلمتيْن أو ثلاث، والجواب بنعم أو لا.

الثالث: أن يكونَ الإعجازُ هو الذي حقّق هذا الأمرَ العجيب، بحيثُ كان يجيبهم عن أسئلتهم قبل أن يتكلّموا بها.

الرابع: أن تكونَ بعضُ أسئلتهم متّفقة أو متشابهة، فيكون جوابُه عن بعضها هو جوابٌ عن البعض الآخر.

الخامس: أن يكونَ المرادُ من المجلس الواحد هو الوحدة النوعيّة أو الوحدة المكانيّة وإن كان في أيّامٍ متعدّدة.

السادس: أن يكونَ المقصودُ من العدد هنا هو المبالغةُ في كثرة

الأسئلة والأجوبة مع غضّ النظر عن العدد الحقيقي.

والله سبحانه هو الأعلم بالمراد.

٧٤٨٨ـ روي: إنّ المأمونَ خرج يوماً للصيد فمرّ على صبيانٍ يلعبون، وكان قريباً منهم محمّدُ بنُ عليٍّ الجوادعليه السلام، ففرّ الصِبيان هيبةً وخوفاً وبقي الإمام واقفاً في مكانه ـ وعمرُه يومَ ذاك تسعُ سنين ـ فقال له المأمون: ألا فررتَ مع الصبيان؟ فقالعليه السلام: «لم يكن الطريق ضيّقاً فأوسعه لك، وليس لي جُرْمٌ فأخشاك، والظنُّ بك حسن أنك لا تضرّ من لا ذنبَ له». فأعجب المأمون بكلامه وأثنى عليه وعلى أبيه، ثم تركه وانصرف إلى حيثُ يريد من الصيد. وهناك أرسل بازاً في الجو فغاب ساعةً ثمّ عاد وفي منقاره سمكةٌ صغيرةٌ وفيها بقيّةُ حياة، فعجب المأمون من ذلك وقبض عليها بيده، وعاد في طريقه الذي جاء منه فمرّ على الإمام محمد الجوادعليه السلام فقال له: يا محمدُ ما في يدي؟ فقالعليه السلام: «إنّ اللّهَ تعالىٰ خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصطادها بُزاةُ الملوك ليختبروا بها أولادَ الأنبياء»، فعجِب المأمون من جوابه وعلمه، وضمّه إليه وقبّله بين عينيه وقال: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[1].

٧٤٨٩ـ قال محمّدُ بنُ الحسن بنِ عمّار: كنتُ عند عليّ بنِ جعفر الصادق جالساً بالمدينة، وكنت أقمتُ عنده سنين أكتب عنه ما سمِع من أخيه ـ يعني موسى بنَ جعفر عليه السلام ـ إذْ دخل عليه أبو جعفر محمّدُ بنُ عليّ عليه السلام المسجدَ ـ أي مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فوثب عليُّ بنُ جعفر بلا حِذاء ولا رِداء فقبّل يدَه وعظّمه، فقال له أبو

(١) سورة آل عمران، الآية(٣٤).

جعفر عليه السلام: «يا عم اجلِسْ رحِمكَ الله» فقال عليّ: كيف أجلِسُ وأنت قائم؟ فلمّا رجع عليّ إلى مجلسه جعل أصحابُه يوبّخونه ويقولون له: أنت عمُّ أبيه وتفعل به هذا الفعل؟ فقال: «اسكُتوا، إذا كان اللّهُ عزّ وجل لم يؤهّلْ هذه الشيبةَ ـ وقبض على لحيته ـ، وأهّل هذا الفتىٰ، ووضعه حيثُ وضعه أفأنكر فضلَه؟ نعوذ بالله عمّا تقولون، بل أنا عبدٌ له».

٧٤٩٠ـ روي: إنّ رجلاً جاء إلى الإمام الجواد عليه السلام فقال له: أعطني على قدَر مروءتك، فقال عليه السلام: «لا يسعُني ذلك» فقال: أعطني على قَدَري، قال عليه السلام: «أمّا هذا فنعم، يا غلام أعطِه مائتي دينار».

٧٤٩١ـ روي عن الحسين بنِ يسار أنّه قال: كتب ابنُ قياما الواسطي إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه: «كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟» فأجابه عليه السلام: «وما عليك أنه لا يكون لي ولدٌ واللّهِ لا تمضي الأيّام والليالي حتى يرزقَني الله ولداً ذكراً يفرّق بين الحق والباطل». وصدق عليه السلام فلم تمضِ الأيّام والليالي حتى رزقه اللّهُ الإمامَ محمد الجواد عليه السلام.

٧٤٩٢ـ روي: إنّ المأمونَ قال ليحيى بن أكثم ـ قاضي القضاة ـ: يا يحيى اطرحْ على أبي جعفر محمد بنِ الرضا مسألةً تقطعه فيها، فقال يحيىٰ: يا أبا جعفر ما تقول في رجلٍ نكح امرأةً على زِنى أيحلّ له أن يتزوّجها؟ فقال عليه السلام: «يَدَعُها حتى يستبرئَها من نطفته ونطفة غيره، إذْ لا يُؤمَن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدَثاً كما أحدثت معه، ثم يتزوّج بها إذا أراد فإنّما مَثَلُها مَثَلُ نخلةٍ أكل رجلٌ منها حراماً ثم اشتراها فأكل منها حلالاً». فانقطع يحيىٰ.

٧٤٩٣ـ روي: إنّ المأمونَ لَمّا أراد أن يزوّجَ ابنتَه أمَّ الفضل أبا جعفر الجوادعليه السلام بلغ ذلك العباسيين فكبُر عليهم وخافوا أن ينتهيَ الأمر معه إلى ما انتهىٰ إليه مع أبيه الرضاعليه السلام، فتذاكروا في الأمر ثم اجتمعوا إليه وقالوا له: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيمَ على هذا الأمر الذي قد عزمتَ عليه من تزويج ابن الرضا، فأنا نخاف أن تُخرجَ به عنّا أمراً قد ملّكناهُ الله، وتَنزعَ منا عزّاً قد ألبَسناهُ الله، وقد عرَفتَ ما بيننا وبين هؤلاءِ القوم «آلِ عليّ» قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاءُ الراشدون قبلَك من تبعيدهم والتصغيرِ بهم، وقد كنّا في وَهْلةٍ من عملك مع الرضا ما عملتَ حتى كفانا اللّهُ المهمّ من ذلك. فاللّهَ اللّهَ أن تردّنا إلى غمٍّ قد انحسر عنّا، واصرِفْ رأيَك عن ابن الرضا واعدِلْ إلى من تراه من أهل بيتك يصلُح لذلك دون غيرهم. فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السببُ فيه، ولو أنصفتم القومَ لكانوا أولىٰ بكم، وأمّا ما كان يفعله مَن قبلي بهم فقد كان به قاطعاً للرحم وأعوذ بالله من ذلك. ووالله ما ندِمتُ على ما كان منّي من استخلاف الرضا، ولقد سألتُه أن يقومَ بالأمر وأنزِعه عن نفسي فأبىٰ ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[1]. وأمّا أبو جعفر محمدُ بن عليّ فواللّهِ لا قبِلت من واحدٍ منكم في أمره شيئاً، فقد اخترتُه لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سِنّه. وأنا أرجو أن يَظهرَ للناس ما قد عرَفتُه منه فيعلموا أنّ الرأيَ ما رأيتُ فيه. فقالوا: يا أميرَ المؤمنين أتزوّج ابنتَك وقُرّةَ عينك صبيّاً لم يتفقهْ في دين الله ولا يعرف حلالَه من حرامه، ولا فرْضَه من سُنّته. إنّ هذا الفتىٰ وإنْ راقك منه هَدْيُه فإنّه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية(٣٨).

صبيٌ لا معرفةَ له ولا فقه. فأمهِلْه ليتأدّبَ ويقرأ القرآن ويتفقّهَ في الدين ويعرفَ الحلالَ من الحرام، ثم اصنعْ ما تراه بعد ذلك. فقال لهم المأمون: ويحكم إني أعرفُ بهذا الفتىٰ منكم، وإنّه لأَفْقَهُ منكم وأعلمُ بالله ورسولِه وسنّتِه وأحكامِه، وأقرأُ لكتاب الله منكم وأعلمُ بمحكمه ومتشابهِه وناسخِه ومنسوخِه وظاهرِه وباطنِه وخاصّه وعامّه وتنزيلِه وتأويلِه منكم. وإنّ هذا من أهلِ بيتٍ علمُهم من الله، ولم يزل آباؤه أغنياءَ في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصةِ عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر، فإن كان الأمرُ كما وصفتم قبِلتُ منكم، وإن كان الأمرُ على ما وصفتُ علِمت أنّ الرجلَ خلَفٌ منكم. قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه فخلِّ بيننا وبينه لننصِبَ من يسأله بحضرتك عن شيءٍ من فقه الشريعة، فإنْ أصاب الجوابَ عنه لم يكن لنا اعتراضٌ في أمرِه، وظهر للخاصّة والعامّة سديدُ رأيك. وإنْ عجز عن ذلك فقد كُفينا أمرَه. فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم. فخرجوا من عنده واجتمع رأيُهم على مسألة يحيى بنِ أكثم وهو يومئذ «قاضي القضاة» وطلَبوا منه أن يهيّئ له مسألةً صعبةً لا يعرِفُ جوابَها، ووعدوه بأموالٍ كثيرة. ثم عادوا إلى المأمون وسألوه أن يختارَ لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك واجتمعوا في اليوم المعيّن ومعهم يحيى، وحضر الإمام الجوادعليه السلام فأجلسه المأمون على دستٍ أعِدّ له ـ وكان عمره تسعَ سنين ـ وجلس هو إلى جنبه على دستٍ آخر. فقال يحيىٰ للمأمون: أتأذن لي يا أميرَ المؤمنين أن اسألَ أبا جعفر؟ فقال المأمون: استأذنْه في ذلك، فأقبل عليه فقال: أتأذن لي جُعلتُ فِداك في مسألة؟ قالعليه السلام: «سلْ إنْ شئت» قال يحيىٰ: ما تقول جعلني اللّٰه فداك في محرمٍ قتل صيداً؟ قالعليه السلام: «قتله في حِلّ أو حرم؟ عالماً

كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حرّاً كان المحرمُ أم عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدِئاً بالقتلِ أم مُعيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صِغار الصيد كان أم من كِباره؟ مصِرّاً على ما فعلَ أو نادماً؟ في الليل كان قتلُه للصيد في أوكارها أم نهاراً؟ محرِماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج؟» فتحيّر يحيى بن أكثم وانقطع انقطاعاً لم يَخْفَ على أحدٍ من أهل المجلس وبان في وجهه العجز، ودُهش جميعُ مَن حضر، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمةِ والتوفيقِ لي في الرأي. ثم نظر إلى العباسيّين فقال: أعرَفتم الآن ما كنتم تُنكرونه؟. ثم التفت إلى الإمام عليه السلام وقال له: إنْ رأيتَ جُعلتُ فداك أن تذكر الجواب عن كل ما فصّلْتَه من وجوهٍ في هذه المسألة، فشرح الإمام عليه السلام أحكامَ هذه الفروع وما يجب على المحرم في جميع هذه الأحوال، فقال المأمون: أحسنتَ يا أبا جعفر أحسن اللّهُ إليك، وأمر أن يُكتَبَ ذلك، ثم قال له: فإن رأيتَ أن تسألَ يحيىٰ عن مسألةٍ كما سألك؟ فقال عليه السلام ليحيى: «أسألُك؟» قال: ذلك إليك جُعلتُ فداك، فإن عرَفتُ جوابَ ما تسألني عنه وإلا استفدتُه منك، فقال له عليه السلام: «أخبرني عن رجلٍ نظر إلى امرأةٍ في أول النهار فكان نظرُه إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار حلّتْ له، فلمّا زالت الشمس حرُمتْ عليه، فلمّا كان وقتُ العصر حلّتْ له، فلمّا غرُبت الشمس حرُمت عليه، فلمّا دخل عليه وقتُ العِشاء الآخِرة حلّت له، فلمّا كان انتصافُ الليل حرُمت عليه، فلمّا طلَع الفجر حلّتْ له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلّتْ له وحرُمت عليه؟» فقال له يحيى: واللّهِ ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرِف الوجهَ فيه، فإنْ رأيتَ أن تفيدَناه، فقال الإمام الجواد عليه السلام: «هذه أَمَةٌ لرجلٍ من الناس نظر إليها أجنبيٌّ في أول النهار

فكان نظرُه إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان عند الظهر أعتقها فحرُمتْ عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّتْ له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرُمت عليه، فلمّا كان وقتُ العِشاء الآخِرة كفّر عن الظهار فحلّت له، فلمّا كان في نصف الليلِ طلّقها واحدةً فحرُمت عليه، فلمّا كان عند الفجر راجعها فحلّتْ له». فأقبل المأمون على من حضره فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرِف القولَ فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إنّ أميرَ المؤمنين أعلمُ بما رأى. فقال لهم: ويحكم إنّ أهلَ هذا البيت خُصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صِغرَ السِنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال. أمّا عِلمتم أنّ رسولَ الله ﷺ افتتح دعوتَه بدعاء أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام وهو ابنُ عشرِ سنين وقبِل منه الإسلام وحكم له به ولم يَدْعُ أحداً في سِنّه غيرَه، وبايع الحسنَ والحسينَ عليهما السلام وهما ابنا ستّ سنين ولم يبايعْ صبيّاً غيرَهما، أفلا تعلمون الآن ما اختصّ اللّهُ به هؤلاءِ القوم وإنّهم ذريّةٌ بعضُها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم؟ قالوا: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين. ثم عرض على الإمام عليه السلام أمرَ الزواج بابنته أمّ الفضل وخطب الإمامُ خطبةَ النكاح، وقُدّمت الموائد ووُزّعت العطايا والجوائز على الناس حتى انصرفوا وهم أغنياء.

٧٤٩٤ـ قال الإمام الجواد عليه السلام: «لا تكن وليّاً للّه تعالىٰ في العلانية، وعدوّاً له في السر». وقال عليه السلام: «من انقطع إلى غير الله وكَلَهُ اللّهُ إليه، ومن عمِل على غير علمٍ كان ما يُفسد أكثرَ مما يُصلح». وقال عليه السلام: «من أطاع هواه أعطىٰ عدوَّه مُناه». وقال عليه السلام: «العاملُ بالظلم والمعينُ له والراضي به شركاء». وقال عليه السلام: «من لم يعرِفِ

الموارد أعيته المصادر، ومن انقاد إلى الطمأنينة قَبلَ الخِبْرة فقد عرّض نفسَه للتهلكة». وقال عليه السلام: «كفى بالمؤمن خيانةً أن يكونَ أميناً للخونة». وقال عليه السلام: «الثقة بالله ثمنٌ لكلّ غالٍ، وسُلّمٌ لكلّ عالٍ». وقال عليه السلام: «أهلُ المعروف إلى اصطناعه أحوجُ من أهل الحاجة إليه لأنّ لهم أجرَه وفخرَه وذكرَه، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلُبَنَّ شكرَ ما صنع إلى نفسه من غيره».

٧٤٩٥ـ ذكر ابنُ الجوزي في «تذكرة الخواص»: أنّ المتوكّلَ العباسي كان يبغض أميرَ المؤمنين عليه السلام وذريّتَه، فلمّا بلغه مقامُ الإمام عليّ بنِ محمّدِ الهادي عليه السلام في المدينة وميْلُ الناس إليه خاف منه فدعا يحيى بنَ هرثمة وقال له: اذهبْ إلى المدينة وانظر في حال عليّ بن محمّد وأشخِصْه إلينا. قال يحيى: فذهبتُ إلى المدينة فلمّا دخلتُها ضجّ أهلُها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً عليه، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه عليه السلام كان محسناً إليهم وملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميْلٌ للدنيا. فجعلتُ أُسكّنهم وأحلِف لهم أني لم أؤمرْ فيه بمكروه، وأنّه لا بأس عليه. ثم فتشتُ منزلَه فلم أجدْ فيه إلا المصاحفَ والأدعية وكتبَ العلم فعظُم في عيني وتوليتُ خدمتَه بنفسي وأحسنت عُشرتَه.

٧٤٩٦ـ روي: إنّ بعضَ الوشاة الحاقدين على الإمام الهادي عليه السلام قال للمتوكّل: إن في بيت عليّ بنِ محمّد أموالاً وسلاحاً. فغضِب وأمر حاجبَه «سعيداً» أن يهجُمَ ليلاً عليه في بيته ويأخذَ ما يجدُ من مالٍ وسلاح. فجاء سعيد ومعه سلّم فصعَد بها على السطح ونزل منه إلى البيت في الظلام. فإذا بالإمام عليه السلام يناديه: «يا سعيد مكانَك

حتى يأتوكَ بشمعة» فلبِث حتى أتوه بشمعة فنزل ودخل على أبي الحسن عليه السلام فوجده في محرابه وعليه جُبّةٌ من صوف وقَلَنْسوةٌ من صوف. فقال عليه السلام: «دونك البيوت ففتشها» ففتّشها فلم يجدْ فيها شيئاً سوى بَدْرَةٍ[١] مختومة بخاتم أمّ المتوكل فيها عشرةُ آلاف دينار، وكيساً فيه أربعمائةُ دينار. ثم قال له الإمام عليه السلام: «دونك المصلّى» فرفعه فوجد تحته سيفاً في جُفْنِه[٢]. فأخذ البَدْرَةَ والكيسَ والسيفَ وذهب بها إلى المتوكّل، فلمّا نظر إلى خاتم أمّه على البَدْرة بعث إليها يسألها عن ذلك فقالت: كنتُ نذرتُ في عِلّتك إنْ عوفيتَ أن أحملَ إلى أبي الحسن من مالي عشرةَ آلاف دينار فحملتُها إليه. فأمر المتوكّلُ أن يُضَمّ إلى البدْرَة بدْرَةٌ أخرىٰ، وقال لسعيد: احمِلْ ذلك إلى أبي الحسن، فحمل المالَ والسيف ودخل عليه فقال له: يا سيدي عزّ عليّ دخولي دارَك بغير إذنك ولكنّي مأمور. فقال الإمام عليه السلام: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣].

٧٤٩٧ـ روي: إنّ المتوكّل عزم على قتل الإمام الهادي عليه السلام وقال: لَأقتلنّه ولَأُحرقنّه بعد القتل، ثم دعا بأربعة رجالٍ متقلّدين سيوفَهم وأمرهم إذا دخل الإمام عليه السلام عليه أن يَهجِموا عليه بأسيافهم. ثم أرسل عليه، فلمّا دخل عليه السلام إليه رمَوْا سيوفَهم وخَرّوا خاضعيْنَ بين يديْه، فلمّا بصُر به المتوكل رمىٰ بنفسه عن السرير وانكبَّ عليه وقبّل ما بين عينيْه وهو يقول: يا سيدي يا ابن رسول الله يا خيرَ خلق الله ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال عليه السلام: «جاءني رسولُك وقال لي:

---

(١) البدْرة: كيس توضع فيه النقود.

(٢) الجفن: غِمد السيف.

(٣) سورة الشعراء، الآية(٢٢٧).

المتوكّل يدعوك»، فقال: كذِب، ارجِعْ يا سيّدي من حيثُ شئت. ثم نادىٰ الرجالَ الذين أمرهم بقتله، وقال لهم: شيّعوا سيّدي وسيّدكم، فلمّا عادوا قال لهم: لِمَ لَمْ تفعلوا ما أمرتُكم به؟ قالوا منعتنا شدّةُ هيبته، ورأينا حوله أكثرَ من مائة يحملون سيوفهم لم نقدِرْ أن نتأمّلَهم فامتلأتْ قلوبنا منهم رُعباً.

٧٤٩٨ـ جاء في كتاب «أعلام الورىٰ» بسنده عن محمّد بنِ الحسن الأشتر إنّه قال: كنتُ مع أبي على باب المتوكّل وأنا صبيّ في جَمْعٍ من الناس ونحن وقوف إذْ جاء أبو الحسن عليه السلام فترجّل الناسُ كلُّهم حتى دخل، فقال بعضُهم لبعض: لِمَ نترجّل لهذا الغلام وما هو بأشرفِنا ولا بأكبرِنا سِنّاً؟ واللّهِ لا نترجّل له، فقال أبو هاشم الجعفريِ: واللّهِ لتترجَلُنَّ له صَغَرَةً[1] إذا رأيتموه. فما هو إلا أن أقبل وبصُروا به حتى ترجّل له الناسَ كلُّهم. فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتُم أنكم لا تترجّلون له؟ قالوا: واللّهِ ما ملكْنا أنفسَنا حتى ترجّلْنا.

٧٤٩٩ـ روي عن الخضر بن محمد البزاز أنّه قال: رأيتُ في المنام كأنّي على شاطىء دجلة في مدينة السلام مِمّا يلي الجسر، ورأيتُ خلقاً كثيراً يزحَم بعضُهم بعضاً وهم يقولون: قد أقبل بيتُ اللّهِ الحرام. فبينا نحن كذلك إذْ رأيتُ البيتَ بأستاره وأركانه قد أقبل يسير على الأرض حتى عبرَ الجسرَ من الجانب الغربي، والناسُ يطوفون به حتى دخل دار حزيمةَ بنِ حازم. وبعد هذه الرؤيا بأيّام خرجتُ إلى الشاطىء بحاجةٍ حتى انتهيتُ إلى الجسر فرأيتُ الناسَ مجتمعين وهم يقولون: قد أقبل ابنُ الرضا ـ يَعنون الإمامَ الهادي عليه السلام ـ فبينا نحن

---

(١) صَغَرة: أذلاء مهانين.

كذلك إذْ رأيتُ الإمامَ عليَّ بنَ محمّد قد عبر الجسر من الجانب الغربيّ والناس مزدحمون عليه حتى دخل دار حزيمة بنِ حازم، فقلتُ: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾(١).

٧٥٠٠ـ روى الشيخ المفيد «قدس سره» في «الإرشاد» بسنده عن صالح بنِ سعيد قال: دخلتُ على أبي الحسن الهاديعليه السلام يوم وروده إلى «سرّ من رأى» فقلت له: جُعلت فِداك في كلّ الأُمور أرادوا إطفاءَ نورِكَ والتقصيرَ بك حتى أنزلوك هذا الخانَ الأشنع «خان الصعاليك»؟ فقال الإمامعليه السلام: «هاهنا أنتَ يا ابن سعيد؟» ثم أومأ بيده فإذا أنا بروضاتٍ أنيقات، وأنهارٍ جاريات، وجِنانٍ فيها خيراتٌ عطِرات، ووُلدانٍ كأنّهمُ اللؤلؤُ المكنون. فحار بصري وكثُر تعجّبي، فقال لي: «حيثُ كنّا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسْنا في خانِ الصعاليك».

٧٥٠١ـ روي: أنّ رجلاً من أهل الصنائع اسمه «يونُس النقّاش» كان مجاوراً لبيت الإمام الهاديعليه السلام في سامراء ويحضر مجلسَه، فجاءه يوماً وهو يرتعد من الخوف فقال: يا سيدي أوصيك بأهلي خيراً، فقال له الإمامعليه السلام: «ما الخبر؟» قال: بعث إليّ موسى بن بغا ـ أحد رجال المتوكل ـ بفَصٍّ لأنقُشَه فانكسر في يدي نصفَيْن، وموعدُه غدً، فإذا جاء وعلِم بذلك فسوف يقتلني أو يضربني ألفَ سوط. فقالعليه السلام: «امضِ إلى منزلك إلى غد فما يكون إلا خيراً». وفي الغد جاءه رسول موسى يلتمس الفَصّ فأقبل على الإمامعليه السلام خائفاً وقال: قد جاءني رسولُه فماذا أقول له؟ قالعليه السلام: «امضِ إليه فما ترى إلا خيراً» قال: ماذا أقول له؟ فتبسّم الإمامعليه السلام وقال: «امضِ

---

(١) سورة يوسف، الآية(١٠٠).

إليه واستمع ما يقول لك فلن يكونَ إلا خيراً» فمضى يونس ثم عاد ضاحكاً وهو يقول: يا سيدي قال لي: يقول لك موسى: إنّ جاريتيْنِ لي اختصمتا على هذا الفُص فهل تقدِرَ على أن تجعلَه نصفيْنِ متساويين وأنا أكافئك على ذلك مكافأةً تُغنيك؟ فسُرّ الإمام عليه السلام وحمِدَ اللّهَ على ذلك وقال له: «وأيّ شيء قلتَ له؟» قال: قلت له: أمهِلْني حتى أتأمّلْ أمرَه وانظر كيف أصنع فيه ذلك.

٧٥٠٢ـ روى ابن حجر في «الصواعق» وغيرُه من المؤرّخين: إنّ امرأةً ادّعتْ في زمن المتوكّل أنها زينبُ بنتُ أمير المؤمنين، فأحضرها المتوكّل وأحضر العلماءَ فسألهم عن ذلك فأخبروه بأنّ زينبَ قد ماتت في سنة كذا وفي شهر كذا وفي يوم كذا. ولكنّ المرأةَ أصرّتْ على دعواها، فبعث المتوكّل على الإمام الهادي عليه السلام وسأله عن أمرها فقال عليه السلام: «إن لحومَ بني فاطمةَ محرّمةٌ على السباع، فأنزِلْها إلى السباع فإن كانت من بني فاطمةَ فلا تضرّها» فقال لها المتوكّل؟ ما تقولين؟ قالت: إنّه يريد قتلي، فقال الإمام عليه السلام: «هاهنا جماعةٌ من وُلْد الحسن والحسين فأنزِلْ من شئتَ منهم»، فقال بعض الحاضرين: لِمَ لا يكون هو؟ فاستحسن المتوكّل ذلك، ورجا أن يكونَ في ذلك الخلاصُ منه، فرضي الإمام عليه السلام بالنزول إلى السباع، فلمّا نزل إليها صارت الأُسود ترمي بنفسها إليه وتلوذُ بين يديْه وتتمسّحُ وتتبرّكُ به. فلمّا رأى المتوكّل ذلك بادر إلى إخراجه قبل أن ينتشرَ خبرُه. ثم قال للمرأة: انزلي كما نزل أبو الحسن، فقالت: اللّهَ اللّهَ ادّعيتُ الباطل، وأنا بنت فلان، حملني الضُرُّ على ما قلت.

٧٥٠٣ـ روى الشيخ الكليني «قدس سره» في «الكافي» بسنده إلى جعفر بنِ رزق الله أنّه قال: قُدِّم إلى المتوكّل رجلٌ نصرانيٌ فجر

بامرأةٍ مسلمة فأراد أن يقيمَ عليه الحدَّ فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: قد هدم إيمانُه شِرْكَه وفِعْلَه، وأسقط عنه الحدّ. وقال غيرُه من الفقهاء: يُضرب ثلاثةَ حدود. فأمر المتوكّل بالكتابة عن ذلك إلى أبي الحسن الهادي عليه السلام فكتب في الجواب: «يُضربُ حتى يموتَ من الضرب». فأنكر يحيى بن أكثم وفقهاء العسكر ذلك وقالوا: يا أميرَ المؤمنين إنّ هذا لم ينطِقْ به الكتاب، ولم تجئ به السُّنَّةُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فكتب المتوكّل إليه عليه السلام يقول: إنّ فقهاءَ المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم ينطقْ به الكتاب ولم تجئ به السُّنّة، فبيّنْ لنا لِمَ أوجبتَ عليه الضربَ حتى يموت؟ فكتب عليه السلام: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾[1]. فأمر به المتوكّل فضُرب حتى مات.

٧٥٠٤ـ جاء في «مناقب ابن شهرآشوب» أنّ المتوكّلَ قال لابن السّكيت: سلِ ابنَ الرضا ـ يعني الإمامَ الهادي عليه السلام ـ مسألةً عوصاء بحضرتي، فسأله: لِمَ بعث اللّهُ موسى بالعصا واليدِ البيضاء؟ وبعث عيسى بإبراء الأكمهِ والأبرصِ وإحياءِ الموتى؟ وبعث محمّداً بالقرآن والسيف؟ فقال عليه السلام: «بعث الله موسىٰ بالعصا واليدِ البيضاء في زمنِ الغالبُ على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرَهم وبَهَرَهم وأثبت الحُجّةَ عليهم. وبعث عيسى بإبراءِ الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله في زمنِ الغالبُ على أهله الطب فأتاهم بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله فقهرهم وبَهَرهم. وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالقرآن

(١) سورة المؤمن، الآية(٨٤-٨٥).

والسيف في زمنِ الغالبُ على أهله الشعرُ والسيف فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرَهم وبهر به سيفَهم وأثبت الحجةَ عليهم».

٧٥٠٥ـ روى شيخنا الصدوق «قدس سره» في «ما لا يحضره الفقيه» بسنده عن عليّ بنِ حمزة أنه قال: رأيتُ أبا الحسن الثالث عليه السلام يعمل في أرضٍ وقد استنقعت قدماه في العَرَق، فقلت له: جُعلت فِداك أين الرجال؟ فقال عليه السلام: «يا عليّ عمِل بالمسحاة من هو خيرٌ منّي ومن أبي في أرضه» فقلت له: من هو؟ فقال: «رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأميرُ المؤمنين عليه السلام، وآبائي كلُّهم عملوا بأيديهم، وهو عملُ النبيّين والمرسلين والأوصياءِ الصالحين».

٧٥٠٦ـ جاء في كتاب «تحف العقول» عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال في صفة الباري عزّ وجل: «إنّ اللّهَ لا يوصف إلا بما وصف به نفسَه، وأنّى يوصَف الذي تعجَز الحواسُ أن تُدرِكَه، والأوهامُ أن تنالَه، والخطراتُ أن تحُدَّه، والأبصارُ عن الإحاطة به، نأىٰ في قُربه، وقرُب في نأيه، كيّف الكيفَ بغير أنْ يُقال كيف، وأيّن الأينَ بغير أن يُقالَ أين، هو منقطعُ الكيفيّة والأينيّة، الواحدُ الأحدُ، جلَّ جلالُه وتقدّست أسماؤه».

٧٥٠٧ـ قال الإمام الهادي عليه السلام: «ما ترك الحقَّ عزيزٌ إلا ذلّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلا عزّ». وقال عليه السلام: «من الفوارق التي تقصِم الظهرَ جارٌ إنْ رأىٰ حسنةً أخفاها، وإن رأىٰ سيئةً أفشاها». وقال عليه السلام: «قلبُ الأحمق في فمه، وفمُ الحكيم في قلبه». وقال عليه السلام: «مَن وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظهُ علانيةً فقد شانه». وقال عليه السلام: «مَن أطاع

الخالقَ لم يبالِ بسخط المخلوقين». وقال عليه السلام: «خيرٌ من الخير فاعلُه، وأجملُ من الجميل قائلُه، وشرٌّ من الشر جالبُه، وأهولُ من الهوْل راكبُه». وقال عليه السلام: «من رضيَ عن نفسه كثُر الساخطون عليه». وقال عليه السلام: «الدنيا سوق ربِح فيها قومٌ وخسِر آخرون». وقال عليه السلام: «الناسُ في الدنيا بالأموال، وفي الآخرة بالأعمال». وقال عليه السلام: «من هانت عليه نفسُه فلا تأمنْ شرَّه». وقال عليه السلام: «اتقوا فِراسةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله». وقال عليه السلام: «السهرُ يَزيد في لَذّة المنام، والجوعُ يَزيد في طيب الطعام». وقال عليه السلام: «مَن جمع لك وِدّه ورأيَه فاجمعْ له طاعتَك». وقال عليه السلام: «إذا كان زمانُ العدلُ فيه أغلبُ من الجور فحرامٌ أن يظنَّ أحدٌ بأحدٍ سوءاً حتى يعلمَ ذلك منه، وإذا كان زمانُ الجورُ فيه أغلبُ من العدل فليس لأحدٍ أن يظنَّ بأحدٍ خيراً ما لم يعلمْ ذلك منه».

٧٥٠٨ـ روى الراوندي في «الخرائج» عن أبي هاشم الجعفري أنّه قال: لمّا مضى أبو الحسن الهادي عليه السلام اشتغل ابنُه أبو محمّد العسكري عليه السلام بغُسله وشأنه، وأسرع بعض الخدم إلى أشياء احتملوها من ثيابٍ ودراهمَ وغيرِها، فلمّا فرغ أبو محمّد عليه السلام من شأنه صار إلى مجلسه فجلس، ثم دعا أولئك الخدم فقال: «إنْ صدَقْتموني فيما اسألكم عنه فأنتم آمنون من عقوبتي، وإنْ أصررتُمْ على الجحود دَلَلْتُ على ما أخذه كلُّ واحدٍ منكم وعاقبتكم عند ذلك بما تستحقّونه مني» ثم قال عليه السلام: يا فلان أخذتَ كذا وكذا، ويا فلان أخذتَ كذا وكذا.. ثم ذكر لكلّ واحدٍ منهم ما أخذه، فقالوا جميعاً: نعم قد أخذنا ذلك كلَّه، فقال عليه السلام: «رُدّوه»، فرَدّوا جميعَ ما أخذوه. فعفا عنهم ولم يعاقبْهم.

٧٥٠٩- روي عن محمد بن عليّ العباسي أنّه قال: قعدتُ لأبي محمد العسكريعليه السلام على ظهر الطريق فلمّا مرّ بي شكوتُ إليه الحاجة وحلفتُ له أنّه ليس عندي درهم فما فوقه، وليس عندي غَداء ولا عَشاء، فقالعليه السلام: «تحلِف بالله كاذباً وقد دفنتَ مائتي دينار، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطِيّة، أعطه يا غلام ما معك»، فأعطاني غلامُه مائةَ دينار.

٧٥١٠- روي: إنّ جماعةً من العباسيّين دخلوا على صالح بن وصيف بعد أن حبُس عنده الإمامُ الحسنُ العسكريعليه السلام فقالوا له: ضيّقْ عليه ولا توسّعْ، فقال لهم: ما اصنع به وقد وكّلْتُ به رجلَيْنِ هما شرُّ من قدرتُ عليه، وقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمرٍ عظيم. ثم أمر بإحضارهما فقال لهما أمام من حضر من العباسيّين: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ فقالا له: ما تقول في رجلٍ يصوم نهارَه ويقوم ليلَه كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصُنا، وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا. فلمّا سمِع ذلك العباسيّون انصرفوا خاسئين.

٧٥١١- روي: إنّ المطرَ حُبس بسُرَّ مَن رأىٰ أيّامَ المعتمِد العباسي حتى أصاب الناسَ قحطٌ شديد. فأمر الخليفةُ بالخروج للاستسقاء ثلاثةَ أيّام فلم يُسقَوْا. فخرج النصارىٰ ومعهم راهبُهم. فمدّ الراهبُ يدَه إلى السماء فإذا بالغيوم تتجمّع وتهطِل الأمطار، وخرجوا في اليوم الثاني وفعل الراهب كما فعل في اليوم الأوّل فهطلت الأمطار، فشكّ المسلمون في دينهم، ووقعت الفتنة بين الناس، وارتدّ بعضُهم عن الإسلام، فعظُم الأمرُ على الخليفة وأمر بإحضار الإمام

العسكري عليه السلام وقال له: أدرِكْ أمّةَ جدِّك قبل أن يهلكوا. فقال الإمام عليه السلام: «أطلِقْ أصحابي من السجن وأنا أزيل الشكَّ إن شاء الله».
فخرج الإمام عليه السلام إلى الاستسقاء ومعه خلقٌ عظيم ومنهم المعتمِد، وخرج النصارىٰ ورفع الراهبُ يدَه إلى السماء فتجمّعت الغيوم فقبض الإمامُ عليه السلام على يده فإذا فيها عظْمُ آدميّ فأخذه من يده وقال له: «استسقِ الآن». فرفع الراهبُ يدَه للدعاء فزالتِ الغيومُ من السماء وطلعتِ الشمس، فتعجّب الناسُ من ذلك. فقال الخليفة: ما هذا يا ابنَ رسول الله؟ قال عليه السلام: «هذا عظمُ نبيٍّ ظفَر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كُشف عن عظم نبيٍّ إلى السماء إلا هطلت بالمطر».
فامتحنوا ذلك العظم فكان الأمر كما قال، وزالت الشبهةُ عن القلوب.
واستسقى الإمام عليه السلام ـ بغير ذلك العظم ـ فهطلت الأمطار الغزيرة، ورجَع الإمامُ والمسلمون فرحين ظافرين، ورجَع الراهبُ والنصارىٰ مخذولين خائبين.

٧٥١٢ـ ذكر ابن شهرآشوب في «المناقب»: إنّ إسحاقَ الكِندي فيلسوفَ العراق في زمانه أخذ في تأليف «تناقض القرآن!!» ـ على حدِّ زعمه ـ وشغل نفسَه بذلك، وإنّ بعضَ تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام فقال له الإمام: «أمَا فيكم رجلٌ رشيد يردع أستاذَكم الكِندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟» فقال الرجل: نحن من تلامذته فكيف يجوز لنا الاعتراضُ عليه في هذا وفي غيره؟ فقال عليه السلام: «أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «فصِرْ إليه وتلطَّفْ في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعتِ الأُنسة في ذلك فقلْ: قد حضرتني مسألةٌ أسألك عنها، ثم قلْ: إنّ هذا المتكلم بالقرآن هل يجوز أن يكونَ مرادَه بما تكلّم به غيرَ المعاني التي

قد ظننتَ أنك ذهبتَ إليها؟ فإنّه سيقول لك: إنّه من الجائز، لأنّه رجل يفهم، فقلْ له: فما يدريك لعلّه قد أراد غيرَ الذي ذهبتَ أنتَ إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه». فذهب الرجل إلى الكِنديّ وتلطّف معه إلى أن ألقىٰ عليه هذه المسألة، فقال له: أعِدْ عليّ، فأعاد عليه، ففكّر الكِنديّ في نفسه ورأىٰ ذلك محتَمَلاً في اللغة وسائغاً في النظر، فقال لتلميذه: أقسمتُ عليك إلا أخبرتَني من أين لك هذا؟ فقال: إنّه شيءٌ عرض بقلبي فأوردتُه عليك، فقال: كلّا ما مثلك من اهتدىٰ إلى هذا ولا مَن بلغ هذه المنزلة، فعرِّفْني من أين لك هذا؟ فقال الرجل: أمرني به أبو محمد العسكري عليه السلام، فقال: «الآن جئتَ به، وما كان ليخرجَ مثلُ هذا إلا من ذلك البيت». ثم إنّه دعا بالنار وأحرق جميعَ ما كتبه في هذا الموضوع.

٧٥١٣- روي عن جعفر بن محمّد بن حمزة العلوي أنه قال: كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: لِمَ فرض اللّٰهُ الصوم؟ فكتب إليّ: «فرض اللّٰهُ الصومَ ليجِدَ الغنيُّ مسَّ الجوع فيحنو على الفقير».

٧٥١٤- روي: إنّ الفهفكيّ سأل الإمامَ العسكريَّ عليه السلام: ما بالُ المرأةِ المسكينةِ الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمَيْن؟ فقال عليه السلام: «لأنّ المرأةَ ليس عليها جهادٌ ولا نفقةٌ ولا مَعْقُلَةٌ[1]، وإنما ذلك على الرجل».

٧٥١٥- روي: إنّ جماعةً من وجوه الناس حضروا مجلسَ أحمد بنِ عبيد الله بن خاقان وهو عامل السلطان يومئذٍ على الخراج

---

(١) المَعْقُلة: الديَة.

والضياع بقم، وكان شديدَ الانحراف عن أهل البيتعليهم السلام فجرى في مجلسه ذكرُ المقيمين من آل أبي طالب بسُرّ مَن رأىٰ فقال: «ما رأيتُ ولا أعرِف بسُرّ مَن رأى رجلاً من العلويّة مثلَ الحسن بنِ عليّ بن محمد بن علي الرضا في هدْيه وسكونه وعفافه ونُبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وبني هاشم كافّة وتقديمِهم إيّاه على ذوي السِنّ منهم والخطَر، وكذلك حالُه عند القوّاد والوزراء والكتّاب وعامةِ الناس. وكنتُ يوماً قائماً على رأس أبي، وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل حُجّابُه فقالوا: أبو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوتٍ عالٍ: ائذنوا له، فتعجبتُ منه ومنهم من جسارتهم أن يكنُوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يُكنّى عنده إلا خليفةٌ أو وليُّ عهدٍ أو مَن أمر السلطانُ أن يُكنّى، فدخل رجلٌ أسمر أعْيَن حسَنُ القامة جميلُ الوجه جيّدُ البدن حديثُ السّنّ له جلالةٌ وهيأه حسنة فلمّا نظر إليه أبي قام فمشىٰ إليه خطوات، ولا أعلمُه فعل هذا بأحدٍ من بني هاشم والقوّاد وأولياء العهد. فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهَه وصدرَه ومنكبيه، وأخذ بيده وأجلسه على مُصلاّه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويُفدّيه بنفسه وأبويه، وأنا متعجّبٌ مما أرىٰ منه. فلمّا قام قام أبي وعانقه ومضىٰ، فقلت لحُجّاب أبي وغِلمانه: ويحكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علويّ يُقال له الحسن بن علي يُعرف بابن الرضا فازددت تعجُباً. ولم أزلْ يومي ذلك قلِقاً متفكِّراً في أمره وأمر أبي وما رأيتُه منه حتى كان الليل، وكانت عادتُه أن يصلّيَ العتَمَة ـ أي العِشاء ـ ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه، فلمّا صلّى وجلس جئت فجلستُ بين يديْه فقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم فإن أذِنتَ سألتُكَ عنها، قال: قد أذِنت، قلتُ: من الرجل الذي

رأيتُك بالغداةِ فعلتَ به ما فعلتَ من الإجلال والكرامة وفديتَه بنفسك وأبويْك؟ فقال: يا بُني هذا إمام الرافضة الحسنُ بنُ علي المعروف بابن الرضا. وسكت ساعةً ثم قال: لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقّها أحدٌ من بني هاشم غيرُه لفضله وعَفافه وصيانته وزهده وعبادته وجميلِ أخلاقه وصلاحه. ولو رأيتَ أباه رأيتَ رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً. فازددتُ قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي وما سمِعتُه منه فيه ورأيتُه من فعله به. فلم تكن لي همةٌ بعد ذلك إلا السؤالَ عن خبره والبحثَ عن أمره، فما سألتُ أحداً من بني هاشم والقوّاد والكُتّاب والقضاة والفقهاء وسائرِ الناس إلا وجدتُه عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحلِ الرفيع والقولِ الجميلِ والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظُم قدْرُه عندي إذ لم أرَ له وليّاً ولا عدوّاً إلا وهو يُحسِن القولَ فيه والثناءَ عليه».

٧٥١٦ـ قال الإمام العسكري عليه السلام: «الفقر معنا خيرٌ من الغنىٰ مع عدوّنا». وقال عليه السلام: «الإلحاحُ في الطلب يسلُب البهاء، ويورث التعبَ والعناء». وقال عليه السلام: «نحن كهفٌ لِمن التجأ إلينا، ونورٌ لِمن استضاء بنا، وعِصمةٌ لِمن اعتصم بنا، مَن أحبّنا كان معنا في السّنام الأعلىٰ، ومن انحرف عنّا فإلى النار». وقال عليه السلام: «ليست العبادةُ كثرةَ الصيام والصلاة، وإنّما العبادةُ كثرةُ التفكّر في أمر الله». وقال عليه السلام: «جُرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العُقوق في كِبره». وقال عليه السلام: «حسنُ الصورة جمالُ الظاهر، وحسنُ العقل جمالُ الباطن». وقال عليه السلام: «من أنِس بالله استوحش من الناس». وقال عليه السلام: «من ركِب ظهرَ الباطل نزل به دارَ الندامة». وقال عليه السلام: «إن للجود مقداراً فإذا زاد عليه فهو سرف، وإن للحزم مقداراً فإذا زاد عليه فهو

جُبْن، وإن للاقتصاد مقداراً فإذا زاد عليه فهو بُخل، وإن للشجاعة مقداراً فإذا زاد عليه فهو تَهوّر». وقال عليه السلام: «مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه».

٧٥١٧ـ **روي**: إنّ الإمامَ الحسنَ العسكري عليه السلام لما توفّي ووُضع نعشُه للصلاة عليه تقدّم أخوه جعفرُ بنُ عليّ فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيٌ بوجهه سُمرة، وبشَعره قَطَط[1]، وبأسنانه تفليج[2]، فجذب رِداءَ جعفر وقال: تأخّرْ يا عم فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي، فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهُه، فتقدّم الصبيُ فصلّى عليه، ودُفن إلى جانب قبر أبيه صلوات الله عليهم أجمعين.

٧٥١٨ـ روي عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال: جاء جعفرُ بنُ عليّ ـ بعد وفاة أخيه الحسنِ العسكريّ ـ إلى أبي وقال له: اجعلْ لي مرتَبَةَ أبي وأخي وأوصل لك في كلّ سنةٍ عشرين ألف دينار، فزبَره أبي وأسمعه ما يكره وقال له: يا أحمق إنّ السلطانَ جرّد سيفَه وسوطَه في الذين زعَموا أنّ أباك وأخاك أئمةٌ ليردَّهم عن ذلك فلم يقدِرْ عليه، وجهِد أن يزيلَ أباكَ وأخاكَ عن تلك المرتَبَة فلم يتهيّأ له ذلك. فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجةَ بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهما ولا غيرِ سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلْها. وقد استقلّه أبي واستصغره ولم يأذَنْ له بالدخول عليه.

٧٥١٩ـ المشهور في ولادة إمامنا المهدي المنتظر «عجل الله

---

(١) قطط: تجعيد.

(٢) تفليج: انفراج.

فرجه» أنها كانت في سنة ٢٥٥هـ، والمشهور في وفاة إمامنا الحسن العسكري عليه السلام أنها كانت في سنة ٢٦٠هـ، فيكون عمرُ المهدي عليه السلام عند وفاة أبيه خمسَ سنوات. ودامت غيبتُه الصغرىٰ سبعين سنة تقريباً ـ وهي مدّةُ سفارة السفراء الأربعة ـ، فيكون عمرُه الشريف عند ابتداء الغيبة الكبرىٰ خمساً وسبعين سنة تقريباً.

٧٥٢٠ـ جاء في كتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي بسنده عن ابن عباس«رض» في قوله تعالىٰ من سورة البقرة، الآية(١٤٨): ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قال: إنّها نزلت في أصحاب القائم عليه السلام يجمعهم الله في يومٍ واحد. وروي مثل ذلك عن الإمامَينِ الباقر والصادق عليهما السلام. وروي في «البحار» عن الإمام موسى بنِ جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة قولُه: «لو قد قام قائمُنا يجمع اللّهُ إليه شيعتَنا من جميع البلدان».

٧٥٢١ـ جاء في كتاب «ينابيع المودة» للشيخ سليمان الحنفي بسنده عن رفاعة بنِ موسى قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول في قوله تعالىٰ من سورة آل عمران، الآية(٨٣): ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: «إذا قام القائم المهدي لا تبقىٰ أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إلّه إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله».

٧٥٢٢ـ جاء في كتاب «ينابيع المودة» بسنده عن محمد بنِ مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ من سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: إنّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقىٰ يهوديٌّ ولا غيرُه إلا آمنوا به قبل موته، ويصلّي عيسى خلف المهديّ».

وروى المجلسي في «البحار» عن شهر بنِ حوشب قال: قال لي الحجّاج: يا شهر آيةٌ في كتاب الله أعيتني، فقلت: أيها الأمير أيّةُ آيةٍ هي؟ فقال: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ واللّٰهِ إني لآمرّ باليهودي والنصراني لتضرب عنقه، ثم أرمُقه بعيني فما أراه يحرّك شفتيْه حتى يُحمل. فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأوّلت، قال: كيف؟ قلتُ: إنّ عيسى ينزِل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقىٰ يهوديٌّ ولا غيرُه إلا آمن به قبلِ موته ويصلي خلفَ المهدي. قال: ويحك أنّى لك هذا ومن أين جئتَ به؟ فقلتُ: حدثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عليّ بنِ أبي طالب، فقال: جئتَ واللّٰهِ بها من عينٍ صافية.

٧٥٢٣ـ جاء في كتاب «البحار» بسنده عن ابن عباس في قوله تعالىٰ من سورة التوبة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: «لا يكون ذلك حتى لا يبقىٰ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا صاحبُ مِلّة إلا دخل في الإسلام. وحتى توضعَ الجِزية، ويُكسرَ الصليب، ويُقتلَ الخِنزير، ويكون ذلك عند قيام القائم».

وفي «ينابيع المودة» بسنده عن أبي بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة قولُه: «واللّٰهِ ما يجيء تأويلُها حتى يخرجَ القائمُ المهدي عليه السلام فإذا خرج لم يبق مشركٌ إلا كرِه خروجَه، ولا يبقىٰ كافرٌ إلا قُتل، حتى لو كان كافرٌ في بطن صخرة قالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسِرْني واقتلْه».

٧٥٢٤ـ جاء في كتاب «البحار» بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام

في قوله تعالىٰ من سورة هود، الآية(٨): ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ قال: «الأُمَّةُ المعدودة أصحاب القائم الثلثمائة والبضعة عشر».

وفي «ينابيع المودة» بسنده عن الإمامَيْنِ الباقر والصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية الكريمة قولُهما: «إنّ الأُمّةَ المعدودةَ هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعِدّة أهل بدر يجتمعون في ساعةٍ واحدةٍ كما يجتمع قَزَعُ الخريف»[1].

٧٥٢٥ـ جاء في كتاب «ينابيع المودة» بسنده عن الإمامَيْنِ الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالىٰ من سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ قولُهما: «هم القائمُ وأصحابُه».

٧٥٢٦ـ جاء في كتاب «ينابيع المودة» بسنده عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ من سورة الحج: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ قال: «هذه الآية نزلت في المهديّ وأصحابه يُملِّكُهم اللّهُ مشارقَ الأرض ومغاربَها، ويُظهِرُ اللّهُ بهم الدين حتى لا يُرىٰ أثرٌ من الظلم والبدع».

وفي «البحار» و«إلزام الناصب» عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال في تفسير هذه الآية الكريمة: «هذه الآية لآل محمد صلى الله عليهم إلى آخر الأئمة، وفي المهدي وأصحابه يُملِّكُهم اللّهُ مشارقَ الأرض

---

(١) قَزَع الخريف: قطع من السحب المتفرقة.

ومغاربَها، ويُظهر الدين، ويميت اللّهُ به وبأصحابه البدعَ والباطل، كما أمات السفهاءُ الحق، حتى لا يُرىٰ أثرٌ من الظلم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر».

٧٥٢٧ـ جاء في كتابي «البحار» للمجلسي و«الغيبة» للطوسي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالىٰ من سورة القصص: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ قولُه: «هم آل محمد يبعث اللّهُ مهديَّهم بعد جهدهم، فيُعزّهم ويُذِلّ عدوَّهم». والآيةُ الكريمة وإن جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل ولكنها تجري وتنطبق على آل محمد عليهم السلام.

٧٥٢٨ـ جاء في كتاب «المحجّة» للسيد هاشم البحراني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ من سورة البقرة، الآية(٣): ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قولُه: «من آمن بقيام القائم أنّه الحق».

٧٥٢٩ـ ذكر بعض المحقّقين: إنّ الأحاديث التي وردت في كتب أهل السُنة ومن طُرقهم في الحجّة المهديّ عليه السلام تَزيد على «١٥٠» حديثاً. وإنّ الأحاديث التي وردت في كتب الشيعة ومن طرقهم تَزيد على «١٠٠٠» حديث.

٧٥٣٠ـ ألّف عددٌ كبيرٌ من علماء المسلمين ـ من الشيعة والسنّة ـ كتباً خاصّةً في المهديّ المنتظر عليه السلام، نذكر هنا بعضَ الكتب التي ألّفها علماءُ السُنة في هذا الموضوع:

١ـ «أحوال صاحب الزمان» لسعد الدين الحموي.

٢ـ «أخبار المهديّ» لعباد بن يعقوب الرواجني.

٣ـ «البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجي الشافعي.

٤ـ «البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان» للمتقي الهندي.

٥ـ «تلخيص البيان في أخبار مهديّ آخر الزمان» للمتقي الهندي.

٦ـ «تحديق النظر في أخبار المهديّ المنتظر» لابن مانع.

٧ـ «تلخيص البيان في أخبار مهديّ آخر الزمان» لابن كمال الحنفي.

٨ـ «التوضيح في تواتر ما جاء في المهديّ المنتظر والدجّال والمسيح» للشوكاني.

٩ـ «جمع الأحاديث الواردة في المهديّ» لأبي بكر بن خيثمة.

١٠ـ «المشرب الوردي في أخبار المهديّ» للقاري الحنفي.

١١ـ «الردّ على من حكم وقضىٰ أنَّ المهديَّ الموعود جاء ومضىٰ» للقاري الحنفي.

١٢ـ «علامات المهديّ» لجلال الدين السيوطي الشافعي.

١٣ـ «العَرْفُ الورديّ في أخبار المهديّ» لجلال الدين السيوطي الشافعي.

١٤ـ «العِطر الورديّ في شرح القَطْر الشهديّ في أوصاف المهديّ» للبلبيسي.

١٥ـ «عِقْد الدرر في أخبار المهديّ المنتظر» للمقدسي الشافعي.

١٦- «فوائد الفِكَر في المهديّ المنتظر» للمقدسي الحنبلي.

١٧- «القول المختصر في علامات المهديّ المنتظر» لابن حجر الهيثمي.

١٨- «المهديّ» للسجستاني.

١٩- «المهديّ» لابن القيّم الجوزية.

٢٠- «المُهْدي إلى ما ورد في المهدي» لمحمد بن طولون.

أمّا ما ألّفه علماءُ الشيعة في هذا الموضوع فهو كثيرٌ جدّاً يصعُب على الباحث إحصاؤه واستقصاؤه.

٧٥٣١- جاء في كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لن تنقضي الأيامُ والليالي حتى يبعثَ اللّهُ رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسْمُه اسْمي، يملأُها عدلاً وقسطاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً».

٧٥٣٢- قال الصبّان في كتابه «إسعاف الراغبين»: أخرج أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث اللّهُ فيه رجلاً من أهل بيتي يملأُها عدلاً، كما ملئت جوراً».

٧٥٣٣- روى الخوارزمي في مقتله بسنده عن سلمان الفارسي «رض» قال: دخلت على النبيّ ﷺ والحسين عليه السلام على فخذه وهو يقبّل عينيْه ويلثِم فاه ويقول: «إنك سيّد ابن سيّد أبو سادة، إنك إمام ابن إمام أبو أئمة، إنك حُجّة ابن حُجّة أبو حُجج تسعةٍ من صُلْبك، تاسعُهم قائمُهم».

٧٥٣٤ـ روى ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» بسنده عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يخرج في آخر الزمان رجلٌ من ولدي اسمه كاسْمي، وكنيته ككنيتي، يملأ الأرضَ عدلاً، كما مُلِئت جوراً، فذلك هو المهديّ».

٧٥٣٥ـ جاء في كتاب «الفتاوى الحديثة» لابن حجر الهيثمي بسنده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبَنّ القائمُ من ولدي بعهدٍ معهودٍ إليه منّي حتى يقولَ أكثرُ الناس: ما للّه في آل محمدٍ حاجة، ويشكُّ آخرون في ولادته. فمن أدركَ زمانَه فليتمسّكْ بدينه، ولا يجعلْ للشيطان إليه سبيلاً بشكّه فيُزيلُه عن مِلّتي، ويخرجُه عن ديني، فقد أخرج أبوكم من الجنة من قبل. وإنّ اللّهَ عزّ وجل جعل الشياطينَ أولياءَ للذين لا يؤمنون».

٧٥٣٦ـ جاء في كتاب «المستدرك» للحاكم بسنده عن النبيّ ﷺ أنه قال: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاءٌ من سلطانهم لم يُسمعْ بلاءٌ أشدُّ منه حتى تضيقَ عليهم الأرض الرحبة، وحتى تُملأَ الأرضُ جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجىء إليه من الظلم، فيبعث الله عزّ وجل رجلاً من أهل بيتي فيملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وجوراً، يرضىٰ عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض، لا تدّخر الأرضُ من بَذْرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماءُ من قَطْرها شيئاً إلا صبّه الله عليهم مدراراً، يعيش فيهم سبعَ سنين أو ثمانٍ أو تسعٍ».

٧٥٣٧ـ جاء في كتاب «ينابيع المودّة» للشيخ سليمان الحنفي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ويح هذه الأُمّة من ملوكٍ جبابرة كيف يقتلون ويطردون المسلمين إلا من أظهر

طاعتَهم، فالمؤمن التقيّ يصانعهم بلسانه ويفرّ منهم بقلبه، فإذا أراد اللّهُ تبارك وتعالى أن يُعيد الإسلامَ عزيزاً قصم كلَّ جبّار عنيد وهو القادرُ على ما يشاء، وأصلح الأمّةَ بعد فسادها. يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملِكَ رجلٌ من أهل بيتي يُظهر الإسلام ولا يُخلف وعدَه وهو على وعده قدير».

٧٥٣٨ـ جاء في كتاب «إكمال الدين» للشيخ الصدوق بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده الحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائمُ بالحق، والمظهرُ للدين، والباسطُ للعدل» فقال الحسين عليه السلام: «وإنّ ذلك لكائن؟» قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أي والذي بعث محمداً بالنبوّة، واصطفاه على جميع البريّة، ولكن بعد غيبةٍ وحَيْرةٍ لا يثبُت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ اللّهُ ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيّدهم بروحٍ منه».

٧٥٣٩ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «المهديُّ من ولدي اسمُه اسْمي، وكنيتُه كنيتي، أشبه الناس بي خَلْقاً وخُلُقاً، تكون له غيبةٌ وحَيْرة حتى تضِلَّ الخلقُ عن أديانهم، فعند ذلك يُقبِلُ كالشِهاب الثاقب فيملأُها قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً». ورواه أيضاً الشيخ سليمان الحنفي في كتابه «ينابيع المودّة».

٧٥٤٠ـ جاء في كتاب «أعيان الشيعة» للسيد الأمين بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «للقائم منّا غيبة، أمَدها طويل، كأنّي بالشيعة يجولون جَوَلان النَعَم في غيبته، يطلبون المرعى فلا يجدونه،

ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقْسُ قلبه لطولِ أمَد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة».

٧٥٤١ـ جاء في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجي الشافعي بسنده عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ عليَّ بن أبي طالب إمامُ أمتي، وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائمُ المنتظر الذي يملأ اللّهُ به الأرضَ عدلاً وقسطاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزُّ من الكِبريت الأحمر» فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يا رسولَ الله وللقائم من ولدك غيبة؟ فقال ﷺ: «إي وربّي وليُمَحِّصَنَّ اللّهُ الذين آمنوا ويَمحقَ الكافرين، يا جابر إنّ هذا الأمر سِرٌّ من سِرّ الله مطويٌّ عن عباد الله، فإيّاك والشكَّ فيه فإنّ الشكَّ في أمر الله كفر».

٧٥٤٢ـ جاء في كتاب «البحار» للمجلسي بسنده عن النبيّ ﷺ أنه قال: «منّا مهديُّ هذه الأمّة، إذا صارت الدنيا هرَجاً ومرَجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطعت السُّبُل، وأغار بعضُهم على بعض، فلا كبيرٌ يرحم صغيراً، ولا صغيرٌ يوقّر كبيراً، فيبعث اللّهُ عند ذلك مهديّنا التاسعَ من صُلب الحسين عليه السلام، يفتح حصونَ الضلالة وقلوباً غُلْفاً. يقوم في الدين في آخر الزمان كما قُمتُ به في أوّل الزمان، فيملأ الأرضَ عدلاً كما مُلئتْ جوراً».

٧٥٤٣ـ جاء في كتاب «البحار» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ دولَتنا آخرُ الدول، ولن يبقى أهلُ بيتٍ لهم دولة إلا ملكوا قبلَنا لئلاّ يقولوا إذا رأوا سيرتَنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو

قول الله عزّ وجل: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وجاء فيه أيضاً عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنفٌ من الناس إلا وُلّوا على الناس حتى لا يقولوا: إنّا لو وُلّينا لعدَلْنا، ثم يقوم القائمُ بالحق والعدل».

٧٥٤٤ـ جاء في كتاب «سنن المصطفى» لابن ماجه القزويني بسنده عن ابن عباس قال: بينما نحن عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) إذْ أقبل فِتيةٌ من بني هاشم فلمّا رآهم رسولُ الله(صلى الله عليه وآله) اغرورقت عيناه وتغيّر لونُه، فقلتُ: ما نزال نرىٰ في وجهك شيئاً نكرهه، فقال(صلى الله عليه وآله): «إنّا أهلُ بيتٍ اختار اللّهُ لنا الآخرةَ على الدنيا، وإنّ أهلَ بيتي سيلقَوْن بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتيَ قومٌ من قِبَلِ المشرق معهم راياتٌ سود فيسألون الخيرَ فلا يُعطونَه، فيقاتلون فيُنصَرون فيُعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهل بيتي فيملأُها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك الزمان فليأتهم ولو حَبْواً على الثلج».

٧٥٤٥ـ جاء في كتاب «كفاية الأثر» لأبي القاسم الرازي بسنده عن يونس بنِ عبد الرحمن قال: دخلتُ على موسى بنِ جعفر(عليه السلام) فقلتُ: يا ابن رسول الله أنت القائمُ بالحق؟ فقال: «أنا القائمُ بالحق، ولكنّ القائمُ الذي يُطهّر الأرضَ من أعداء الله، ويملأُها عدلاً كما مُلِئت جوراً هو الخامسَ من ولدي، له غيبةٌ يطول أمَدُها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوامٌ ويثبُت فيها آخَرون» ثم قال: «طوبىٰ لشيعتنا المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءةِ من أعدائنا، أولئك

---

(١) سورتا الأعراف، الآية(١٢٨).

منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمّةً ورضينا بهم شيعة، فطوبىٰ لهم ثم طوبىٰ لهم، هم واللّٰهِ معنا في درجاتنا يوم القيامة». ورواه الصدوق أيضاً في «كمال الدين».

٧٥٤٦ـ جاء في كتاب «كفاية الأثر» وكتاب «كمال الدين» وكتاب «ينابيع المودة» بسندهم عن الحسين بن خالد أنّه قال: قال عليُّ بنُ موسى الرضا عليه السلام: «لا دينَ لمن لا ورع له، ولا إيمانَ لمن لا تقيّةَ له، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] يعني أعملكم بالتقيّة» فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متىٰ؟ فقال عليه السلام: «إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقيّةَ قبل خروج قائمنا فليس منّا» قيل: يا ابن رسول الله ومَن القائم منكم أهلَ البيت؟ قال: «الرابعُ من ولدي، ابنُ سيدة الإماء يطهّرُ اللّٰهُ تعالىٰ به الأرضَ من كلّ جور، ويقدّسُها من كلّ ظلم. وهو الذي يشكّ الناس في ولادته. وهو صاحبُ الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرضُ بنوره، ووضع ميزانَ العدل بين الناس فلا يظلِم أحدٌ أحداً. وهو الذي تُطوىٰ له الأرض ولا يكون له ظلّ. وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميعَ أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا إنّ حجّةَ الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه، فإنّ الحقَّ معه وفيه، وهو قولُ الله عزّ وجل: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝٤﴾[2] وقولُ الله عزّ وجل: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢﴾[3] أي خروج ولدي القائم المهدي».

---

(١) سورة الحجرات، الآية(١٣).

(٢) سورة الشعراء، الآية(٤).

(٣) سورة ق، الآية(٤٢).

٧٥٤٧ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن أبي الصلت قال: قلتُ للرضاعليه السلام: أنت صاحب الأمر؟ فقالعليه السلام: «أنا صاحب الأمر، ولكني لست بالذي أملأُها عدلاً كما مُلِئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ما ترىٰ من ضعف بدني، ولكنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ ومنظر الشباب، قويٌّ في بدنه حتى لو مدّ يدَه إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدت صخورُها. يكون معه عصا موسىٰ وخاتمُ سليمانعليه السلام. وذاك الرابع من ولدي، يغيّبه اللّهُ في ستره ما شاء الله ثم يظهر فيملأُ به الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئت جوراً وظلماً».

٧٥٤٨ـ جاء في كتاب «البحار» بسند عن ميمون الصايغ عن الإمام الصادقعليه السلام قال في حديثٍ طويل: «وسيأتي زمانٌ تكون بلدةُ «قم» وأهلُها حُجّةً على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره، ولولا ذلك لساخت الأرضُ بأهلها، وإنّ الملائكةَ لتدفع البلايا عن «قم» وأهلِها، وما قصدهم جبّارٌ بسوء إلا قصمه قاصمُ الجبّارين، وشغله عنه بداهيةٍ أو مصيبةٍ أو عدوّ، ويُنسي اللّهُ الجبّارين في دولتهم ذكرَ «قم» وأهلِها كما نَسُوا ذكرَ الله».

٧٥٤٩ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن أبي خالد الكابلي أنّه قال: دخلتُ على سيّدي عليِّ بنِ الحسين زينِ العابدينعليه السلام فقلتُ له: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله عزّ وجل طاعتَهم ومودّتهم، وأوجب على عباده الاقتداءَ بهم بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقالعليه السلام: «يا كابلي إنّ أولي الأمر الذين جعلهم اللّهُ أئمّةً للناس وأوجب عليهم طاعتَهم: أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب،

ثم الحسنُ ثم الحسينُ ابنا عليِّ بنِ أبي طالب، ثم انتهى الأمرُ إلينا» ثم سكت، فقلت: يا سيدي روي لنا أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الأرضَ لا تخلو من حُجّةٍ لله على عباده» فمن الحجّةُ والإمامُ بعدك؟ فقال عليه السلام: «ابني محمّد واسْمُه في التوراة باقر يبقُر العلمَ بقراً، هو الحُجّةُ والإمامُ بعدي، ومن بعد محمّد ابنُه جعفر واسْمُه عند أهل السماء الصادق» قلت: يا سيدي فكيف صار اسمُه الصادق وكلّكم صادقون؟ فقال عليه السلام: «حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالب فسَمُّوه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يَدّعي الإمامةَ اجتراءً على الله عزّ وجل وكذباً عليه فهو عند الله جعفرُ الكذّاب المفتري على الله والمدّعِي ما ليس له بأهل، المخالفُ على أبيه، والحاسدُ لأخيه، ذلك الذي يروم كشفَ سرّ الله عند غيبة ولي الله عزّ وجل» ثم بكىٰ عليُّ بنُ الحسين عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: «كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمَل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله والمغيَّبِ في حفظ الله والموكَّل بحرم أبيه، جهلاً منه بولادته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، وطمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذَه بغير حقّه»، فقلتُ: يا ابن رسول الله وإنّ ذلك لكائن؟ قال: «أي وربي إنّه لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المِحَن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»، فقلتُ: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال عليه السلام: «ثم تمتدّ الغيبة بوليّ الله عزّ وجل الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمةِ بعده. يا أبا خالد إنّ أهلَ زمان غيبته القائلين بإمامته، والمنتظِرين لظهوره، أفضلُ من أهل كلّ زمان، لأنّ الله تبارك وتعالىٰ أعطاهم من العقول والأفهام ما صارت به الغيبةُ عندهم بمنزلة

المشاهَدَة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتُنا صدقاً، والدعاةُ إلى دينِ الله عزّ وجل سِرّاً وجهراً». ورواه أيضاً الطبرسي في «الاحتجاج».

٧٥٥٠ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن إسحاق بن يعقوب الكليني أنّه كتب إلى الحجّة عليه السلام كتاباً بواسطة نائبه الثاني محمد بن عثمان العمري يسأله فيها عن أشياء، فجاء الجوابِ من الإمام عليه السلام بواسطة النائب«رض» يقول فيه: «أمّا عِلْمُ ما وقع من الغيبة فإنَّ اللَّهَ عزّ وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾(١) إنّه لم يكن لأحدٍ من آبائي عليهم السلام إلا وقد وقعت في عُنقه بيعةٌ لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعةَ لأحدٍ من الطواغيت في عنقي. وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب. وإني لأمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجومَ أمانٌ لأهل السماء. فاغلِقوا بابَ السؤال عمّا لا يَعنيكم، ولا تتكلّفوا علمَ ما قد كُفيتم، وأكثِروا الدعاءَ بتعجيل الفرج فإنّ في ذلك فرجَكم، والسلام عليك يا إسحاقَ بنَ يعقوب الكليني وعلى من اتبع الهدىٰ» ورواه أيضاً الطبرسي في «الاحتجاج».

٧٥٥١ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن أبي الصلت الهروي أنه قال: قلتُ للرضا عليه السلام: ما علاماتُ القائم فيكم إذا خرج؟ قال عليه السلام: «علامتُه أن يكونَ شيخَ السن، شابَ المنظر، حتى أنّ الناظرَ ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علاماته أن لا يهرمَ بمرور

(١) سورة المائدة، الآية(١٠١).

الأيّام والليالي حتى يأتيَه أجلُه».

٧٥٥٢ـ جاء في كتاب «المحجّة» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ من سورة الفتح: ﴿لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ قال: «إنّ لله ودائعَ مؤمنين في أصلاب قومٍ كافرين ومنافقين، وقائمُنا لن يظهرَ حتى تخرجَ ودائعُ الله، فإذا خرجَتْ ظهر فقتلَ الكفّارَ والمنافقين».

٧٥٥٣ـ روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «قد وضع بنو أميّة وبنو العبّاس سيوفَهم علينا لعِلّتيْن،

أحدُهما: إنّهم كانوا يعلمون بأنْ ليس لهم في الخِلافة حق فيخافون مِن ادّعائنا إيّاها، و«مِنْ أنْ» تستقرَّ في مركزها.

وثانيهما: إنّهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أنّ زوالَ ملك الجبابرةِ والظُّلَمة على يد القائم منّا، وكانوا لا يشُكّون أنهم من الجبابرة والظلمة فسعَوْا في قتل أهلِ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادةِ نسله طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولّد القائم أو قتلِه، فأبى اللّٰهُ أن يكشِفَ أمرَه لواحدٍ منهم، وإلا أن يُتِمَّ نورَه ولو كرِه المشركون».

٧٥٥٤ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن محمّدِ بنِ مسلم قال: سمِعتُ أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «القائمُ منّا منصورٌ بالرُّعب، مؤيَّدٌ بالنصر، تُطوىٰ له الأرض، وتَظهر له الكنوز، ويَبلغُ سلطانُه المشرقَ والمغرب، ويُظهِرُ اللّٰهُ عزّ وجل به دينَه على الدين كلّه ولو كرِه المشركون، فلا يبقىٰ في الأرض خرابٌ إلا عمر، وينزل روحُ الله عيسى ابنُ مريم فيصلّي خلفه».

٧٥٥٥ـ جاء في «صحيح ابن ماجه» بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يخرج ناسٌ من المشرق فيوطِّؤن[1] للمهدي».

٧٥٥٦ـ جاء في كتاب «الغيبة» للنعماني عن ابن عطاء المكّي قال: سألتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن المهديّ كيف سيرتُه؟ فقال: «يصنع كما صنع رسولُ الله ﷺ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسولُ الله أمرَ الجاهليّة، ويستأنف الإسلام من جديد».

٧٥٥٧ـ جاء في كتاب «الغيبة» للشيخ الطوسي بسنده عن جابر الجُعفي قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجُكم؟ فقال عليه السلام: «هيهات هيهات، لا يكون فرجُنا حتى تُغَرْبَلوا، ثم تُغَرْبَلوا، ثم تُغَرْبَلوا، حتى يُذهِبَ اللّهُ تعالى الكدَر ويُبقي الصفْو».

٧٥٥٨ـ جاء في كتاب «البحار» بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على أمتي زمانٌ تخبُث فيه سرائرُهم، وتحسُن فيه علانيتُهم طمعاً في الدنيا، لا يريدون ما عند الله عزّ وجل، يكون أمرُهم رياءً لا يخالطه خوف، يعمُّهم الله منه بعقاب، فيدعونه دعاءَ الغريق فلا يُستجاب لهم».

٧٥٥٩ـ جاء في كتاب «البحار» بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سيأتي زمانٌ على أمتي لا يبقىٰ من القرآن إلا رسمُه، ولا من الإسلام إلا اسْمُه، يُسَمَّوْن بهِ وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خرابٌ من الهُدىٰ، فقهاء ذلك الزمان شرُّ فقهاء تحت ظِلّ السماء، منهم خرجت الفتنةُ وإليهم تعود».

---

(١) يوطِّئون: يمهِّدون.

٧٥٦٠ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «خمسٌ قبلَ قيام القائم: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسفُ البيداء، وقتلُ النفس الزكيّة».
وروي عنه عليه السلام أنّه قال: «ليس بين قائم آل محمد وقتل النفس الزكيّة إلا خمسَ عشرةَ ليلة».

٧٥٦١ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن جابر الجُعفي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمانٌ يغيب عنهم إمامُهم، طوبىٰ للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إنّ أدنىٰ ما يكون لهم من الثواب أن ينادي بهم الباري جلّ جلاله فيقول: عبيدي وإمائي آمنتم بسِرّي، وصدقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب مني، أي عبيدي وإمائي حقّاً منكم أتقبّل، وعنكم أعفو، ولكم أغفر، وبكم أسقي عبادي الغيث، وأدفعُ عنهم البلاء، لولاكم لأنزلتُ عليهم عذابي». فقلتُ له: يا ابن رسول الله ما أفضلُ ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال عليه السلام: «حفظُ اللسان ولزومُ البيت».

٧٥٦٢ـ جاء في كتاب «كمال الدين» بسنده عن عمرو بن ثابت عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «من ثبت علىٰ موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله عزّ وجل أجرَ ألفِ شهيدٍ من شهداء بدر وأحد».

٧٥٦٣ـ جاء في كتاب «مرآة الكمال» للشيخ عبد الله المامقاني عن كتاب «الدمعة الساكبة»: إنّ دعبلَ الخزاعي لمّا قرأ قصيدتَه التائيّة الشهيرة على الإمام الرضا عليه السلام وجاء فيها ذكرُ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وقام، ودعا له بالفرج.

وجاء في كتاب «إلزام الناصب» للشيخ علي اليزدي عن كتاب

«تنزيه الخاطر»: إنّ الإمامَ الصادقَ عليه السلام سئل عن سبب القيام عند ذكر لفظ «القائم» من ألقاب الحجّة عليه السلام فقال: «إنّ من شدّة رأفته بأحبّته ينظر إلى كل من يذكره بهذا اللقب..، ومن تعظيمه أن يقوم العبد الخاضع عند نظر المولى الجليل إليه بعينه الشريفة، فليقم وليطلب من الله جلّ ذكره بتعجيل فرجه».

٧٥٦٤- يظهر من الروايات الكثيرة: إنّ السفياني اسمُه «عثمانُ بنُ عنبسة» من ذريّة أبي سفيان، وإنّه يخرج من الوادي اليابس بفلسطين، ثم يأتي إلى دمشق، ثم يوجه جيشاً إلى العراق يفتك بأهله فتكاً ذريعاً، ويوجه جيشاً آخرَ إلى المدينة يقتلون الرجال وينهبون الأموال، ثم يتوجّه بجيشه إلى مكة - وقد ظهر فيها الحجّةُ المهديّ عليه السلام- فيخسِف اللهُ - بجيشه الأرضَ في البيداء. وإنّ مدّةَ حكمه ثمانية أشهر أو تسعة أشهر أو أكثر - على اختلاف الروايات -، وإنّ خروجَه من العلامات المحتومة ويكون في شهر رجب. وورد في صفته: إنه ضخمُ الهامة، وحشُ الوجه، فيه أثر الجُدَري، وفي عينه نكتةُ بياض. ومن ظلمه إنّه يَبقُرُ بطونَ النساء ويُقتلُ الصبيان.

٧٥٦٥- جاء في بعض الأخبار: إنّ الدجّالَ يظهر قبل ظهور المهدي عليه السلام من سجستان، وفي بعضها إنّه يهوديّ، وإنّه أعور ولذلك يُقال له «المسيح الدجّال» لأنه ممسوح العيْن أو «المسيخ الدجّال» لأنّه ممسوخ العيْن. وإنّ فتنتَه من أعظم فتن الدنيا، وإنّه يبلغ من طغيانه وجبروته أن يدّعي الربوبيّة. ويبالغ في الدجل والتلبيس والإغواء والإضلال حتى لم يُر ولم يُسمع مثلُه في ذلك. ويتبعه اليهود وأولادُ الزنىٰ والمدمنون على شُرب الخمر والأعراب، فيبيح لهم كلَّ قبيح

حتى يباشرَ أصحابُه الفواحشَ والمنكرات علناً أمام الناس، ويُفسدون في الأرض إلا مكّة والمدينة ومراقد الأئمة الأطهار عليهم السلام. فإذا ظهر المهديّ عليه السلام وظهر معه عيسى ابن مريم عليه السلام لاحقاه حتى يقتلاه في مدينة «اللِدّ» من أرض فلسطين، وفي روايةٍ أنه يُصلب على كناسة الكوفة.

٧٥٦٦ـ يظهر من الروايات الكثيرة: إنّ المهديّ عجّل اللّهُ فرجه يخرج يومَ الجمعة أو السبت في العاشر من محرم الحرام في وِترٍ من السنين، وإنّه يظهر بين الركن والمقام في المسجد الحرام وقد أسند ظهره إلى الكعبة، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وعلى رأسه غَمامة فيها ملَكٌ ينادي: «هذا المهديُّ خليفةُ الله فاتّبِعوه» فيسمعه أهلُ المشرق والمغرب، ويجتمع إليه حَمَلةُ ألويته وقادةُ جيشه وهم ثلاثمائة وثلاثةَ عشرَ رجلاً كعِدّة أهل بدر يجتمعون إليه في ساعةٍ واحدة. وأوّلُ من يبايعه جبرئيل وهو ينادي: «البيعة لله»، ثم تأتيه شيعتُه من كلّ مكان تُطوىٰ لهم الأرض وهو قولُ الله تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(١٤٨): ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾. ثم ينزل عيسى ابنُ مريمَ ويصلّي خلفه ويؤيّده. ويبلغ سلطانه المشرقَ والمغرب، ويملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً. وتُظهر الأرضُ كنوزَها، وتُنزِل السماءُ بركاتِها، ولا يبقىٰ في الأرض خرابٌ إلا عَمَرَه. وإذا خرج لا يبقىٰ في الأرض معبودٌ دون الله من صنمٍ وغيره إلا احترق. وإنّ اللّهَ تعالىٰ يمُدّ في أسماع شيعته وأبصارهم فيسمعونه وينظرون إليه وهو في مكانه، ويرىٰ أحدُهم ـ وهو في المشرق ـ أخاه الذي في المغرب ويرى الذي في المغرب أخاه الذي في المشرق. وإنّ الرجلَ منهم يُعطىٰ قوّةَ أربعين رجلاً، وقلوبُهم أشدُّ من زُبر الحديد. وإنّ أهلَ

الكهف يقومون من رقدتهم ويكونون من أصحابه ووزرائه. وإنّ حكمه عليه السلام يدوم سبعَ سنين أو تسعَ سنين أو أكثر، وإنّ السنةَ في زمانه تكون بمقدار عشر سنين.

٧٥٦٧ـ ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» حكايةً عن المقدّس الأردبيلي أعلى الله مقامه يرويها عنه أقربُ تلاميذه وهو «السيد أمير فيض الله الحسيني التفرشي» ملخّصها: إنّ هذا التلميذَ كانت له غرفةٌ في الصحن الشريف للروضة العلويّة المطهّرة، وفي أثناء الليل خرج من غرفته فرأىٰ رجلاً مقبلاً على الحضر الشريفة، فقال في نفسه: لعلّ هذا الرجل جاء ليسرق من الحضرة شيئاً في ظلام هذا الليل، فتقرّبَ منه وهو لا يراه، فرأى الأبواب قد تفتّحتْ له من نفسها دون أن يفتحَها أحد، ووقف على القبر وسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام، فعرف ـ من صوته ـ أنّه أستاذُه المقدّس الأردبيلي، وسمِع ردَّ الجواب عليه من داخل القبر، ثم صار يتكلّم معه في مسألة علميّة، ثم خرج وخرج تلميذه معه وهو لا يراه، فتوجّه إلى مسجد الكوفة وتبِعه تلميذُه، وذهب إلى المحراب وصار يتكلّم مع رجلٍ هناك في نفس المسألة العلميّة فازداد تعجُّبه، ثم رجع فرجع معه، ووصل إلى النجف عند انبثاق الصبح فأظهر التلميذُ نفسَه لأستاذه وقال له: يا مولاي لقد كنتُ معك من أوّل دخولك إلى الحضرة الشريفة وإلى الآن فأخبرني مَن الذي كلّمتَه عند القبر في الروضة المقدّسة؟ ومن الذي كلّمتَه عند المحراب في المسجد الشريف؟ فقال له: إن أعطيتني العهودَ والمواثيقَ على أن تكتُمَ عليّ ذلك ما دمتُ حيّاً أخبرتُك؛ قال: نعم فقال له: يا ولدي إنّ بعضَ المسائل العلميّة تشتبه عليّ، فربّما أخرج في الليل إلى قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأسأله عنها فأسمع منه

الجواب، وفي هذه الليلة أحالني على ولده الحجّة المهدي عليه السلام في مسجد الكوفة فذهبتُ إليه وسألتُه عن تلك المسائل.

٧٥٦٨ـ ذكر الشيخ النوري في كتابه «جنّة المأوىٰ» حكايةً عن السيد مهدي بحر العلوم قُدس سره يرويها عنه أحدُ خواصّه وتلاميذه وهو «الشيخ زين العابدين السلماسي» ملخّصها: إنّ هذا التلميذَ كان يصلّي خلف السيد بحر العلوم في روضة العسكريين عليهما السلام في سامراء، فلمّا أراد السيد النهوض من التشهّد الوسط إلى الركعة الثالثة عرضتْ عليه حالةٌ خاصّة جعلَتْه يتوقّف قليلاً قبل أن ينهض. وبعد الصلاة لم يجسُرْ أحدُ المصلين على الاستفسار منه عن سبب هذه الحالة العارضة، فلمّا ذهب إلى المنزل ومعه أصحابُه ومنهم تلميذُه السلماسي سأله عن ذلك فقال أعلى الله مقامه: إنّ الحجّةَ عجّل اللّهُ فرجه دخل الروضة الشريفة للسلام على أبيه وجدّه عليهما السلام فذُهلتُ عند مشاهدة طلعته الزاهرة حتى خرج من الروضة الطاهرة. وقد اشتهر عن السيد المذكور طاب ثراه أنّه كان في كربلاء عند مرور «عزاء طويريج» فلمّا اقترب منه انخرط معه وصار يهرول كما يهرول الناس، فلمّا سألوه عن ذلك قال رحمه الله: لقد رأيتُ الحجّةَ عليه السلام يهرول مع الناس فهرولتُ معهم.

٧٥٦٩ـ ذكر الشيخ النوري في كتابه «دار السلام» عن السيد محمد صاحب «المفاتيح» ابنِ السيد علي صاحب «الرياض» نقلاً عن خطّ العلاّمة أعلى الله مقامه في حاشية بعض كتبه ما ملخّصه: إنّه - أي العلاّمة الحلّي - خرج ذات ليلة راكباً على حمارٍ له لزيارة قبر سيّد الشهداء عليه السلام وبيده سوط يسوق به الحمار، فعرض له في أثناء الطريق رجلٌ أعرابيّ فصحبه وهو يمشي على قدميه، فجرىٰ بينه وبينه كلام

فظهر له أنّه من أهل العلم والتحقيق، فصار العلاّمة يذاكره في بعض المسائل العلميّة الدقيقة فيجيب الرجلُ عنها بأحسنِ جواب، ثم انتهى الكلام إلى مسألةٍ أجاب عنها بما يخالف فتوى العلامة فيها، فردّ عليه: إنّ هذا الجوابَ مخالفٌ للأصل والقاعدة، ولا يمكن مخالفتُهما إلا بدليلٍ يحكُم عليهما، فقال الرجل: الدليل على ذلك حديثٌ صحيح ذكره الشيخ الطوسي في «التهذيب»، فقال العلاّمة: لم أعهَدْ بوجود مثل هذا الحديث في التهذيب أو في غيره، فقال الرجل: ارجِعْ إلى نسخة التهذيب التي عندك فستجده في صفحة كذا وفي سطر كذا. فلمّا سمِع العلاّمة منه ذلك تعجّب من أمره وكيف إنّه أخبره بشيءٍ غائبٍ عنه؟؟ وصار يفكّر في نفسه ويقول: مَن هذا؟ ومِن أين له هذا العلمُ العجيب؟ ثم قال في نفسه: لعلّ هذا الرجل الذي يمشي على قدميْه هذه المدةَ الطويلة وأنا راكب هو الذي ببركة وجوده تدور رحى الموجودات؟ وبينما هو مستغرِقٌ في هذا التفكير وقع السوط من يده على الأرض ثم توجّه بالسؤال منه قائلاً: هل يمكن في زمنِ الغيبة الكبرىٰ التشرُّفُ بلقاء مولانا الحجّة المنتظر عجّل اللّهُ فرجه؟ فتناول الرجل السوطَ من الأرض ووضعه في كفّ العلامة وقال له: «ولِمَ لا يمكن ذلك وكفّه الآن في كفّك»، فألقى العلامة بنفسه على قدميْه وأغمي عليه، فلمّا أفاق لم يجد ذلك الرجل، فحزِن أشدَّ الحزن على فراقه وعدم القيام بما يليق بمقامه من الخدمة والتعظيم، وأسِف غايةَ الأسف لأنّه تركه يمشي وهو راكب. ولمّا رجع إلى بيته نظر إلى نسخة «التهذيب» التي عنده فوجد الحديث في الموضع الذي عيّنه له الإمام عليه السلام، فكتب بخطّه في ذلك الموضع: «هذا حديثٌ أخبرني به سيدي ومولاي عجّل اللّهُ تعالىٰ فرجه».

٧٥٧٠ـ يظهر من الروايات الواردة في هذا المقام ومن أقوال العلماء الأعلام: إنّ علامات ظهور الحجة عليه السلام منها ما هو بعيدٌ ومنها ما هو قريب، ومنها ما محتوم ومنها ما هو غير محتوم. وذكروا أنّ المحتومَ منها خمس وهي: السفياني، واليماني، وصيحةٌ في السماء، وخسْفٌ في البيداء، وقتلُ النفس الزكيّة في مكة المكرّمة بين الركن والمقام.

٧٥٧١ـ روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس منّا مَن لم يُؤمنْ بكرّتنا، ولم يستحلَّ مُتعتّنا» والكرّة بمعنى الرجعة. ولهذا صرّح بعض علمائنا ـ استناداً إلى هذا الحديث وأشباهه ـ إنّ القولَ بالرجعة ـ إجمالاً لا تفصيلاً ـ من ضروريّات المذهب، بل صرّح المجلسي في البحار بإجماع الشيعة على ذلك. وقد جاء في زيارة الحسين عليه السلام المطلقة المعروفة بزيارة وارث، وكذا في زيارته عليه السلام يوم الأربعين عن الإمام الصادق عليه السلام قولُه: «وَأشهِدُ اللّهَ وملائكتَه وأنبياءَه ورُسُلَه أني بكم مؤمِن، وبإيابكم موقِن» ومثل هذا كثيرٌ في الأدعية والزيارات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام. أمّا الروايات التي وردت عن النبيّ والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم التي تصرّح أو تلوّح بالرجعة فكثيرة جدّاً وربما زادت على خمسمائة رواية كما ذكر ذلك العلاّمةُ الطباطبائي في تفسيره الجليل «الميزان». ويوم الرجعة هو أحد أيام الله العظيمة التي تتجلّى فيها نعمةُ الله بالمؤمنين ونقمتُه على الكافرين كما ورد ذلك عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام في تفسير قوله تعالى في سورة إبراهيم، الآية(٥): ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

ومن الطرائف التي تُذكر حول «الرجعة» ما دار بين مؤمن الطاق «محمد بن عليّ الصيرفي» وبين أبي حنيفة «النعمان بن ثابت» وذلك أنّ مؤمنَ الطاق كان يُنكر على أبي حنيفة قولَه بالتناسخ، وكان أبو حنيفة يُنكر على مؤمن الطاق قولَه بالرجعة، فقال له يوماً: يا أبا جعفر ـ وهي كنية مؤمن الطاق ـ أتقول بالرجعة؟ قال: نعم، فقال: أقرِضني من مالك خمسمائة دينار فإذا عُدْنا أنا وأنتَ رددتُها إليك. فأجابه على البديهة: «اضمنْ لي أنّك تعود إنساناً ولا تعود قِرداً حتى أتمكّنَ من استرجاع ما أخذتَ مني» فبُهت ولم يُحرْ جواباً.

٧٥٧٢ـ من الآيات الكريمة التي تدُلّ على الرجعة قولُه تعالىٰ في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾، وقد روي عن أبي بصير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يُنكر أهلُ العراق الرجعة؟ قلت: نعم، قال: «أمَا يقرأون القرآن: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؟ وروي عن أبي بصير أيضاً قال: قال رجلٌ لأبي عبد الله عليه السلام: أنّ العامة تزعمُ إنّ قولَه تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ عنىٰ يومَ القيامة فقال عليه السلام: «أفيحشر اللّهُ من كلّ أمّة فوجاً ويَدَعَ الباقين؟؟ لا، ولكنّه في الرجعة. وأمّا آيةُ القيامة فهي: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1].

٧٥٧٣ـ روى الشيخ المفيد قدس سره في كتابه «الفصول المختارة» عن الحارث بن عبد الله الربعي أنه قال: كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر، وسوّار القاضي عنده، والسيد الحميري ينشده:

---

(١) سورة الكهف، الآية(٤٧).

إنّ الإلَـهَ الـذي لا شـيءَ يُـشـبِـهُـهُ   آتـاكـمُ الـمُـلـكَ لـلـدنـيـا ولـلـديـنِ
آتـاكـمُ الـلَّـهُ مُـلـكـاً لا زوالَ لـهُ   حتى يُقادَ إليكم صاحبُ الصينِ
وصـاحـبُ الـهـنـد مـأخـوذٌ بـرُمّـتـه   وصاحبُ التُّرك محبوسٌ على هُونِ

حتى أتى على القصيدة كلّها والمنصور مسرور، فقال سوّار: إنّ هذا واللّهِ يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، واللّهِ إنّ القومَ الذين يُدينُ بحبهم لغيرُكم، وإنّه لينطوي على عداوتكم. فقال السيد: واللّهِ إنّه لكاذب، وإنني في مِدحتك لصادق، وإنّه حمله الحسد إذْ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي إليكم ومودّتي لكم أهلَ البيت لمعرّقٌ فينا من أبويّ. وإنّ هذا وقومَه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه في أهل بيت هذا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[(١)]، فقال المنصور: صدقت، فقال سوّار: يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة فقال السيد: «أمّا قوله إنّي أقول بالرجعة، فإني أقول بذلك على ما قاله الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ وقد قال في موضعٍ آخر: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فعلمنا أنّ هاهنا حشرَيْن: أحدهما خاص والآخر عام». ثم استدلّ على الرجعة بعددٍ من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة.

٧٥٧٤ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأُمم السابقة قولُه تعالى في سورة البقرة، الآية(٢٤٣): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾.

---

(١) سورة الحجرات، الآية(٤).

وخلاصة القِصّة ذكرها المفسّرون وجاءت في بعض الأحاديث: إنّ قوماً من بني إسرائيل بلغ عددُهم سبعين ألفَ بيت ـ كما في بعض الروايات ـ أصابهم الطاعون، فخرج الأقوياء والأغنياء وبقي الضعفاء والفقراء، فقلَّ فتكُه في الخارجين وكثُر في الباقين، فقال الذين بَقُوا: لو خرجنا لَما أصابنا الطاعون، وقال الذين خرجوا: لو بقينا لأصابنا الطاعون. ثم أجمعوا على أن يخرجوا جميعاً من قريتهم إذا أصابهم مرّةً أخرىٰ. فلمّا أصابهم خرجوا بأجمعهم ونزلوا على شاطىء بحر، فلمّا وضعوا خيامَهم قال لهمُ الله: موتوا، فماتوا جميعاً حتى بلِيتْ أجسامُهم وتقطّعتْ أوصالُهم، ثم مرّ بهم نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يُقال له «حزقيل»، وفي روايةٍ أخرىٰ «أرميا»، فأوحى اللّهُ إليه: نادهم، فنادىٰ: أيّتها العظامُ البالية قومي بإذن الله عزّ وجل فقاموا جميعاً أحياءً ينفضون الترابَ عن رؤوسهم، وعادوا إلى قريتهم وسكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء، ولبِثوا ما شاء الله، ثم ماتوا بآجالهم.

٧٥٧٥ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

وخلاصة القِصّة كما ذكرها المفسرون وجاءت في بعض الأحاديث: إنّ عُزَيْراً ـ وهو من عباد الله الصالحين بل قيل إنّه نبيّ ـ

خرج من بيته وأهله راكباً حمارَه وحاملاً زادَه فمرّ ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ـ أي تساقطت سقوفها على أعمدتها وجدرانها ـ وروي أنها «أنطاكية». وكان عمرُه يوم ذاك خمساً وعشرين سنة، فقال مستفهِماً ومتعجِّباً: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ـ أي كيف يحيي اللّهُ أهلَ هذه القرية بعد أن أصبحوا رميماً في التراب ـ فأراد اللّهُ سبحانه أن يريَه قدرتَه التي خضع لها كلُّ شيء ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ وكان ذلك في أوّل النهار ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ في آخره فقال له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، فلمّا نظر إلى الشمس لم تغرُبْ بعد قال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فأوحى الله إليه: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾، ثم قال له: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ـ أي لم يتغيّر بقدرة الله ومشيئته، بل بقي على حاله ـ.

وروي: إنّ طعامَه هو التين والعنب، وشرابَه هو العصير وهذه الثلاثة أسرع الأشياء إلى التلف والفساد. ثم قال له: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾. ويظهر أنّه سبحانه أمات الحمار كما أمات صاحبَه وأصبحت عظامُه رميماً، ثم أحياه الله بقدرته، لذلك قال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ عندئذٍ تاب إلى ربّه وأناب و﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. فلمّا رجع إلى أهله ـ وهو في السنّ التي مات فيها ـ أنكرهم وأنكروه، ووجد ابنه قد بلغ من عمره مائة سنة لأنّه فارق أمّه وهي حاملٌ به وفي آخر أشهر الحمل، كما وجد أخاه الذي ولد معه في يوم واحد قد بلغ من عمره مائةً وخمساً وعشرين سنة، ثم بقي معهم خمساً وعشرين سنة فمات هو وأخوه في يومٍ واحد، وعمر «عُزَيْر» خمسون سنة وعمر أخيه «عُزَيْرَة» مائةٌ وخمسونَ سنة.

وروي: إنّ عالمَ النصارىٰ في الشام الذي اجتمع بالإمام الباقر عليه السلام وقال له أمامَ حشدٍ كبيرٍ من المسلمين والنصارىٰ: أخبرني عن رجلٍ دنا من امرأته فحملَتْ منه بابنيْن حملتهما معاً في ساعة واحدة، ووضعتهما في ساعةٍ واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودُفنا في ساعةٍ واحدةٍ في قبرٍ واحد، عاش أحدهما خمسين ومائة سنة، وعاش الآخر خمسين سنة من هما؟ فقال عليه السلام: هما عُزَيْر وعُزَيْرَة كانت قد حمَلت أمُّهما بهما على ما وصفت، ووضعتهما على ما وصفت، وعاش عُزَيْر وعُزَيْرة خمساً وعشرين سنة، ثم أمات الله تبارك وتعالىٰ عُزَيْراً أماته مائةَ عام ثم بعثه. فنهض الناس فأقبلوا عليه ونظروا إليه فقال ابنُه: كان لأبي شامةٌ سوداء بين كتفيْه، فكشف عنها فإذا هو كذلك.

وروى الدميري في «حياة الحيوان» عن السدّي والكلبي أنهما قالا: لما رجع عزَيْر إلى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة بكى عزَيْر عليها فأتاه ملَكٌ بإناءٍ من الله تعالىٰ فيه ماء فشرِب منه فمثُلت التوراة في صدره فبعثه الله نبياً إلى بني إسرائيل فقال لهم: أنا عُزَيْر فلم يصدّقوه، فقال: لقد بعثني الله تعالىٰ إليكم لأُجدّدَ لكم توراتكم قالوا: فاملِها علينا، فأملاها عليهم عن ظهر قلب فقالوا: ما جعل اللّه التوراةَ في قلب رجلٍ بعدما ذهبت إلا لأنّه ابنُه فقالوا: «عزَيْر ابنُ الله» تعالىٰ اللّهُ عن قولهم هذا وعن قول النصارى «المسيح ابنُ الله» علوّاً كبيراً.

٧٥٧٦ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ

مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾.

وخلاصة القِصّة كما ذكرها المفسرون وجاءت في بعض الأحاديث: إنّ موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين رجلاً وانطلق بهم إلى طور سيناء حيثُ يكلّمه الله عزّ وجل ليشهدوا له عند قومه إذا رجع إليهم أنّ اللّهَ كلّمه وأنّه قد تلقّى الوحيَ منه، فأقامهم في سفح الجبل وصعد هو إلى الطور وسأل الله أن يكلّمه فكلّمه فسمِع القوم كلامَه من فوقهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن أمامهم ومن خلفهم، فقالوا له تعنّتاً وعناداً: لن نؤمنَ بأنّ ما سمِعناه كلامُ الله حتى نرى الله جَهرةً وعِياناً!! فبعث الله عليهم صاعقةً من السماء فماتوا جميعاً. فقال موسى: «يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعتُ إليهم وقالوا: إنّك ذهبتَ بهم وقتلتَهم لأنّك لم تكن صادقاً في دعواك» فأحياهم الله بقدرته.

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون حين سأله عن قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)﴾، فقال عليه السلام بعد عَرض قِصّة هؤلاء السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام: «فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنك لو سألتَ أن يُرِيَك تنظر إليه لأجابك فكنتَ تخبرنا كيف هو فنعرفه حقَّ معرفته»، فقال موسى عليه السلام: «يا قوم إنّ اللّهَ لا يُرى بالأبصار، ولا كيفيّة له، وإنّما يُعرف بآياته» فقالوا: لن نؤمنَ لك حتى تسألَه، فقال موسى عليه السلام: «يا ربّ إنك سمِعتَ مقالةَ بني

إسرائيل وأنت أعلمُ بصلاحهم» فأوحى الله جل جلالُه إليه: «يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذَكَ بجهلهم» فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ـ وهو يهوي ـ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ـ بآيةٍ من آياته ـ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ ـ أي رجعتُ إلى معرفتي بك عن جهل قومي ـ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ـ بأنكَ لا تُرىٰ ـ. فقال المأمون: لله درُّك يا أبا الحسن.

٧٥٧٧ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأُمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

وقد وردت في تفسير هذه الآيات الكريمة أحاديثُ كثيرةٌ نذكر منها ما رواه القمي في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأةً فأنعمتْ له ـ أي

قالت له نعم ـ، وخطبها ابنُ عمٍّ لذلك الرجل وكان فاسقاً رديّاً فلم يُنعموا له، فحسدَ ابنَ عمه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلةً. ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال: يا نبيّ الله هذا ابنُ عمّي قد قُتل، قال موسى: مَن قتله؟ قال: لا أدري. وكان القتلُ في بني إسرائيل عظيماً جدّاً فعظُم ذلك على موسى، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترىٰ يا نبيَّ الله؟ وكان في بني إسرائيلَ رجلٌ له بقرة، وكان له ابنٌ بار وكان عند الابن سِلعة فجاء قوم يطلُبون سِلعتَه، وكان مفتاحُ حُجرته تحت رأس أبيه وكان نائماً وكرِه ابنُه أن ينبِّهَه وينغِّصَ عليه نومَه، فانصرف القومِ ولم يشتروا سلعتَه. فلمّا انتبه أبوه قال له: يا بنيّ ماذا صَنَعْتَ في سِلعتك؟ قال: هي باقية لم أبعْها لأنّ المفتاحَ كان تحت رأسك فكرهتُ أن أنبهَكَ وأنغِّصَ عليك نومَك، فقال له أبوه: قد جعلتُ هذه البقرة لكَ عوضاً عمّا فاتك من ربح سِلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بأبيه، وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرةَ بعينها. فلمّا اجتمعوا إلى موسىٰ وبكَوا وضجُّوا قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ فتعجّبُوا و﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ نأتيك بقتيل فتقول: اذبحوا بقرة، فقال لهم موسىٰ: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فعلِموا أنهم قد اخطأوا فقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ والفارض: التي ضربها الفحلُ ولم تحمِلْ، والبكر: التي لم يضربْها الفحل، ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي شديد الصفرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لم تُذلَّل ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي لا تسقي الزرع ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي لا نقط فيها إلا الصفرة ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ وهي بقرة الابن البار بأبيه، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً. فرجعوا إلى موسى عليه السلام فأخبروه فقال لهم: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها ولو بملء جلدها ذهباً، فذبحوها، ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبيّ الله، فأوحى اللّهُ إليه: قلْ لهم: اضربوه ببعضها وقولوا له: مَن قتلك؟ فأخذوا الذَّنَبَ فضربوه به فقام حيّاً فقالوا: مَن قتلك؟ قال: قتلني فلانُ بنُ فلان ابنُ عمي، وهو قولُه تعالىٰ: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

٧٥٧٨ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾.

وقبل البدء بذكر هذه القِصّة وما ورد فيها من أحاديث وما جاء فيها من أقوال، لا بدّ وأن نشيرَ إلى ناحيةٍ مهمّةٍ وهي: إنّ إبراهيمَ عليه السلام وهو من هو في علُوّ منزلته وسمُوّ مكانته بين الأنبياء والمرسلين ـ لم يكن سؤالُه عن أصل إحياء الموتىٰ وقدرةِ الله على ذلك، لأنّ هذا أمرٌ لا ريب فيه، ولا يمكن لأحدٍ من المؤمنين ـ فضلاً عن هذا النبيّ العظيم ـ أن يشكَّ فيه، وإنما كان السؤالُ حول كيفيّة الإحياء ليزداد بذلك يقيناً. فإبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ إنما سأل ليشاهد بعينه كيفيّةَ الإحياء لا أصلَ الإحياء حيثُ إنه محقّقٌ عنده ومعلومٌ لديه. والسببُ في ذلك هو أنّ العلمَ بالشيء إذا كان عن طريق المشاهدة والعِيان يكون أعلىٰ درجةً من العلم به عن طريق الدليل والبرهان.

وصدق اللّهُ حيثُ يقول في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾.

وقد ذكر المفسّرون أسباباً عديدة لسؤال إبراهيمَ عليه السلام من ربّه ذلك.

فمنها: إنّ إبراهيمَ عليه السلام رأىٰ على ساحلِ البحر جيفةً تأكل منها سباعُ البرّ وسباعُ البحر وسباعُ الجو، وتفرّقت أجزاؤها بين تلك السباع، فقال مخاطباً لله عزّ وجل: يا رب قد علمتُ أنك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر فأرني كيف تُحييها؟ وهذا هو المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام. فانظر كيف أكّد السؤال عن كيفيّة الإحياء لا عن أصل الإحياء ليزدادَ بذلك إيماناً وعلماً، كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾.

ومنها: إنّ نمرودَ لمّا قال لإبراهيم عليه السلام أنا أحْيي وأمِيت، فقال له إبراهيم: وكيف تفعل ذلك؟ فجاء نمرود برجليْن محبوسيْن فأطلق أحدَهما وقتل الآخر فقال له إبراهيم عليه السلام: ليس هذا بإحياء، وإن كنتَ صادقاً فأحيي الذي قتلت، ثم دعا ربّه أن يريَه كيف يُحيي الموتىٰ ليعلمَ نمرودُ وقومُه أنّ اللّهَ وحده هو الذي يُحيي ويميت وأنّه على كلّ شيءٍ قدير، فيكون سؤالُه هذا لأجل قومه لا لأجل نفسه كما سأل موسىٰ ربّه النظرَ إليه لا لنفسه ولكن ليعلمَ قومُه إنّ اللّهَ تعالىٰ لا تُدركه الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

ومنها: إنّ اللّهَ أوحىٰ إلى إبراهيمَ أني متّخذٌ من عبادي خليلاً، فقال إبراهيم عليه السلام: إلٰهي ما علامة ذلك العبد؟ قال: علامته أنّه يُحيي الموتىٰ بدعائه. فلمّا عظُم مقامُ إبراهيم عند ربّه وقرُبتْ منزلتُه منه خطر

بباله أنّه هو ذلك الخليل فأراد أن يطمئنَّ قلبُه بذلك فقال مخاطباً لله تعالىٰ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على أنّني أنا الخليل الذي اصطفيتَه من عبادك. وقد روي مثل ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام.

ومنها: إنّ إبراهيمَ عليه السلام لمّا علِم بقوّة إيمانه ونفاذ بصيرته أنّ اللّهَ قادرٌ على كلّ شيء وأنّه يُحيي ويُميت أراد أن يكونَ علمُه بذلك قائماً على المشاهدة ليكون بذلك أعلىٰ درجةً وأرفعَ منزلة. وهذا قريبٌ من السبب الأوّل الذي مرّ ذكرُه، وهو مرويٌّ عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد روى العياشي في تفسيره بسنده عن علي بن أسباط أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام سُئل عن قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أكان في قلبه شك؟ قال: «لا ولكنّه أراد الزيادةَ في يقينه».

وروى الكليني في الكافي بسنده عن الحسين بن الحكم قال: كتبتُ إلى العبد الصالح ـ يعني موسى بنَ جعفر عليه السلام ـ أخبره أنّي شاك، وقد قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ وإنّي أحبّ أن تُرِيَني شيئاً. فكتب عليه السلام إليّ: «إنّ إبراهيمَ كان مؤمناً وأحبّ أن يزدادَ إيماناً، وأنت شاك والشاك لا خيرَ فيه».

وأمّا ما ذكره بعض المفسرين من العامة من أنّ إبراهيمَ كان يشكّ في قدرة الله على إحياء الموتىٰ فسأل ربّه أن يُريَه كيف يفعل ذلك ليطمئِنّ قلبُه ويزولَ عنه الشك، فهذا باطل من دون ريب، ولا يجوز أن يُنسبَ مثل ذلك إلى أحدٍ من المؤمنين، فكيف يُنسب إلى الأنبياء والمرسلين؟! سُبحانكَ هذا بُهتانٌ عَظِيم. ومنطوق الآية الكريمة يدُلّ دَلالةً قاطعةً على بطلان هذا القول حيثُ إنّ اللّهَ قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟

فأجاب عليه السلام بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. ولو كان شاكاً ـ كما يقولون ـ لَما أجاب ربَّه بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾. وإنَّ قولَه: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يدلّ على ما ذكرناه من أنّه عليه السلام أراد أن يزداد إيمانُه ويقينُه بمشاهدة كيفيّة الإحياء. وكذلك أراد ليطمئِنّ قلبُه بإيمان قومه وهدايتهم لأنّه حريصٌ على إيمانهم وهدايتهم. وكذلك أراد ليطمئن قلبُه على أنّه هو الذي اختاره الله لنفسه خليلاً. فهذه الأسباب ـ كلُّها أو بعضُها ـ يمكن أن تكونَ هدفاً لإبراهيم عليه السلام حين سأل ربَّه عزّ وجل أن يريَه كيف يحيي الموتىٰ.

وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ فهي ـ على ما جاء في بعض الروايات ـ الطاووس، والديك، والحمَام، والغراب ـ وفي بعضها غيرهن ـ ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي أمِلْهنّ إليك فقطِّعهنّ، وحُذفتْ كلمة ﴿فقطعهن﴾ لدَلالة الكلام عليها. ثم اخلطْ أجزاءَها وأعضاءَها بعضَها على بعض. ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ وكانت الجبال عشرة كما ورد ذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام. ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي ادعُ تلك الطيور إليك فسوف تجتمع تلك الأجزاء المتقطّعة والمتفرّقة على رؤوس الجبال وتعود إلى الحياة كما كانت بإذن الله وقدرته، ففعل إبراهيم ذلك وناداهنّ: أجيبي بإذن الله تعالىٰ، فاجتمعت تلك الأجزاء المتفرّقة وطارت إليه. ثم قال تعالىٰ: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي قادرٌ لا يُغلَب على أمره، وحكيمٌ في جميع أفعاله وأقواله.

٧٥٧٩ـ من الآيات التي تدلّ على إمكان الرجعة ووقوعِها في الأُمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا

رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ
فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ
أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ
هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن
نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ
لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا
طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ
فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ
وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ
مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا
فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن
يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ
إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ
ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا
مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ

ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾.

هكذا تحدّث القرآن الكريم عن قِصّة أهل الكهف بشيءٍ من التفصيل وبأسلوبٍ إلّهيٍّ معجز يُبرز ما في هذه القِصّة العجيبة من عِبرٍ جليلةٍ وعِظاتٍ بالغة.

وقد وردت في تفاصيل هذه القِصّة عِدّةُ رواياتٍ من طُرق الشيعة والسُنّة نذكر منها هذه الرواية التي استوعبت الموضوعَ بكلّ جزئيّاته ودقائقه. فقد روى الراوندي في كتابه «قصص الأنبياء» بسنده عن ابن عباس أنّه قال: لمّا كان في عهد خلافة عمر أتاه قومٌ من أحبار اليهود فسألوه عن أقفال السمٰوات ما هي؟ وعن مفاتيح السمٰوات ما هي؟ وعن قبرٍ سار بصاحبه ما هو؟ وعن خمسةِ أشياء مشت على وجه الأرض لم يُخلقوا في الأرحام؟ وما يقول الدرّاج في صياحه؟ وما يقول الديك والفرس والحمار والضِفدع والقنبر؟ فنكّس عمر رأسَه وقال: يا أبا الحسن ما أرىٰ جوابَهم إلا عندك. فقال لهم عليّ عليه السلام: «إنّ لي عليكم شريطةً إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا»، قالوا: نعم، فقال عليه السلام: «أمّا أقفال السمٰوات فهي الشرك بالله، فإنّ العبدَ والأمةَ إذا كانا مشركَيْنِ لا يُرفع لهما إلى الله سبحانه عمل» فقالوا: ما مفاتيحها؟ فقال علي عليه السلام: «شهادة أن لا إلّه إلا الله وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه»، فقالوا: أخبرنا عن قبرٍ سار بصاحبه؟ قال عليه السلام: «ذاك الحوت حين ابتلع يونُس عليه السلام فدار به في البحار السبعة»، فقالوا: أخبرنا عمّن أنذر

قومَه لا من الجِنّ ولا من الإنس؟ قال عليه السلام: «تلك نملةُ سليمان إذْ قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾»[1]، قالوا: فأخبرنا عن خمسة أشياء مشت على الأرض ما خُلقوا في الأرحام؟ قال عليه السلام: «ذاك آدم، وحوّاء، وناقة صالح، وكبش إبراهيم، وعصا موسى»، قالوا: فأخبرنا ما تقول هذه الحيوانات؟ قال عليه السلام: «الدرّاج يقول: الرحمنُ علَى العرشِ استَوَى. والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين. والفرس تقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين: اللّهم انصرْ عبادَك المؤمنين على عبادِك الكافرين. والحِمار يلعن العشّار «وهو من يأخذ العُشر من أموال الناس بأمر الظالم» وينهق في عين الشيطان. والضِفدع يقول: سبحان ربي المعبود المسبَّح في لُجج البحار. والقنبر يقول: اللهم العنْ مبغضي محمّدٍ وآلِ محمّد». وكانت الأحبار ثلاثة فوثب اثنان وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه. أمّا الحَبر الآخر فوقف وقال: يا عليّ لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي ولكن بقيت خِصلة أسألك عنها فقال عليّ عليه السلام: «سَلْ» قال: أخبرني عن قومٍ كانوا في أوّل الزمان فماتوا ثلاثمائةٍ وتسعَ سنين ثم أحياهم الله ما كانت قِصّتُهم؟ فابتدأ عليّ عليه السلام وأراد أن يقرأ سورةَ الكهف فقال الحبر: ما أكثر ما سمِعنا قرآنكم، فإن كنتَ عالماً بهم أخبِرْنا بقِصّة هؤلاء وبأسمائهم وعددِهم واسْم كلبهم واسْم كهفِهم واسْم ملكِهم واسْم مدينتِهم، فقال عليه السلام: «لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللّهِ العليِّ العظيم، يا أخا اليهود حدثني محمّد صلى الله عليه وآله أنّه كان بأرض الروم مدينةٌ يُقال لها «أقسوس» وكان لها ملِكٌ صالح،

---

(١) سورة النمل، الآية(١٨).

فمات ملكهم فاختلفت كلمتهم، فسمِع بهم ملِكٌ من ملوك فارس يُقال له «دقيانوس» فأقبل في مائةِ ألفٍ حتى دخل مدينةَ «أفسوس» فاتّخذها دارَ مملكته، واتّخذ فيها قصراً طوله فرسخ في عَرْض فرسخ، واتّخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألفُ ذراع في عَرْضٍ مثلِ ذلك من الرُّخام الممرّد، واتّخذ في ذلك المجلس أربعةَ آلاف أسطوانة من ذهب، واتّخذ ألفَ قِنديلٍ من ذهب لها سلاسلُ من اللُّجَيْن تُسرَج بأطيب الأدهان، واتّخذ لشرقيِّ المجلس ثمانين كوّة ولغربيّه كذلك، وكانت الشمسُ إذا طلَعت طلعت في المجلس كيفما دارت، واتّخذ فيه سريراً من ذهب طوله ثمانون ذِراعاً في عَرض أربعين ذراعاً، له قوائمُ من فِضّةٍ مرصّعةٍ بالجواهر، وعلاه بالنمارق، واتّخذ من يمين السرير ثمانين كرسيّاً من الذهب مرصّعةً بالزبرجد الأخضر، فأجلس عليها بطارقته، واتّخذ من يسار السرير ثمانين كرسيّاً من الفِضّة مرصّعةً بالياقوت الأحمر، فأجلس عليها هراقلته، ثم علا السريرَ فوضع التاجَ على رأسه». فوثب اليهودي فقال: مِمّ كان تاجه؟ قال عليه السلام: «من الذهب المشبّك، له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤةٌ بيضاء تضيء كضوء المصباح في الليلة الظلماء، واتّخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة فقرّطهم بقراطقِ الديباج الأحمر، وسرولهم بسراويلِ الحرير الأخضر، وتوّجهم ودملجهم وخلخلهم، وأعطاهم أعمدةً من الذهب وأوقفهم على رأسه، واتّخذ ستةَ غِلَمَةٍ وزراءَ له فأقام ثلاثةً عن يمينه وثلاثةً عن يساره». فقال اليهودي: ما كان أسماءُ الثلاث والثلاثة؟ فقال عليه السلام: «الذين عن يمينه اسماؤهم: تمليخا ومكسلمينا وميشيلينا، وأمّا الذين عن يساره فأسماؤهم: مرنوس وديرنوس وشاذريوس، وكان يستشيرهم في جميع أموره، وكان يَجلس في كلّ يوم في صحن داره والبطارقُ

عن يمينه والهراقلُ عن يساره، ويدخل ثلاثةُ غَلَمةٍ في يد أحدهم جامٌ من ذهب مملوءٌ من المسك المسحوق، وفي يد الآخر جامٌ من فِضّة مملوءٌ من ماء الورد، وفي يد الآخر طائرٌ أبيض له منقارٌ أحمر فإذا نظر الملِكُ إلى ذلك الطائر صفَّر به فيطير الطائر حتى يقعَ في جام ماء الورد فيتمرّغَ فيه، ثم يقع على جام المسك فيحمل ما في الجام بريشه وجَناحه، ثم يصفِر به الثانية فيطير الطائر على تاج الملك فينفُض ما في ريشه وجناحه على رأس الملِك. فلمّا نظر الملك إلى ذلك عتا وتجبّر فادّعى الربوبيّةَ من دون الله، ودعا إلى ذلك وجوهَ قومه فكلُّ من أطاعه على ذلك أعطاه وحباه وكساه، وكلُّ من لم يتابعْه قتله، فاستجابوا له، واتّخذ لهم عيداً في كل سنة مرّة، فبينما هم ذاتَ يومٍ في عيد والبطارقةُ عن يمينه والهراقلةُ عن يساره إذ أتاه بطريقٌ فأخبره أنَّ عساكرَ الفرس قد غشِيتْه فاغتمَّ لذلك حتى سقط التاج عن رأسه، فنظر إليه أحدُ الثلاثة الذين كانوا عن يمينه وهو «تمليخا» وكان غلاماً فقال في نفسه: لو كان دقيانوس إلّهاً كما يزعَمُ إذاً ما كان يغتمّ ولا يفزع، وما كان يبول ولا يتغوّط، وما كان ينام، وليس هذه من فعل الإلٰه. وكان الفتية الستة كلَّ يومٍ عند أحدهم وكانوا ذلك اليوم عند تمليخا، فاتّخذ لهم من طيّب الطّعام ثم قال لهم: يا إخوتاه قد وقع في قلبي شيءٌ منعني من الطعام والشراب والمنام، قالوا: وما ذاك يا تمليخا؟ قال: أطلتُ فكري في هذه السماء فقلتُ: مَن رفع سقفَها محفوظةً بلا عمَدٍ من تحتها ولا عِلاقةٍ من فوقها؟ ومن أجرىٰ فيها شمساً وقمراً وهما آيتان مبصرتان؟ ومن زيّنها بالنجوم؟ ثم أطلتُ فكري في الأرض فقلتُ: مَن سطحها على ظهر اليَمّ الزاخر ومن حبسها بالجبال أن تميدَ على كلّ شيء؟ وأطلتُ فكري في نفسي مَن أخرجني جنيناً من بطن أمّي ومن غذّاني؟

إنّ لها صانعاً ومدبّراً غيرَ دقيانوس الملك، وما هو إلا ملكُ الملوك وجبّارُ السمٰوات. فانكبّت الفتيةُ على رجليْه يقبّلونهما وقالوا: بك هدانا اللّهُ من الضلالة إلى الهدىٰ فأشِرْ علينا، فوثب تمليخا فباع شمراً من حائطٍ له بثلاثة آلاف درهم وصرّها في ردْنه وركِبوا خيولَهم وخرجوا من المدينة، فلمّا ساروا ثلاثةَ أميال قال لهم تمليخا: يا إخوتاه جاءت مسكنة الآخرة وذهب مُلك الدنيا، انزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعلّ الله أن يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً. فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعةَ فراسخَ في ذلك اليوم، فجعلت أرجلهم تقطر دماً فاستقبلهم راعٍ فقالوا: أيّها الراعي هل من شُرْبة لَبَنٍ أو ماء؟ فقال الراعي: عندي ما تُحِبّون ولكن أرىٰ وجوهَكم وجوهَ الملوك، وما أظنُّكم إلا هُرّاباً من دقيانوس الملك، قالوا: أيّها الراعي لا يحِلّ لنا الكذب، أفينجينا منك الصدق؟ قال: نعم، فأخبروه بقِصّتهم فانكبّ الراعي على أرجلهم يقبّلها ويقول: يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم، ولكن أمهلوني حتى أردّ الأغنامَ على أربابها وألْحقَ بكم، فتوقّفوا له، فردّ الأغنامَ وأقبل يسعىٰ يتبعه كلبٌ له». فوثب اليهودي فقال: يا عليّ ما كان اسْمُ الكلب وما لونُه؟ قال عليه السلام: «لا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، أمّا لون الكلب فكان أبلقَ بسواد، وأما اسْمُ الكلب فقطمير. فلمّا نظر الفتية إلى الكلب قال بعضُهم: إنّا نخاف أن يفضحَنا بنباحه فألَحُّوا عليه بالحجارة فأنطق الله تعالىٰ الكلب وقال: ذروني حتى أحرسَكم من عدوّكم. فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلاً فانحطّ بهم على كهفٍ يُقال له «الوصيد»، فإذا بفِناء الكهف عيونٌ وأشجارٌ مثمرة، فأكلوا من الثمر وشرِبوا من الماء، وجنّهم الليل فآووا إلى الكهف، وربض الكلب على باب الكهف ومدّ

يديْه عليه، فأوحى الله تعالىٰ إلى ملَك الموت بقبض أرواحِهم، ووكّل الله بكلّ رجلٍ ملكيْنِ يقلّبانه منْ ذاتِ اليمينِ إلى ذاتِ الشمال، ومن ذاتِ الشمال إلى ذاتِ اليمين. فأوحى الله عزّ وعلا إلى خُزّان الشمس فكانت تزاوَرُ عن كهفهم ذاتَ اليمين وتقرِضُهُم ذاتَ الشمال. فلمّا رجع دقيانوس من عيده سأل عن الفِتية فأخبر أنهم خرجوا هُرّاباً، فركِب في ثمانين ألفَ حصان فلم يزل يقفو أثرهم حتى علا فانحطّ إلى كهفهم، فلمّا نظر إليهم إذا هم نيام، فقال الملك: لو أردتُ أن أعاقبَهم بشيءٍ لما عاقبْتُهم بأكثرَ ممّا عاقبوا به أنفسَهم، ولكن ائتوني بالبنّائين فسدّ بابَ الكهف بالكِلْس والحِجارة وقال لأصحابه: قولوا لهم: يقولوا لإلٰههم الذي في السماء لينجيَهم ويخرِجَهم من هذا الموضع. فمكثوا ثلاثَ مائةِ سنةٍ وتسعَ سنين. فلمّا أراد الله أن يحييَهم أمر إسرافيلَ أن ينفُخَ فيهم الروح فنفخ فقاموا من رقدتهم، فلمّا بزَغت الشمس قال بعضهم: قد غفَلنا في هذه الليلة عن عبادة إلٰه السماء، فقاموا فإذا العينُ قد غارت، وإذا الأشجارُ قد يبِست، فقال بعضهم: إنّ أمورَنا لعجب، فهذه العينُ الغزيرةُ قد غارت والأشجارُ قد يبِست في ليلةٍ واحدة» ومسّهم الجوع فقالوا: ابعثوا بورِقكم هذه إلى المدينة فلينظرْ أيها أزكىٰ طعاماً فليأتكم برزقٍ منه وليتلطّفْ ولا يُشْعِرَنّ بكم أحداً، قال تمليخا: لا يذهب في حوائجكم غيري، ولكن ادفع أيّها الراعي إليّ ثيابَك، فدفع الراعي ثيابَه ومضىٰ يؤمُّ المدينة فجعل يرىٰ مواضعَ لا يعرفها وطريقاً هو يُنكرها، حتى أتىٰ بابَ المدينة وإذا عليه علَمٌ أخضر مكتوبٌ عليه: «لا إلٰه إلا الله، عيسى روحُ الله» فجعل ينظر إلى العلم ويمسح عينيه ويقول: أراني نائماً، ثم دخل المدينة حتى أتىٰ السوق فأتىٰ رجلاً خبّازاً فقال: أيّها الخبّاز ما اسمُ مدينتكم هذه؟ قال: «أقسوس»، قال:

وما اسمُ ملككم؟ قال: «عبد الرحمن»، قال: ادفعْ إليّ بهذه الورِق طعاماً، فجعل الخبّاز يتعجّب من ثِقل الدراهم ومن كِبَرها». فوثب اليهوديِ وقال: يا عليّ وما كان وزنُ كلّ درهمٍ منها؟ قال عليه السلام: «وزن كلّ درهمٍ عشَرةُ دراهمَ وثُلثا درهم. فقال الخبّاز: يا هذا أأنت أصبتَ كنزاً؟ فقال تمليخا: ما هذا إلا ثمنُ تمرٍ بعتُه منذ ثلاث، وخرجتُ من هذه المدينة وتركتُ الناسَ يعبدون دقيانوس الملك. فأخذ الخبّاز بيد تمليخا وأدخله على الملك فقال: ما شأن هذا الفتى؟ قال الخبّاز: هذا رجل أصاب كنزاً، فقال الملك: لا تخفْ فإن نبيّنا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذَ من الكنز إلا خُمسَه، فأعطِني خمسَه وامْضِ سالماً. فقال تمليخا: انظر أيّها الملك في أمري، ما أصبتُ كنزاً وإنّما أنا رجلٌ من أهل هذه المدينة، فقال الملك: أنت من أهلها؟ قال: نعم، قال: فهل تعرف بها أحداً؟ قال: نعم، قال: ما اسمُك؟ قال: اسمي تمليخا، قال: وما هذه أسماء أهل زماننا. فهل لك في هذه المدينة دار؟ قال: نعم اركبْ أيها الملك معي، فركِب الملكُ والناسُ معه فأتىٰ بهم أرفعَ دارٍ في المدينة، قال تمليخا: هذه الدار لي، فقرع الباب فخرج إليهم شيخٌ قد وقع حاجباه على عينيْه من الكِبَر فقال: ما شأنكم؟ فقال الملك: أتانا هذا الغلام بالعجائب يزعَمُ أنّ هذه الدارَ دارُه، فقال له الشيخ: من أنت؟ فقال: أنا تمليخا بن قسطيكين، فانكبّ الشيخ على رجليْه يقبّلهما ويقول: هو جدّي وربِّ الكعبة، ثم قال: أيها الملك هؤلاء الستة الذين خرجوا هُرّاباً من دقيانوس الملك. فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه، وجعل الناس يقبّلون يديْه ورجليْه. فقال: يا تمليخا ما فعل أصحابُك؟ فأخبر أنّهم في الكهف. وكان يومئذٍ في المدينة مِلِكٌ مسلم ومِلِكٌ يهوديّ فركِبا في أصحابهما، فلمّا صاروا قريباً

من الكهف قال لهم تمليخا: إني أخاف أن يسمعَ أصحابي صوتَ حوافر الخيول فيظُنّون أن دقيانوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتى أتقدّمَ فأُخبِرَهم. فوقف الناس، فأقبل تمليخا حتى دخل الكهف فلمّا نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجّاك من دقيانوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيانوسكم، قال: كم لبِثتم؟ قالوا: لبِثنا يوماً أو بعضَ يوم، قال تمليخا: بل لبِثتمْ ثلاثمائةٍ وتسعَ سنين، وقد مات دقيانوس وانقرضَ قَرنٌ بعد قَرن، وبعث الله نبيّاً يُقال له «المسيح عيسى ابنُ مريم» ورفعه الله إليه، وقد أقبل إلينا الملِكُ والناسُ معه. قالوا: يا تمليخا أتريد أن تجعلَنا فتنةً للعالمين؟ قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادعُ اللّهَ جلَّ ذكره وندعوه معك حتى يقبِضَ أرواحَنا، فرفعوا أيديَهم بالدعاء فأمر اللّهُ بقبض أرواحهم، وطمس اللّهُ بابَ الكهف على الناس. فأقبل الملِكان يطوفان على الكهف سبعةَ أيام لا يجدون له باباً. فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا ابني على باب الكهف مسجداً، وقال الملك اليهودي: لا بل ماتوا على ديننا ابني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا، فغلَب المسلمُ وبنىٰ مسجداً عليه».

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا يهودي أيوافق هذا ما في توراتكم؟» قال: ما زدتَ حرفاً ولا أنقصت، وأنا أشهد أن لا إلَهَ إلا الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

وتصرّح بعض الروايات بأن الله تعالىٰ قد أحياهم مرّةً أخرىٰ في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى الراوندي بسنده عن جابر الجُعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: صلى النبيّ صلى الله عليه وآله ذاتَ ليلة ثم توجّه إلى البقيع فدعا أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً فقال لهم: امضوا حتى تأتوا

أصحابَ الكهف وتَقرؤوهم مني السلام، وتقدّمْ أنت يا أبا بكر فإنك أسنُّ القوم، ثم أنت يا عمر، ثم أنت يا عثمان، فإن أجابوا واحداً منكم وإلا تقدّمْ أنت يا عليُّ كنْ آخرَهم. ثم أمر الريح فحمَلتْهم حتى وضعتهم على باب الكهف فتقدّم أبو بكر فسلّم فلم يرُدّوا عليه فتنحّىٰ، فتقدّم عمر فسلّم فلم يرُدّوا عليه، فتقدّم عثمان فسلّم فلم يرُدّوا عليه، فتقدم عليّ وقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا أهلَ الكهف الذين آمنوا بربّهم وزادهم هُدىً، وربط على قلوبهم، أنا رسولُ رسولِ الله إليكم» فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسوله وعليك السلام يا وصيَّ رسول الله ورحمة الله وبركاته. قال عليه السلام: فكيف علِمتم أني وصيُّ النبيّ؟ قالوا: إنه ضُرب على آذاننا أن لا نكلّمَ إلا نبياً أو وصيَّ نبيّ. فقال عليٌّ لأصحابه: «أسمِعتم ما يقولون؟» قالوا: نعم، قال: «فاشْهَدوا». ثم حوّلوا وجوهَهم قِبَلَ المدينة فحملتهم الريح حتى وضعتهم بين يدَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بالذي كان. فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وآله: «قد رأيتم وسمِعتم فاشْهَدوا» قالوا: نعم. فانصرف النبيّ صلى الله عليه وآله إلى منزله بعد أن قال لهم: «احفظوا شهادتَكم».

وجاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّهم سيرجِعون إلى الحياة مرّةً ثالثة عند ظهور المهديّ «عج» فيكونون من أعوانه وأركانه، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمد يخرج من ظهر الكوفة ـ وفي نصٍّ آخر من ظهر الكعبة ـ سبعةٌ وعشرون رجلاً خمسةَ عشرَ من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدِلون»[1]،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

وسبعةٌ من أهل الكهف، ويوشعُ بنُ نون وصيُّ موسى، ومؤمنُ آل فرعون ـ وفي نصٍّ آخر المقداد بدل مؤمن آل فرعون ـ، وسلمانُ الفارسي، وأبو دُجانة الأنصاري، ومالكُ الأشتر، فيكونون بين يديْه أنصاراً وحُكاماً».

٧٥٨٠ـ من الآيات التي تدُلّ على إمكان الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ووقوعه في الأُمم السابقة قولُه تعالىٰ في سورة الأنبياء عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾. وقولُه في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

وهذه الآيات الكريمة تنُصّ بوضوح على أنّ اللّٰهَ سبحانه ابتلىٰ أيّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بفقد أهله ثم أعادهم إليه ومثلَهم معهم رحمةً منه بعبده الذي اصطفاه واجتباه وذكرىٰ للمؤمنين.

وشخصيّة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أصبحت مثلاً لشِدّة المحنة والبلاء، كما أصبحت رمزاً للصبر والشكر في حالتي العسر واليسر وفي حالتي الشِدّة والرخاء.

لقد ابتُليَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببدنه، وابتُليَ بماله، وابتُليَ بأهله وأولاده فصبر على ذلك كلّه ولم يزدَدْ من الله إلا قُرباً، ولم يزدَدْ لِلّٰهِ إلا شكراً، وفوّض أمرَه كلّه إليه، ثم شكا إليه ما أصابه فكشف عنه ضُرَّه، وردّ

عليه عافيتَه وأموالَه وأهلَه ومثلَهم معهم. وقد ورد في معنى قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أنّ الله تعالىٰ ردّ عليه أهلَه الذين كانوا قد ماتوا قبل ذلك، كما أنه سبحانه ردّ عليه أموالَه التي فقدها وزاده من جوده وكرمه وفضله إنّه هو الجواد الكريم، وهو ذو الفضل العظيم.

وقد حيكت حول قِصّة أيوب عليه السلام كثيرٌ من الأساطير، ودُسّت فيها الإسرائيليّاتُ التي تَمُسُّ قداسةَ الأنبياء عليهم السلام وتحُطّ من كرامتهم. والقول الفصل في ذلك ما روي عن أئمة الهُدىٰ صلوات الله عليهم فقد رُوي عنهم ما يَكشفُ الحقيقةَ ويُزيلُ عن قِصّة هذا النبيِّ العظيم كلَّ ما علِق بها من أوهامٍ وأباطيل، ليكون في القِمّة السامقة بين أصفياء الله وأوليائه وحمَلة رسالاته.

من ذلك ما روي: عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ أيوبَ عليه السلام ابتُليَ من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يُذنبون لأنهم معصومون مطهّرون... إنّ أيوب مع جميع ما ابتلاه ربُّه لم تنتِنْ له رائحة، ولا قبُحتْ له صورة، ولا خرجت منه مِدّة من دمٍ ولا قيح، ولا استقذره أحدٌ رآه، ولا استوحش منه أحدٌ شاهده، ولا تدوّد شيءٌ من جسده. وهكذا يصنع الله عزّ وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما لَه عند ربّه تعالىٰ ذكرُه من التأييد والفرج، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أعظمُ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل». وإنّما ابتلاه الله عزّ وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلاّ يدّعوا له الربوبيّة إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصلَه إليه من عظائم نعمه، ولئلاّ يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه...

وليعلموا أنه يُسقِم من يشاء ويَشفي من يشاء متى شاء وكيف شاء وبأيّ سببٍ شاء، ويجعل ذلك عبرةً لمن شاء، وشقاوةً لمن شاء، وسعادةً لمن شاء. وهو في جميع ذلك عدلٌ في قضائه، وحكيمٌ في أفعاله، لا يفعل بعباده إلا الأصلحَ لهم، ولا قوّة لهم إلا به».

ومن ذلك ما روي: عن أبي بصير قال: سألت أبا الحسن الماضي ـ يعني موسى بنَ جعفر عليه السلام ـ عن بليّة أيّوب التي ابتُلي بها في الدنيا لأيّ عِلّةٍ كانت؟ فقال عليه السلام: «النعمةِ أنعم الله عليه بها في الدنيا فأدّىٰ شكرَها، وكان في ذلك الزمان لا يُحجَب إبليس دون العرش، فلمّا صعد أداءُ شكر نعمةِ أيوب حده إبليس. فقال: يا رب إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكرَ هذه النعمة إلا بما أعطيتَه من الدنيا، ولو حرمتَه دنياه ما أدّىٰ إليك شكر نعمةٍ أبداً، فقيل له: إني قد سلّطتُك على ماله وولده. فانحدر إبليس فلم يُبقِ له مالاً ولا ولداً إلا أعطبه. فلمّا رأى إبليس أنه لا يصل إلى شيءٍ من أمره قال: يا رب إنّ أيّوب يعلم أنك ستردّ عليه دنياه التي أخذتَها منه فسلّطني على بدنه، فقيل له: إني قد سلطتُك على بدنه ما خلا قلبَه ولسانَه وعينيْه وسمعَه. فانحدر إبليس مستعجلاً مخافة أن تدركه رحمةُ الرب عزّ وجل فتحول بينه وبين أيوب. فلمّا اشتدّ به البلاء، وكان في آخر بليّةٍ جاءه أصحابه فقالوا له: يا أيوب ما نعلم أحداً ابتُلي بمثلِ هذه البلِيّة إلا لسريرة سوء، فلعلّك أسررتَ سوءاً في الذي تُبدي لنا؟ فعند ذلك ناجىٰ ربَّه عزّ وجل فقال: ربِّ ابتليتَني بهذه البلِيّة وأنت تعلم أنه لم يعرِضْ لي أمرانِ قط إلا لزِمتُ أخشنَهما على بدني، ولم آكُلْ أكلةً قط إلا على خِواني يتيم، فلو أنّ لي منك مقعدَ الخصم لأدليتُ بحُجّتي. فعرضتْ له سحابةٌ فنطق فيها ناطقٌ يقول: ادْلِ بحُجّتك. فشدّ أيوب مِئزرَه وجثا على ركبتيْه

فقال: ابتليتَني بهذه البليّة وأنت تعلم أنه لم يعرِضْ لي أمرانِ قط إلا لزِمتُ أخشنَهما على بدني، ولم آكُلْ أكلَةً قط إلا وعلى خِواني يتيم. فقيل له: يا أيوب مَن حبّب إليك الطاعة؟ فأخذ أيوب كفّاً من تراب فوضعه في فيه ثم قال: أنت يا ربّ».

ولقد سئل أيوب عليه السلام بعدما أعاد الله عليه صحّتَه ومالَه وأهلَه: أيُّ شيءٍ كان أشدَّ عليك في أيام بلِيّتك؟ فقال: «شماتة الأعداء». وصدق الشاعر حيث يقول:

كلُّ المصائب قد تمرّ على الفتىٰ   فتهون غيرَ شماتةِ الأعداءِ

٧٥٨١ـ من الآيات التي تدُلّ بمفهومها على رجوع بعض الناس إلى الدنيا بعد موتهم قولُه تعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾.

وظاهر الآية الكريمة: أنّ كلّ قومٍ أهلكهم اللهُ في الدنيا بعذابٍ من عنده، وأنزل عليهم بطشَه ونقمتَه، واستأصلهم بسبب ظُلمهم وجُرمهم لا يرجعون إلى الدنيا مرّةً أخرىٰ لأنّهم نالوا فيها ما يستحقّون من العار والبوار، ثم يوم القيامة يكون مصيرهم إلى النار وبئس القرار.

ومفهوم هذه الآية يدُلّ على رجوع غيرهم إلى الدنيا. وقد وردت عِدّة نصوص عن المعصومين عليهم السلام تصرّح بهذا المعنىٰ للآية الكريمة، فقد روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: ﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾. وروى القمي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: «كلّ قريةٍ أهلك الله أهلَها بالعذاب، ومحضوا الكفرَ محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأمّا في

القيامة فيرجِعون».

ويُلاحظ في الآية الكريمة: أنَّ اللَّهَ تعالىٰ يقول فيها: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ في حين أنّ ظاهرَ المعنىٰ يقتضي أن يقول: «إنهم يرجعون» لأنّ متعلَّقَ الحرمةِ هو الرجوعُ لا عدمُ الرجوع، فما هو الوجه في وجود «لا» في هذا المقام؟

ذكر العلماء والمفسّرون في ذلك ثلاثةُ وجوه:

الأوّل: أنّ «لا» هنا زائدة، فقوله «لا يرجعون» معناه «يرجعون». وقد اختار هذا الوجه صاحبا تفسير الجلالَيْن وجماعةٌ من المفسرين.

الثاني: إنّ كلمة «وحرامٌ» في الآية جاءت بمعنى: واجبٌ وحتمٌ على من أهلكه الله في الدنيا أن لا يرجِعَ إليها مرّةً أخرىٰ كما روى الطبرسي ذلك عن قتادة وعكرمة والكلبي وذكر أنهم قالوا في معنى الآية: «واجب عليها أنها إذا هلكت لا ترجع إلى الدنيا قضاءً منه وحَتْماً». وروى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس أنّه قال في تفسير ﴿وَحَرَامٌ﴾ أنها بمعنىٰ واجب «يعني قد قُدِّر أنّ أهلَ كلِّ قريةٍ أهلِكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة».

الثالث: ـ وهو أرجح الوجوه ـ: إنّه مجاز عقليّ وُضع فيه نتيجةُ المتعلِّقِ موضعَ المتعلِّقِ نفسِه، فلمّا كانت نتيجةُ حرمة الرجوع هو عدم الرجوع فقد وضعت هذه النتيجة مكان الرجوع الذي هو متعلَّق الحرمة. والغرض من ذلك هو التأكيد على تحقّق النتيجة التي هي عدم الرجوع. ولهذا شواهد في القرآن الكريم. وقد اختار العلامة المحقق الطباطبائي في تفسيره «الميزان» هذا الوجه فقال: «وأمّا قولُه: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وكان الظاهر أن يُقال: «يرجعون» فالحق أنّه مجاز عقلي وُضع فيه نتيجةُ

تعلّقِ الفعل بالشيء ـ أعني ما يؤول إليه حال المتعلَّق بعد تعلّقه ـ موضعَ نفس المتعلّق، فنتيجة تعلّق الحرمة برجوعهم عدم الرجوع، فوُضعت هذه النتيجةُ موضَ نفس الرجوع الذي هو متعلّق الحرمة، وفي هذا الصُّنع إفادة نفوذ الفعل كأنّ الرجوعَ يصير بمجرّد تعلّق الحرمة عدمَ الرجوع من غير تخلّلِ فصل. ونظيره أيضاً قولُه في سورة الأعراف، الآية(١٢): ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ حيثُ إنّ تعلّقَ المنع بالسجدة يؤول إلى عدم السجدة، فوضع عدم السجدة الذي هو النتيجة موضع نفس السجدة التي هي متعلّق المنع. ونظيره أيضاً قولُه في سورة الأنعام، الآية(١٥١): ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ حيثُ إنّ تعلّقَ التحريم بالشرك ينتج عدمَ الشرك، فوضع عدم الشرك الذي هو النتيجة مكانَ نفس الشرك الذي هو المتعلّق».

٧٥٨٢ـ من الآيات التي تدلّ على وقوع الرجعة في الدنيا قولُه تعالىٰ في سورة المؤمن: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾.

ونصرة الله تعالىٰ لرسله والمؤمنين في يوم القيامة ـ وهو اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد ـ أمرٌ لا شكّ فيه ولا يجادل فيه أحد. ولكنّ الكلامَ في نصرته لهم في الحياة الدنيا مع العلم أنّ الكثيرَ منهم لاقَوْا فيها من الأهوال والمصائب ما تشيب منها الوِلدان وتَقشعِرّ منها الأبدان، فكيف إذاً يتحقق نصرَ الله لهم الذي تشير إليه هذه الآيةُ الكريمة؟ كما تشير إليه آياتٌ أخرىٰ من الكتاب العزيز كقوله تعالىٰ في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾، وقوله في سورة الروم،

الآية(٤٧): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

الجواب عن هذا السؤال يكون من ثلاث نواحٍ:

الناحية الأولى: إنّ اللّهَ ينصر رسلَه والذين آمنوا في الحياة الدنيا بظهور حُجّتهم على حُجّة أعدائهم في كلّ زمان ومكان لأنّهم مع الحق والحقُّ يعلو ولا يُعلىٰ عليه. فكلمتُهم تظهر على كلّ كلمة، ونورهم يسمو على كلّ نور، وعلمهم لا يضاهيه علم، فهم الأعِزّاءُ بعزّة الله، وهم الأقوياء بقوّة الله كما قال سبحانه في سورة المنافقون، الآية(٨): ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وكما قال رسول الله ﷺ: «مَن أحبّ أنْ يكونَ أعزَّ الناس فَلْيتّق الله، ومَن أحبّ أن يكونَ أقوى الناس فليتوكّلْ على الله». كما أنّ الله سبحانه ينصرهم على أعدائهم بإظهار المعجزات الخارقة على أيديهم مِمّا يجعلُ لهم الغلبةَ والتمكين ويجعلُ لأعدائهم الخُذلانَ والخُسران.

الناحية الثانية: إنّ اللّهَ تعالىٰ يأخذ بثأرهم بعد قتلهم على أيدي بعض من يشاء من عباده، وهو أحد مظاهر نصر الله لهم في الدنيا قبل الآخرة، فقد روى ابنُ شهرآشوب في المناقب عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: «أوحى الله تعالىٰ إلى محمّد ﷺ: أنّي قتلت بيحيى بنِ زكريا سبعين ألفاً، وأقتلُ بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعينَ ألفاً»، وروىٰ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «قُتل بالحسين مائةُ ألفٍ وما طُلب بثأره، وسيُطلب بثأره».

الناحية الثالثة: إنّ اللّهَ ـ جلّت قدرته ـ يُرجع إلى الدنيا من يشاء من أصفيائه وأوليائه ويُرجع معهم أعداءَهم والظالمين لهم فيقتصّوا منهم

ويثأروا لحقّهم في الدنيا قبل الآخرة. ولعلّ في الحديثَيْن السابقَيْن ما يشير إلى هذه الرجعة حيثُ يقول الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ ـ على ما رواه ابن عباس ـ: «وأقتل بابن نبيّك سبعين ألفاً» ـ وهذا ما وقع بعد قتله صلوات الله عليه ـ «وسبعين ألفاً» ـ وهذا ما سيقع في الرجعة ـ. ويقول الإمام الصادق عليه السلام ـ كما مرّ آنفاً ـ: «قُتل بالحسين مائةُ ألفٍ وما طُلب بثأره» ـ وهذا ما وقع بعد قتله عليه السلام ـ «وسيُطلب بثأره» ـ وهذا ما سيقع في الرجعة ـ. والآية الكريمة التي ابتدأنا بها هذا الموضوع وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ تشير إلى هذا النصر ـ بجميع نواحيه الثلاث ـ، بل ربما تشير إلى خصوص الناحية الثالثة من النصر الحاسم الذي سيتحقّق لهذه الصفوة من عباد الله عند رجوعهم إلى الدنيا، كما تؤيّد ذلك النصوص الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة، فقد روى القمّي في تفسيره عن جميل بن درّاج أنّه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام عن قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقال عليه السلام: «ذلك واللّهِ في الرجعة، أما علِمتَ أنّ أنبياءَ كثيرين لم يُنصَروا في الدنيا وقُتِلوا، والأئمة بعدهم قُتِلوا ولم يُنصَروا، ذلك ـ أي النصر الذي وعدهم الله به ـ في الرجعة».

وروى ابن قولويه في كتابه «كامل الزيارة» بسنده عن أبي بصير قال: تلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقال عليه السلام: «الحسين بن عليّ منهم قُتِل ولم يُنصَرْ بعد» ثم قال: «واللّهِ لقد قُتِل قَتَلَةُ الحسين ولم يُطلبْ بدمه بعد».

هذا وعد الله لرسله وصفوة أوليائه ولن يُخلفَ اللّهُ وعدَه،

وصدق الله حيثُ يقول في سورة إبراهيم: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾.

٧٥٨٣ـ من الآيات التي تدُلّ على وقوع الرجعة في الدنيا قولُه تعالىٰ في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

هذا خطاب كريم لهذه الأمّة، ووعدٌ من الله تعالىٰ ـ واللّهُ لا يُخلف وعدَه ـ إلى جماعةٍ معيّنةٍ منها ـ لا إلى مجموعها كما يدُلّ على ذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ أي من هذه الأمّة ـ أن يستخلفَهم في أرضه أي يجعلهم هو سبحانه خلفاءَه على دينه وعلى عباده كما استخلف الذين من قبلهم من الأنبياء والمرسلين، ويمكّنَ لهم دينَهم الذي ارتضاه لهم، فهو دينُهم لأنهم حَمَلتُه وسَدَنتُه وحَفَظتُه والعاملون به والداعون إليه، وإنّ اللّهَ تعالىٰ سيمكّن لهم دينَهم ويُرسي كيانَه ويُثبّتُ أركانَه ويَنشرُ أعلامَه ويُظهرُ أحكامَه، بحيثُ لا يستطيع أحدٌ أن ينالَ منه أو يتطاولَ عليه أو يُغيّرَ أو يبدّلَ فيه، لأنّ اللّهَ هو الذي سيتولّى تمكينَه وتحصينَه وهو على كلّ شيءٍ قدير. وإنّه تبارك وتعالىٰ سيبدّلُ خوفَهم أمناً لأنّه يحفظُهم من كلّ عدوٍّ غادر، ومن كلّ جبّارٍ فاجر، ومن كلّ منافقٍ وكافر، وسيكتبُ لهم النصرَ على جميع أعدائهم، ويُحقُّ الحقَّ ويَمحَقُ الباطلَ ويُظهرُ دينَه على الدين كلّه ولو كرِه المشركون. عندئذٍ سيتحقّق ما يريد الله من خلقه من العبادة الخالصة والطاعةِ المطلقة التي خلق الله الجنّ والإنسَ من أجلها: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾.

وهذا الإخلاص التّام في العبادة من كل شوائب الشرك الظاهرِ والخفيّ لا يحصل إلا من المعصومين من كل ذنب والمنزّهين من كلّ عيب. وليس في هذه الأُمّة مَن هم بهذه الصفة إلا الرسولُ الأمين وأهلُ بيته المیامین الذين أذهب اللّهُ عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً.

وكلُّ ألفاظ الآية وكلماتُها تشير إليهم وتدلّ عليهم. ثم يختِم اللّهُ الآيةَ الكريمةَ بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. أي ومن كفر من أهل ذلك العصر بهذه النعمة التامّة والرحمة العامّة بعد ظهورها وسطوع نورها ولم يشكرْها فهو الفاسق الذي خرج عن طاعة الله وتعدّى حدودَه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

والأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة تصرّح بأنّها نزلت في آل محمّد، وأنّهم الموعودون بها دون غيرهم، وإنّ اللّهَ سيحقّق لهم هذا النصرَ وهذا الإستخلافَ وهذا التمكينَ وهذا الأمن عند ظهور مهديّهم المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

منها: ما رواه شيخنا الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن عبد الله بنِ سنان قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلّ جلالُه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ الآية... فقال عليه السلام: «هم الأئمة».

ومنها: ما رواه شيخنا المجلسي في «البحار» بسنده عن صفوان قال: لما طلّب المنصور أبا عبد الله عليه السلام توضأ وصلّى ركعتين ثم سجد وقال: «اللهم إنّك وعدّتنا ووعدُك الحق إنك تبدّلنا من بعد خوفنا أمناً، اللهمّ فانجزْ لنا ما وعدتّنا إنك لا تُخلف الميعاد» قال: قلت له: يا

(١) سورة البقرة، الآية(٢٢٩).

سيدي فأين وعد الله لكم؟ قال: قولُ اللّهِ عزّ وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية...

ومنها: ما رواه الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال في تفسير هذه الآية الكريمة: «إنها نزلت في آل محمّد».

وقد علّق شيخنا الطبرسي في «مجمع البيان» عند تفسيره لهذِه الآية وذكرِه لبعض الأحاديث المفسِّرة لها بقوله: «فعلىٰ ذا يكون المرادُ بالذين آمنوا وعمِلوا الصالحات النبيُّ وأهلُ بيته صلوات الله عليهم، وتضمنت الآيةُ البشارةَ لهم بالاستخلافِ والتمكّنِ في البلاد وارتفاعِ الخوفِ عنهم عند قيام المهديّ عليه السلام منهم».

٧٥٨٤- ثبت في الأحاديث الصحيحة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعترتِه الطاهرة أنّ كلَّ ما وقع للأُمم السابقة عامّة ولبني إسرائيل خاصّة يقع لهذه الأمّة، وإليك بعضَ تلك النصوص.

فمنها: ما رواه الشيخ الصدوق في كتابه «من لا يحضره الفقيه» عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يكون في هذه الأُمّة كلُّ ما كان في بني إسرائيل حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة» ومعنى القُذة هو الأذن.

ومنها: ما رواه هو أيضاً في كتابه «كمال الدين» عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «كلُّ ما كان في الأمم السالفة يكون مثلُه في هذه الأمّة حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة».

ولقد احتجّ الإمام الرضا عليه السلام بهذا الحديث على صِحّة وقوع الرجعة في هذه الأُمّة في جوابه للمأمون حين سأله: ما تقول في

الرجعة؟ فقال عليه السلام: «إنّها حق، قد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن»، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكون في هذه الأُمّة كلُّ ما كان في الأُمم السالفة حذوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة».

٧٥٨٥ـ روى القطب الراوندي في كتابه «الخرائج» بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: قلتُ لعلي بن الحسين عليه السلام: الأئمة منكم يُحيون الموتىٰ، ويُبرِؤن الأكمهَ والأبرص، ويَمشون على الماء؟ فقال عليه السلام: «ما أعطى اللّهُ نبيّاً شيئاً إلا وقد أعطى اللّهُ محمداً مثلَه، وأعطاه ما لم يعطهم ولم يكن عندهم. وكل ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أعطاه أميرَ المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم إماماً بعد إمام إلى يوم القيامة...».

وروى الشيخ الكليني في كتابه «أصول الكافي» بسنده عن أبي بصير قال: دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، قلت: رسولُ الله وارثُ الأنبياء علِمَ كلَّ ما علِموا؟ قال: نعم، قلت: فأنتم تقدِرون على أن تُحيوا الموتىٰ، وتُبرِؤا الأكمهَ والأبرص؟ قال: «نعم بإذن الله...».

٧٥٨٦ـ كان جعفرُ ابنُ الإمام عليّ الهادي عليه السلام منحرفاً عن الصراط السويّ الذي سار عليه آباؤه الطاهرون ودعَوا الناسَ إليه، حتى إنّ أباه عليه السلام كان متشائماً منه منذ ولد، ولمّا سُئل عن سبب ذلك قال: «سيضِلُّ به خلقٌ كثير». وبعد أن شبّ وترعرع قال عليه السلام لأصحابه: «تجنّبوا وَلَدي جعفراً فإنّه مني بمنزلة ابن نوح الذي قال الله فيه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1]. وهو الذي تقدّم بعد

(١) سورة هود، الآية(٤٦).

وفاة أخيه الإمام الحسنِ العسكري عليه السلام للصلاة عليه فلمّا همّ بالتكبير خرج الحجّةُ المهديّ عليه السلام من البيت وهو ابن خمس سنين فجذب رداءَ جعفر وقال له: «تأخّرْ يا عمّ فأنا أحقُّ منك بالصلاة على أبي» فتأخّر جعفر وقد اربدَّ وجهُه. وهو الذي ذهب إلى الوزير العباسي عبيد الله بنِ يحيى بنِ خاقان وقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأنا أوصل لك في كل سنةٍ عشرينَ ألفَ دينار فقال له الوزير: «يا أحمق إنّ السلطانَ أعزّه الله جرّد سيفَه وسوطَه في الذين زعَموا أنّ أباك وأخاك إمامانِ ليردَّهم عن ذلك فلم يقدِرْ عليه، وجهِد أن يزيلَ أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيّأْ له ذلك، فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان ولا غيره، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلْها»، فخرج منه خائباً.

٧٥٨٧ـ من الذين تخرّجوا من جامعة أهل البيت عليهم السلام ـ في فترة ازدهارها وانتشارها ـ أبانُ بنُ تغلب«رض»، فقد تلقّى العلمَ عن الإمام زينِ العابدين والإمامِ الباقر والإمامِ الصادق عليهم السلام، وبرع في مختلف فنون العلم كالتفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والنحو. وكان الإمام الباقر عليه السلام يقول له: «اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس، فإني أحِبّ أن يُرىٰ في شيعتي مثلُك». وكان إذا دخل على الإمام الصادق عليه السلام اعتنقه ورحّب به وأمر له بوِسادة. وكان إذا دخل المسجدَ النبويّ أخليت له ساريةُ النبيّ صلى الله عليه وآله وجلس يحدّث الناس. روىٰ عن الإمامَيْنِ الباقرِ والصادقِ عليهما السلام أكثرَ من ثلاثينَ ألفَ حديث.

ومنهم: زرارةُ بنُ أعيَن«رض» الذي قال له الإمام الصادق عليه السلام: «إنك واللّٰهِ أحبُّ الناسِ إليّ، وأحبُّ أصحاب أبي إليّ حيّاً وميّتاً».

وقال فيه أيضاً: «لولا زرارة لظننتُ أنّ أحاديثَ أبي ستذهب». وقال فيه: «رحِم اللّهُ زرارةَ بنَ أعيُن، لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديثُ أبي». وقال فيه وفي عددٍ من نظرائه: «لولا هؤلاءِ ما كان أحدٌ يستنبط هذا الفقه، هؤلاءِ حُفّاظ الدين، وأمناءُ أبي على حلاله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة».

ومنهم: محمّدُ بنُ مسلم رضي الله عنه الذي روى عن الإمام الباقر عليه السلام ثلاثينَ ألفَ حديث، وعن الإمام الصادق عليه السلام ستةَ عشرَ ألفَ حديث. وكان الإمامُ الصادق يُحيل بعضَ أصحابه إليه ليأخذوا عنه، قال ابن أبي يعفور لأبي عبد الله عليه السلام: ليس كل ساعةٍ ألقاك وأتمكّن من القدوم عليك، ويجيء الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كلُّ ما يسألني عنه؟ فقال له عليه السلام: «فما يمنعك من محمّدِ بنِ مسلم الثقفي فإنّه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً». وروي عن محمّدِ بنِ مسلم أنه قال: «إنّي لنائمٌ ذاتَ ليلة على السطح إذْ طرق البابَ طارق فأشرفتُ من على السطح فإذا الطارق امرأة، فقالت لي: عروسٌ ظهر بها الطَّلْقُ فما زالت تطلق حتى ماتت والولد يتحرّك في بطنها فما أصنع بها؟ فقلت: يا أمةَ الله سئِل محمدُ بن علي بن الحسين عليه السلام عن مثل ذلك فقال: «يُشقّ بطن الميت ويُستخرج الولد» افعلي مثلَ ذلك، فقالت: رحِمك الله لقد جئتُ أبا حنيفة اسأله فقال: ما عندي في هذا شيء، ولكن عليكِ بمحمّدِ بنِ مسلم الثقفيّ فإنّه يخبرك، فما أفتاكِ به من شيءٍ فعودي إليّ».

ومنهم: محمّدُ بنُ عليّ رضي الله عنه الملقب بمؤمن الطاق والمكنّى بأبي جعفر فإنّه تلقّى العلمَ عن الإمام زين العابدين عليه السلام وعن الإمام

الباقر عليه السلام وعن الإمام الصادق عليه السلام، وكان قويَّ الحُجّة لا يخاصمه أحدٌ ـ مهما بلغ من العلم ـ إلا وظهر عليه، قال أبو خالد الكابلي: رأيتُ أبا جعفر صاحبَ الطاق في الروضة وقد قطع أهلُ المدينة أزرارَه وهو دائبٌ يجيبهم ويسألونه، فدنوتُ منه وقلتُ له: إنّ أبا عبد الله عليه السلام نهانا عن الكلام، فقال: لقد أمركَ أن تقولَ لي؟ فقال: لا واللّهِ ولكنّه أمرني أن لا أكلّمَ أحداً، قال: فاذهبْ فأطعْه فيما أمرك. قال: فدخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرتُه بقِصّة صاحب الطاق وما قلتُ له وما أجابني به، فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا أبا خالد إنّ صاحبَ الطاق يكلّم الناس فيطير وينقضّ، وأنت إذا قصّوك لن تطير».

٧٥٨٨ـ قال الله تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(٢٣٣): ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة عِدّةُ مسائلَ مهمّة يجدُر البحثُ فيها والتعرّضُ لها:

الأولىٰ: قولُه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ ينُصّ على أنّ الارضاعَ للوالدة مع أنّه غيرُ واجب عليها لبيان أنها أحقّ به من غيرها، وإن جاز لها الامتناعُ عن الرَضاعة إلا بالأُجرة، ويجب على الأب عندئذٍ الدفع. كما أنّ الآيةَ محمولةٌ على الأعمّ الأغلب لأنّ أكثرَ المرضعات هُنّ الوالدات. وقد يجب الرضاعُ على الوالدة إذا لم يقبلِ الطفلُ غيرَ ثديها، أو لم يتيسّر له مرضعةٌ غيرُها، أو كان الأبُ عاجزاً عن دفع الأجرة.

الثانية: قولُه: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ يدلّ على

أن الحولَيْنِ الكاملَيْن هما تمام الرَّضاعة لمن أراد أن يتمَّها، ومن لم يرد الإتمامَ جاز له النقصُ بشهرٍ أو شهريْنِ أو ثلاث كما وردت بذلك الأحاديث، ولا يجوز النقص بأكثرَ من ذلك إلا مع الاضطرار. أمّا الزيادة فتجوز إذا احتاج إليها الطفل.

الثالثة: قولُه: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ لأنّ نفقةَ الزوجة واجبةٌ على الزوج، وذُكرت هنا مع أنها واجبةٌ مع الإرضاع وعدمِه للتأكيد عليها وحثّ الزوج على أدائها لها ـ وهي تُرضع مولودَه ـ حتى لو فُرض أنّه كان يتهاون بها قبل ذلك. وفيه حثٌّ للزوجة على الإرضاع لأنّ الزوجَ له عليها فضلُ الإنفاق.

الرابعة: في اختيار كلمة ﴿ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ في الآية بدلاً من كلمة «الوالد» نكتةٌ بليغة من ناحيتين:

الناحية الأولى: إنّ الولدَ ـ في عُرف الناس ـ للأب ويُنسب إليه، والأُمّ وِعاءٌ له كما قال الشاعر:

فإنّما أمّهاتُ الناس أوعيةٌ مستودَعاتٌ وللآباء أبناءُ

لذلك كان عليه أن يُنفقَ عليها ويُحسنَ إليها عندما تقوم بإرضاع ولده، ويُعطيها الأُجرةَ إنْ أرادت ذلك.

الناحية الثانية: إنّ الوالدَ في الحقيقة هي الأم لأنّها هي التي وَلَدَتْ، وأمّا الأب في الحقيقة فهو مولودٌ له. قال في «القاموس»: «ولَدتْ تلدُ فهي ـ أي الأم ـ والد ووالدة» وتسميةُ الأب بالوالد أقربُ إلى المجاز منه إلى الحقيقة باعتبار أنّه من مائه. ويُقال في العرف: «وَلَدت فلانة ووُلِد لفلان» ولا يُقال «ولَدَ فلان». نعم قد يُقال عن

بعض الآباء أو الأجداد: «ولَدني فلان» بالنظر للاعتبار الذي ذكرناه.

الخامسة: قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ دعوةٌ إلٰهيّة كريمة إلى التسامح بين الطرفيْن والرحمةِ بالطفل من الوالديْن، فلا يتعسّف الأب فيمنعُ الأمَ من حقّها في الرَّضاعة، أو يمنعُها من رزقها وكِسوتها، أو يمنعُ الطفلَ من الاستفادة من إرضاع أمّه. ولا تتعسّف الأم فتمتنع عن إرضاع ولدها بغير سببٍ مشروع، أو تطلب من الأجرة ما لا يُطيقها الأب، بل الأفضل لها أن تتبرّعَ وتتطوّعَ بذلك من غير عوض. وخلاصة الأمر أن يجعلَ الجانبان مصلحتَهما ومصلحةَ طفلهما نِصْبَ أعينهما وفوقَ كلِّ اعتبارٍ آخر، وأن لا يتضارّا لأنّ اللّٰه سبحانه وتعالىٰ أمر بالعدل والإحسان ولا ضررَ ولا ضِرارَ في الإسلام.

٧٥٨٩- في قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ مطلبان مهمّان:

الأوّل: ظاهرُ قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ يَدُلّ على أنّ غيرَ الجاهل من العُصاة لا توبةَ لهم، وهذا مخالفٌ لضرورة الدين وإجماعِ المسلمين. والجواب عن ذلك: إنّ العاصي جاهلٌ وإن كان عالماً بالمعصية، فمن عرّض نفسه لغضب الله وسخطه، وقدّم اللذةَ الفانيةَ على اللّذةِ الباقية، وآثر الدنيا على الآخرة فهو من الجاهلين. وقد سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: «كل ذنب عمِله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربّه، فقد حكى الله تعالىٰ قولَ يوسفَ لإخوته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ

أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله».

الثاني: ظاهرُ قوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ يَدُلّ على أنّ الذين يؤخّرون التوبةَ من العصاة لا توبةَ لهم، وهذا مخالفٌ أيضاً لضرورة الدين وإجماعِ المسلمين. والجواب عن ذلك: إنّ المقصودَ عدمُ تأخير التوبة إلى وقت الموت وحضور أسبابه لأنّ الموتَ آتٍ لا محالة وكلُّ آتٍ قريب. ويدُلّ على ذلك قولُه تعالىٰ بعد هذه الآية: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾. كما يدُلّ عليه ما روي عن الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «وعِزّتي وعظمتي لا أحجُب التوبةَ عن عبدٍ حتى يغرغرَ بها»، وما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تاب قبل موته وقد بلغت نفسُه هذه ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ تاب اللّهُ عليه».

٧٥٩٠ـ في قوله تعالىٰ في سورة طه، الآية(٦٣): ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قِراءتان أحدهما بالتشديد والأُخرىٰ بالتخفيف.

فعلىٰ قِراءة التشديد يأتي السؤال عن سبب رفع كلمة «هذان» بالألف مع أنها اسمُ أنّ فيقتضي أن تكونَ منصوبةً بالياء. والجواب: إنّ الآيةَ الكريمة ـ على قِراءة التشديد ـ إمّا أنها نزلت بلغة قبيلة من قبائل العرب كانت تعتبر أنّ ـ حتى في حالة تشديدها ـ عاطلةً غيرَ عاملة فيقولون: «إنّ المسافران قادمان»، وعلى هذا الوجه قال شاعرهم:

واهاً لريّا ثم واهاً واها ... يا ليت عيناها لنا وفاها

إنّ أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وإمّا على حذف ضمير الشأن مِن أنّ وتقديره في الآية: إنّه هذانِ لساحران، فضمير الشأن المحذوف في محل نصبٍ على أنّه اسم إنّ، و«هذان لساحران» جملةٌ اسميّة في محل رفعٍ على إنها خبر إنّ. وإمّا على اعتبار أنّ بمعنى «نعم» فلا تعمل عمل الحروف المشبهة بالفعل كما قال ابن قيس الرُّقيّات:

ظلّ العواذل بالضحى يَلحينني وألومُهُنّه[1]
ويقُلْنَ: شيبٌ قد علاك وقد كبِرْتَ فقلتُ: انّهْ

أي فقلتُ: نعم.

وأمّا على قِراءة التخفيف ـ وهي القِراءةُ المشهورةُ والمرسومةُ في المِصحف الشريف ـ فيرتفع السؤال والإشكال لأنّ الصحيحَ والفصيحَ في كلام العرب إنّ «إنْ» المخففةَ عاطلةٌ عن العمل والجملة ما بعدها تُعرب مبتدأ وخبر، ولا سيما إذا كان الخبرُ مقترناً باللام كما في الآية الكريمة.

٧٥٩١ـ قال الله تعالىٰ في سورة الحج، الآية(٥): ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾. فما معنى المضغة المخلّقة وغير المخلّقة في هذه الآية الكريمة؟

قال المفسرون: إنّ المضغةَ هي قطعة اللحم، وإنّما سُمّيت مضغة لأنّها بحجم قطعة اللحم التي تُمضغ. وزاد علماء الطب الحديث: بأنّها بشكل قطعة اللحم الممضوغة ـ وليست بحجمها فقط ـ

---

(١) يلحينني: يلمنني.

وحتى إنّ أثرَ الأسنان بها واضح.

أمّا قوله: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ فقد قال بعض المفسرين: إنّ المخلَقةَ هي التي يتِمّ تكوينُها خلقاً سوياً، وغيرَ المخلَّقة هي التي تخرج سِقطاً ناقصاً. وقال آخرون منهم: إنَّ المخلَّقةَ هي إشارةٌ إلى مرحلة ما بعد تصويرها، وغيرَ المخلَّقةِ هي إشارةٌ إلى مرحلة ما قبل تصويرها. وقال غيرُهم: إنّ المخلَّقةَ ما تكوّنتْ فيها صورةُ الأعضاء، وغير المخلَّقة ما بقيتْ لحماً.

وجاءت الدّراساتُ الطبيّةُ الحديثة فكشفتْ جانباً آخرَ مهمّاً في هذه الآيَة الكريمة حيثُ بيّنت أنّ خلايا المضغة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأوّل: يمُرّ بأدواره التكامليّة في الخَلْق والتكوين ـ وهي التي عبّر عنها القرآن بالمخلَّقة ـ.

والقسم الثاني: لا يمُرّ بهذه الأدوار بل يبقىٰ في الجسم كوِقاءٍ احتياطيٍّ عند الحاجة، فإذا حدث كَسْرٌ أو جُرْحٌ في الجسم تقوم هذه الخلايا ـ وهي التي عبّر عنها القرآن بغير المخلَّقة ـ بعملها العظيم في لحم ولأم ذلك الكَسْر أو الجُرْح، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين.

٧٥٩٢ـ قال الله تعالىٰ في سورة فصلت: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

فقولُه في هذه الآية الكريمة: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ تصريحٌ بأنّ اللّهَ خلق الأرضَ في يومَين، ومن المعلوم أنّ اليومَ بمعناه المعروف لم يكن إلا بعد خلق الأرض فما معناه إذاً هنا؟ ربما تشير الآية ـ والله

أعلم ـ إلى طورَيْن أو مرحلتَيْن مرّ بهما خلق الأرض، وقد تكون المرحلة الأولى عند انفصالها عن الشمس وهي قطعة جامدة بعد أن كانت غازيّة، والمرحلة الثانية عندما برُدتْ وتصلّبتْ وأعِدّتْ لتكونَ صالحةً لقيام الحياةِ والإحياءِ عليها.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يصرّح بأنّ اللّهَ خلق ما في الأرض من جبال راسيات، وكوّن فيها أسبابَ الحياة من ماء وهواء، وما أودع فيها من معادنَ وكنوز في مدة يومينِ آخرَيْن فتمّ بذلك أربعة أيّام. والمقصود بذلك أيضاً ـ والله أعلم ـ هو فترتان أو مرحلتان من الزمن قد تمّ بهما تهيئة كل ما يحتاج إليه الكائنُ الحيّ الذي سيوجده الله على هذا الكوكب الأرضيّ. فبهذه الأطوار أو المراحل الأربع ـ التي لا يعلم مداها إلا الله ـ تمّ خلقُ الأرض وخلقُ ما تحتاج إليه الكائناتُ الحيّة التي قدّر الله سبحانه تكوينَها وإيجادَها عليها.

ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي في مرحلتين أُخريَيْن من الزمن لا يعلم مقدارَهما وحقيقَتَهما إلا الله جلّتْ قدرته. وبذلك تمّ خلقُ السمٰوات والأرض في ستة أيام كما قال في سورة الأعراف، الآية(٥٤): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وقال في سورة هود، الآية(٧): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وقال في سورة السجدة، الآية(٤): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وقال في سورة ق، الآية(٣٨): ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

والذي يظهر من الآيات التي بدأنا بها الموضوع من سورة فصلت، ومن قوله تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(٢٩): ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ أنّ خلقَ الأرض تمّ قبل خلق السماء. ولكن الذي يظهر من قوله تعالىٰ في سورة النازعات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ أنّ خلقَ السماء تمّ قبل خلق الأرض، فكيف الجمع بين ما يظهر من هذه الآيات وما يظهر من الآيات السابقة؟ هنا يجيب حبرُ الأُمّة وترجُمانُ القرآن عبدُ الله بنُ عباس بقوله: «إنّ اللّهَ خلق الأرضَ قبل السماء غيرَ مدحُوّة، ثم استوىٰ إلى السماء فسوّاهُنّ سبعاً في يومين، ثم دحا الأرضَ بعد ذلك». فلا معارضة بين آيات الكتاب العزيز، فالذي حصل قبل خلق السمٰوات هو خلقُ الأرض، والذي حصل بعد خلقها هو الدحو. والله سبحانه هو العالم بدقائق خَلْقه العظيم وبحقائق كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفهِ تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميد.

٧٥٩٣ـ كان واصلُ بنُ عطاء رئيسُ المعتزلة يلثغ بالراء حتى تجنّب النطقَ بها في كلامه دون أن يُلتفتَ إليه. وصار يُضرب به المثَل في شدّة تجنّبه لها حتى قال أحد الشعراء في مدح أحد الكرماء:

نعم تجنّب «لا» يومَ العطاءِ كما تجنّب ابنُ عطاءٍ لثغةَ «الراءِ»

وإنما سُمّي هو وأصحابُه بالمعتزلة لأنّه اعتزل مجلسَ الحسن البصري، وقال بأنّ مرتكبَ الكبيرة ليس بمؤمنٍ ولا كافر وأثبت له المنزلة بين المنزلتيْن. فقال الحسن البصري: قد اعتزل عنا فسمّوا «المعتزلة».

أمّا «الأشاعرة» فهم أصحاب أبي الحسن الأشعري من ذريّة أبي موسى الأشعري المعروف.

وأهمُّ فارقٍ بين «المعتزلة» و«الأشاعرة»: إنّ المعتزلةَ يقولون: إنّ أوامرَ الله ونواهيه تابعةٌ للمصالح والمفاسد. ويقولون: بالحُسْن والقُبْح العقليّيْن. ويقولون: إنّ أفعالَ العباد ليست مخلوقةً لله. ويقولون: إنّ اللّهَ لا يجوز عليه الظلم والقُبح. ويقولون: إنّ اللّهَ لا يُرىٰ يومَ القيامة كما لا يُرىٰ في الدنيا. ويقولون: إنّ القرآنَ مخلوق. ويقولون: إنّ صفاتَ الله هي عينُ ذاته. ويخالفهم في جميع ذلك «الأشاعرة». بينما يتّفق معهم في القول بهذا كلّه «الشيعةُ الإماميّة»، وقد أطلق عليهم وعلى المعتزلة اسم «العدليّة» أو «أهل العدل».

٧٥٩٤ـ قال بعض المتكلّمين من أهل السنّة ولا سيما أتباع أبي عليّ الجُبّائي من المعتزلة بالإحباط ومعناه عندهم: إنّ الإنسانَ إذا ارتكب كبيرةً أحبطتْ جميعَ ما عمِله من الحسنات في حياته، فإن مات عليها قبل أن يأتيَ بحسنةٍ فهو من أهل النار خالداً فيها مع الكافرين. كما قالوا بالتكفير ومعناه عندهم: إنّ الإنسانَ إذا عمِل حسنةً كفّرتْ جميعَ ما ارتكبه من السيّئات في حياته وإن لم يتُبْ، فإن مات عليها قبل أن يأتيَ بكبيرةٍ فهو من أهل الجنّة خالداً فيها مع المتقين.

وحُجّتهم على ذلك: إنّ الكبيرةَ تستوجب العقاب وهو يقتضي البُعدَ عن الله عزّ وجل، وإنّ الحسنةَ تستوجب الثواب وهو يقتضي القُربَ منه تعالىٰ وهما ضِدّان لا يجتمعان، إضافةً إلى استشهادهم ببعض الآياتِ الكريمة والأحاديثِ الشريفة التي ليس فيها أيُ دَلالةٍ على ما يريدون.

والحقيقة: إنّ كلّ ما جاء في الكتاب والسُّنّة من لفظ الإحباط فإنّما أريد به معناه اللُّغويّ وهو إبطال الثواب بالنسبة إلى الكافرين الذين لم يقبل الله أعمالَهم بسبب كفرهم، لأنّ الإيمانَ شرطٌ لقبول الأعمال، كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾، وقال في سورة البقرة، الآية(٢١٧): ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾، وقال في سورة الأعراف، الآية(١٤٧): ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، وقال في سورة محمد: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾، وقال في نفس السورة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾، وقال في سورة الأحزاب: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. فأين هذا المعنى من معنى «الإحباط» الذي اصطلحوا عليه وزعموا أنّ المؤمنَ إذا ارتكب كبيرةً أحبطت جميعَ أعماله الصالحة وإنْ قضىٰ في طاعة الله وعبادته عشراتِ السنين من حياته؟! وكيف يستقيم هذا القول مع عدل الله وسعة رحمته بعباده؟ أم كيف يتّفق مع قوله تعالىٰ في سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾، وقولِهِ في سورة آل عمران، الآية(١٩٥): ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾، وقولِه في سورة النجم، الآية(٣١): ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ إلى عشرات الآيات والروايات التي تصرّح بهذه الحقيقة وتؤكّد عليها.

وأمّا ما زعموه من المُنافاة بين القُرب والبُعد، وأنّهما ضدّانِ لا يجتمعان فهو وهْمٌ وضلال إذ ليس المقصودُ منهما هو القرب المكاني أو البعد المكاني، وإنّما هو المعنويّ منهما، ولا مانعَ أصلاً من أن

يجتمعا ـ على هذا القصد ـ في شخصٍ واحد، فقد يعملُ الإنسان عملاً يوجب الرضا ويعملُ عملاً آخرَ يوجب السخط، أو يعملُ ما يوجب الثواب ويعملُ أيضاً ما يوجب العقاب. والله سبحانه يزن حسناتِه مع سيّئاته يومَ القيامة فمن ثقُلتْ موازينُه فهو من أهل السعادة، ومن خفّتْ موازينُه فهو من أهلِ الشقاء.

نعم ورد في الكتاب والسنة أنّ بعضَ الكبائرِ تُحبط الأعمالَ وتُبطلها كالارتداد وإنّ بعضَ الحسناتَ يُذهِبْن السيئات كالقتل في سبيل الله، كلّ ذلك مع الإيمان الصحيح والتوبة الصادقة كما قال تعالىٰ في سورة الفرقان: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾. وهذا غيرُ «الإحباط» و«التكفير» اللّذينِ ذهب إليهما الجُبّائيّةُ وأتباعُهم.

٧٥٩٥ـ وردت آياتٌ كريمةٌ في الكتاب العزيز مطابقةً لبعض بحور الشعر وأوزانه ـ وقد مرّ بعضها في هذا الكتاب برقم «٢٠٩٥» ـ ونذكر هنا بعضاً آخرَ منها، كقوله تعالىٰ في سورتي الأنعام والإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ ـ من البحر الطويل.

وقولِه في سورة الكهف، الآية(٢٩): ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ـ من البحر الطويل.

وقـولِـه فـي سـورة الـبـقـرة، الآيـة(١٠٩): ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ ـ من البحر المديد.

وقوله في سورة الرعد، الآية(٣٠): ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ ـ من البحر البسيط.

وقوله في سورة الأحقاف، الآية(٢٥): ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ ـ من البحر البسيط.

وقوله في سورة البقرة، الآية(٢٨٢) ـ مع إضافة كلمة «يقول» قبل الآية الكريمة ـ:

يــقــول: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾

من البحر الوافر.

وقوله في سورة البقرة، الآية(٢٤٨):

﴿يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾

من البحر الكامل.

وقوله في سورتي البقرة، الآية(٢١٣) والنور:

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

من مجزوء الكامل.

وقوله في سورة التحريم، الآية(٥):

﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾

من بحر الرمل.

وقوله في سورة آل عمران، الآية(٩٢):

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

من مجزوء الرمل.

وقوله في سورة الانفطار، الآية(٦): ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ﴾ ـ

من البحر السريع.

وقولِه في سورة المائدة، الآية(٣): ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ - من البحر السريع.

وقولِه في سورتي النساء، الآية(١) والحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ - من البحر السريع.

وقولِه في سورة الصف، الآية(١٣): ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ -

من البحر السريع.

وقولِه في سورة مريم، الآية(٦١): ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ -

من البحر الخفيف.

وقولِه في سورة الفتح: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ -

من البحر المتقارب.

وقولِه في سورة آل عمران، الآية(١٥):

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

من الهزج.

وقولِه في سورة التوبة، الآية(١١٢):

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾

من الرجز.

وقولِه في سورة النمل، الآية(٢٣):

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾

من مجزوء الرجز.

ورغم وجود هذه الآيات المطابقة لهذه البحور فلا يُسمّى شيءٌ من ذلك شعراً ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾[1] ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2].

٧٥٩٦ـ حُكي: إنّ بعضَ الطلَبة قرأ هذه المسألة في بعض كتب الفقه وهي: «ويُستحب الحج في كلّ عام لأهل الجِدَة»، فظن أنّ كلمةَ الجدة اسم المدينة المعروفة في الحجاز والواقعة على البحر الأحمر، وأظهر تعَجُّبَه من تخصيص هذا الحكم بهم. مع أنّ الجِدَة ـ بكسر الجيم وفتح الدال وتخفيفها ـ معناها الغِنىٰ. وجُدّه ـ بفتح الجيم أو ضمّها وفتح الدال وتشديدها ـ اسم المدينة الحجازية.

وحُكي أيضاً: إنّ بعضَهم كان يصحب معه في الصلاة قُفَّةً وسِكّينة، فلمّا سُئل عن سبب ذلك قال: إنهما من مستحبّات الصلاة، فقيل له: في أيّ كتابٍ وجدتَ هذا الحكم؟ فأخرج كتاباً فقهياً وفيه هذه العِبارة: «يُستحبّ أن يأتيَ الإنسان إلى الصلاة بِقِفَةٍ وسَكِينة» فقرأها هو: بقُفَّةٍ وسِكّينة.

وحُكي أيضاً: إنّ بعضَهم قرأ هذه العبارة في بعض كتب الفقه وهي: «إنّ في المسألة أقوالاً أسَدُّها ـ بتشديد الدال ـ القولُ الفلاني» فقرأها: أسَدُها ـ بتخفيف الدال ـ ثم فسّرها بأنّ القولَ الفلاني هو أسَدُ الأقوال لأنّه أقواها فهو يُشبه الأسدَ القويّ. مع أنّ الكلمةَ ـ بالتشديد ـ لا ـ بالتخفيف ـ، ومعناها: أقربُها إلى السّداد أي الصواب.

---

(١) سورة البروج، الآية(٢١-٢٢).

(٢) سورة الحاقة، الآية(٤١-٤٣).

٧٥٩٧ـ مسائل فقهيّة يمكن أن تُطرح للاختبار والامتحان، أو يمكن أن تُدرجَ في عِداد الألغاز الفقهيّة:

أوّلها: امرأة لها زوج، فأمكنتْ نفسَها من رجلٍ كاملِ العقل، فوطأها من غير حرَجٍ عليهما، وزوجُها كارِهٌ لذلك من جهة الطبع، راضٍ به من جهة الشرع، فكيف ذلك؟

الجواب: هذه امرأة بلغها موتُ زوجها فاعتدّتْ، وبعد العِدّة تزوّجت ووطأها زوجُها الجديد، ثم تبيّن أنّ زوجَها الأوّل موجود، فلمّا بلغه ما فعلت كرِه ذلك من جهة الطبع ولكنّه رضِيَ به من جهة التسليم لأمر الشرع.

ثانيها: رجلان كانا يمشيان، فسقط على أحدهما جدارٌ فقتله، فحرُمتْ على الآخر زوجتُه، فكيف ذلك؟

الجواب: هذا الرجل ـ الذي سقط عليه الجدار ـ كان قد زوّج ابنتَه من عبده، وخرج معه يمشيان، فلمّا سقط عليه الجدار ومات صار العبدُ ميراثاً لابنته فحرُمتْ عليه في الحال.

ثالثها: رجلٌ غاب عن زوجته أيّاماً فكتبتْ إليه: إني قد تزوّجتُ بعدك، وأنا محتاجةٌ إلى نفقة فأرسلْ إليّ ما أنفقه على نفسي وزوجي، فما كان يسعه إلا أن يرسلَ إليه نفقتَهما، فكيف ذلك؟

الجواب: هذه امرأة زوّجها أبوها من عبده، وأعطاه مالاً، وقبل أن يدخلَ بها أذِن له بالسفر، فلمّا مضت أيّام مات أبوها فصار زوجُها العبدُ ميراثاً لها فحرُمت عليه وحلّ زواجُها من غيره بغير عِدّة، فتزوّجت رجلاً وأرسلت إلى العبد تطالبه بشيءٍ من تركة أبيها تنفقه على

نفسها وزوْجِها فوجب ذلك عليه.

رابعها: أخوانِ لأَبٍ وأُمّ، ورِث أحدُهما المالَ كلَّه، ولم يرث الآخرُ شيئاً، وهما من مِلّة واحدة، فكيف ذلك؟

الجواب: هذان أخوان مات ولدُ أحدهما ولم يكن له وارثٌ سواه فورِث المالَ كلَّه، ولم يرثْ أخوه ـ الذي هو عمّ الميت ـ شيئاً.

خامسها: أخوان لأبٍ وأمّ. ورِثا من ميّتٍ لهما، فكان نصيبُ أحدهما ثلاثة أرباع تركته ونصيبُ الآخر الربع، فكيف ذلك؟

الجواب: امرأة ماتت ولم يكن لها وارثٌ إلا زوجَها وأخاه، فورِث الزوجُ منها النصفَ من جهة زوجيّته، والنصفُ الثاني قُسِم بينه وبين أخيه بالسويّة، فكان له ثلاثةُ أرباع، ولأخيه الربع.

سادسها: رجلٌ وابنُه ورِثا من ميّتٍ لهما، فكانت التركةُ بينهما بالسويّة، فكيف ذلك؟

الجواب: امرأة ماتت ولم يكن لها وارثٌ إلا زوجَها الذي هو ابنُ عمّها وأباه الذي هو عمُّها، فورِث زوجُها النصفَ من جهة زوجيّته، وورِث أبوه ـ الذي هو عمُّها ـ النصفَ الآخر، ولا يشاركه فيه ابنُه لأنّه لا يرث مع أبيه.

سابعها: رجلان تزوّج كلٌّ منهما أمَّ الآخر، فولدت كلٌّ منهما ولداً، فما القَرابةُ بين الولديْن؟

الجواب: يكون كلٌّ منهما عمّاً للآخر من أمّه.

ثامنها: رجلان تزوّج كلٌّ منهما بنت الآخر، فولدت كلٌّ منهما

ولداً، فما القرابةُ بين الولديْن؟

الجواب: يكون كلٌّ منهما خالاً للآخر.

٧٥٩٨ـ جاء في كتاب «تقويم اللسان» لابن الجوزي بعضُ الفوائد اللغويّة نذكر منها ما يلي:

الصحيح أن تقول: حاجات في جمع حاجة، ومن الغلط قولُهم: حوائج. والظاهر أنّ قولَه هذا من الغلط لأنّ هذا الجمع ورد في كلام الفصحاء وفي الأدعية المأثورة.

والصحيح أن تقول: الحمد لله كان كذا، ومن الغلط قولُهم: الحمد لله الذي كان كذا.

والصحيح أن تقول للقائم: اقعُدْ، وللنائم: اجلِسْ، ومن الغلط قولُهم للقائم: اجلِسْ وللنائم: اقعُدْ.

والصحيح أن تقول عن الزوج والزوجة: «العروس»، ومن الغلط قصْرُها على الزوجة.

وجاء في القاموس: الصحيح أن تقول ـ في حالة القلق والاضطراب ـ: «التهويش»، ومن الغلط قولُهم: «التشويش».

وفيه أيضاً: الفِلْفِل اسم للنبات المعروف، ومن الغلط قولُهم: «الفُلْفُل».

٧٥٩٩ـ قال الثعالبي: كل ظهر يُكتب بالظاء ـ أخت الطاء ـ إلا ضهر الجبل فإنّه يُكتب بالضاد ـ أخت الصاد ـ. وكل بيض يُكتب بالضاد ـ أخت الصاد ـ إلا بيظ النمل فإنّه يُكتب بالظاء ـ أخت الطاء ـ.

٧٦٠٠ـ الرَّهْط: اسم يُطلق على الجماعة من الرجال ـ من الثلاثة إلى العشرة ـ. والنَّفَر: اسم يُطلق على الجماعة ـ من الثلاثة إلى التسعة ـ وليس لهما واحدٌ من لفظهما.

٧٦٠١ـ معنى «هَلُمّ جَرّاً» وإعرابُها: هلُمّ: اسم فعل بمعنى إئتِ، وجرّاً: مفعول مطلق لحالٍ محذوف تقديره: هلُمّ جاراً الحكمَ إلى غير المذكور جرّاً.

٧٦٠٢ـ كلمة «اللهمّ» أصلها ـ على الأشهر ـ يا الله فحُذف حرفُ النداء وعُوّض عنه بالميم المشدّدة، ولذلك لا يُجمع بينهما ـ أي بين حرف النداء والميم ـ إلا في الشاذ النادر كقول الشاعر:

إنــي إذا مــا حــدَثٌ أَلَــمّــا أقول: يـا الـلّـهُـمّ يـا الـلّـهُـمّـا

ولها ثلاثة استعمالات:

أوّلها: النداء المحض كقولك: «اللهم اغفرْ لنا ذنوبَنا».

ثانيها: لتمكين الجواب في نفس السامع كما لو قيل لك: «أتحبّ علياً؟» فتقول: «اللهم نعم».

ثالثها: للدّلالة على نُدرة الشيء وقِلّةِ وقوعه كقولك: «إني لم استعمل الدخان اللهمّ إلا في الحالات النادرة»، وكقولك: «إني لم أسلك سبيل العُنف والشّدّة مع أحد اللهمّ إلا في حالة الاعتداء الصارخِ على حقّي وكرامتي».

٧٦٠٣ـ إذا اتصلت «ما» الاستفهامية بأداة الجر مثل حتى وإلى وعلي كُتبت الأداة بالألف متصلاً بما نحو: «حتّام وإلام وعلام»، وإذا اتصلت «ما» بمتى بقيت على الياء منفصلةً عن ما نحو: «متى ما».

٧٦٠٤- الفرق بين كلمتي «الماتح والمايح»: إنّ الماتح هو الذي يستقي من البئر من فوق، والمايح هو الذي يملأ الدلو من داخل البئر، قال الشاعر:

يا أيّها المايح دلْوي دونكا   إنّي رأيتُ الناسَ يمدحونكا

وسُئل بعضُهم عن الفرق بين الماتح والمايح فقال: «المنقَّطُ من أعلىٰ لِمن يستقي من الأعلىٰ، والمنقَّطُ من أسفل لِمن يستقي من الأسفل».

٧٦٠٥- الفرق بين كلمتي «القَد والقَط»: إنّ القدَّ هو القطع طولاً، والقطَّ هو القطع عَرْضاً، ومنه ما جاء في صفة أمير المؤمنين عليه السلام: «كانت ضرباته وِتْراً، إذا اعتلىٰ قَد، وإذا اعترض قَط».

٧٦٠٦- من الخطأ المشهور قولُهم: الرُّباعِيّة والرُّفاهِيّة والكَراهِيّة والدُّخّان - بالتشديد -، والصحيح إنها - بالتخفيف -. ومن الخطأ المشهور قولُهم: الكِتّان والعِقار والدُّجاج والدُّجاجة - بالكسر - والصحيح إنها - بالفتح -. ومن الخطأ المشهور قولهم: فلان يقرؤك السلام، والصحيح: يقرأ عليك السلام.

٧٦٠٧- كلمة «الطاغوت» على وزن «فَعَلوت» من الطغيان وهو تجاوز الحد، وتُطلق على كلّ متجبّر مُطاعٍ أو معبودٍ من دون الله سبحانه. وتجيء مفردةً كقوله تعالىٰ في سورة النساء، الآية(٦٠): ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾، وتجيء جمعاً كقوله تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(٢٥٧): ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾.

٧٦٠٨ـ قُرّةُ العيْن كِنايةٌ عن فرح الإنسان وابتهاجه، فتقول: «فلان قرّتْ عينُه» أي فرِح وابتهج. ومنه قولُه تعالىٰ في سورة السجدة، الآية(١٧): ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، وقولُه في سورة الفرقان، الآية(٧٤): ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، وقولُه في سورة مريم، الآية(٢٦): ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾. وأصل القُرّة ـ بضمّ القاف ـ: البرودة، وتزعَمُ العرب أنّ دمعةَ الفرح باردة ودمعةَ الحزن ساخنة، ولذلك يقولون في الدعاء على شخصٍ: «اسخن الله عينَه». والقِر ـ بكسر القاف ـ: البرد.

٧٦٠٩ـ قال الشاعر:

جسَّتِ العودَ بالبَنان الحِسانِ ... وتثنّتْ كأنّها غصنُ بانِ[1]

فسجدنا لها جميعاً وقلنا ... إذْ شجتنا بالحسن والإحسانِ:

حاشَ لله أن تكوني من الإ ... نسِ ولكن أبِقْتِ من رِضوانِ

وفي قوله: «ولكن أبِقتِ من رضوان» كناية جميلة تدُل على جمالها الفاتن فكأنها من جنس «الحور العين» وقد فرّتْ من رضوان خازن الجِنان. وفي البيت الأخير إشارةٌ إلى الآية الكريمة في سورة يوسف، الآية(٣١): ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٧٦١٠ـ قال الشاعر:

شكوتُ وما الشكوىٰ لمثليَ عادةٌ ... ولكنْ تفيض الكأسُ عند امتلائها

٧٦١١ـ الفرق بين كلمتي «التجسُّس والتحسُّس»: إنّ التجسُّس يكون فيما يعود بالضرر على المؤمنين كتتبّع عوراتهم وزلاّتهم لغرض

---

(١) البَنان: جمع بَنانة وهي الإصبع كلّها أو العقد الأعلىٰ من الإصبع.

الوقيعة بهم أو التحريض عليهم، أو نقل أخبار المسلمين وأسرارهم إلى عدوّهم المتربِّص بهم، وهي من صفات المنافقين، وقد نهى الله عن ذلك بقوله تعالى في سورة الحجرات، الآية(١٢): ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾.

أمّا «التحسُّس» فيكون فيما يعود بالنفع على المؤمنين كتفقّد شؤونهم أو التفتيش عن الضّال منهم، وهو من صفات المؤمنين، قال تعالى في سورة يوسف، الآية(٨٧): ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾.

٧٦١٢ـ كلمة «القوم» تُطلق غالباً ـ في الاستعمال العربيّ الصحيح ـ على الرجال خاصة دون النساء، قال الله تعالى في سورة الحجرات، الآية(١١): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾، وفي عطف النساء على القوم في هذه الآية الكريمة دليلٌ على إرادة الرجال من القوم دون النساء.

وقال زُهيرُ بنُ أبي سلمىٰ:

وما أدري ولستُ أخال أدري ... أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ؟

٧٦١٣ـ قال الشاعر:

رأيتُ أقلَّ الناس همّاً أشدَّهم ... قنوعاً، وأرضاهُمْ بما هو فيهِ

ولا خيرَ فيمن ظلَّ يبغي لنفسه ... من الخير ما لا يبتغي لأخيهِ

٧٦١٤ـ من الحِكَم البليغة: «الجهلُ مطِيّةُ سوء من ركِبها زل، ومن صحِبها ذل». «من كان عبداً للحق فهو حر». «الحرُّ عبدٌ إذا طمع، والعبدُ حرٌّ إذا قنع». «مَن تأنّى نال ما تمنّىٰ». «لا سرفَ في

الخير كما لا خيرَ في السرَف». «زُرْ غِبّاً تزدَدْ حُبّاً». «اللسانُ صغيرُ الجُرْمِ كبير الجُرْم». «لا تكن رطباً فتُعصر، ولا يابساً فتُكسر». «من رافق العلماء زها بذرِّه، ومن رافق السفهاء وهى قدْرُه». «مجلسُ العلم روضةٌ من رياض الجنّة». «في سِعَة الأخلاق كنوز الأرزاق». «فقدُ الأحِبّة غُربة». «من تكلّم بما لا يَعنيه وقع فيما لا يُرضيه». «البلاءُ موكّلٌ بالمنطق». «أفضلُ الزهد إخفاء الزهد».

٧٦١٥ـ من حِكَم المتنبي الملتقطة من شعره:

«مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ».

«ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا».

«وخيرُ جليس في الزمان كتابُ».

«وربّما صحّتِ الأجسامُ بالعِللِ».

«وفي عُنُق الحسناء يُستحسن العِقْدُ».

«إنّ القليلَ من الحبيب كثيرُ».

«ليس التكحّلُ في العينين كالكُحُلِ».

«فإنّ في الخمر معنًى ليس في العنبِ».

«هكذا هكذا وإلا فلا لا».

«وكلُّ مكانٍ يُنبت العِزَّ طيّبُ».

«وحسْبُ المنايا أن يكنّ أمانيا».

«من يهُنْ يسهُلِ الهوانُ عليهِ».

«ما لجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ».

«لا تشتري العبدَ إلا والعصا معهُ».

«ولا بدّ دون الشهد من أبَر النحلِ».

«رُبَّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ».

٧٦١٦ـ المتنبي في بدائعه وروائعه بلغ القِمّة في الشعر العربي، كما أنه في سقطاته وعثراته هبط إلى الدَّرْك الأسفلِ من الشعر، وما أصدق من قالَ مخاطباً إيّاه:

أنت العروسُ لها جمالٌ رائعٌ لكنّها في كلّ حينٍ تُصرعُ

فمن روائعه الخالدة قولُه:

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذىٰ حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ
والظلم من شيم النفوس فإن تجدْ ذا عِفّة فلعلّةٍ لا يَظلِمُ
ومن البليّة عذلُ من لا يرعوي عن غَيّه وخطابُ من لا يفهمُ[1]

وقولُه في الغزل:

نشرتْ ثلاثَ ذوائبٍ من شعرها في ليلةٍ فأرتْ لياليَ أربعًا[2]
واستقبلتْ قمرَ السماء بوجهها فأرتنيَ القمرينِ في وقتٍ معًا

وقولُه:

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظنونُه وصدّق ما يعتاده من توهُّمِ
وعادىٰ محبّيه بقول عِداته وأصبح في ليلٍ من الشكّ مظلمِ
وما كلُّ هادٍ للجميل بفاعلٍ ولا كلُّ فعّال له بمُتَمّمِ
وأحسنُ وجهٍ في الورىٰ وجهُ محسنٍ وأيمنُ كفٍّ فيهُمُ كفُّ مُنعمِ

وقولُه:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومِ فلا تقنعْ بما دون النجومِ
فطعمُ الموت في أمرٍ حقيرٍ كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ

---

(١) عذل: لوم. يرعوي: يرتدع.

(٢) ذوائب: جمع ذؤابة وهي ضفيرة الشعر.

يرى الجبناءُ إنّ العجزَ عقلٌ وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيمِ
وكلُّ شَجاعةٍ في المرء تُغني ولا مثلُ الشَجاعة في الحكيمِ
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيمِ
ولكنْ تأخذ الأفهامُ منه على قدر القرائح والعلومِ

وقولُه :

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ وينكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَمِ

وقولُه في مدح كافور :

وللنفس أخلاقٌ تدُلّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا
قواصدُ كافورٍ توارِكُ غيره ومن قصد البحرَ استقلّ السواقيا

وقولُه في ذمّه :

لا تشترِ العبدَ إلاّ والعصا معهُ إنّ العبيدَ لأنجاسٌ مناكيدُ
من علّم الأسودَ المخصِيَّ مكرُمةً أقومُه البيض أم آباؤه الصيدُ؟

ومن سقطاته القبيحة قولُه في مطلع قصيدةٍ له :

هذي برزتِ لنا فهِجْتِ رسيسْا ثم انثنيتِ وما شفيتِ نسيسا[1]

وقولُه في مطلع قصيدةٍ ثانية :

أوه بديلٌ من قولتي واها لمن نأتْ والبديل ذكراها

وقولُه في مطلع قصيدةٍ ثالثة :

رفاؤكما كالربع أجشاه طاسمة بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمة

(١) الرسيس : الحب . النسيس : بقية الروح .

وقولُه في مطلع قصيدةٍ رابعة:

أحادٌ أم سُداسٌ في آحادِ لُيَيْلَتُنا المنوطة بالتنادِ

وقولُه في مطلع قصيدة خامسة:

لا يحزن الله الأمير فإنني لآخذُ من حالاته بنصيبِ

وقولُه:

جعلتُكَ بالقلب لي عُدّةً لأنك باليد لا تُجعلُ

وقولُه:

بحبّ قاتلتي والشيب تغذيتي هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلُمِ

وقولُه:

كيف ترثي التي ترى كل جَفْنٍ راءها غير جَفْنها غير راقِ

وقولُه:

لو استطعتُ ركِبتُ الناسَ كلَّهمُ إلى سعيد بنِ عبد الله بِعرانا

وقولُه:

أنّى يكون أبا البريّة آدمٌ وأبوك والثقلانِ أنت محمّدُ

وقولُه:

إني على شغفي بما في خمرها لأَعِفُّ عمّا في سراويلاتها

وقولُه:

أطعناك طوع الدهر يا ابنَ ابنِ يوسفٍ

بشهوتنا والحاسدونك بالرغم

وقولُه:

تقضم الجمرَ والحديدَ الأعادي　　دونه قضمُ سُكّر الأهوازِ

وقولُه:

ومن جاهلٍ بي وهْوَ يجهل جهلَه　　ويجهل علمي إنه بيَ جاهلُ

وقولُه:

فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا　　قلاقل عيش كلّهنّ قلاقِلُ

وقولُه:

ونهْبُ نفوسِ أهلِ النهْب أولى　　بأهل النهْب من نهْب القماشِ

وقولُه:

ملولةٌ لا تدوم ليس لها　　من مللٍ دائمٍ بها مللُ

وقولُه:

لو لم تك من ذا الورى ألذْ منك هو　　عقُمتْ بمولد نسلها حوّاءُ

٧٦١٧ـ من الحِكَم الملتقطة من الشعر العربي:

«ومِنَ البِرِّ ما يكونُ عقوقًا».

«وعند جهينةَ الخبرُ اليقينُ».

«ومَن يخطُبِ الحسناءَ لم يُغلِه المهرُ».

«نِعْمَ الجدودُ ولكنْ بئس ما وَلَدوا».

«قطعتْ جَهِيزةُ قولَ كلِّ خطيبِ».

«كلُّ فتاةٍ بأبيها معجَبَةْ».

«متى احتاج النهارُ إلى دليلِ».

«إنّ الطيورَ على أشكالها تقعُ».

«إنّ البلاء موكّلٌ بالمنطقِ».

«ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ».

«الأمرُ يعرِض دونه الأمرُ».

«إنك لا تجني من الشوك العنبْ».

«لولا المربّي ما عرَفتُ ربّي».

«هل يُرتجى مطرٌ بغير سحابِ».

«ومَن يشابِهْ أبَه فما ظلَمْ».

«طبيبٌ يداوي الناسَ وهوَ عليلُ».

«ولي أُذُنٌ عن الفحشاء صَمّا».

«عند الصباح يحمَد القومُ السُّرىٰ».

«وصاحبُ البيت أدرىٰ بالذي فيهِ».

«وهل يُصلح العطّارُ ما أفسد الدهرُ».

«الصيدُ كلُّ الصيد في جوف الفَرا».

«لا يضرّ السحابَ نبحُ الكلابِ».

«العذرُ عند كِرام الناس مقبولُ».

«لعلّ له عذراً وأنت تلومُ».

«إيّاكِ أعني واسمعي يا جارَةْ».

«الكلبُ كلبٌ ولو طوقتَه ذهَبا».

«ما كلُّ ليلٍ عن صباحٍ ينجلي».

«النفسُ مولَعةٌ بحبّ العاجلِ».

«تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفُنُ».

«ما هكذا تورَدُ يا سعْدُ الإبِلْ».

«وكلُّ قويٍّ للزمان يَلينُ».

«إنّ المحبَّ لِمن يُحبّ مُطيعُ».

«إنّ الحياة عقيدةٌ وجهادُ».

«والضِّدُّ يُظهر حُسنَه الضِّدُّ».

«وبضِدّها تتبيّن الأشياءُ».

«شبيهُ الشيء منجذبٌ إليهِ».

«وليس سواءً عالمٌ وجَهولُ».

«وداوني بالتي كانت هي الداءُ».

«والظلمُ مرتعُه وخيمُ».

«ومَن طلَب العُلى سهر الليالي».

«كلُّ سرٍّ جاوز الاثنين شاعْ».

«حنانيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ».

«كلُّ من سار على الدرب وصلْ».

«إنّ المنايا لا تطيشُ سِهامُها».

«إذا كنتَ مأكولَ الطعام فرحّبِ».

«ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحةُ الأملِ».

«ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا».

«وما آفةُ الأخبار إلا رواتُها».

«والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزِّحامْ».

«تنقّلْ فلَذّاتُ الهوى في التنقّلِ».

«والفضلُ ما شهِدتْ به الأعداءُ».

«الناسُ موتى وأهلُ العلم أحياءُ».

٧٦١٨ـ من الحِكَم والأمثال الشعريّة:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

إذا جاء موسىٰ وألقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

العبدُ يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارَهْ

إنّما أنفسُنا عاريةٌ والعواري شأنها أن تُستَرَدْ

وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

إذا كان ربُّ البيت بالدفِّ ضارباً فشيمة أهلِ البيت كلِّهمُ الرقصُ

إذا لم تستطِعْ أمراً فدَعْه وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

أتحسب أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالَمُ الأكبرُ

ليس على الله بمستنكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ

المستجيرُ بعمرٍو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنارِ

ولا خيرَ في دفع الردىٰ بمذلّةٍ كما ردّها يوماً بسوأته عمرُو

أقبِلْ على النفس واستكمِلْ فضائلَها فأنت بالنفسِ لا بالجسم إنسانُ

إنما هذه القلوب حديدٌ ولذيذ الألفاظ مغناطيسُ

كلُّ مَن في الوجود طالبُ صيدٍ غيرَ أنّ الشِّباكَ مختلفاتُ

فتشبّهوا إن لم تكونوا مثلَهمْ إنّ التشبّهَ بالكرام فلاحُ

لا يعرف الشوقَ إلا مَن يكابده ولا الصبابةَ إلا مَن يعانيها

أخاك أخاك إنّ مَن لا أخاً لهُ كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

وإذا حلّتِ الهدايةُ قلباً نشِطتْ للعبادة الأعضاءُ

ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يُدركُه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

قد تنكر العينُ ضوءَ الشمس من رمدٍ ... وينكر الفمُ طعمَ الماء من سَقَمِ

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يجدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالا

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفتُه من الفهم السقيم

ومِن نكد الدنيا على المرء أن يرىٰ ... عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ ... فهي الشهادةُ لي بأنّي كاملُ

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَه ... وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا

وليس يصِحّ في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وقد يتزيّا بالهوىٰ غيرُ أهله ... وقد يصحب الإنسانَ مَن لا يلائمُهْ

الخيرُ يبقىٰ وإن طال الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

ومهما يكن عند امرىءٍ مِن خليقةٍ ... وإنْ خالها تخفىٰ على الناس تُعلَمِ

والظلمُ من شيم النفوس فإن تجدْ ... ذا عِفّةٍ فلِعلّةٍ لا يظلِمُ

صاحبُ الحاجة أعمىٰ ... لا يرىٰ إلا قضاها

ليس مَن مات واستراح بميْتٍ ... إنما الميْتُ ميّتُ الأحياءِ

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكنْ لا حياةَ لمِن تنادي

كلُّ مَن تلقاه يشكو دهرَه ... ليت شعري هذه الدنيا لِمَنْ؟

أعلّمه الرمايةَ كلَّ يومٍ ... فلما اشتدّ ساعده رماني

وقُرِىء أيضاً: «فلما استدّ» بالسين، ومعناه: متى ما صار ساعده يستطيع تسديدَ الرمي وإصابةَ الهدف رماني.

٧٦١٩ـ المِزاح نوعان: مذموم ومحمود. فالمذموم ما كان خارجاً عن حدود العقل والعدل، مفضِياً إلى الإهانة والإيذاء. وكل ما

ورد في الأحاديث الشريفة وكلامِ الحكماء والعلماء من ذمّه والتحذيرِ منه فمحمولٌ على هذا النوع المذموم، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم والمِزاح فإنّه يَذهب بماء الوجه»، وفي روايةٍ أخرىٰ: «كثرةُ المِزاح تذهب بماء الوجه» وتُحمل الرواية الأولىٰ «المطلقة» على الرواية الثانية «المقيّدة». وكل ما ورد في الأحاديث الشريفة وفي كلام الحكماء والعلماء من مدحه والترغيبِ به فمحمولٌ على النوع المحمود كقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إني أمزح ولا أقول إلا الحق». وكان نعيمان كثيرَ المزاح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه فقال صلى الله عليه وآله: «يدخل نعيمان الجنّةَ وهو يضحك». وسُئل النخعي: هل كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله يضحكون ويمزحون؟ فقال: «نعم، والإيمانُ في قلوبهم مِثلُ الجبال الرواسي». وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما مِن مؤمنٍ إلا وفيه دُعابة» قيل له: وما الدُّعابة؟ قال: «المِزاح». وقال عليه السلام: «الدُّعابةُ من حُسن الخُلق وإنك لَتُدخِلُ بها السرورَ على أخيك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُداعب الرجلَ يريد أنْ يُسِرّه».

٧٦٢٠ـ قيل: إنّ أحدَ العلماء تعِب من كثرة سؤال الناس له عن حكم يوم الشك ـ وهو الثلاثون من شعبان ـ هل يَصومونه أم يُفطرونه؟ فأتىٰ برمّانة وكسرها ووضعها بين يديْه، فكلّما جاء أحد يسأل عن حكم يوم الشك أيصومه أم يُفطره تناول حبّةً من الرمّان وأكلها. فإذا نظر السائل إليه يأكل اكتفىٰ بذلك عن الجواب.

٧٦٢١ـ قيل: كان في البادية رجل يقضي بين أهلها اسمه «الشيخ رزَيْج» فمات رجل من الأعراب وترك بنتيْن وثلاث جاموسات، فتحيّرا كيف يقتسمان التركةَ بينهما حيثُ لم ترض كلُّ واحدةٍ منهما أن

تأخذَ جاموسةً واحدةً في حين تأخذ الأُخرىٰ جاموستيْن. فترافعا عند «الشيخ رزَيْج» فقال: الأمر هيّن تأخذ إحداكما جاموسةً وتأخذ الأُخرى الجاموسةَ الثانية ويأخذ الشيخ رزَيج الجاموسة الثالثة. فرضي البنتان بذلك وانتهى الأمر بسلام.

٧٦٢٢ـ ذكر بعض اللغويّين: إنّ «دمشق» عاصمةَ الشام إنما سُمّيت بهذا الاسم لأنّ البنّائين دَمْشقوا بناءَها أي أسرعوا فيه.

٧٦٢٣ـ قيل: إنما سُمّي سكان أمريكا الأصليون «الهنودَ الحُمْر» لأنّ «كولمبوس» مكتشفَ أمريكا ني سنة ١٤٩٢ كان يظنّها «الهند»، وكان سكّانُها يصبغون وجوهَهم بمادةٍ حمراء فسُمّوا «الهنودَ الحمر».

٧٦٢٤ـ لمّا ماتت زوجة المنصور واسمها «حمادة بنت عيسى» وقف المنصور ومعه الناس على حفرتها ينتظرون وصول الجَنازة وفيهم أبو دلامة فقال المنصور له: ما أعددتَ لهذه الحفرة يا أبا دلامة؟ قال: زوجة أمير المؤمنين، فضحِك المنصور ومن معه من الناس.

٧٦٢٥ـ خرج المهديّ العباسي إلى الصيد ومعه علي بن سليمان الحاجب وأبو دلامة، فرمى المهدي ظبياً فقتله، ورمى عليُّ بنُ سليمان فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله، فقال أبو دلامة:

قد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهم فؤادَهْ[1]
وعلي بن سليمان رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كلُّ فتًى يأكل زادَهْ

---

(١) شك: أصاب وخرق.

٧٦٢٦ـ كان أبو دلامة في مجلس الخليفة المهديّ ـ وكان هجّاءً ـ فقال له: يا أبا دلامة لا بدّ أن تهجوَ أحدَ الجالسين في مجلس هذا، فنظر فلم يجدْ أحداً يسعه أن يهجوَه منهم فاستعفى، فألحّ عليه المهديّ فلمّا لم يجدْ بُدّاً من ذلك هجا نفسَه وقال:

ألا أبــلــغْ لــديــك أبــا دُلامَــةْ فــلــيــس مــن الــكــرام ولا كــرامَــةْ

إذا نــزع الــعِــمــامــةَ قــلــتَ قــردٌ وخِــنــزيــرٌ إذا لــبِــس الــعِــمــامَــةْ

فاستغرق المهدي والجالسون في الضحك.

٧٦٢٧ـ أصبح أبو دلامة يوماً وليس عنده شيء، فقال لزوجته: اذهبي إلى الخيزران زوجةِ المهديّ وقولي لها: مات أبو دلامة وليس عندنا نفقة، واذهب أنا إلى المهديّ وأقول له: ماتت أم دلامة وليس عندنا نفقة. فذهبت هي إلى الخيزران باكيةً وقالت لها: مات أبو دلامة وليس عندنا شيء، فأمرتْ لها بمال، وذهب هو إلى المهديّ باكياً وقال له: ماتت أمُ دلامة وليس عندنا شيء، فأمر له بمال، فرجعا إلى البيت بمالٍ كثير. ولمّا جاء المهديّ إلى بيته قالت له زوجتُه الخيزران: هل علِمتَ بموت أبي دلامة؟ قال: لم يمت هو بل ماتت زوجتُه، فقالت الخيزران: لم تمت هي بل مات زوجُها. فقال لها: لقد جاءني أبو دلامة وأخبرني بموت زوجته، فقالت له: ولقد جاءتني أم دلامة وأخبرتني بموت زوجها. فعلما أنهما قد احتالا عليهما وحصلا بذلك على مالٍ كثير.

٧٦٢٨ـ كان الصبيان يلاحقون بهلولاً في الطريق ويؤذونه لأنه كان يتظاهر بالجنون فيكرّ عليهم بعصاه ويقول:

أكِــرّ عــلــى الــكــتــيــبــة لا أبــالــي أفــيــهــا كــان حــتــفــي أم ســواهــا

فينهزمون عنه فيقعد ويضع عصاه على الأرض ويقول:

وألقتْ عصاها واستقرّ بها النوىٰ   كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ

٧٦٢٩ـ دخل يوماً بهلول وعليان ـ وهما مجنونان بظاهر الحال ـ على الخليفة العباسي موسى بنِ المهديّ، فقال موسى لعليان: ما معنى عليان؟ فقال عليان له: وما معنى موسىٰ؟ فغضِب الخليفة وأمر بسحبه وإخراجه، فقال عيان لبهلول: كنّا اثنين فصرنا ثلاثة.

٧٦٣٠ـ كان أبو العيناء محمد بن القاسم اليمامي حاضرَ البديهة حسنَ الجواب، وكان له مع المتوكّل العباسي محاوراتٌ طريفة.

منها: قال له المتوكّلُ يوماً: ما بقي في مجلسي أحد إلا اغتابك وذمّك غيري، فقال أبو العيناء:

إذا رضيتْ عنّي كِرامُ عشيرتي   فلا زال غضباناً عليّ لِئامُها

ومنها: قال له المتوكّل ـ وقد بنىٰ داراً جديدة ـ: كيف ترىٰ داري هذه؟ فقال: رأيت الناس بنوْا دورَهم في الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره.

ومنها: قال له المتوكل: إنّ سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾[1].

ومنها: قال له المتوكل: إنّ إبراهيمَ بنَ نوح النصراني يعتب عليك، فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2].

ورآه يوماً رجلٌ وهو يضاحك ويلاطف نصرانياً فقال له الرجل:

---

(١) سورة المطففين، الآية(٢٩).   (٢) سورة البقرة، الآية(١٢٠).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾[1] فقال أبو العيناء: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾[2].

٧٦٣١- قال الشاعر:

والنفس تكلَف بالدنيا وقد علِمتْ إنّ السلامةَ منها تركُ ما فيها[3]

٧٦٣٢- روي: إنّ معاوية حجّ سنةً فلمّا أتى المدينةَ المنوّرة لم يخرج الأنصار لاستقباله، فقال لابن عباس: ما بالُ الأنصار لم يستقبلوني؟ قال: ليس عندهم دَواب، قال: وأين نواضحهم - أي إبلهم -؟ قال: أفنوْها يوم بدر يوم قاتلوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمرُ الله وأنتم كارهون. قال: أعلِمتَ إنا نهينا أن يُذكرَ هذا الرجل - يعني علياً - بخير؟ قال: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا، ولكن عن تفسيره، قال: أفنقرؤه ولا نفهم معناه؟ قال: لا، ولكن عن تفسيره بما تفسّره أنت وأهلُ بيتك، قال: إنما أنزل القرآن علينا أفنأخذ تفسيرَه من آل أبي سفيان؟؟ فسكت معاوية وقد أعياه جوابُه. فلمّا كان الليل أرسل إلى ابن عباس جائزة.

٧٦٣٣- قال معاوية يوماً لجلسائه: إنّ الله فضّل قريشاً بثلاث، فقال لنبيّه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾[4] فنحن عشيرتُه. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[5] فنحن قومُه. وقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾[6] فنحن قريش. وكان في المجلس رجلٌ من الأنصار فقال له: على رِسْلك يا معاوية فإنّ اللّهَ يقول:

(١) سورة المائدة، الآية(٥١).
(٢) سورة الممتحنة، الآية(٨).
(٣) تكلف: تحب حباً شديداً.
(٤) سورة الشعراء، الآية(٢١٤).
(٥) سورة الزخرف، الآية(٤٤).
(٦) سورة قريش، الآية(١-٢).

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ﴾[1] وأنتم قومه. وقال: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾[2] وأنتم قومه. وقال على لسان رسوله ﷺ: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[3] وأنتم قومه. ثلاثةٌ بثلاثة، ولو زدتّنا لزدناك. فأفحم معاوية ولم يستطع جوابَه.

٧٦٣٤ ـ قال معاوية لرجل من بني عبد القيس اسمه «صحار بن العباس العبدي»: يا ازرق، فقال صحار: البازي ازرق. قال يا احمر، قال: الذهب احمر. قال ما هذه البلاغة فيكم يا بني عبد القيس؟ قال: شيء يختلج في صدورنا فتقذفه السنتنا. قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: ان نقولَ فلا نخطِئ، ونجيبَ فلا نبطئ.

٧٦٣٥ ـ قال معاوية لعمرو بن سعيد الملقب بالأشدق: الى من اوصى بك أبوك؟ قال: «أنَّ ابي اوصى اليَّ ولم يوصِ بي».

٧٦٣٦ ـ كان للأحنف بن قيس مواقفُ جريئةٌ وجميلةٌ مع معاوية.

منها: أنّ الأحنف حضر مجلسَ معاوية بعد أنّ اخذ البيعةَ لابنه يزيد، فتكلّم الحاضرون بما يُسخط الله عزّ وجلّ ويُرضي معاوية والأحنفُ ساكتٌ لا يتكلّم فقال له معاوية: ما لكَ لا تتكلّم يا ابا بحر؟ فقال: «اخاف الله إن كذبت، واخافكم إن صدقت».

ومنها: أنّ معاوية قال يوماً لجلسائه ـ وفيهم الأحنف ـ: ألستم

(١) سورة الأنعام، الآية(٦٦).

(٢) سورة الزخرف، الآية(٥٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية(٣٠).

تعلمون قولَ الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾[1] فكيف تلومونني؟ فقال الأحنف: «ما نلومك على ما في خزائن الله، انما نلومك على ما انزل الله من خزائنه فاغلقتَ عليه بابَك». فسكت معاوية ولم يُحرْ جواباً.

٧٦٣٧ ـ قال الشاعر:

يريد المرءُ ان يُعطى مُناهُ ويأبى الله إلا ما يشاءُ
وكلُّ شديدةٍ نزلت بقومٍ سيأتي بعد شدّتها رخاءُ

٧٦٣٨ـ قال الفرزدق في قصيدته المشهورة التي يمدح بها عليَّ بنَ الحسين عليه السلام:

يكاد يُمسكه عِرفانَ راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

وقال أبو تمام:

لو سَعتْ بُقعةٌ لإعظام أخرىٰ لسعىٰ نحوها المكانُ الجديبُ

وقال البحتري:

لو أنّ مشتاقاً تكلّف فوقَ ما في وِسعه لسعىٰ إليك المِنبرُ

وقال المتنبي:

لو تعقلُ الشجرُ التي قابلتَها مدّتْ محيّيةً إليك الأغصُنا

وقلتُ أنا في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله:

لو يعلمُ البيتُ مَن قد جاء يلثَمهُ لقام يلثِمَ منك الكفَّ والقدَما
فأنت أشرفُ مَن لبّى وطاف بهِ وأنت أعظمُ مَن ضحّى ومن رجَما

---

(١) سورة الحجر، الآية (٢١).

٧٦٣٩ـ القصيدة الميميّة العصماء التي أنشدها الفرزدق في مدح زين العابدين عليه السلام أمام هشام بن عبد الملك في خِلافة أبيه أو أخيه ـ على اختلاف الروايتيْن ـ والتي مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأتَه والبيت يعرِفه والحِلُّ والحرمُ

مشهورةٌ في كتب الأدب، وقد ذكرها السيد المرتضىٰ رضي الله عنه في موضعيْن من كتابه «الأمالي»، وأبو الفرج الأصفهاني في موضعيْن أيضاً من كتابه «الأغاني»، والمرزباني في كتابه «معجم الشعراء»، والقيرواني في كتابه «زهر الآداب»، مع اختلافٍ في عدد الأبيات وفي بعض الكلمات. والظاهر أنّ البيتيْن:

بكفّه خيزُرانٌ ريحُه عبِقٌ من كفّ أروعَ في عرنينه شمَمُ

يُغضي حياءً ويُغضىٰ من مهابته فلا يُكلَّم إلا حين يبتسِمُ

ليسا من القصيدة المذكورة، وإنما هما من قصيدةٍ للحزين الليثي يمدح بها عبدَ الله بنَ عبد الملك بنِ مروان والتي مطلعها:

الله يعلم أنْ قد جئتُ ذا يمنٍ ثم العراقيْن لا يُثْنيني السّأَمُ

كما نصّ على ذلك القيرواني في «زهر الآداب» والزبيدي في «تاج العروس» والأصفهاني في «الأغاني» وغيرُهم.

٧٦٤٠ـ لصفيّ الدين الحلي قصائدُ عصماء في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام نقتطف منها هذه الروائع:

قال مخاطباً أميرَ المؤمنين عليه السلام:

جُمعتْ في صفاتك الأضدادُ فلهذا عزّتْ لك الأندادُ

حاكمٌ زاهدٌ، حليمٌ شجاعٌ، ناسكٌ فاتكٌ، فقيرٌ جَوادُ

خُلُقٌ يُخجل النسيمَ من اللطف … وبأسٌ يَذوب منه الجمادُ
شِيمٌ ما جُمِعن في بشرٍ قط … ولا حاز مثلَهنّ العبادُ

وقال في مدحه عليه السلام :

فواللّهِ ما اختار الإلهُ محمداً … حبيباً وبين العالمين له مِثلُ
كذلك ما اختار النبيّ لنفسه … عليّاً وصيّاً وهو لابْنته بَعْلُ
وصيّره دون الأنام له أخاً … وصِنواً وفيهم مَن له دونه الفضلُ
وشاهدُ عقل المرء حسنُ اختياره … فما حالُ من يختاره اللّهُ والرُسْلُ

وقال مخاطباً أهلَ البيت عليهم السلام :

إليكمْ وإلا لا تُشدّ الركائبُ … ومنكمْ وإلا لا تُنال الرغائبُ
وفيكمْ وإلا فهو قولٌ مزخرفٌ … وعنكمْ وإلا فالمحدّث كاذبُ

وقال مخاطباً لهم أيضاً:

يا عترةَ المختار يا مَن بهمْ … أرجو نجاتي من عذابٍ اليمْ
حديثُ لكمُ سائرٌ … وسِرُّ وِدّي في هواكمْ قديمْ
قد فزتُ كلُّ الفوز إذْ لم يزلْ … صراطُ ديني بكمُ مستقيمْ
ومَن أتى اللّهَ بعِرفانكمْ … فقد أتى اللّهَ بقلبٍ سليمْ

٧٦٤١ـ حُكي: إنّ ابنَ دُرَيْد لمّا وضع كتابُه «الجمهرة» نظر فيه ابن نفطويْه العالمُ النحوي فرآه صورةً أخرىٰ من كتاب «العيْن» للفراهيدي فقال في ذلك:

«ابن دريدٍ» بقَرَهْ … وفيه لؤمٌ وشَرَهْ
قد ادّعىٰ من جهلِهِ … وضعَ كتاب «الجمهره»

وهـو كـتـابُ «الـعـيْـنِ» إلاّ   أنّـه قـد غـيّـرَهْ

فأجابه ابن دُرَيْد بقوله:

أفٌ عـلـى الـنـحـو وأربـابـه   مُذْ صار من أربابه «نفطويه»
أحرقه اللّهُ بنصف اسمهِ   وصيّر الباقي صُراخاً عليه

٧٦٤٢ـ لمّا مات العباس بن عبد المطلب ـ عمُّ النبي ﷺ ـ أنشد أعرابيٌّ بيتيْنِ من الشعر يخاطب بهما ولَده عبدَ الله وهما:

اصبِرْ نكنْ بك صابرين فإنّما   صبرُ الرعيّة بعد صبر الراسِ
خيرٌ من العباس صبرُك بعده   واللّهُ خيرٌ منك للعبّاسِ

٧٦٤٣ـ وردتنا ـ بعد غيابٍ طويل ـ رسائلُ من صهرنا العزيز المرحوم السيد علي وبناتِنا الحبيبات فأجبتُهم بهذه الأبيات:

جاءتْ رسائلكمْ تزهو لنا ليها   فأشرقتْ من مغانينا لَياليها[1]
ففاح عِطرُ التهاني من خمائلها   ولاح نورُ الأماني من دَراريها[2]
ألفاظُها كالنجوم الزُّهْر مشرقةٌ   تنساب كالجدول الصافي مَعانيها
طال الفراق فيا يومَ التلاق متى   تُحيي النفوسَ التي ضلّتْ أمانيها
إنّ القلوبَ غدتْ مِنْ بَعدكم غرضاً   لكلّ سهمٍ إذا ما شكَّ يُدميها[3]
حنّتْ وأنّتْ وأضحتْ تشتكي سَقَماً   شوقاً إليكم فمن منكم يُداويها
الشوقُ أرّقها والحزنُ مزّقها   والبيْنُ أوبقها والوصلُ يُحييها[4]

---

(١) مغانينا: منازلنا.
(٢) خمائلها: أشجارها.
(٣) شكّ: أصاب وخرق.
(٤) البيْن: البُعد والفراق. أوبقها: أهلكها.

أخفتُ لواعجَها عن كلِّ ذي بصرٍ لكنّما المُقلُ الحمراءُ تُبديهَا[1]
الشوقُ نارٌ وفي الأحشاء موطنُها وقربُكم ولِقاكم سوف يُطفيهَا
لكم سلامُ محبٍّ ليس تشغَلُهُ عن حبّكم هذه الدنيا وما فيها

٧٦٤٤ـ من عجائب ما خلق الله تعالىٰ في جسم الإنسان مادة «الأنسولين» التي تُفرزها غُدّة «البنكرياس» داخلَ الجسم، والتي تسهّل نفوذ السُّكّر من الدم إلى داخل الخلايا ليحترق هناك ويكوّنَ الطاقةَ التي يستهلكها الجسم للأعمال الحيويّة. فبدون «الأنسولين» لا ينفذ السُّكّر إلى الخلايا فترتفع نسبته في الدم ويسبب بعض الأمراض الخطيرة. كما أنّ مادةَ «الأنسولين» تحوّل السكّر الزائد والمتبقّي إلى مادة «كلايكوجين» التي تُخزَنُ في مناطقَ متعدّدةٍ من الجسم لتتحوّلَ إلى سكّر مرّةً أخرىٰ عندما يحتاج إليه الجسم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

٧٦٤٥ـ قال الزمخشري مخاطباً ربّه عزّ وجل:

يا من يرىٰ مدَّ البعوض جناحَها في ظلمة الليل البهيمِ الأليلِ[2]
ويرىٰ عروقَ نياطها في نحرها والمخّ في تلك العظام النُّحّلِ
اغفرْ لعبدٍ تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأوّلِ

٧٦٤٦ـ قيل: إنّ أسوأ الزلازل التي وقعت في التاريخ هو الزلزال الذي وقع في الصين عام ١٥٥٦م وقُتل فيه ٨٣٠ ألف شخص. ثم الذي وقع فيها عام ١٩٢٠م وقُتل فيه ١٨٠ ألف شخص. ثم الذي وقع في اليابان عام ١٩٢٣م وقُتل فيه ١٤٣ ألف شخص. ومن الزلازل الكبيرة التي وقعت في العالم هو زلزال «ميسيتا» في إيطاليا عام ١٩٠٨م

---

(١) لواعجها: أحزانها. المُقل: العيون. (٢) البهيم الأليل: المظلم.

وقُتل فيه ٣٠ ألف شخص. وزلزال «أرزنغان» في تركيا عام ١٩٣٩م وقُتل فيه ٢٣ ألف شخص. وزلزال «أغادير» في المغرب عام ١٩٦٠م وقُتل فيه ١٢ ألف شخص. وزلزال «أرمينيا» في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٨م وقتل فيه ٥٥ ألف شخص.

٧٦٤٧ـ تُطلق كلمة «الهجين» على كل ولدٍ أبوه عربي وأمّه أمَة. وتُطلق كلمة «المُذرَّع» على كل ولدٍ أمّه أشرف من أبيه، قال الشاعر:

إذا باهِليٌّ عنده حنظليّةٌ   لها ولدٌ منه فذاك «المُذرَّعُ»

٧٦٤٨ـ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لرجلٍ قد أرهق نفسَه بالعبادة: «إنّ هذا الدينَ متين فأوغل فيه برفق فإنّ المُنْبَتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». وبهذا الحديث الشريف يشبّه ﷺ الإنسانَ الذي يُرهق نفسَه بالعبادة، ويُحمّلُها ما لا تُطيق، ويوقعها في الحرج والشدّة والضيق، بحيثُ لا يستطيع أن يواصلَ السيرَ مع إخوانه المؤمنين في طريق العمل والجهاد بالشخص الذي يسير مع القافلة ولكنّه أرهق ظهرَ راحلته بالحِمْل الثقيل فإنّه ولا شك سينقطع عن أفراد قافلته، ولا يستطيع أن يقطعَ المسافةَ معهم، كما لا يستطيع أن يحافظَ على سلامة راحلته. وهو من التشبيهات النبويّة الرائعة. وصدق من قال: «كلُّ شيء إذا تجاوز عن حدّه، انقلب إلى ضدّه».

٧٦٤٩ـ حُكي: إنّ رجلاً من المؤمنين ماتت أخته، فبينما هو واقفٌ على قبرها عند دفنها سقط منه كيسُ نقوده في القبر وما علِم به إلا بعد رجوعه إلى بيته، فعاد إلى القبر ونبشه ليستخرجَ نقودَه فرآه يضطرم ناراً فولّى هارباً وجاء إلى أمّه باكياً فقال لها: يا أمّاه أخبريني

عن أختي ماذا كانت تعمل في حياتها؟ فقالت: لِمَ تسألُ عن ذلك؟ قال: يا أمّاه لمّا نبشت قبرها لأستخرجَ كيسَ نقودي رأيتُ القبر يضطرم ناراً. فبكيَتْ وقالت: يا بُني كانت تتهاونُ في صلاتها وتؤخّرُها عن وقتها!!.

٧٦٥٠- قال البحتري متغزّلاً:

ألامُ على هواكِ وليس عذلاً — إذا أحببتُ مثلَكِ أن ألاما
لقد حُرِّمتِ من وصلي حلالاً — وقد حَلّلتِ من هجري حراما
ورُبّتَ ليلةٍ قد بِتُّ أسقى — بعينيها وكفّيها المُداما
قطعنا الليلَ لثماً واعتناقاً — وأفنيناه ضمّاً والتِزاما
وقد علمتْ بأني لم أضيّعْ — لها عهداً ولم أخفُرْ ذِماما[1]
فلم أحدِثْ لها إلا وداداً — ولم أزدَدْ بها إلا غراما

٧٦٥١- قال البحتري متغزّلاً:

سلاها كيف ضيّعتِ الوِصالا — وبَتّتْ من مودتنا الحِبالا[2]
وأضحتْ بالشآم ترى حراماً — مواصلتي وهجراني حلالا
هل الحسناءُ تُخبرني أهَجْراً — أرادتْ بالتجنّب أم دَلالا
ذكرتُ بها قضيب البانِ لمّا — غدتْ تختال في الحسنِ اختيالا
تُشاكِلُه انعطافاً واهتزازاً — وتحكيه قواماً واعتدالا
وإني لم أزلْ كلِفاً بليلى — على طول الصُّدود ولن أزالا[3]

---

(١) لم أخفر ذِماما: لم أضيع العهد.
(٢) بتّتْ: قطعت.
(٣) كلِفاً: محبّاً.

٧٦٥٢ـ قال البحتري متغزّلاً:

أمُدّ كفّي لأخذ الكاس من رشأٍ
وحاجتي كلُّها في حامل الكاسِ[1]

٧٦٥٣ـ قال أبو تمام متغزّلاً:

نسائلها أيّ المواطن حلّتِ وأيّ بلاد أوطنتْها وأيّةِ
وماذا عليها لو أشارت وودّعتْ إلينا بأطراف البَنان وأومتِ
وما كان إلا أن تولّتْ بها النوى فولّى عزاءُ القلب لمّا تولّتِ
فأمّا عيونُ العاشقين فأسخنتْ وأمّا دموعُ الشامتين فقرّتِ
ولمّا دعاني البيْنُ وليّتُ إذْ دعا ولمّا دعاها طاوعتْه ولبّتِ
فلم أر مثلي كان أوفى بعهدها ولا مثلَها لم ترعَ عهدي وذمّتي
عليها سلام الله أنى استقلّتِ وأنى استقرّتْ دارُها واطمأنّتِ

٧٦٥٤ـ قال جرير متغزّلاً:

إنّ العيونَ التي في طرفها حوَرٌ قتلْننا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعْنَ ذا اللُّب حتى لا حِراك له وهنّ أضعفُ خلق الله أركانا
يا حبّذا جبلُ الريّان من جبلٍ وحبّذا ساكنُ الريّان من كانا
وحبّذا نفحاتٌ من يمانيةٍ تأتيك من قِبَل الريّان أحيانا

ولما قيل له: حتى لو كان ساكنه قرداً أو كلباً؟ قال: مَن تأتي للعاقل فلا تنطبق على الحيوانات.

---

(١) الرشأ: ولد الظبية ويُطلق مجازاً على الغلام الجميل.

٧٦٥٥ـ قال الشريف الرضي متغزّلاً:

يا ظبيةَ البان ترعىٰ في خمائله ... ليُهنكِ اليومَ إنّ القلبَ مرعاكِ

الماءُ عندكِ مبذولٌ لشاربه ... وليس يَرويكِ إلا مدمعي الباكي

سهمٌ أصاب ـ وراميه بذي سَلَمٍ ـ ... مَن بالعراق، لقد أبعدْتِ مرماكِ

وعدٌ لعينيْكِ عندي ما وفيتِ به ... يا قُرب ما كذَبتْ عينَيَّ عيناكِ

حكت لِحاظُكِ ما في الرِّيم من مِلَحٍ ... يوم اللقاء فكان الفضلُ للحاكي[1]

أنتِ الجَحيمُ لقلبي والنَّعيمُ له ... فما أمرَّكِ في قلبي وأحلاكِ

عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكرها ... لولا الرقيبُ لقد بلَّغتُها فاكِ

٧٦٥٦ـ قال الشريف الرضي متغزّلاً:

وتميس بين مزَعفَرٍ ومعَصفَرٍ ... ومعَنبَرٍ وممَسَّكٍ ومصَنْدَلِ[2]

هيفاءُ إنْ قال الشباب لها: انْهضي ... قالت روادفها: اقْعُدي وتمهَّلي[3]

وإذا سألتُ الوصلَ قال جمالُها: ... جودي وقال دَلالُها: لا تفعلي

٧٦٥٧ـ قال محمد بن عفيف المعروف بالشاب الظريف متغزّلاً:

لي من هواكَ بعيدُه وقريبُه ... ولك الجمالُ بديعُه وغريبُه

يا مَن أعيذُ جمالَه بجلاله ... حذراً عليه من العيون تُصيبُه

---

(١) الرِّيم: الظبي الأبيض. من ملح: من حسن وجمال.

(٢) تميس: تختال. مزعفر: مطيّب أو مصبوغ بالزّعفران. معصفر: مصبوغ بالعُصفُر وهو صبغ أصفر اللون وطيب الرائحة. معنبر: مطيّب بالعنبر. ممسّك: مطيّب بالمسك. مصندل: مطيّب بالصندل وهو شجر زهره أبيض ورائحته طيبة.

(٣) هيفاء: ممشوقة القوام.

إن لم تكنْ عيني فإنّكَ نورُها أولم تكن قلبي فأنتَ حبيبُه

٧٦٥٨ـ مما قلتُه في زيارة الحبيب وعودتِه من السفر:

«رعى اللّهُ ليلةَ زار الحبيب وولّى الرقيب إلى حيثُ أل»[1]

وتمّ السرور وعمّ الحبور وفاض الشعور وطاب الأمَلْ

وقلتُ في هذا المعنىٰ:

ناديتُ لَمّا أن دنا وتقرّبا: أهلاً وسهلاً بالحبيبِ ومرحبْا

وقلتُ أيضاً:

ناديتُ مُذْ عاد الحبيبُ من السفَرْ: «ولدي حبيبي هل أصابك من ضرَرْ»؟

٧٦٥٩ـ قال الشاعر:

ولا تحتقرْ كيدَ الضعيفِ فربّما
تموتُ الأفاعي من سموم العقاربِ
فقد هدّ قِدماً عرشَ بَلقيسَ هُدْهُدٌ
وخرّب فأرٌ قبلَه سدَّ مأربِ

وقال الآخر:

لا تحقِرنَّ صغيراً في عداوتهِ
إنّ البعوضةَ تُدمي مُقلةَ الأسدِ

وقال الآخر:

لا تحقِرنَّ صغيرةً إنّ الجبالَ من الحصىٰ

---

(١) إلى حيثُ ال: إشارة إلى قول الشاعر: «إلى حيثُ ألقتْ رحلَها أمّ قشعمِ» وهي كُنية الموت.

٧٦٦٠- قال الشنفرىٰ «عمرو بن مالك الأزدي» في لاميّة العرب:

أقيموا بني أمي صدور مَطِيّكمْ فإني إلى قومٍ سواكم لأميلُ[(١)]

وفي الأرض منأىً للكريم عن الأذىٰ وفيها لِمن خاف القِلىٰ متحوّلُ[(٢)]

وإن مُدّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ بأعجلهم إذْ أجشعُ القوم أعجلُ

٧٦٦١- قال الطغرائي «الحسين بن علي الأصبهاني» في لاميّة العجم:

إصالةُ الرأي صانتني عن الخَطلِ وحِلْيَةُ الفضل زانتني لدى العطَلِ[(٣)]

حبُّ السلامة يَثْني عزمَ صاحبه عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسَلِ[(٤)]

إن العُلىٰ حدّثتني ـ وهي صادقةٌ فيما تحدّثُ ـ أنّ العزَّ في النُّقَلِ[(٥)]

لو أنّ في شرف المأوىٰ بلوغَ مُنىً لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ[(٦)]

أهبتُ بالحظ ـ لو ناديتُ مستمعاً ـ والحظُّ عنّيَ بالجهّال في شُغُلِ[(٧)]

لعلّه إنْ بدا فضلي ونقصهُمُ لعينه نام عنهم أو تنبّهَ لي

---

(١) المَطِي: جمع مطيّة وهي الدابة.

(٢) القِلىٰ: البغض.

(٣) كلمة «الخطَل» في البيت الأوّل معناها: الخطأ، وكلمة «العطَل» فيه معناها: الخلوّ من الزينة.

(٤) وكلمة «يُغري» في البيت الثاني معناها: يحضّ ويشجّع.

(٥) وكلمة «النُّقَل» في البيت الثالث: جمع نُقْلة وهي الانتقال.

(٦) وكلمة «الحَمَل» في البيت الرابع: هي اسم لأوّل بروج الشمس الاثني عشر.

(٧) وكلمة «أهبْت» في البيت الخامس معناها: استنجدت به وطلَبت منه.

أعلِلُ النفسَ بالآمال أرقُبُها ... ما أضيق العيشَ لولا فُسحةُ الأمَلِ
ما كنتُ أوثِرُ أن يمتدَّ بي زمني ... حتى أرىٰ دولةَ الأوغاد والسَّفَلِ[1]
تقدّمتني أناسٌ كان شوطهُمُ ... وراءَ خَطْوي إذا أمشي على مهَلِ
وإنْ علانيَ مَن دوني فلا عجَبٌ ... لي أسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَلِ
فإنّما رجلُ الدنيا وواحدُها ... مَن لا يُعوِّلُ في الدنيا على رجُلِ[2]
وحُسنُ ظنّك بالأيام مَعْجَزَةٌ ... فظُنَّ شرّاً وكُنْ منها على وجَلِ[3]
غاض الوفاءُ وفاض الغدرُ وانفرجتْ ... مسافةُ الخَلْف بين القول والعمَلِ[4]
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها ... فهلْ سمعتَ بظِلٍّ غيرِ مُنتقِلِ؟

٧٦٦٢ـ روى الشيخ المفيد«رض» في «الاختصاص» بسنده عن أبي الربيع الشامي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَن أعجب بنفسه هلك، ومَن أعجب برأيه هلك، وإن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: داويتُ المرضىٰ فشفيتهم بإذن الله، وعالجتُ الموتىٰ فأحييتُهم بإذن الله، وابرأتُ الأكمه والأبرصَ بإذن الله، وعالجتُ الأحمقَ فلم أقدِرْ على إصلاحه، فقيل له: يا روحَ الله وما الأحمق؟ قال: المعجَب برأيه ونفسه الذي يرىٰ الفضلَ كلَّه له لا عليه، ويوجب الحقَّ كلَّه لنفسه ولا

---

(١) وكلمة «الأوغاد» في البيت الثامن: جمع وَغْد وهو الساقط من الناس، وكلمة «السَّفَل» منه: جمع سِفْلة وهم أراذل الناس. ومعنى البيت العاشر مبنيٌّ على ما كانوا يقولون من أنّ «زُحل» تقع في السماء السابعة و«الشمس» تقع في السماء الرابعة.

(٢) وكلمة «يعوّل» في البيت الحادي عشر معناها: يعتمد.

(٣) وكلمة «مَعْجَزَة» في البيت الثاني عشر معناها: العجز وقِلّة الحزم.

(٤) وكلمة «الخُلْف» في البيت الثالث عشر معناها: المخالفة أو الاختلاف.

يوجب عليها حقاً، فذلك الأحمق الذي لا حيلةَ في مداواته». وفي هذا المعنىٰ يقول الشاعر:

لكل داءٍ دواءٌ يُستطَبُّ بهِ إلاّ الحماقةَ أعيتْ من يداويها

٧٦٦٣ـ ذكرت الصحف الإنكليزية: إنّ امرأةً اسمها «جيل أينس» تبلغ من العمر تسعاً وثلاثين سنة كانت قد فقدت بصرَها لمدة خمسة عشرَ عاماً، ففي ذات يوم أرادت الصعودَ إلى مكتب زوجها فارتطم رأسها بالجدار فارتدّ إليها بصرُها، وإذا بها تشاهد ولأول مرّة ابنتَها البالغةَ من العمر سنتيْن، وتشاهد زوجَها الذي لم تره طيلة هذه المدّة التي فقدتْ فيها بصرَها. هذا مع العلم بأن الأطباء أيِسوا من إمكان عودة البصر إليها.

٧٦٦٤ـ يدلّ قولُه تعالى في سورة المؤمنون، الآية(١٤): ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ على جواز إطلاق كلمة «الخالق» على غير الله تبارك وتعالىٰ، ويؤيّد ذلك أيضاً قولُه سبحانه على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام مخاطباً قومَه: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[1]، وقولُه في سورة المائدة، الآية(١١٠): ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾. ومن المعلوم أنّ هذا النوع من الخلق الذي هو منح الحياة لِمنْ فقدها لا تكون ـ أوّلاً وبالذات ـ إلا لله تعالىٰ، ولا تكون ـ ثانياً وبالعرض ـ إلا

---

(١) سورة آل عمران، الآية(٤٩).

لِمنْ أذِن له من أنبيائه وأصفيائه عليهم السلام، وفي قوله جلّ وعلا في الآيتيْن الكريمتيْنِ: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ و﴿بِإِذْنِي﴾ تصريحٌ وتوضيحٌ لهذه الحقيقة.

٧٦٦٥ـ قال أحد المخالفين للمرحوم الشيخ كاظم الأُزري ـ شاعر أهل البيت عليهم السلام ـ: كيف يُعقل ما تقولون مِن أنّ بعضَ الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تواطؤوا على تأخير الفاضل وتقديم المفضول، وعلى تأخير ذي العلم والكمال وتقديم ذي الجهل والنقص؟ فأطرق الأُزري قليلاً ثم قال:

أتعجب مِن أصحاب أحمدَ إذْ رَضُوا بتقديم ذي جهلٍ وتأخيرِ ذي فضلِ

فأصحابُ موسىٰ في زمان حياته رَضُوا بدلاً عن باريء الخلق بالعِجْلِ

٧٦٦٦ـ بعد وفاة صديقي العزيز المغفور له العلامة الجليل السيد عبد الرسول السيد علي خان زرتُ أولادَه في بيته في النجف الأشرف لتقديم التعازي لهم، ومشاطرتِهم الأسىٰ في مصابهم الجلَل، وقلتُ مخاطباً لهم على البديهة:

ما مات مَن خلَّف أمثالَكُمْ فأنتمُ أشبالُ ذاك الأسَدْ

فيا له مِن والدٍ خالدٍ بذكرهِ، ويا لكمْ مِن ولَدْ

٧٦٦٧ـ من الحقائق الثابتة التي نصّتْ عليها الأحاديثُ الشريفة وأكّدتها التجارِبُ الكثيرة هو أنّ الإنسانَ لا يدري أيّهما أقرب إليه هل الشيء الذي يتوقّعه ويرجوه أم الشيء الذي لم يدُرْ في خلَده ولم يخطِرْ بباله، بل ربما كان ما لا يرجوه أقربَ إليه مما يرجوه كما جاء في الأثر: «كنْ لِما لا ترجو أرجىٰ منك لِما ترجو، فإنّ موسى عليه السلام ذهب ليقتبس ناراً فنوديَ بالنبوّة».

٧٦٦٨ـ قال الشاعر:

فأصبحتُ لا أستطيع ردّاً لِما مضىٰ
كما لا يرُدُّ الدَّرَّ في الضرع حالبُهْ

٧٦٦٩ـ قال لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بني اجعلْ لنفسك ألفَ صديق والألفُ قليل، ولا تجعل لنفسك عدوّاً واحداً والواحدُ كثير».
وقد أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال:

فليس كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ وإنّ عدوّاً واحداً لكثيرُ

٧٦٧٠ـ قال حسان بنُ ثابت شاعرُ رسول الله ﷺ:

أنا ما مدحتُ محمّداً بمقالتي لكن مدحتُ مقالتي بمحمّدِ

٧٦٧١ـ روي: إنَّ الإمامَ الباقر عليه السلام قال لكُثَيِّر عزّة: «امتدحتَ عبدَ الملك بنَ مروان؟» فقال كُثَيِّر: «يا ابنَ رسول الله لم أقلْ: يا إمامَ الهدىٰ، إنما قلت: يا شجاع والشجاع حيّة، ويا أسد والأسد كلب، ويا غيث والغيث موت»، فتبسّم الإمام عليه السلام.

وكلمة «الشجاع» تُطلق في اللغة على الرجل المِقدام الذي لا يهاب، وتُطلق أيضاً على نوعٍ من أنواع الحيّات.

وكلمة «الأسد» تُطلق على الحيوان المفترس المعروف، وتُطلق أيضاً على الكلب.

وكلمة «الغيث» تُطلق على المطر، وتُطلق أيضاً على الموت.

٧٦٧٢ـ قال الشاعر:

وإنّ امرءاً أسدىٰ إليّ صنيعةً وذكّرنيها مرّةً للئيمُ

٧٦٧٣- روي: إنّ حسانَ بنَ ثابت قام في جوف الليل - أيّامَ الجاهليّة - فصاح بالخزرج فجاؤوه وقد فزعوا من صياحه وقالوا: ما لَكَ يا حسّان؟ قال: بيت قلتُه وخِفتُ أن أموتَ قبل أن أصبح فيذهب ضَياعاً، خذوه عني. قالوا: وما قلتَ؟ قال: قلتُ:

رُبَّ علمٍ أضاعه عدمُ المال   وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ

٧٦٧٤- قال الأديب والناقد الغربيّ «لونجينس»: «إنّ قيمةَ العمل الأدبي تكمُن في إثارة المتلَقّي والارتفاع به». وقال الشاعر والناقد العربيّ «جميل صدقي الزهاوي»:

إذا الشعرُ لم يهزُزْكَ عند سماعه   فليس خليقاً أن يُقالَ له شعرُ

فالمعيار الصحيح لتقييم ما يُبدعه الإنسان من شعر أو نثر هو ما فيه من قوّة التأثير والتغيير في نفس المستمع، وإلاّ فهو صرخةٌ في واد أو نفخةٌ في رماد.

٧٦٧٥- قال الشاعر:

يا موت ما أجفاك من نازلٍ   تنزل بالمرء على رَغْمِهِ

تستلب العذراء من خِدرها   وتأخذ الواحدَ من أمّهِ

٧٦٧٦- شعراء العقيدة والولاء كان يتميّز شعرُهم بقوّةِ التعبير وصدقِ العاطفة وحرارةِ الإيمان وسموِّ الهدف فلا تلحَظ في شعرهم شيئاً من التكلُّف أو التعسُّف كما تلحَظه في شعر غيرهم من عُبّاد السلاطين أو الشياطين الذين يتوافدون على مجالس الخلفاء والأمراء لينالوا شيئاً من عطاياهم وهداياهم. وفي هذا السياق يبرُز الكميْتُ «شاعرُ أهل البيت» في القِمّة من شعراء العقيدة والولاء، أمثال دعبِل

والحميري وأضرابِهما. اسمعْ إليه وهو يقول في مدح آل الرسولﷺ من قصيدة طويلةٍ عصماء:

طرِبتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطرَبُ ... ولا لعِباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

ولم تُلْهِني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ... ولم يتطرَّبْني بَنانٌ مخضَّبُ

ولا أنا مِمّن يزجُر الطيرَ همُّه ... أصاح غرابٌ أم تعرّض ثعلبُ[1]

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشِيّةً ... أمرّ سليمُ القَرن أم مرّ أعضَبُ[2]

ولكنْ إلى أهلِ المكارم والنُّهىٰ ... وخيرِ بني حوّاءَ والخيرُ يُطلَبُ

إلى النفَرِ البيضِ الذين بحبّهمْ ... إلى الله فيما نابني أتقرّبُ

بني هاشمٍ رهْطِ النبيّ فإنّني ... بهم ولهم أرضىٰ مِراراً وأغضَبُ

٧٦٧٧ـ **روي**: إنّ رجلاً جلس بين يدي رسول اللهﷺ فقال: إنّ لي مملوكِين يَكْذِبونني ويخونونني ويعصونني وأشتمهم وأضرِبهم فكيف أنا معهم؟ فقال رسول اللهﷺ: «إذا كان يوم القيامة يُحسب ما خانوك وعصَوْك وكذَبوك وعقابُك إيّاهم، فإن كان عقابُك إيّاهم على قدر ذنوبهم كان كَفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابُك إيّاهم فوق ذنوبهم اقتُصّ لهمْ منك» فتنحّى الرجل وهو يبكي، فقال له النبيّﷺ: «أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ

---

(١) يزجر الطير: يطلقها فيتفاءل بها إن طارت إلى جهة اليمين ـ وهي السانحات ـ. ويتشاءم منها إن طارت إلى جهة اليسار ـ وهي البارحات ـ.

(٢) السانحات: الطيور أو الظِّباء التي تأتي من جانب اليمين فيتفاءلون بها. والبارحات: هي التي تأتي من جانب اليسار فيتشاءمون منها. كما يتفاءلون بالحيوان إذا كان سليمَ القرن، ويتشاءمون منه إذا كان أعضب أي مكسورَ القرن.

نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾[1] فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء بُدّاً من مفارقتهم، أشهدكَ أنّهم كلّهم أحرار.

٧٦٧٨- روي: إنّ الصحابيَّ الجليل عبدَ الله بنَ مسعود خرج إلى السوق ليشتريَ شيئاً لأهله فسُرقتْ نقوده فجعل الناس يدعون على السارق فرفع عبد الله يديْه إلى السماء وقال: «اللهمّ إنْ كنتَ تعلم أنّ الذي سرق نقودي في حاجةٍ إليها فبارِكْ له فيها، وإنْ كنتَ تعلم أنّه في غير حاجةٍ إليها فاجعلْها آخرَ معصيةٍ له في حياته».

٧٦٧٩- قال الشاعر:

يبشرني الهلال بنقص عمري ... وافرح كلّما هلّ الهلالُ

٧٦٨٠- قيل: إنّ أعرقَ الناس في القتل هو «عمارة بن حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد» وذلك لأن «عمارة» قُتل يوم قديد وكذلك «حمزة». و«عبد الله» قتله الحجاج، و«الزبير» قتله عمرو بن جرموز يوم الجمل، و«العوّام» قتله بنو كنانة، و«خويلد» قتلته خزاعة.

٧٦٨١- قال محمد بن علي بن خلف النيرماني:

فلم ترَ عيْني مثلَ بغدادَ منزلاً ... ولم ترَ عيْني مثلَ دجلةَ واديا

ولا مثلَ أهليها أرقَّ شمائلاً ... وأعذبَ ألفاظاً وأحلىٰ معانيا

وقائلة لو كان وِدُّك صادقاً ... لبغدادَ لم ترحلْ فقلتُ جوابيا

يقيم الرجال الموسرونَ بأرضها ... وترمي النوى بالمقتِرينَ المراميا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية(٤٧).

ومثله قول الآخر:

بغداد دارٌ لأهل المال طيّبةٌ وللمغاليس دار الضنك والضيقِ

ظللتُ حيرانَ أمشي في أزقّتها كأنّني مِصحفٌ في كفّ زِنديقِ

٧٦٨٢- قال محمود الورّاق:

كم قد رأيتَ مساءةً من حيثُ تطمع أن تُسَرّا

ولربّما طلَب الفتى لأخيه منفعةً فضرّا

٧٦٨٣- قيل لبعض الحكماء: إنّ فلاناً لا يعرِف الشر، فقال: «ذلك أحرى أن يقعَ فيه». ومثله قول أبي فراس:

عرَفتُ الشر لا للشر لكن لتوقّيهِ

ومن لم يعرفِ الشرَّ من الخيرِ يقعْ فيهِ

٧٦٨٤- قال امرؤ القيس:

فلو أنّ ما أسعىٰ لأدنىٰ معيشةٍ كفاني - ولم أطلُبْ - قليلٌ من المالِ

ولكنّما أسعىٰ لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يُدرك المجدَ المؤثّلَ أمثالي[1]

٧٦٨٥- قال الحُطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بدر:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي[2]

٧٦٨٦- قال أبو العتاهية:

أصبحتِ الدنيا لنا فتنةً والحمد للّهِ على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمّها ولا أرىٰ منهم لها تاركا

٧٦٨٧- روي: إنّ رجلاً ذُكر عند النبيّ ﷺ بكثرة العبادة بحيثُ

(١) المؤثل: الأصيل.

(٢) الطاعم الكاسي: المطعوم المكسوّ.

لا ينفتل[١] من صلاةٍ إلا ودخل في أخرىٰ، ولا يفطِرُ من صيام إلا وبدأ بآخر، فقال ﷺ: «فمن يقوم به؟» قالوا: كلُّنا، قال: «كلُّكم أعبدُ منه». وروي: إنّ السيد المسيح عليه السلام مرّ برجلٍ من بني إسرائيل يتعبّد فقال له: «ما تصنع؟» قال: أتعبّد، فقال عليه السلام: «ومن يقوم بك؟» قال: أخي، قال: «أخوك أعبدُ منك».

٧٦٨٨ـ لقد سيطر الأتراك على مقاليد الدولة في عهد الخلفاء العباسيّين الذين تعاقبوا على الحكم بعد المأمون حتى صار الخليفة منهم كالأسير بين أيديهم، يلبّي طلباتِهم وينفّذ رغباتهم، حتى قال أحد الشعراء:

أصبح التركُ مالكي الأمرِ والعالَمُ ما بين سامعٍ ومطيعِ

ولما ضجّ الناس في بغداد من سوء تصرّفاتهم اضطرّ المعتصم إلى نقل العاصمة من بغداد إلى سامراء، ونقل إليها جميعَ جنوده من الأتراك.

٧٦٨٩ـ من الحكم الشعرية البليغة قولُ أبي العتاهية:

ترجو النجاةَ ولم تسلُكْ مسالكَها إنّ السفينةَ لا تمشي على اليبَسِ

وقولُ حُطيئة:

مَن يفعلِ الخيرَ لم يَعدَمْ جوازيَهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناسِ

وقولُ طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ[٢]

---

(١) لا ينفتل: لا ينتهي.

(٢) لم تزود: لم تقدّم له الزاد.

وقولُ خالد بن معدان:

إذا أنت لم تزرغ وأبصرتَ حاصداً ندِمتَ على التفريط في زمن البذْرِ

وقولُ الآخر:

ومَن يأمنِ الدنيا يكنْ مثلَ قابضٍ على الماء خانَتْه فروجُ الأصابعِ

وقولُ الآخر:

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ إلا بما تجدُ

٧٦٩٠- روي عن أبي ذر«رض» عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «حضورُ مجلسِ علم أفضلُ من صلاة ألفِ ركعة، ومن عِيادة ألفِ مريض، ومن تشييع ألفِ جنازة»، فقيل له: ومن قِراءة القرآن؟ قال صلى الله عليه وآله: «وهل ينفع القرآن إلا بالعلم».

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم، فاطلُبوا العلمَ من مظانّه، واقتبِسوه من أهله، فإنّ تعلّمَه لله حسنة، وطلبَه عبادة، والمذاكرةَ فيه تسبيح، والعملَ به جهاد، وتعليمَه لمن لا يعلمه صدقة، وبذلَه لأهله قُربةٌ إلى الله تعالىٰ، لأنّه معالمَ الحلال والحرام، ومنارُ سبيل الجنّة، والمؤنسُ في الوحشة، والصاحبُ في الوَحدة، والمحدِّث في الخلوة، والدليلُ على السرّاء والضرّاء، والسلاحُ على الأعداء. يرفعُ الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة، يُقتدىٰ بآثارهم، ويُهتدىٰ بأفعالهم، ويُنتهىٰ إلى آرائهم، وترغب الملائكة في خُلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم، ويستغفر لهم كلُّ رطْبٍ ويابس حتى حيتانِ البحر وهَوامِه، وسباعِ البرّ وأنعامِه. إنّ العلمَ حياةُ القلوب من الجهل، وضياءُ

الأبصار في الظُّلمة، وقوّةُ الأبدان من الضعف. يبلغ بالعبد منازلَ الأخيار ومجالسَ الأبرار والدرجاتِ العُلىٰ في الآخرة والأُولىٰ: الفكرُ فيه يَعدِلُ بالصيام، ومدارستُه بالقيام. به يُطاع الله ويُعبد، وبه توصل الأرحام ويُعرف الحلال والحرام. العلم إمام العمل والعمل تابعه، يُلهَمُه السعداء ويُحرمُه الأشقياء، فطوبىٰ لمن لم يَحرِمْه الله منه».

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «العلمُ جَلالة، والجهلُ ضَلالة». وقال: «العلمُ كنز، والعبادةُ فوز». وقال: «العلمُ عزّ، والطاعةُ حِرْز». وقال: «العلمُ حياة، والإيمانُ نجاة».

٧٦٩١ـ وردت كلمة «الروح» في القرآن الكريم على معانٍ مختلفة:

منها: النفس أو مصدرُ الحياة وسببُها، كما في قوله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

ومنها: الوحي والتشريع الإلٰهيّ، كما في قوله تعالىٰ في سورة الشورى، الآية(٥٢): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، وقوله في سورة النحل، الآية(٢): ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾، وقوله في سورة غافر، الآية(١٥): ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

ومنها: القوّة والنُّصرة، كما في قوله تعالىٰ في سورة المجادلة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

ومنها: أمين الوحي جبرئيل عليه السلام، كما في قوله تعالىٰ في سورة

الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣)﴾ وقوله في سورة مريم، الآية(١٧): ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

ومنها: مخلوق عُلْوِيّ هو أعظم من الملائكة ـ على قولٍ ـ، أو هو جبرئيل ـ على قولٍ آخر ـ، كما في قوله تعالىٰ في سورة النبأ، الآية(٣٨): ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾، وقوله في سورة القدر: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤)﴾، وقوله في سورة المعارج، الآية(٤): ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾.

ومنها: المسيح عيسى ابنُ مريمعليه السلام، كما في قوله تعالىٰ في سورة النساء، الآية(١٧١): ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

٧٦٩٢ـ مِئاتٌ من الكلمات التي نستعملها في لغتنا العاميّة ونحسب أنها ليست من الكلام العربيّ الأصيل لو دقّقنا النظر فيها لرأيناها بنفسها أو بتحريفٍ أو تصحيفٍ بسيط ترجع إلى صميم اللغة العربية الفصحىٰ، والشواهدُ على ذلك كثيرةٌ جِدّاً، ونكتفي هنا بذكر شاهدٍ واحدٍ وهو قولهم في العاميّة «مشّ» بمعنى مسح. والكاتب العربي الفصيح يتجنّب هذه الكلمة باعتبارها دخيلة وليست أصيلة، ولكن لو رجعنا إلى تُراثنا الأدبيّ لرأينا امرأ القيس ـ الشاعرُ الجاهليّ المعروف ـ يقول في إحدىٰ قصائده:

نَـمُشُّ بـأعـراف الـجِـيـاد أكُـفَّـنـا

أي نمسح، وهو المعنى المتبادل في لغتنا العاميّة.

٧٦٩٣ـ مقصورة ابن دُرَيْد «محمّدِ بنِ الحسن الأزدي» الشهيرة

قالها في مدح الأميرَينِ ابنيْ ميكال، وعددُ أبياتها «٢٥٢» بيتاً، وقد ضمّنها كلَّ مقاصد الشعر وأغراضِه عدا الرثاء والهجاء، ومطلعها:

أما ترى رأسيَ حاكىٰ لونُه طُرّةَ صبحٍ تحت أذيال الدجىٰ
واشتعل المبيضُ في مسوَدّه مثل اشتعال النار في جزل الغضا[1]

وقد حظِيتْ هذه المقصورة بعناية العلماء والأدباء والشعراء حتى شرحها وخمّسها وعارضها العشرات منهم، وقرّظها بعضهم بقصيدةٍ قال فيها:

مقصورةُ ابنِ دُريدٍ حوتْ جميعَ المعاني
نظامها مثلُ دُرٍّ أو مثلُ عِقد الجُمانِ[2]

٧٦٩٤ـ قال الشاعر:

وقصورٌ مَشيدةٌ حوتِ الخيرَ وأخرىٰ خلتْ فهنّ قِفارُ

٧٦٩٥ـ روي: إنّ أبا حاتم السجستاني كان أحدَ كبار العلماء في البصرة، ثم ارتحل إلى بغداد، فلمّا دخلها سئل في أحد مساجدها عن قوله تعالىٰ في سورة التحريم، الآية(٦): ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ ما يُقال منه للواحد؟ فقال: قِ، فقالوا: وما يُقال للاثنيْن؟ قال: قِيا، قالوا: وما يُقال للجماعة؟ قال: قوا، قالوا: فاجمعْ لنا الثلاثة، فقال: قِ، قِيا، قُوا. وكان في ناحية المسجد رجلٌ معه ثياب فقال لصاحبه: احتفظ بثيابي حتى أجيء، ومضى إلى الشّرَطة وقال لهم: إنّ في المسجد قوماً من الزنادقة يقرؤون القرآن على صياح الديك!. فجاؤوا معه إلى

---

(١) الغضا: شجر عوده صلب إذا اشتعل لا يخمد لهيبه إلا بعد زمن طويل.

(٢) الجُمان: اللؤلؤ.

المسجد فأخذوا السجستاني وأصحابَه، وسأله رئيسُ الشرَطة عمّا كانوا يتكلّمون به في المسجد فقصّ عليه الخبر - وقد اجتمع خلقٌ كثيرٌ ينظرون ما يكون من أمرهم - فقال له معنِّفاً: مثلُك يُطلِق لسانَه عند العامّة بمثل هذا؟؟ ثم أمر بضرب كل واحدٍ من أصحابه عشرةً عشرة، وقال لهم: لا تعودوا لمثل هذا.

٧٦٩٦- مِمّا يُلفت النظرَ في القرآن الكريم: إنّ جميعَ الآيات التي تذكر أسئلةَ الناس لرسوله عن أشياءَ يجهلونها يكون الجواب من الله تعالىٰ لرسولهﷺ فيها مقروناً بكلمة «قُلْ» كما قال سبحانه في سورة البقرة، الآية(١٨٩): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، وقال في نفس السورة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾، وقال في نفس السور: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾، وقال في سورة المائدة، الآية(٤): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، وقال في سورة الأعراف، الآيـــة(١٨٧): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، وقال في سورة الأنفال، الآية(١): ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقال في سورة الإسراء، الآية(٨٥): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وقـال فـي سـورة الـكـهـف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾، وقـال فـي سـورة طـه:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾، وقال في سورة الأحزاب، الآية(٦٣): ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.
إلا في قوله تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(١٨٦): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فقد تغيّر هنا الأسلوبُ المطّرِدُ في جميع الآيات السابقة ولم يقلْ لرسوله: «قُل» بل صدر الجواب من المولىٰ إلى عبده السائل مباشرةً وبغير واسطةٍ لشِدّة قربه تعالىٰ من عباده المؤمنين، فإنّه عزّ وجل سميعُ الدعاه قريبٌ مجيب، وإنّه أقرب إلى عبده من كلّ أحدٍ سواه.

وقد تعرضنا إلى هذا الموضوع في فِقرَةٍ سابقةٍ من هذا الكتاب برقم ٧١٤٠.

٧٦٩٧ـ قال ابن دريْد في وصف الشيب:

أرى الشيبَ مُذْ جاوزتُ خمسينَ دائباً
يدِبّ دبيبَ الصبح في غسَق الظُّلَمْ
هو السُّقم إلا أنّه غيرُ مؤلمٍ
ولم أرَ مثلَ الشيبِ سُقماً بلا ألَمْ

وقال الآخر في نفس المعنى:

ولي صاحب ما كنتُ أهوى اقترابَه   فلما التقينا كان أكرمَ صاحبِ
يعُزّ علينا أن يفارقَ بعد ما   تمنيتُ دهراً أن يكونَ مُجانبي

٧٦٩٨ـ كان ثابتُ بن قيس خطيبَ الأنصار، وكان يُقال له «خطيب رسول الله» كما كان يُقال لحسّان بنِ ثابت «شاعر رسول الله». ولمّا قدِم وفد بني تميم على النبيّ ﷺ جاؤوا معهم بخطيب وشاعر، فخطب خطيبُهم وهو «عطاردُ بنُ حاجب» وأنشد شاعرُهم وهو

«الزِّبْرِقانُ بنُ بدر» فأرسل النبيّﷺ إلى ثابت بنِ قيس وحسّان بنِ ثابت، فقام ثابت فأجاب خطيبَهم، وقام حسّان فأجاب شاعرَهم، فقال بنو تميم: «إنّ خطيبَهم أخطبُ من خطيبنا، وإنّ شاعرَهم أشعرُ من شاعرنا».

ولمّا نزل قولُه تعالىٰ في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ دخل ثابت بيتَه وأغلق بابَه، ففقده النبيّﷺ وأرسل إليه فسأله عن سبب انقطاعه فقال: «أنا رجلٌ شديدُ الصوت، أخاف أن أكونَ قد حبِط عملي» فقال لهﷺ: «لستَ منهم، إنك تعيش بخير وتموت بخير».

ولمّا نزل قولُه تعالىٰ في سورة لقمان، الآية(١٨): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أغلق بابَه عليه وطفِق يبكي ففقده النبيّﷺ وأرسل إليه فسأله عن سبب انقطاعه فقال: «يا رسول الله، إني أحبّ الجمال، وأحبّ أن أسودَ قومي» فقال لهﷺ: «لستَ منهم، بل تعيش حميداً، وتُقتل شهيداً، وتدخل الجنة».

٧٦٩٩ـ لمّا نجحت الأحزاب العِلمانيّة في القضاء على الخِلافة العثمانيّة وصار كمال أتاتورك يفاوض الإنكليز حول استقلال تركيا الحديثة قال رئيس وزراء بريطانيا «كرزون» لعصمت أنونو مندوب تركيا في هذه المفاوضات المنعقدة في «لوزان» سنة ١٩٢٢م: «إننا لا نستطيع أن نَدَعكم مستقلّين لأنكم تكونون حينئذٍ نواةً يتجمّع حولها المسلمون مرّةً أخرىٰ»، ولكنّ أتاتورك وأنونو تعهّدا للإنكليز بما يُطمئِن قلوبَهم، عندئذٍ وافقت بريطانيا على منح الاستقلال الصوريّ لتركيا بعد أن أملت

الشروط الأربعة المعروفة بشروط كرزون وهي:

١ـ أن تقطعَ تركيا صِلتَها بالإسلام.

٢ـ أن تُلغى الخِلافة من نظام الحكم في تركيا.

٣ـ أن تتعهّدَ تركيا بإخماد كلّ حركةٍ يقوم بها أنصار الخِلافة الإسلاميّة.

٤ـ أن تختارَ تركيا دستوراً وضعيّاً بدلاً من الدستور السابق المستمَدّ من الشريعة الإسلاميّة.

فنفّذ كمال أتاتورك هذه الشروط وزاد عليها، فسحبت بريطانيا جيوشَها وجيوشَ حلفائها من تركيا. وقد لاقىٰ هذا الانسحاب معارضةً شديدة من أعضاء مجلس العموم البريطاني، فقال لهم كرزون: «لقد قضينا على تركيا، ولن تقومَ لها قائمةٌ بعد اليوم، لأنّنا قد قضينا على قوّتها المتمثِّلة بالإسلام والخِلافة» فصفّق أعضاء المجلس كلُّهم لقوله، ووافقوا على هذا الانسحاب المشروط.

٧٧٠٠ـ روي: إنّ أبا بكر مرّ به رجل يحمل ثوباً، فقال له أبو بكر: أتبيع هذا الثوب؟ قال الرجل: لا رحِمك الله، فقال أبو بكر: ألا قلتَ: لا ورحمك الله.

ومثل ذلك ما روي: إنّ المأمونَ قال يوماً ليحيى بن أكثم: هل تغذّيتَ اليوم؟ فقال له يحيى: لا وأيّد الله أميرَ المؤمنين، فقال المأمون: «ما أظرفَ هذه الواو وما أحسنَ موقعَها» لأنّه لولا هذه «الواو» لاشتبه الدعاء له بالدعاء عليه.

٧٧٠١ـ روي: إنّ رجلاً شقيّاً قتل تسعاً وتسعينَ نفساً ثم ندِم على أعماله وجرائمه وأراد أن يتوبَ إلى الله تعالىٰ، فسأل عن رجلٍ صالحٍ يتوب على يديْه فدُلّ على عابد، فأتاه فأخبره أنّه قتل تسعاً وتسعينَ نفساً فهل له من توبة؟ فقال له العابد: لا توبةَ لك، فقام الشقيّ غاضباً فقتله، فصار عددُ من قتلهم مائةَ نفس. ثم سأل عن رجلٍ عالمٍ يتوب على يديْه فدُلّ على فقيه، فأتاه فأخبره أنّه قتل مائةَ نفس فهل له من توبة؟ فقال له: نعم إن تبت إلى الله توبةً نصوحاً وقمتَ بشروطها تاب الله عليك ثم قال له: انطلقْ إلى أرض كذا فإنّ فيها قوماً يعبدون اللّهَ تعالىٰ فاعبُدْه معهم ولا ترجعْ إلى أرضك فإنّها أرض سوء. فانطلق الرجل، حتى إذا صار في منتصف الطريق أتاه أجلُه، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، تقول ملائكة الرحمة: لقد جاء تائباً مقبلاً بقلبه على ربّه فنحن أولىٰ به. وتقول ملائكة العذاب: إنه لم يعملْ بعدُ خيراً قط فنحن أولىٰ به. فأوحى الله إليهم: قيسوا ما بين الأرضَيْنِ فإن كان أقربَ إلى الأرض التي جاء منها قبضتْ روحَه ملائكةُ العذاب، وإن كان أقربَ إلى الأرض التي قصدها قبضتْ روحَه ملائكةُ الرحمة. فقاسوا فوجدوه أقربَ إلى الأرض التي قصدها فقبضتْ روحَه ملائكة الرحمة، فسبحان الذي سبقت رحمتُه غضبَه وهو أرحم الراحمين.

٧٧٠٢ـ قال أبو الفتح البُستي:

قدِّمْ لنفسك خيراً وأنتَ مالكُ مالِكْ

٧٧٠٣ـ كلمة «الطِّب» في اللغة تُستعمل لعِدّة معانٍ مختلفة:

منها: الإصلاح، وفي هذا المعنىٰ يقول الشاعر:

وإذا تغيّر من تميمٍ أمرُها كنت الطبيبَ لها برأيٍ ثاقبِ

والمقصود بالطبيب هنا: هو المصلح الذي يعرِف كيف يسوس النّاسَ بحكمته.

ومنها: الحَذْق والمهارة، وفي هذا المعنىٰ يقول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنّني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ

والمقصود بالطبيب هنا: هو الحاذقُ والماهر. وإنما سُمي الطبيب الذي يعالج الأبدان طبيباً لحَذْقه ومهارته.

ومنها: العادة والسجِيّة، وفي هذا المعنىٰ يقول الشاعر:

فما إنْ طبُّنا جُبنٌ ولكنْ منايانا ودولةُ آخرينا

والمقصود بطبّنا هنا: هو عادتُنا وسجِيّتُنا. ويقول الآخر:

وما التّيهُ طبّي فيهمُ غيرَ أنّني بغيضٌ إليّ الجاهلُ المتغافِلُ

والمقصود بطبّي هنا: هو عادتي وسجِيّتي.

٧٧٠٤ـ من غرر الشعر قصيدةُ أبي البقاء الرندي التي يتفجّع فيها ويتحسّر على ذهاب دولة الإسلام في الأندلس والتي يقول فيها:

لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور ـ كما شاهدتُها ـ دُوَلٌ من سرّه زمنٌ ساءَتْه أزمانُ
وهذه الدار لا تُبقي على أحدٍ ولا يدوم على حالٍ بها شانُ
أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ
وأين ما حازه قارونُ من ذهبٍ وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطانُ
أتىٰ على الكل أمرٌ لا مردّ له حتى قضَوْا فكأنّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ كما حكىٰ عن خيال الطيْف وسنانُ

فجائعَ الدهر أنواعٌ منوّعةٌ وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ

يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ إن كنتَ في سِنةٍ فالدهر يقظانُ

٧٧٠٥- لمّا غادر آخرُ أمراء الأندلس مدينةَ غرناطة بعد أن سلّم مفاتيحَها إلى الملك «فرديناند» عام ١٤٩٢م وقف على مشارفها باكياً متحسّراً على فراقها فقالت له أمُّه:

ابكِ مثلَ النساء مُلكاً مُضاعاً

لم تحفظ عليه مثلَ الرجالِ

وكلّ من ينظر إلى تلك الديار العامرة والقصور الزاهرة يجهَش بالبكاء على ضَياع ذلك المُلك الشامخ والمجد الباذخ ولسانُ حاله يقول:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

٧٧٠٦- القاعدة المعروفة في «الصفة والموصوف» تقتضي أن يتّفقا في التعريف والتنكير فتقول: رأيتُ الرجلَ الفاضل، أو رأيتُ رجلاً فاضلاً. ولكن قد يُضاف الموصوف إلى صفته في بعض الاستعمالات، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم وفي الشعر والنثر العربيّ كقوله تعالى في سورة ق، الآية(٩): ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي: والحبَّ الحصيد، وقوله في نفس السورة، الآية(١٦): ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ أي: من الحبلِ الوريد.

وكقول لبيد:

ولقد رآني تارةً من جعفرٍ في مثل غيث الوابل المتحلّبِ

أي: الغيثِ الوابل.

وكقول أحمد بن عيسى الرداعي:

حتى تناخي عند باب الأعظمِ وتشربي ريّاً بحوضٍ زمزمِ(١)

أي: الباب الأعظم.

وكقول الآخر:

ويلبَسْنَ ثياب السود بعد القصبيّاتِ

أي: الثيابَ السود.

ومن ذلك قول الجاحظ في كتابه «الحيوان»: «فيوجد في حواصرها حبّة الخضراء غضّة طريّة» أي: الحبّةُ الخضراء. وقد جاء الاستعمالان معاً في آيةٍ من كتاب الله عزّ وجل وهي قولُه في سورة فاطر، الآية(٤٣): ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

٧٧٠٧ـ من الأقوال المشهورة عند الأطبّاء القدماء قولُهم: «كان الطبّ معدوماً فأوجده بقراط، وميّتاً فأحياه جالينوس، ومتفرّقاً فجمعه الرازي، وناقصاً فأكمله ابنُ سينا».

٧٧٠٨ـ قال دوقلة المنبجي صاحب القصيدة اليتيمة الدعديّة:

فالوجهُ مثلُ الصبح مبيَضٌّ والشَّعرُ مثلُ الليلِ مسوَدُّ
ضدّانِ لما استُجمِعا حسُنا والضِدُّ يُظهِر حسنَه الضِدُّ

٧٧٠٩ـ قال الشاعر:

أطوف ببابكم في كلّ حينٍ كأنّ ببابكم جُعل الطوافُ

---

(١) زمزم: كثير الماء.

وقال الآخر:

يزدحم الناسَ على بابكم والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزِّحامْ

٧٧١٠- قال هرم بن غنام السلولي:

إذا قلتَ في شيءٍ «نعم» فأتمَّهُ فإنّ «نعم» دينٌ على الحرّ واجبُ

وإلاّ فقل «لا» واسترحْ وأرحْ بها لكيلا يقولَ الناس إنّكَ كاذبُ

٧٧١١- قال عمرو بن الأهتم:

وليس فتى الفتيان مَن راح واغتدىٰ لشُرب صَبوحٍ أو لشُرب غَبوقِ[1]

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدىٰ لضَرّ عدوٍّ أو لنفع صديقِ

٧٧١٢- قال عليّ بنُ الجهم:

ولا عارَ إن زالت عن الحرّ نعمةٌ

ولكنّ عاراً أن يزولَ التجمّلُ

٧٧١٣- من الخطأ استعمالُ كلمة «الكَلل» بمعنى الإعياء والملل، والصحيح في هذا المعنى هو «الكَلال» أو «الكلالة»، أما الكَلل فمعناه: الحال.

ومن الخطأ أن تقول: «فعلت ذلك رغم تهديد الظالمين» والصحيح أن تقول: «فعلت ذلك على رغم تهديد الظالمين».

٧٧١٤- قال بعض اللُّغويين: إنّ كلمةَ «أمّ» تُجمع على «أمّهات» للعاقل فتقول: «أمّهات الرجال» و«أمّهات الأبطال»، وتُجمع على «أمّات» لغير العاقل فتقول: «أمّات الظِباء» و«أمّات المدن».

---

(١) الصَّبوح: ما يشرب في الصباح. الغبوق: ما يشرب في العشي.

وقالوا: إنّ كلمة «راعي» تُجمع على «رُعاة» لقادة البشر، وتُجمع على «رِعاء» لقادة الماشية، ومنه قولُه تعالىٰ في سورة القصص، الآية(٢٣): ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾. أي: قادة الماشية.

٧٧١٥ـ الفرق بين «السَّنا أو السَّنىٰ» وبين «السَّناء»: هو أنّ «السَّنا أو السَّنىٰ» بمعنى الضوء مطلقاً أو خصوص لمعان البرق، ومنه قوله تعالىٰ في سورة النور، الآية(٤٣): ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾. أمّا «السناء» فمعناه: المجد والرِّفعة، وقد جمع ابن زيدون الكلمتيْن والمعنييْن بقوله:

يا أخا البدر سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعَكْ

٧٧١٦ـ قال ابن الأثير في «النهاية»: الاستبضاع: نوع من نكاح الجاهليّة، وهو استفعال من البُضع وهو الجماع، وذلك أنّه تطلُب المرأةُ جُماعَ الرجل لتنالَ منه الولد فقط. كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها فلا يَمَسّها حتى يتبيّنَ حَمْلُها من ذلك الرجل، وإنّما يفعل ذلك رغبةً في الولد.

٧٧١٧ـ قال إسماعيل القراطيسي:

جاريةٌ أعجبها حسنُها ومثلها في الناس لم يُخلقِ
خبّرتُها أنّي محبٌّ لها فأقبلت تضحك من منطقي
والتفتت نحو فتاةٍ لها كالغُصن الريّان في قُرطَقِ[1]
قالت لها: قولي لهذا الفتىٰ: انظرْ إلى وجهك ثم اعشَقِ

(١) القُرطَق: نوع من أنواع القَباء.

٧٧١٨ـ قال ابن سيّارٍ النحوي الطائي:

بعثت أخطُب من قومٍ فتاتَهمُ ولم يكن بيننا ما يوجب الأُنْسا

فانعموا لي على بسطٍ لأوجههم حتى إذا ما رأوا وجهي قَرَوْا عبسْا[1]

٧٧١٩ـ قال جرير:

يُسَرُّ المرءُ ما ذهب الليالي وكان ذَهابُهنّ له ذَهابْا

٧٧٢٠ـ قال البستي في غلامٍ ناظره في مسائل النحو:

أفدي الغَزال الذي في النحو كلّمني

مُناظِراً فاحتسيتُ الشهدَ من شفتِهْ

ثم اتفقنا على حالٍ رضيتُ به

والنصب من صفتي والخفض من صفتِهْ

٧٧٢١ـ أبو منصور الثعالبي: عالم وأديب كبير، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ في مختلف الفنون والآداب، ومن أشهرها وأحسنها «يتيمة الدهر» التي يقول فيها ابن قلاقس الإسكندري:

حفِظ اليتيمةَ كلُّ مَن في شرقها والمغربِ

فشدوتُ من عُجْبٍ بها كم لليتيمة من أبِ

ويقول فيها أيضاً:

كتب القريض لئالئٌ نُظمت على جيد الوجودِ

فضل «اليتيمة» فيهمُ فضل اليتيمة في العقودِ

---

(١) فانعموا لي: قالوا لي نعم. قروا عبساً: قرؤوا سورة عبس.

ويقول فيها أيضاً:

أبيات أشعار اليتيمة أبكارُ أفكارٍ قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سُمّيتِ اليتيمة

٧٧٢٢ـ قال أبو نصر سهلُ بنُ المرزبان: «إنّ من الشعراء مَن شَلشَل، ومنهم مَن سَلسَل، ومنهم مَن قَلقَل، ومنهم مَن بَلبَل».

وقد أراد بقوله: «مَن شَلشَل» قولَ الأعشى:

وقد أروح إلى الحانات يتبعني شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ[1]

وقد أراد بقوله: «مَن سَلسَل» قولَ مسلم بنِ الوليد:

سُلّتْ وسُلّتْ ثم سُلّ سليلُها فأتى سليلُ سليلِها مسلولا[2]

وقد أراد بقوله: «مَن قَلقَل» قولَ المتنبي:

فقلقلتُ بالهمّ الذي قلقلَ الحشا قلاقلَ همٍّ كلّهن قلاقلُ[3]

وقد أراد بقوله: «مَن بَلبَل» قولَ الثعالبي:

وإذا البلابلُ أفصحت بلغاتها فانفِ البلابلَ باحتساء البابلي[4]

---

(١) الشاوي: الذي يشوي اللحم. المِشَلّ: الذي يجيد سياقة الإبل. الشَلولَ: الخفيف الحركة. الشُلشُل: المتحرك. الشَوِل: الذي يحمل الشيء.

(٢) سُلّت: رقت. سُلّ سليلها: رقّ رقيقها. سليل سليلها: رقيق رقيقها. سلولا: مرققا.

(٣) قلقلت: حركت. قلقل الحشا: حرّك جوانح النفس. القلاقل: النوق.

(٤) البلابل الأولى: جمع بُلبُل وهو الطائر المغرّد المعروف. البلابل الثانية: جمع بَلبال وهو ما يجيش في الصدر من الهم والقلق. والبابلي: الخمر المنسوب إلى بابل. وختام البيت ـ في رواية أخرى ـ: «باحتساء بلابلِ» وبلابل هنا: جمع بُلبُل أو بُلبُلة وهي قناة الكوز أو الإبريق التي يُصَبّ منها الماء أو الخمر.

وقد عاب الأدباء والنُقّاد على هؤلاء الشعراء أقوالَهم هذه واعتبروها من جملة هفواتهم وسقطاتهم.

ومثل هذا ما قاله الشاعر:

الشعراءُ فاعلمنَّ أربعَة
فشاعرٌ يَجري ولا يُجرىٰ معَهْ
وشاعرٌ من حقّه أن ترفعَهْ
وشاعرٌ من حقّه أن تسمعَهْ
وشاعرٌ من حقّه أن تصفعَهْ

وإلى هذا المعنىٰ يشير بعضهم في هجاء بعض الشعراء حيث يخاطبه بقوله:

يا رابعَ الشعراء كيف هجوتَني وزعَمتَ أنّي مفحَمٌ لا أنطِقُ

٧٧٢٣ـ قال الشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ[1]
إذا شاب رأس المرء أو قلّ مالُه فليس له في وِدّهنَّ نصيبُ

٧٧٢٤ـ قال عمر بن أبي ربيعة:

أومتْ بعينيْها من الهودجِ: لولاكَ هذا العامَ لم أحجُجِ

٧٧٢٥ـ ذكر السرخسي في كتابه «المبسوط»: إنّ أبا حنيفة جوّز قِراءةَ القرآن في الصلاة بالفارسيّة، مستدِلاً على ذلك بما روي: إنّ الفرس كتبوا لسلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتبَ لهم سورة الفاتحة

---

(١) طبيب: حاذق ماهر.

بالفارسيّة، فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتُهم بالعربيّة».

٧٧٢٦ـ قال أبو حاتم الرازي في كتابه «الزينة»: «قد كان لسانُ العرب فسُد حين تعرّبت العجم واختلطت اللغات، ولحَن أكثرُ الناس في كلامهم، فاستدرك ذلك أميرَ المؤمنين عليٌّ عليه السلام فوضع للناس رسماً في النحو فأخذه عنه أبو الأسود الدؤلي». وهذه إحدىٰ حسناته صلوات الله عليه على العرب ولغتهم الفصحىٰ.

٧٧٢٧ـ كثُر في العربية استعمالُ عبارة «هل لك في كذا أو إلى كذا» على خمسة أوجه:

الوجهُ الأوّل: استعمال «في» قبل كلمةٍ تدلّ على اسم الذات كقول الإمام الحسن عليه السلام لابن أبي عتيق: «هل لك في العقيق»، وقولِ النجاشي:

فقلتُ له يا ذيب هل لك في فتًى   يواسي بلا منٍّ عليك ولا بخلِ

الوجهُ الثاني: استعمال «في» قبل كلمةٍ تدُل على المصدر كقول جرير:

يا قلبُ هل لك في العزاء فإنّه   قد عيل صبرُك والكريمُ جسورُ

وقولِ أبي فراس:

فهل لك في الإذن لي راضياً   فإني أرى الإذن غُنماً كبيرا

الوجهُ الثالث: استعمال «في» قبل أنْ وصلتِها كقولهم: هل لك في أن تسافرَ معنا، وكقول الشاعر:

هل لك في أن تحميَ الذِّمارا   وتدفعَ الأضرارَ والأخطارا

الوجهُ الرابع: حذف «في» قبل أن وصلتِها كقول العباس بن الأحنف:

يا فوز هل لكِ أن تعودي للذي كُنّا عليه منذ نحن صغارُ

وقولِ شبيب بنِ عمرو الطائي: هل لكَ أن تدخلَ في جهنّمِ

الوجهُ الخامس: استعمال «إلى» بدل «في» كقوله تعالىٰ في سورة النازعات: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾.

٧٧٢٨- قال شمس المعالي:

أما ترى البحرَ يعلو فوقه جِيفٌ ويستقرّ بأقصىٰ قعره الدررُ

٧٧٢٩- قال سابق البربري:

إنْ عِبتَ يوماً على قومٍ بعائبةٍ أمراً أتوْه فلا تصنعْ كما صنعوا

٧٧٣٠- قال الله تعالىٰ في سورة القصص: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

هاتان الآيتان الكريمتان تدُلاّنِ على أنّ أمرَ النبوّة والإمامة هو بيد الله سبحانه لا يُشركه فيه أحد، ويتجلّى ذلك في نِقاط:

الأولىٰ: قولُه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ يدُلّ على أنّ اللّهَ سبحانه هو الذي يخلُقُ ما يشاء خلقَه، ويوجِدُ ما يشاء إيجادَه لا شريك له في ذلك.

الثانية: قولُه: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ يدُلُّ على أنّ اللّهَ تعالىٰ هو الذي يختار لدينه ورسالته من يشاء من عباده لا شريك له في ذلك أيضاً.

وفي عطف الاختيار على الخلق: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ تأكيدٌ على أنّ قضيّة الاختيار هي تماماً كقضيّة الخلق من خصائص الله عزّ وجل لا يُشركه فيها أحد.

الثالثة: قولُه: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ يدُلّ على أنّ البشرَ لا دخْلَ لهم في هذا الأمر أبداً لأنّه من أفعال الخالق وليس هو من أفعال المخلوقين.

الرابعة: قولُه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يدُلّ على أنّ اللَّهَ سبحانه منزّهٌ ومتعالٍ عن أن يُشركَ في أمر الخلق أو أمر الاختيار أحداً من عباده، بل هو وحده الذي يخلق وهو وحده الذي يختار.

الخامسة: قولُه: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بيان للعِلّة والحكمة في حصر الاختيار بيده جلّت قدرته، لأنّه سبحانه هو الذي يعلم خفايا النفوس، ويعلم ما تنطوي عليه القلوب، ويعلم ظاهرَ الناس وباطنَهم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، وكيف لا يعلم ذلك منهم وهو الذي خلقهم، وهو الذي أحاط بكلّ شيءٍ علماً: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2].

هذا ما يُستفاد من ظاهر الآيتيْنِ الكريمتيْن. وقد جاء النصُّ صريحاً في ذلك عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطِق عن الهوىٰ إنْ هو إلا وحيٌ يوحىٰ، فقد روىٰ محمّدُ بنُ مؤمن الشيرازي ـ وهو من علماء أهل السُّنّة ـ في كتابه المستخرج من التفاسير الاثنيْ عشر عن أنس بن مالك أنّه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ

(١) سورة الأنعام، الآية(١٢٤).
(٢) سورة الملك، الآية(١٤).

﴿وَيَخْتَارُ﴾ فقال عليه السلام: «إنّ الله خلق آدمَ من الطين كيف يشاء ويختار، وإنّ الله اختارني وأهلَ بيتي على جميع الخلق فانتجبنا فجعلني الرسول، وجعل عليّ بنَ أبي طالب الوصيّ، ثم قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ يعني: ما جعلتُ للعباد أن يختاروا ولكنّي أختار من أشاء. فأنا وأهل بيتي صفوتُه وخيرتُه من خلقه...».

٧٧٣١- ثلاثة من أئمة الهدىٰ صلوات الله عليهم قاموا بأمر الإمامة وهم صِغار لم يبلغوا الحُلم.

أوّلهم: الإمام محمّدُ بنُ عليّ الجواد عليه السلام فقد قام بالإمامة بعد أبيه عليّ بنِ موسى الرضا عليه السلام وعمره ثمان سنين - على المشهور -. وقد فارقه أبوه الرضا عندما سافر إلى خراسان بطلبٍ من المأمون وعمره خمس سنين.

وثانيهم: الإمام عليُّ بنُ محمّد الهادي عليه السلام فقد قام بالإمامة بعد أبيه محمّدِ بنِ عليّ الجواد عليه السلام وعمره ست سنين وخمسة أشهر - على المشهور -.

وثالثهم: الإمام الحجّةُ المهديّ عليه السلام فقد قام بالإمامة بعد أبيه الحسنِ بنِ عليّ العسكري عليه السلام وعمره خمس سنين - باتّفاق المؤرّخين -. فمن الذي أمدّهم بكلّ تلك العلوم الغزيرة، وزوّدهم بكل تلك المواهب الكبيرة حتى طأطأ الناسُ لعظمتهم، واعترف الكثيرُ منهم بإمامتهم؟ لا شكّ أنّ اللّهَ سبحانه هو الذي أمدّهم بكلّ تلك العلوم وزوّدهم بكلّ تلك المواهب، وهو الذي اختارهم للإمامة، واجتباهم للرئاسة العامّة وهم في مثل هذه السِنّ كما آتىٰ يحيى الحُكمَ صبيّاً، وآتىٰ عيسى في المهد الكتابَ وجعله نبيّاً.

٧٧٣٢ـ قال نهار بنُ توسعة:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

٧٧٣٣ـ روى شيخنا الصدوق في كتابيه «الأمالي» و«إكمال الدين» بسنده عن هشام بن سالم عن الإمام جعفرِ بنِ محمّد عليه السلام أنه قال: «عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يُبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم إلى الله، وسبعمائة سنة بعدما نزل من السفينة ونضَب الماء. فمصّر الأمصار، وأسكن ولده البلدان. ثم إنّ ملَكَ الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فردّ نوح عليه السلام وقال له: ما جاء بك يا ملكَ الموت؟ فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدَعُني أتحوّل من الشمس إلى الظِل؟ فقال له: نعم. فتحوّل نوح عليه السلام ثم قال: يا ملكَ الموت فكأنّ ما مرّ بي في الدنيا مثلُ تحوّلي من الشمس إلى الظل فامضِ لما أمرتَ به، فقبض روحَه».

وصدق الشاعر حيثُ يقول:

نُحْ على نفسك يا مسكينُ إنْ كنتَ تنوحْ
لستَ بالباقي ولو عمّرتَ ما عمّر نوحْ

٧٧٣٤ـ الخِضْرُ وليٌّ من أولياء الله بل نبيٌّ من أنبيائه ورسله على ما هو مرويّ عن أهل بيت العصمة عليهم السلام. فقد روى الصدوق في «عِلل الشرائع» بسنده عن جعفر بنِ محمّد بنِ عِمارة عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنه قال: «الخِضْرُ كان نبيّاً مرسلاً بعثه الله تبارك وتعالىٰ إلى قومه، فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه، وكانت آيتُه أنّه لا يجلس على خشبةٍ يابسةٍ ولا أرضٍ بيضاء إلا أزهرت

خضراء، وإنما سمي خِضراً لذلك، وكان اسمُه باليا بن ملكان بن عابر ـ أو عامر ـ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام». وهو الذي التقىٰ به موسى بنُ عِمران عليه السلام وفتاه ووصيُّه يُوشع بنُ نون كما قال تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

وكان الخضرُ أحدَ رجال ذي القَرنيْن وقوّادِه المقرّبين لديْه. وقد أطلعه الله تعالىٰ على ماء الحياة فشرِب منها فكان ذلك سبباً في طول عمره إلى يوم يُنفخ في الصور. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في حديثٍ طويل: «إنّ عينَ الحياة هي أوّلُ عينِ ماءٍ خلقها الله تعالىٰ، وإنّها هي التي انتهى إليها موسى بنُ عمران وفتاه يوشع بنُ نون فغسل فيها السمكة المالحة فأحياها الله... وليس من ميّتٍ يصيب من ذلك الماء إلا أحياه الله، وكان الخضر على مقدّمة ذي القَرنين يطلُب عينَ الحياة فوجدها الخضر وشرِب منها ولم يجدْها ذو القَرنيْن». وروي أنّ ذا القَرنيْن قال له: أشرِبتَ من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها، وأنت الذي خُلِقتَ لها، فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور. وروى الصدوق في «إكمال الدين» بسنده عن الحسن بنِ عليّ بنِ فضال قال: سمِعت أبا الحسن عليَّ بنَ موسى الرضا عليه السلام يقول: «إنّ الخضرَ عليه السلام شرِب من ماء الحياة فهو حيّ لا يموت حتى يُنفخَ في الصور، وإنّه ليأتينا فيسلّم علينا، فيُسمَعُ صوتُه ولا يُرىٰ شخصُه، وإنه ليحضَر حيثُ ما ذُكر، فمن ذكره منكم فليسلّمْ عليه، وإنّه ليحضُرَ الموسَمَ كلَّ سنةٍ فيقضي جميعَ المناسك، ويقف بعرفة فيؤمِّن على دعاء المؤمنين. وسيؤنس الله به وحشةَ قائمنا في غيبته ويصل به وَحدتَه».

وروي: إنّ الخضرَ وقف على باب بيت رسول الله ﷺ بعد وفاته معزّياً أهلَ بيته في هذه الفاجعة العظمىٰ، وإنّه وقف مرّةً أخرىٰ على باب بيت أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاته معزّياً أهلَ بيته في هذه المصيبة الكبرىٰ وإنه صار يخاطب علياً عليه السلام بقوله: «رحِمك الله يا أبا الحسن، كنتَ أوّلَ القوم إسلاماً وأقدمَهم إيماناً...» إلى آخر الزيارة التي يستحب أن يُزارَ بها عليه السلام يوم وفاته، وإنّه في جميع هذه المواقف يُسمَعُ صوتُه ولا يُرىٰ شخصُه.

٧٧٣٥ـ قال تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾.

هذه الآية الكريمة تتحدّث عن عيسى بنِ مريمَ عليه السلام. والضميرُ في قوله: «به» وقوله: «يكون» راجعٌ إلى عيسى بإجماع المفسرين. أمّا الضميرُ في قوله: «قبل موته» فقد اختلفوا في معناه على قولَيْن:

الأوّل: إنّه راجع إلى المبتدأ المقدَّر في أول الآية وهو كلمة «أحد» لأنّ قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ معناه: «وما أحدٌ من أهل الكتاب»، فيكون معنى الآية ـ على هذا القول ـ: «وما أحدٌ من أهل الكتاب إلا ويؤمن قبل موته بعيسى ويعلم أنّه عبدُ الله ورسولُه، ولكن لا ينفعه إيمانُه».

الثاني: إنّه راجع إلى عيسى عليه السلام كغيره من الضمائر، ويكون معنى الآية ـ على هذا القول ـ: وما أحدٌ من أهل الكتاب إلا ويؤمن بعيسىٰ قبل موته عليه السلام. وهذا القول هو الأظهر والأوفق بالسياق، وهو المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام، فقد روى الشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» بسنده عن محمّد بنِ مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام في

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال عليه السلام: «إنَّ عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقىٰ يهوديٌ ولا غيرُه إلا آمنوا به قبل موته عليه السلام، ويصلّي عيسىٰ خلف المهديّ».

وروى الشيخ المجلس في «البحار» بسنده عن شهر بنِ حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر آيةٌ في كتاب الله أعيتني، فقلتُ: أيها الأمير أيَّةُ آيةٍ هي؟ فقال: قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ واللّهِ إني لأمرّ باليهودي والنصراني لتُضرب عنقُه، ثم أرمُقُه بعيني فما أراه يحرّكُ شفتيْه حتّى يُحمل. فقلت: أصلح اللّهُ الأمير ليس على ما تأوّلت، قال: كيف؟ قلت: إنّ عيسىٰ ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقىٰ يهوديٌ ولا غيرُه إلا آمن به قبل موته عليه السلام، ويصلّي خلف المهديّ، قال: ويحك أنّى لك هذا ومِن أين جئتَ به؟ فقلت: حدّثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عليِّ بنِ أبي طالب، فقال الحجّاج: جئتَ واللّهِ بها من عينٍ صافية.

٧٧٣٦ـ روىٰ شيخنا الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده عن المفضل بن عمر أنّه قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله نظر إلى عليٍّ والحسنِ والحسينِ فبكىٰ وقال: «أنتم المستضعَفون بعدي»، قال المفضل: فقلت له: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: معناه أنكم الأئمةُ بعدي، إنّ اللّهَ عزّ وجل يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾[1] فهذه الآيةُ جاريةٌ فينا إلى يوم القيامة».

٧٧٣٧ـ قال الله تعالىٰ في سورة الرعد: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

(١) سورة القصص، الآية(٥).

فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾.

تُصوّر هذه الآيةُ الكريمة ـ بأسلوبها البليغ المعجز ـ مَثَلاً رائعاً للحق والباطل، فإنّ الماء عندما ينزل من السماء ويجري على سطح الأرض يغمُر الوديانَ والمناطقَ المنخفضة كلٌّ بمقدار ما يستوعب من ذلك الماء، وهو مثَلٌ بليغ يصوّر حقيقةً واقعةً من حقائق الحياة، وهي إنّ الناسَ عندما يتلقَّوْن من المصدر الأعلى الألطافَ الإلَهيّةَ والفيوضاتِ الربّانيّةَ يأخذ كلٌّ منهم بمقدار ما يستوعبه عقلُه وتتحمّله طاقتُه.

ثم إنّ هذه السيولَ المتدفّقةَ من ماء المطر التي تجري على وجه الأرض تجرُف معها غُثاءً يطفو على وجه الماء وينتشر هنا وهناك حتى ليكاد يحجُب الماءَ عن الأنظار، ولكنّه مهما ظهر وانتشر فهو غُثاء أجوف، ومهما انتفش وانتفخ فهو زائل مضمحل، بينما يبقى الماء هو الماء يجري بكلّ هدوء وينساب بكل سكون ويحمل معه الخيرَ والنفعَ والحياةَ لكلّ شيء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1].

كذلك المعادن والفِلِزّات عندما يوقَد عليها النار وتنصهر وتذوب يطفو على هذا السائل المنصهر زبَدٌ يُشبه زبَد الماء وينتفخ كما ينتفخ ذلك الزَّبد حتى ليكاد يحجُب المعدِنَ الأصيلَ عن الأنظار ولكنّه سرعان ما يتلاشىٰ ويبقى المعدِنُ هو المعدِنَ نقيّاً لامعاً يخطَف الأبصار.

هذا هو مثَل الحق والباطل في هذه الحياة الدنيا، فالباطل قد

(١) سورة الأنبياء، الآية(٣٠).

يتعالىٰ ضجيجُه وعجيجُه، وقد يبدو طافياً رابياً على صفحة الحياة كما يطفو ويربو الزبَد على صفحة الماء أو السائل المنصهر، ولكنّه لا يلبث أن يذوبَ كما يذوبُ الثلج إذا أشرقت عليه الشمس، أمّا الحق فيبقى ثابتاً راسخاً شامخاً لا ينحني أمام العواصف، ولا ينهزم أمام الأعاصير، يبقى نقيّاً كالماء، صافياً كالذهب. ويذهب الباطل كما يذهب الزَّبَد، إنّها الحقيقة الكبرى التي لا تتبدّل ولا تتغيّر: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾(١).

٧٧٣٨ـ قال السيد صالح القزويني مخاطباً الحجّة المهدي عليه السلام:

يا غائباً لم تغِبْ عنّا رعايته ولا يزال بعين اللطف يرعانا
بظله ـ وهو محجوب ـ منافع مثل الشمس ـ إذْ ظلّلتها السُّحُبُ ـ تغشانا

وقد أشار بالبيت الثاني إلى ما ورد في الأحاديث الشريفة مِن أنّ النّاسَ ينتفعون بوجود الإمام عند غيبته كما ينتفعون بالشمس إذا حجبتها السحب عن الأنظار. وهو تشبيه في غاية الدِّقّة والصدق والجمال، لأنّ وجودَ الشمس ـ بحسب تكوينها وموقعها وارتباط الأرض بها ـ يحقّق للكائنات الحيّة أعظمَ المنافع والفوائد حتى مع احتجاجها بالسحب، كما أنّ وجودَ الإمام ـ بحسب كونه أماناً لأهلِ الأرض ومصدرَ خيرٍ وبركة لهم ـ يحقّق للناس أعظمَ المنافع والفوائد حتى مع غيبته عن الأنظار. وإليك بعضَ النصوص الواردةَ في هذا المجال.

روى الصدوق في «إكمال الدين» والخزار في «كفاية الأثر»

---

(١) جُفاءً: غُثاء لا نفع فيه.

والمجلسي في «البحار» وابن شهرآشوب في «المناقب» عن جابر الجعفي قال: سمعت جابرَ بنَ عبد الله الأنصاري يقول: لمّا أنزل الله عزّ وجل على نبيّه محمّد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1] قلت: يا رسول الله عرَفنا اللّهَ ورسولَه فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتَهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: «هم خلفائي يا جابر وأئمةُ المسلمين من بعدي أوّلُهم عليُّ بنُ أبي طالب، ثم الحسنُ والحسين، ثم عليُّ بنُ الحسين، ثم محمّدُ بنُ علي المعروف في التوراة بالباقر وستُدركه يا جابر فإذا لقيتَه فأقرئه منّي السلام، ثم الصادقُ جعفرُ بنُ محمّد، ثم موسى بنَ جعفر، ثم عليُّ بنُ موسى، ثم محمّدُ بنُ علي، ثم عليُّ بنُ محمّد، ثم الحسنُ بنُ عليّ، ثم سميّي وكنّيي حجّةُ الله في أرضه وبقيّتُه في عباده ابنُ الحسن بنِ عليّ، ذاك الذي يفتح الله «تعالى ذكرُه» على يديه مشارقَ الأرض ومغاربَها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبُت على القول بإمامته فيها إلا من امتحن اللّهُ قلبَه للإيمان». قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاعُ به في غيبته؟ فقال ﷺ: «أي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وأن تجلّلَها سحاب».

وروى الصدوق في «إكمال الدين» والطبرسي في «الاحتجاج» والمجلسي في «البحار» والحمويني الشافعي في «فرائد السّمطين» والشيخ سليمان الحنفي في «ينابيع المودّة» عن سليمان بنِ مهران الأعمش عن جعفر الصادق عن أبيه محمّد الباقر عن أبيه عليّ زينِ

---

(١) سورة النساء، الآية(٥٩).

العابدين عليه السلام أنّه قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغُرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين. ونحن أمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجومَ أمانٌ لأهل السماء. ونحن الذين بنا يُمسك اللّهُ السماءَ أن تقعَ على الأرض إلا بإذنه، وبنا يُمسك الأرضَ أن تميدَ بأهلها، وبنا يُنزِل الغيثَ ويَنشُر الرحمة ويُخرج بركاتِ الأرض. ولولا ما في الأرض منّا لساخَتْ بأهلها... ولم تخلُ الأرضُ ـ منذ خلقَ الله آدم ـ من حُجّة لله فيها ظاهرٍ مشهور أو غائبٍ مستور، ولا تخلو إلى أن تقومَ الساعة من حجّةٍ لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبدِ الله». قال سليمان: فقلت: كيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب».

وروى الصدوق في «إكمال الدين» والطبرسي في «الاحتجاج» والمجلسي في «البحار» عن إسحاق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد السفير الثاني محمدِ بنِ عثمان ـ المعروف بالخُلاّني ـ أجوبةً لمسائلَ عديدةٍ سأل عنها الحجّةَ المهديّ عليه السلام فكان ممّا أجابه قولُه عليه السلام: «وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء».

٧٧٣٩ـ قال الشيخ إبراهيم بنُ يحيى العاملي من قصيدةٍ غرّاء يمدح بها الإمامَ زينَ العابدين عليه السلام:

ما غاب عن أفق الشريعة كوكبٌ — إلاّ وجاء بكوكبٍ وقّادِ

إنّ المهيمنَ ليس يُخلي أرضَه — من حُجّةٍ متستّرٍ أو بادي

لولا إمامُ الحق ما بقيَ الورىٰ — والجسمُ لا يبقىٰ بغير فؤادِ

كنْ كيف شئتَ فقد أصبتُ هدايتي   بهداهُمُ وبلغتُ كلَّ مُرادي
ما ضرّني إنْ ضلّ عن طرق الهدىٰ   غيري إذا كتب الإلٰهُ رشادي
مَن صدّ عن عين الحياة ومات من   ظمأٍ فلا سُقيت عِظامُ الصادي

٧٧٤٠ـ قال الشاعر:

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحىٰ
نوراً ومن فَلَقِ الصباح عموداً[1]

٧٧٤١ـ من الخطأ الشائع قولُهم: «كثُر هطولَ المطر»، والصحيح: «كثُر هَطْل المطر» أو هَطَلانه، أو تَهْطاله. ومن الخطأ الشائع أيضاً قولُهم: «تواجد الطلاب في المدرسة»، والصحيح: «وجد الطلاب في المدرسة» أو حضروا؛ لأنّ التواجدَ معناه: تبادل إبداء الوجد وهو الحبُّ والشوق.

٧٧٤٢ـ اشتهر بين الأوروبيين ـ ثم بين مختلف شعوب الأرض ـ تسميةُ الشهر الأوّل من الزواج بشهر العسل، والسبب في ذلك: إنّ بعضَ الأوروبيّين كانوا يصنعون عند الزواج شراباً من العسل يشربه العروسانِ لمدّة ثلاثين يوماً من الزواج، وربّما يقدّمونه إلى الضيوف خلال هذه الأيّام لِما فيه من فوائدَ صحيّةٍ كبيرة، ولأنّه يمُدّ الجسمَ بالطاقة والقوّة والحيويّة والنشاط، فلذلك سُمّي الشهرُ الأول من الزواج بشهر العسل.

٧٧٤٣ـ روي: إنّ شقيقَ البلخيّ أراد السفرَ لطلب الرزق فودّع صديقَه إبراهيمَ بنَ الأدهم، ولم تمض أيّام قليلة حتى رأى إبراهيمَ

(١) فلق الصباح: نوره وضياؤه.

صاحبَه البلخيّ في المسجد، فقال له متعجِّباً: ما الذي عجّل بعودتك؟ فقال شقيق: رأيتُ في سفري عجباً فعدلتُ عن السفر، قال إبراهيم: وماذا رأيت؟ قال شقيق: آويتُ إلى مكان خرِب لكي أستريحَ فيه فوجدتُ فيه طائراً كسيحاً أعمى، فقلتُ في نفسي: كيف يعيش هذا الطائر في هذا المكان وهو لا يتحرّك ولا يُبصر؟ وبينا أنا أفكّر في ذلك إذ أقبل طائرٌ آخرٌ يحمل في فمه طعاماً وألقمه إيّاه، فقلتُ: إنّ الذي رزق هذا الطائرَ في هذا المكان قادرٌ على أن يرزقَني في مكاني فعدلتُ عن السفر. فقال له إبراهيم: عجباً منك يا شقيق لماذا رضيتَ لنفسك أن تكونَ الطائرَ الأعمى الكسيح الذي يعيش على معونة غيره، ولم ترض أن تكونَ الطائرَ الآخر الذي يسعىٰ على نفسه وعلى غيره من العُميان والمقعدين، أمَا علِمتَ أنّ اليدَ العُليا خيرٌ من اليد السُفلىٰ؟. فقام شقيق إلى إبراهيم وقبّل يده وعاد إلى سفره لطلب الرزق.

٧٧٤٤ـ قال عدي بن زيد:

أيّها الشامت المعيِّرُ بالـ ـدهر أأنت المبرّأ الموفورُ[1]
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرورُ

٧٧٤٥ـ قال العرجي:

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغرِ

٧٧٤٦ـ كلمة «ليت شعري» تقولها العربَ عند الشيء تحب أن تعلمَه وتسألَ عنه، وقد سأل رجلٌ أبا عبيدة: ما أصل «ليت شعري»؟ فقال: كأنّه قال: ليتني شعرتُ بكذا وكذا، ليتني علِمت حقيقتَه.

---

(١) الموفور: الذي لم تصبه نوائب الدهر.

٧٧٤٧ـ قال أعشى همدان:

حَيِّيا خولةَ مني بالسلام ... درّةَ البحر ومصباحَ الظلامِ

لا يكن وعدُكِ بَرْقاً خُلَّباً ... كاذباً يلمع في عُرض الغَمامِ

واذكري الوعدَ الذي واعدتِنا ... ليلةَ النصف من الشهر الحرامِ

والبرق الخُلّب: هو الذي لا مطر معه، ولذلك قال في وصفه: «كاذباً يلمع في عُرض الغمامِ» أي في ناحية السحاب. ومثله قول الشاعر:

لا يكن وعدك برقاً خُلَّباً ... إن خيرَ البرق ما الغيث معهُ

٧٧٤٨ـ قيل: إنّ زليخا امرأة العزيز لَمّا خلت بيوسف عليه السلام وغلّقت الأبواب جاءت إلى صنم لها فغطّت وجهَه، فقال يوسف عليه السلام: «ما لكِ، أتستحين من مراقبة جمادٍ لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من مراقبة السميع البصير».

٧٧٤٩ـ قال ابن هَرْمة في ممدوحه:

يكاد بابك ـ من جودٍ ومن كرمٍ ـ ... من دون بوّابه للناس يندلقُ[1]

٧٧٥٠ـ هناك حقيقة علميّة ـ اتفقتْ عليها جميعُ النظريّات الفلكيّة ـ ملخّصُها: إنّ الوجودَ بدأ في صورة الدخان والغاز الكونيّ أو «الإيدروجين»، وهذا ما يشير إليه قولُه تعالىٰ في سورة فصلت، الآية(١١): ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾.

وهناك حقيقة علميّةٌ أخرىٰ ملخّصُها: إنّ الأجرامَ السماويّة عندما ينتهي دورُها المقرَّرُ لها ترجِع إلى حالتها الأولىٰ، وتعود دخاناً وطاقاتٍ

---

(١) يندلق: ينفتح.

هائلة كما كانت في أول أمرها، وهذا ما يشير إليه قولُه تعالىٰ في سورة الدخان: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، وقولُه في سورة الأنبياء، الآية(١٠٤): ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾.

٧٧٥١ـ قال أميّةُ بنُ أبي الصلت الثقفي:

اشرب هنيئاً عليك التاج مُرتفِقاً في رأس غُمدانَ داراً منكَ مِحلالا[١]

هذي المكارمُ لا قَعْبانِ من لبنٍ شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا[٢]

٧٧٥٢ـ يُطلق العربُ كلمةَ «البِيض» على الأيّام، وكلمةَ «السود» على الليالي. ومنه قولُ سَلْم الخاسر:

لا زلتَ مسروراً به سالماً على اختلاف البيض والسودِ[٣]

٧٧٥٣ـ قال هدبة بن خشرم:

ألا يا لَقومي للنوائب والدهرِ وللمرء يُردي نفسَه وهُو لا يدري[٤]

٧٧٥٤ـ قال النابغة الذبياني:

لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً بهِ إن كان تفريقُ الأحبّةِ في غدِ

٧٧٥٥ـ يحسب بعض الناس أنّه لا يجوز إطلاقُ كلمة «العظيم» على غير الله ـ جلّت عظمتُه ـ. وهذا خطأٌ واضح لأنّ العظمةَ المطلقة

---

(١) مرتفقاً: متكئاً على المَرفق. غُمدان: اسم قصر لسيف بن ذي يزن في اليمن. مِحلالا: أي تحل وتقيم فيها.

(٢) قَعبان: مثنى قَعْب وهو القدح الكبير. شيبا: خُلطا ومُزجا.

(٣) أي: اختلاف الأيام والليالي.

(٤) يردي: يهلك.

اللانهائيّة هي وحدها التي لا تُطلق إلا على الله ولا تَليق إلا به، شأنُها في ذلك شأنُ غيرها من صفات الكمال، فالقدرةُ المطلقةُ اللانهائيّة والعلمُ المطلقُ اللانهائي والرحمةُ المطلقةُ اللانهائيّة هي التي لا تُطلق إلا عليه سبحانه ولا تَليق إلا به، قال تعالىٰ في صفة قدرته المطلقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، وقال في صفة علمه المطلق: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال في صفة رحمته المطلقة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣] وقال في مطلق صفاته: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[٤]. وهكذا العظمة المطلقة اللانهائية. أمّا العظمةُ المقيّدةُ النّسبيّةُ والمحدودة فيجوز إطلاقُها ـ كغيرها من الصفات ـ على كل من اتّصف بنصيب منها سواء كان إنساناً أو غيرَ إنسان فيقال: هذا إنسانٌ عظيم، وهذه شجرةٌ عظيمة، وهذه دارٌ عظيمة، وهذا كتابٌ عظيم وهكذا... فالمقصود إنّ هذا الرجلَ له من الصفات والملكات ما تميّزه عن غيره من الرجال، وإنّ هذه الشجرةَ أطولُ أو أجملُ من غيرها من الأشجار، وإنّ هذه الدارَ أوسعُ أو أرفعُ من غيرها من الدور، وإنّ هذا الكتابَ أجمعُ أو أنفعُ من غيره من الكتب.

وقد أطلق اللّهُ تعالىٰ صفةَ العظمة على كثيرٍ من الأشياء في القرآن الكريم من غير فرقٍ بين أن تكونَ تلك الأشياءُ صالحةً أو غيرَ صالحة. قال تعالىٰ في صفة ذاته المقدسة: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[٥]،

---

(١) سورة البقرة، الآية(٢٠).

(٢) نفس السورة، الآية(٢٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية(١٥٦).

(٤) سورة لقمان، الآية(٢٧).

(٥) سورة البقرة، الآية(٢٥٥).

وقال في صفة فضله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١)، وقال في صفة عرشه: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢)، وقال في صفة عرش بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾(٣)، وقال في صفة القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾(٤)، وقال في صفة النبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥)، وقال في صفة الحنث: ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾(٦)، وقال في صفة الكرب: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٧)، وقال في صفة الفوز: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٨)، وقال في صفة الخزي: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٩)، وقال في صفة العذاب: ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١٠)، وقال في صفة المُلْك: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾(١١)، وقال في صفة الأجر: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١٢)، وقال في صفة الإثم: ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(١٣)، وقال في صفة الميل: ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾(١٤)، وقال في صفة الخُلُق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾(١٥)، وقال في صفة الحظ: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(١٦)، وقال في صفة الذبح: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ

---

(١) نفس السورة، الآية(١٠٥).

(٢) سورة التوبة، الآية(١٢٩).

(٣) سورة النمل، الآية(٢٣).

(٤) سورة الحجر، الآية(٨٧).

(٥) سورة النبأ، الآية(١-٢).

(٦) سورة الواقعة، الآية(٤٦).

(٧) سورة الأنبياء، الآية(٧٦).

(٨) سورة التوبة، الآية(٧٢).

(٩) نفس السورة، الآية(٦٣).

(١٠) سورة البقرة، الآية(١١٤).

(١١) سورة النساء، الآية(٥٤).

(١٢) نفس السورة، الآية(٧٤).

(١٣) نفس السورة، الآية(٤٨).

(١٤) نفس السورة، الآية(٢٧).

(١٥) سورة القلم، الآية(٤).

(١٦) سورة القصص، الآية(٧٩).

عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[(١)]، وقال في صفة السحر: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)]، وقال في صفة القسَم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[(٣)]، وقال في صفة البهتان: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[(٤)]، وقال في صفة الكيْد: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[(٥)].

٧٧٥٦ـ سأل أحدُ علماء اليهود أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال: لماذا قال قرآنكم عن مدّة لبْث أصحاب الكهف في الكهف: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾[(٦)] ولم يقل: ثلاثَ مائةِ سنينَ وتسعاً، بينما قالت كتُبنا: لقد لبِث أصحاب الكهف في كهفهم ثلاثَ مائةِ سنين؟ فقال عليه السلام: «سنوكم شمسيّة وسنوّنا قمريّة». ومعنى ذلك: إنّ اللّهَ سبحانه أشار بهذه العبارة الموجزة إلى مدّة لبْثهم في الكهف ـ بحساب السنة الشمسيّة ـ وهي ٣٠٠ سنة، وإلى مدّة لبْثهم فيه ـ بحساب السنة القمريّة ـ وهي ٣٠٩ سنين.

٧٧٥٧ـ قال «أينشتاين» ـ بعد أن اتُهم بالكفر والإلحاد ـ: «كيف يتّهمني هؤلاءِ الناس بالكفر والإلحاد وأنا الذي يزداد إيماني في كلّ يوم بوجود الله وعظمته. فكلّما تعمقتُ في العلم تبيّن لي بجلاء إنّ هذا الكونَ بنظامه الدقيق لا بدّ أن يكون له خالقٌ حكيم، له القدرة على تنظيمه والمحافظةِ على هذا التنظيم».

وقال «فون براون»: «إن العالِم الحقيقي هو الذي يزداد إيمانُه بالله كلما تبحّر في العلم، لأنّه كلّما تعمّق في دراسة علوم الطبيعة مثلاً

(١) سورة الصافات، الآية(١٠٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية(١١٦).

(٣) سورة الواقعة، الآية(٧٦).

(٤) سورة النور، الآية(١٦).

(٥) سورة يوسف، الآية(٢٨).

(٦) سورة الكهف، الآية(٢٥).

تبيّن له أنّ بعضَ التعبيرات الرنّانة التي يستخدمها في دراسته مثل «الطاقة والمادة» ما زالت في الواقع غيرَ مفهومةٍ له، وفضلاً عن ذلك فإنّ هناك مشاكلَ كثيرةً ما زال الإنسان وسيظل دائماً عاجزاً عن تفسيرها وحلّ ألغازها، ومن أهمّها مشاكلُ الوِراثة. ويكفي أن يعرفَ الإنسان أنّه يولد عن أبوينِ لا يمكن أن يكونَ له أيُّ دخْلٍ في اختيارهما».

٧٧٥٨- قال «هوكنج» أستاذُ الفلسفة بجامعة «هارفد» في كتابه «روح السياسة العالميّة»: «إنّ سبيلَ تقدّم الممالك الإسلاميّة ليس في اتخاذ الأساليب الغربيّة التي تدّعي أنّ الدين ليس له أن يقولَ شيئاً عن حياة الفرد اليوميّة، وعن القانون والنظم السماويّة. وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدراً للنموّ والتقدّم».

٧٧٥٩- من الخرافات التي انتشرت في العالم الغربي - رغم حضارته الماديّة - واعتقد بها حتى العلماء الكبار منهم ما قيل: إن «باسكال» العالمَ الرياضيَّ الفرنسيَّ الشهير كان يضع قطعةً من جلد الغَزال في ملابسه ظنّاً منه أنّ هذا العمل يُنجيه من الفشل والإخفاق. وإنّ «دوبربوبل» عالمَ الفيزياء والكيمياء البريطانيّ الكبير كان يحمل معه جُمجُمةَ إنسان ظنّاً منه أن ذلك يمنع عنه الرُّعاف. وما قيل: إن القرويّين الفرنسيّين يضعون الطلاسمَ في بيوتهم لتحميَهم من شرّ حيوانٍ موهوم لا يُرىٰ بالعين، رأسه كرأس الذئب وبدنه كبدن الإنسان يُسمى «لوكارو». وما قيل: إن الغربيّين يتشاءمون من مشاهدة القرد والذئب والثعلب والحيّة. وإذا تعلّق ثوبُ أحدهم بمسمار الكرسي يشعر بالحزن والكآبة. كما يتشاءمون من رقم «١٣» فلا يضعونه على الغرفة «١٣» من بيوتهم وفنادقهم. إلى غير ذلك من الخرافات والأباطيل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ

ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[1].

٧٧٦٠ـ قيل: إنّ عددَ اللغات المنتشرة في العالم هو ٢٦٩٨ لغة حيّة، وإن ٨٦٠ منها فقط تُعدّ ذات أهميّةٍ حقيقية تتداولها القارات الخمس وموزّعة عليها كالآتي: ٤٢٤ لغة في أمريكا. و٤٨ لغة في أوروبا. و١٥٣ لغة في آسيا. و١٨٠ لغة في أفريقيا. و١١٧ لغة في أستراليا. والجدير بالذكر أنّ الهنودَ الحمر لهم حوالي ٢٠٠ لغة يتخاطبون بها، وثلاث لغات منها فقط تصلح للكتابة وهي «تشيروكي» و«أذنيك» و«مايا».

٧٧٦١ـ قال أحمد الصافي النجفي:

أنظِمُ الشعرَ لا لكي يُعجِبُ القرّاءَ لكنْ ليُدرِكوا مغزاهُ
وإذا الشعرُ ساءهم كان أشهى لِيَ من أن يروقَهم معناهُ
إنّ طعمَ الدواء يُنكره الذوق وفيه يلقى المريض شِفاهُ

٧٧٦٢ـ قيل: إنّ في الجراد شبهاً من عشرة حيوانات: فوجهُه وجهُ فرس، وعينُه عينُ فيل، وعُنُقُه عنُقُ ثور، وقَرْنُه قرْنُ غزالٍ، وصدرهُ صدرُ أسد، وبطنُه بطنُ حيّة، وأجنحتُه أجنحةُ نسر، وأفخاذُه أفخاذُ جمَل، وأرجلُه أرجلُ نَعامة، وذنَبُه ذنَبُ عقرب.

٧٧٦٣ـ قال الشاعر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظَرِ ومعظم النار من مستصغر الشرَرِ
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فِعلَ السهام بلا قوسٍ ولا وتَرِ

والنظرةُ ـ كما يقولون ـ بريدُ الزنى، وهي التي تجر صاحبَها إلى

(١) سورة الأحزاب، الآية(٤).

ما لا تُحمد عاقبتُه، وصدق أمير الشعراء حيثُ يقول:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　فكلامٌ فموعِدٌ فلِقاءُ

٧٧٦٤ـ جاء في إحصاءٍ رسميٍّ أجراه «معهد الأبحاث الخاص بالشرق الأوسط» في لندن سنة ١٤٠٧هـ المصادف ١٩٨٧م قولُه: «لقد سجّل الإسلام ـ على عكس الأديان الأخرىٰ ـ في الخمسين سنة الماضية ارتفاعاً عظيماً في عدد أتباعه. فقد تضاعف عددُ المسلمين خلال نصف القرن الأخير خمسةَ أضعاف، فقد كان عددهم مائتي مليون مسلم قبل خمسين سنة، فصار أكثرَ من مليار مسلم الآن، وهو يتساوى الآن مع عدد النصارىٰ في العالم.. وفي الوقت الذي تزايد فيه عددَ المسلمين حتى صار أكثرَ من ألف مليون مسلم، فإنّ عددَ اليهود قد تناقص بنسبة ٤٠٪ خلال الخمسين عاماً الماضية، فعددهم الآن لا يتعدّى الخمسة عشر مليونَ يهودي فقط ينتشرون في كل أنحاء العالم بما في ذلك أرضُ فلسطين».

٧٧٦٥ـ حُكي: إن شاباً مؤمناً معروفاً بالدِيانة والأمانة مرّ على بُستانٍ في بغداد فقطف تُفاحتيْنِ منها فأكل أحداهما وحمل الأُخرىٰ في جيبه وأكلها في بيته. ولمّا سأل أحدَ العلماء عن حكم هذه المسألة قال له: إن حقّ المارّة يبيح لك التُفاحةَ التي أكلتَها، ولا يبيح لك التُفاحةَ التي حمَلتَها إلى بيتك، فلا بدّ لك من استرضاء صاحب البُستان. فسأل الشابُ عنه فقيل له إنّهما رجلان شريكان أحدُهما في بغداد والآخرُ في البصرة، فاستوهب من الرجل الذي في بغداد فوهب له حِصّتَه من التُفاحة، ثم ذهب إلى البصرة واتصل بالرجل الآخر وطلَب منه أن يهَبَه حِصّتَه من التُفاحة أو يأخذَ قيمتَها فأبى الرجل ذلك وامتنع أشدَّ الامتناع

وقال: لا أهَبُك حِصّتي من التُّفاحة إلا أن ترضىٰ بالزواج من ابنتي العمياء والصمّاء والعرجاء، فأخذ الشاب يتوسّل إليه أن يرضىٰ منه بغير أن يُرهقَه بهذا الزواج فلم يوافق الرجل وأكّد له بأنّه لا يبرىء ذِمّتَه من نصف التُّفاحة إلا بعد موافقته على هذا الزواج، فاضطرّ الشاب إلى القبول مفوّضاً أمرَه إلى الله تعالىٰ. فلمّا تمّ عقدَ النّكاح ودخل على زوجته فإذا به يرى الأمرَ على عكس ما ذكر الرجل فالبنتُ كانت في غاية الروعة والجمال فخرّ إلى الأرض ساجداً شاكراً لله تعالىٰ على هذه النعمة الكبرىٰ، وبقي ليلتَه تلك يصلّي لله ويلهج بذكره وشكره. فلمّا أصبح الصباح أخبرت البنتُ أباها بما فعل الشاب في ليلته هذه فسأله عن سبب ذلك فقال: إني لمّا فوجئت بهذه النعمة العظيمة، ورأيت جمالَها وكمالَها الفائقيْن أحببت أن أبدأ أولاً بشكر الله وحمده ثم أتوجّه إليها وإليك بالثناء والتقدير. فقال له الرجل: إني لما رأيت عظيمَ أمانتك وصدقَ ديانتك رغِبتُ في أن أزوّجَك ابنتي هذه الفائقةَ في جمالها وكمالها، والتي طالما تمنّيتُ أن يهيّىءَ اللّهُ لها الزوجَ الذي يليقَ بها وتليق به، فلمّا رأيتَ فيك هذا الإحساسَ المرهَف وهذا الشعورَ العجيبَ بالمسؤوليّة بحيثُ وطّنتَ نفسَك على الزواج بها مع ما فيها من العيوب التي ذكرتُها لك من أجل أن أبرىءَ ذِمّتَك من نصف تفّاحة علمتُ أنك ذلك الزوجُ الذي كنتُ أتمنّاه لابنتي. فالحمدُ لله على لطفه وفضله وإحسانه، وأسأله أن يمُنّ عليكما بالحياة الزوجيّة الرغيدة المليئةِ بالسعادة والهناء.

٧٧٦٦ـ الإبتلاءُ بالمحن والمصائب تطهيرٌ للنفوس وتزكيةٌ للقلوب وكفّارةٌ من الذنوب، وهو سببٌ لرفع الدرجات ومحوِ السيّئات، ولذلك اختصّ اللّهُ صفوةَ خلقه بأشدّ المصائبِ وأعظمِ

النوائب حتى ورد في الحديث الشريف: «إنَّ عظيمَ الأجر مع عظيم البلاء، وما أحبَّ اللَّهُ قوماً إلا ابتلاهم»، «وإنَّ اللَّهَ إذا أحبَّ عبداً ابتلاه، وإذا ازداد له حبّاً صب عليه المصائب صبّاً». وقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أشدَّ الناس بلاءً النبيّون، ثم الوصيّون، ثم الأمثل فالأمثل». وجاء في الحديث القدسي: «أهلُ طاعتي في ضيافتي، إن تابوا فأنا حبيبُهم، وإن مرِضوا فأنا طبيبُهم، أداويهم بالمحن والمصائب لأطهّرَهم من الذنوب والمعائب». نعم لا يَنال المؤمنُ هذه المراتبَ العالية إلا بالصبر الجميل، وتفويضِ الأمر إلى المولى الجليل. فقد جاء في الحديث القدسي: «إذا وجهتُ إلى عبدٍ من عبيدي مصيبةً في نفسه أو ماله أو أهله فقابلها بصبرٍ جميل استحَيْتُ يومَ القيامة أن أنصبَ له ميزاناً، أو أنشرَ له ديواناً»، وروي: «يُؤتىٰ يوم القيامة بأهل البلاء، فلا يُنصب لهم ميزان، ولا يُنشر لهم ديوان، يُصبّ عليهم الأجرُ صبّاً كما كان يُصب عليهم البلاءُ صبّاً. فيوَدّ أهلُ العافية في الدنيا لو أنهم كانوا تُقرض أجسادُهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهلُ البلاء من الثواب، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ابتُلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثلُ أجر ألف شهيد»، وروي عنه أيضاً: «لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أنه قُرض بالمقاريض». وجاء في بعض الأحاديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه ليسمعَ تضرّعَه» لأنّه سبحانه يحب دعاءَ الداعين وضَراعةَ المتضرّعين، وإنَّ دعاءَهم وبكاءَهم من خشية الله يقرّبهم إليه زُلفىٰ ويرفعهم إلى الدرجات العلىٰ حتى ورد في الحديث القدسي: «أنينُ

(١) سورة الزمر، الآية(١٠).

المذنبين أحبُّ إليّ من تسبيح المسبّحين». ويظهر من الأخبار: إنّ اللّٰهَ إنّما يصرِف البلاء عن العبد ويمتّعه في دنياه إذا أعرض بوجهه الكريم عنه، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إني لأكره للرجل أن يُعافىٰ في الدنيا فلا يصيبه شيءٌ من المصائب»، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «دُعي النبيّ صلى الله عليه وآله إلى طعام فلمّا دخل منزلَ الرجل نظر إلى دَجاجةٍ فوق حائط قد باضت، فوقعت البيضة على وتد في حائط فثبتت عليه ولم تسقطْ ولم تتكسّرْ، فتعجّب النبيّ صلى الله عليه وآله منها فقال له الرجل: أعجبتَ من هذه البيضة يا رسولَ الله؟ فوالذي بعثك بالحق ما رُزِئتُ شيئاً قط، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال: «من لم يُرزَءْ ـ أي لم يُصب برزيّة ـ فما لله فيه من حاجة».

٧٧٦٧ـ روي: إنّ رجلاً هاجر من اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأراد الجهاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ارجع إلى أبويْك فاستأذنْهما فإنْ أذِنا فجاهدْ وإلاّ فبِرَّهما ما استطعت فإنّ ذلك خيرُ ما كُلِّف به بعد التوحيد». وجاء رجلٌ آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يطلُب منه الجهاد فقال له: «ألك والدة؟» قال: نعم، قال: «فالْزَمْها فإنّ الجنّةَ تحت قدمها». وجاء رجلٌ ثالث إليه صلى الله عليه وآله يطلُب منه الإذن بالهجرة إلى الجهاد ثم قال له: يا رسول الله ما جئتك حتى أبكيتُ والديّ، فقال صلى الله عليه وآله: «ارجعْ إليهما فأضحِكْهما كما أبكيتَهما».

٧٧٦٨ـ أثبت عالمٌ بريطانيّ ـ بعد دِراسةٍ استغرقت اثني عشرَ عاماً ـ إنّ هناك عَلاقةً بين النوم والموت، وإنّ النومَ هو نوعٌ من الموت. وبعد أنْ أعلن عن نتائج هذه الدِّراسة أخبروه بأنّ القرآن الكريم صرّح بهذه الحقيقة العلميّة قبل أكثرَ من أربعةَ عشرَ قرناً وذلك بقوله تعالىٰ في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿٤٢﴾﴾، فما كان من هذا العالم إلاّ أن أعلن إسلامَه. وقد أجرت «الشركة الإسلاميّة الدوليّةُ للصوتيّات والمرئيّات» لقاءً تلفزيونيّاً معه حدّثها فيه عن دِراسته هذه وعن إسلامه في حلْقتيْن، الحلْقة الأُولىٰ استغرقت ٥٥ دقيقة، والحلْقة الثانية استغرقت ٢٦ دقيقة، وصدق الله حيثُ يقول في سورة فصلت، الآية(٥٣): ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ﴾.

ومن الجدير بالذكر أنّ أميرَ المؤمنينعليه السلام صرّح أيضاً بهذه الحقيقة بقوله الذي مرّ ذكره في هذا الكتاب برقم ٨٨٠.

٧٧٦٩ـ ألقى البروفسور «كولمان» بحثاً علميّاً في مؤتمرٍ إسلاميٍّ عالميّ عُقد في الباكستان تحدّث فيه عن «الحديد» وإنّ أصلَه من خارج الأرض حيثُ أثبتت الدِّراساتُ العلميّةُ الحديثة أنّ الحديدَ أنزل على الأرض من خارجها عن طريق الشُّهب والنيازك. كما ذكر في بحثه هذا منافعَ الحديد الكثيرة التي لها الفضلُ الأكبر في التقدّم الصّناعي الحديث، وحتى دورة الماء في الأرض لها عَلاقةٌ غيرُ مباشِرة بالحديد حيثُ إنّ للجاذبيّة الأرضيّة أثراً مهمّاً في هذه الدورة، وأثرُ الجاذبيّة يرجِع إلى ما في الأرض من حديد. وأوضح البروفسور إلى أنّ القرآنَ الكريم قد سبق العلمَ والعلماءَ إلى كشف هاتيْنِ الحقيقتيْنِ الكبيرتيْن عن أصل الحديد وعن منافعه الكثيرة وذلك بقوله تعالىٰ في سورة الحديد، الآية(٢٥): ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾.

٧٧٧٠ـ روي عن عبد الله بنِ مسعود أنّه قال: نام رسول اللهصلى الله عليه وآله على حصير فقام وقد أثّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله

لو اتخذنا لك وِطَاء[1]؟ فقالﷺ: «ما لي وللدنيا، ما أنا إلا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها».

٧٧٧١ـ قيل: إنّ امرأةً من الصالحات كانت إذا خرج زوجُها للكسب توصيه بهذه الوصيّة النافعة: «إيّاك والحرام فإنّا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار».

٧٧٧٢ـ من خصائص اللغة العربيّة ومزاياها العاليّة حذف بعض الجمل والكلمات لوجود ما يَدُلّ عليها أو يُشير إليها في سِياق الكلام، ولغرض احترام ذكاء المستمع وما فُطر عليه من إدراكٍ لأسرار لغته بحيثُ يستدِلّ ـ بحسنِ فِطْنته وصفاءِ فِطْرته ـ على ما لم يُذكرْ في الكلام بما ذُكر منه، ويَعرف ما حُذف منه بما لم يُحذفْ، ويكتشف تمامَ المعنى من سِياق الكلام. وهو أحد مظاهر الجمال والإبداع في هذه اللغة الخالدة حتى قال عنه نُقّاد الأدب القُدامى: «الحذف هو بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر»، وقال عنه نُقّاد الأدب المحدَثون: «إنّ خفاءَ العمل الأدبي وطيَّ بعض عناصره يجعل المتلقّي يشارك في عمليّة الخلق الفنيّ عن طريق حلّ المعضِل، ومعالجةِ الخفيّ، والاهتداءِ للتفصيلات التي يتركها الفنّان». والقرآن الكريم ـ وهو في قِمّة الإعجاز والإيجاز ـ أخذ بهذا الأسلوب في كثير من آياته الكريمة، نذكر جملةً منها على نحو الاستشهاد للاستيعاب.

منها: قولُه تعالىٰ في سورة الزمر، الآية(٢٢): ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾، وأصلُ الكلام: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه

---

(١) وطاء: فراش.

كمن أقسى قلبَه»، ويدُل على المحذوف قولُه في الآية: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة القصص: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾، وأصلُ الكلام: «فقالت: هل أدلّكم على أهلِ بيتٍ يكفُلونه لكم وهم له ناصحون؟ فقالوا: نعم، فدلتهم على أمّه وهم لا يعلمون أنها أمُّه»، ويدُلّ على المحذوف قولُه في الآية الثانية: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة الرعد، الآية(٣١): ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، وأصلُ الكلام: «ولو أن قرآناً سُيِّرت به الجبال، أو قُطِّعت به الأرض، أو كُلِّم به الموتىٰ لكان هذا القرآن لأنّه من عند الله، وهو قادر على كلّ شيء وله الأمرُ كلُّه»، ويدُلّ على المحذوف قولُه في الآية: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة الإسراء، الآية(٥٩): ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، وأصلُ الكلام: «وآتينا ثمودَ الناقةَ آيةً مبصرةً فظَلَموا بها»، ويدُلّ على المحذوف قولُه في الآية: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة ق: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾، وأصلُ الكلام: «ق والقرآنِ المجيد لَتبعثُن»،

ويدُلّ على المحذوف قولُه في الآية الثالثة: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة يسن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾، وأصلُ الكلام: «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحمون اعرضوا»، ويدُلّ على المحذوف قولُه في الآية الثانية: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(٩٣): ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، وأصلُ الكلام: «وأشربوا في قلوبهم حبَّ العجل بكفرهم»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة يوسف، الآية(٨٢): ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، وأصلُ الكلام: «واسأل أهلَ القرية التي كنا فيها»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة البقرة، الآية(١٧٧): ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وأصلُ الكلام: «ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾، وأصلُ الكلام: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ اللّهَ رؤوفٌ رحيم لأنزل عليكم العذاب» ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾، وأصلُ الكلام: «فقلنا اذهَبا إلى القوم الذين كذّبوا بآياتنا، فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميراً»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة آل عمران، الآية(١٠٦): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، وأصلُ الكلام: «فأمّا الذين اسودّتْ وجوهُهم فيُقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفُرون»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾، وأصلُ الكلام: «وله ما سكن في الليل والنهار وما تحرك وهو السميع العليم»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

ومنها: قولُه تعالىٰ في سورة النحل، الآية(٨١): ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾، وأصلُ الكلام: «وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ والبرد»، ويدُلّ على المحذوف سِياقُ الكلام.

والشواهد على ذلك من القرآن الكريم كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

٧٧٧٣ـ حُكي: إن أزهر السمّان دخل على الخليفة المنصور فرحّب به وقال له: ما حاجتك يا أزهر؟ قال: داري متهدّمة، وعليّ أربعةُ آلاف درهم، وأريد تزويجَ ولدي. فأمر له المنصور بمالٍ وقال له: قد قضينا حاجتك فلا تأتنا طالباً، فأخذ المالَ وارتحل. وبعد سنةٍ

جاء إلى المنصور فلمّا رآه قال: ما حاجتُك يا أزهر؟ قال: جئتك مسلّماً، فأمر له بصلةٍ وقال له: لا تأتنا طالباً ولا مسلّماً. وبعد سنةٍ جاءه فلمّا رآه قال: ما حاجتُك يا أزهر؟ قال: جئتك عائداً، فأمر له بصلةٍ وقال له: لا تأتنا طالباً ولا مسلّماً ولا عائداً. وبعد سنةٍ جاءه فلمّا رآه قال: ما حاجتك يا أزهر؟ قال: جئتُك لأكتبَ عنك دعاءً سمِعتُك تدعو به، فضحِك المنصور وقال له: إنّه دعاءٌ غيرُ مستجاب لأنّي دعوتُ اللّهَ أن لا أراك فلم يستجِبْ لي. ثم أمر له بصلةٍ وقال: قد أعيتني فيك الحيلةُ يا أزهر.

٧٧٧٤ـ روي: إنّ أبا زرعة دخل على الوليد بنِ عبد الملك فقال له الوليد: أخبرني يا أبا زرعة أيحاسبَ الخليفة؟ فإنّك قد قرأتَ القرآن وفقِهتَ الدين، فقال له أبو زرعة: أأقول وأنا آمن؟ قال: قلْ وأنت آمن، قال: أنت أكرمُ على الله أم داود عليه السلام؟ إنّ اللّهَ تعالىٰ جمع له الخلافة والنبوّة ومع ذلك خاطبه متوعّداً: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[1]. فأفحِم الوليد ولم يتكلّمْ.

٧٧٧٥ـ الخير هو: «جُماعُ الخِصال الحميدة التي تعود على صاحبها بالسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة» ويقابله الشر كما قال تعالىٰ في سورة الزلزلة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾، وقد يقابله الضر كما قال تعالىٰ في سورة الأنعام: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن

(١) سورة ص، الآية(٢٦).

يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾. والحكمة في استعمال كلمة «الضُر» هنا بدل كلمة «الشر» لأنَ اللّهَ سبحانه لا يليق به أن يُنسبَ إليه الشر فاستبدل مكانه الضُرَّ الذي هو المحن والشدائد التي يمتحن اللّهُ بها عبادَه. وشبيه بذلك قولُه في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ فإنّه تعالىٰ لم ينسبِ الشرَّ إلى نفسه وإنّما أتى بالفعل «أريد» بصيغة المجهول، ولكنّه عند ذكر الرشَد الذي هو بمعنى «الخير» نسبه إلى نفسه وأتى بالفعل «أراد» بصيغة المعلوم. ويؤيّد ذلك أيضاً قولُه تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ فإنّه جلّ شأنه قال: بيدك الخير، ولم يقل: بيدك الخير والشر تنزيهاً لذاته المقدسة عن الشر. نعم في القرآن آيتان قد يظهر منهما نسبةُ ذلك إلى الله تعالىٰ.

الآيةُ الأُولىٰ: قولُه في سورة الأنبياء، الآية(٣٥): ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، والمراد بالشر هنا هو المحن والشدائد، ويؤيّد ذلك قولُه في الآية: «فِتنة» وقولُه قبلها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

والآيةُ الثانية: قولُه في سورة يونس، الآية(١١): ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، والمراد بالشرّ هنا هو المحن والشدائد أيضاً، ويؤيّد ذلك قولُه بعدها: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾.

ولعلّ أحسن ما قيل في معنى «الخير» هو ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سُئل عن الخير فقال: «ليس الخيرُ أن يكثُرَ مالُك

وولدُك، ولكنَ الخيرَ أن يكثرَ علمُك، وأن يعظُمَ حلمُك، وأن تباهيَ الناسَ بعبادة ربّك، فإن أحسنتَ حمِدتَ الله، وإن أسأتَ استغفرتَ الله. ولا خيرَ في الدنيا إلا لرجليْن: رجلٌ أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجلٌ يسارع في الخيرات».

٧٧٧٦ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل من أصحابه قد أصابه مرض في بدنه: «جعل الله ما كان من شكواك حطّاً لسيئاتك، فإنّ المرضَ لا أجرَ فيه، ولكنّه يحُطُّ السيئات ويَحُتُّها[1] حتَّ الأوراق. وإنّما الأجرُ في القول باللسان والعملُ بالأيدي والأقدام. وإنّ اللّهَ يُدخل بصدق النيّة والسريرةِ الصالحة من يشاء من عباده الجنّة».

ويعلّق الشريف الرضيّ على كلام الإمام عليه السلام بقوله: «أقول صدق أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المرضَ لا أجرَ فيه، لأنه من قبيل ما يَستحِقّ عليه العوض، لأنّ العوضَ يُستَحَق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالىٰ بالعبد من الآلام والأمراض وما يجري مجرىٰ ذلك، والأجرُ والثوابُ يَستحِقّان على ما كان في مقابلة فعل العبد. فبينهما فرقٌ قد بيّنه عليه السلام كما يقتضيه علمُه الثاقب ورأيُه الصائب».

ويعلّق الشيخ محمد عبده على ذلك بقوله: «إنّ المرضَ ليس من أفعال العبد لله حتى يؤجرَ عليها، وإنّما هو من أفعال الله بالعبد التي ينبغي إنّ اللّهَ يعوّضه عن آلامها. والذي قلناه في المعنىٰ أظهرُ من كلام الرضيّ».

(١) يَحُتها: يُسقطها.